هدية [illegible]

مع التحيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ATHEEKAH

٢ ـ الوثيقة

الوثيقة

دورية نصف سنوية

تصدر عن

مركز الوثائق التاريخية

بدولة البحرين

رئيس التحرير:

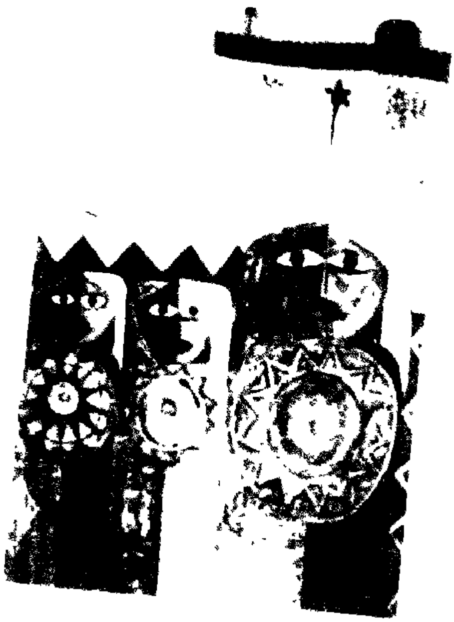
الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

العدد العاشر - السنة الخامسة

جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ - يناير ١٩٨٧ م

لجنة المجلة

العنوان . مركز الوثائق التاريخية ص . ب ٢٨٨٨٢
تليفون ٦٦٤٨٥٤
جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير .



صورة الغلاف
بريشة الفنان البحريني
ناصر يوسف

الفهرس

(القسم الانجليزي)

الأبحاث المنشورة في هذا العدد تمثل وجهة نظر كاتبها

(الوثيقة)

كلمة العدد

بقلم سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

احتفلت البحرين منذ أيام بمناسبة عزيزة وهامة . هى عيدها الوطنى المجيد الذى يوافق فى هذا العام مرور ربع قرن على تولى صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة مقاليد الحكم فى البلاد. وان الذى اتيح له ان يشتغل بمعالجة تاريخ البحرين سوف يبهره ما تحقق فى هذه السنوات من انجاز لم يتحقق طوال التاريخ الممتد والعريق لقد عاشت هذه الجزيرة قرونا طويلة وشهدت مولد التاريخ . وكانت طوال القرون مسرحا للعديد من الحوادث التى لم تترك لها الفرصة اللازمة لتحقيق النمو أو التطور ولكنها وبنظرة فاحصة استطاعت فى السنوات الخمس والعشرين الماضية ان ترسى وبفضل السياسة الحكيمة والرشيدة التى تولت تسيير الامور فيها أسس أمان افتقدته، وان تدعم جو الاستقرار الذى كانت تتوق اليه. وفى ظل هذا الجو أمكن الاندفاع لتحقيق طموحات التقدم والتحضر والازدهار وبمعدلات تدعو للعجب وتدعو للاعجاب.. ان ملامح التقدم التى امتدت خلال ربع القرن الاخير لتشمل مختلف مجالات النشاط الانسانى سوف تظل علامة بارزة فى تاريخ هذه البلاد وسوف تسجل بالفخار ثمار الجهد المخلص والسياسة الحكيمة وجو الاستقرار والأمن وما كان وراء كل ذلك من جهد دؤوب وعمل لا يتوقف وبذل لا تحده حدود لتحقيق آمال عريضة وللسير قدما نحو تحقيق مزيد من الطموحات التى لا تقف عند حد لقد كان عملا كبيرا ذلك الذى سار بالسفينة لتمخر عباب الماء وسط بحار العصر العاصفة . والذى تمكن ان يقود المسيرة وسط امواج الخليج المتلاطمة

حتى وصلت الى ما وصلت اليه من تطور ونماء
(والوثيقة) تتقدم فى هذه المناسبة بخالص التهنئة لحضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان ال خليفة امير البلاد المفدى وسمو الشيخ خليفة بن سلمان ال خليفة رئيس الوزراء وسمو الشيخ حمد بن عيسى ال خليفة ولى العهد وللحكومة وشعب البحرين راجية ان يوفق الله كل جهد مخلص وكل عمل امين يستهدف صالح هذه الارض وصالح المواطنين الذي يعيشون فى رحابها

***

فى المؤتمر التاسع للامانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات فى الخليج العربى والجزيرة العربية الذى عقد خلال شهر نوفمبر الماضى بدولة الامارات العربية المتحدة. وعبر المناقشات الجادة والموضوعية والهادفة التى شهدتها جلسات المؤتمر طرحت ورقة عمل من الامانة العامة حول تنظيم الاستفادة من الوثائق المتعلقة بمنطقة الخليج فى الارشيفات الاجنبية وتوحيد الجهود توفيرا لنفقات لا لزوم لها. ودعما لروح التعاون بين الدول الاعضاء، وتبادل الاستفادة مما يمكن الحصول عليه من هذه الوثائق وتركزت المناقشات التى استغرقت حوالى جلسة كاملة من جلسات المؤتمر حول الارشيفات العثمانية وقد ابدى المتحدثون حول أهمية هذه الارشيفات ملاحظتين على جانب كبير من الاهمية الأولى ثراء هذه الارشيفات سواء المفتوحة للباحثين او التى لم تفتح مغاليقها بعد. بالوثائق المتعلقة بمنطقة الخليج والمنطقة العربية بل والمنطقة الاسلامية ذلك لان العثمانيين كان من عادتهم تسجيل كل شىء تم الاحتفاظ بما سجلوه ونظرا لترامى الامبراطورية واتساع رقعتها كانت التقارير والرسائل لا تتوقف بين الولاة او القادة او الرسل او العملاء وبين الحكومة المركزية هذه الرسائل والتقارير تمثل مصدرا خصبا وغنيا بالنسبة للباحثين فى تاريخ المنطقة اليوم، ربما بدرجة تفوق ما يمكن ان يوجد حول نفس الموضوع فى الارشيفات الاخرى سواء الهولندية او البريطانية او البرتغالية.

اما الملاحظة الثانية وهى التى قدمها بعض الذين ترددوا على هذه الارشيفات فى الفترة الاخيرة فهى ان هذه الوثائق التى تقادم بها العهد مخزنة بطريقة قديمة وبعضها لم تصل اليه يد منذ اكثر من قرن مما يهددها ويهدد ما فيها بالضياع . خاصة والذين يجيدون اللغة التركية القديمة في العالم قلة وهم قلة على وشك الانقراض

ان المسئولين في هذه الارشيفات يتحدثون احيانا عن املهم في ان تتم فهرسة كنوز الوثائق التي تشتمل عليها هـذه الارشيفات ولكن هـذه الفهرسة خطة طموح تحتاج لحشد عدد كبير من المهتمين ولو أمكن مد جسور من التعاون بين مراكز الوثائق والدراسـات في الخليج وهـذه الارشيفـات بهدف اعـداد فهارس لهـذه الوثائق والمخـطوطات لأمكن تحقيق الكثير للطرفين ففهرسة الوثائق سوف ترفع عن كاهل المسئولين في هذه الارشيفات حملا ثقيلا ومشاركة مراكز الوثائق في الخليج في هذا العمل مقابل حصول كل مركز على صورة من الفهرس الذي يتم الانتهاء منه تباعا سوف توفر عليه الكثير من الجهد والعناء وسوف تجعل من السهل عليه بعد ذلك وبعد استعراض ما لديه من فهارس طلب الوثائق التي تهمه بالدرجة الاولى دون ان يكون المسئولون فيه في حاجة الى فرز عشرات الالوف من الوثائق للوصول الى بغيتهم .

هـذه الفهارس نفسهـا سوف تكـون ذات فائـدة كبرى ليس لدول الخليج فقط وانما للدول العربية وللدول الاسلاميـة فاذا عـرفنا ان عملية اعدادها او البدء في عملية اعدادها سوف لن تكلف كثيرا فان ذلك يدفعنا بل يجب ان يدفعنا الى التحرك بفعالية للبدء في هذا المشروع الهام . فالهدف كبير والفائدة المرجوة منه اضخم واعظم مما يمكن ان يبذل في تحقيقه من جهد او مال وهى فائدة لن تقتصر على اجيال اليوم التي تبذل جهدها لحصر حوادث تاريخها العـريق وانما سـوف تمتد لاجيال كثيرة قادمة سوف تذكر بالعرفان والتقدير كل جهد يبذل في هذا السبيل .

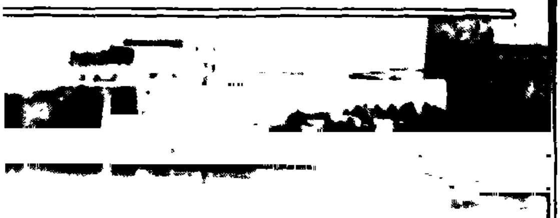
وبالله التوفيق

عبدالله بن خالد آل خليفة

صفحات من تاريخ البحرين

٢

الشيخ سلمان



البحرين ١٨٧٠

بن أحمد آل خليفة

[illegible]

بقلم : الشيخ عبدالله بن خالد ال خليفة

عـرضنا في الجـزء الأول من هذا البحث والذى نشر بالعدد الثامن من « الوثيقة » تحت نفس العنوان، لنشأة الشيـخ سلمان بن أحمـد ال خليفـة وتـوليـه الحكم في الزبارة والبحرين سنة ١٢٠٩ هـ الموافق ٩٤ ـ ١٧٩٥ م

عقب وفاة والده الشيخ أحمـد الفاتـح وعرضنـا خلال

البحث للسمات الشخصية التي تميز بها الشيخ سلمان بن أحمد وطريقة معالجته للأمور وتعامله مع الحوادث التي مرت بها الدولة الوليدة وانتهينا في الجزء الأول عند معركة « اخكيكيره» وهي المعركة البحرية التي انتهت بهزيمة ابن عفيصان وارحمة بن جابر وتمكنهما من الهرب في قارب الى قطر وكيف قام الشيخ سلمان بن أحمد بعد ذلك بتاسيس مدينة الرفاع واتخاذها مقرا لسكناه وكيف قام أخوه الشيخ عبدالله بن أحمد ببناء قلعته في حالة أبي ماهر وتاسيسه مدينة المحرق واتخاذها مقرا لسكناه ونعرض في هذه الصفحات للجزء الثاني من تاريخ حياة الشيخ سلمان بن أحمد ال خليفة والحوادث التي مرت في عصره والتي تكون جزءا من تاريخ البحرين ومن تاريخ تاسيس الدولة الحديثة التي نعيش اليوم في رحابها .

بعد استعادة الشيخ سلمان بن أحمد لحكمه على البحرين تمتعت البلاد بفترة من الهدوء الحذر استمرت اربع سنوات من سنة ١٢٢٥ هـ حتى سنة ١٢٢٩ هـ (١٨١١ م - ١٨١٥ م) فقد كانت علاقة البحرين بسلطان مسقط خلالها قوية وكانت حكومة الامام سعود مشغولة بحربها مع طوسون باشا ابن محمد علي ولا تستطيع أن تفتح جبهة أخرى خاصة بعد هزيمة ارحمة بن جابر الجلاهمة في موقعة اخكيكيرة والتي اثبتت أن الهجوم على البحرين ليس بالأمر الهين اضافة الى ذلك فان الامام سعود بن عبدالعزيز انتقل الى جوار ربه وانسحبت القوات السعودية من قطر كما انتقل ارحمة بن جابر الجلاهمة من خورحسان الى الدمام وبنى له قلعة فيها ولكنه لم ينس هزيمته في موقعة اخكيكيرة • فأخذ يواصل الحاحه على الحكومة السعودية لمساعدته على غزو

● ذكرت هذه الموقعة في كتاب « نقل الأخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار » تاليف حميد بن سلطان بن حميد الشاس مراجعة الاستاذ فالح حنظل الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م ص ٣٧ ويقول المؤلف « جرت وقعة تنورة - يقصد اخكيكيرة - البحرية بين ارحمة بن جابر بن عذبي الجلهمي ومن معه من

البحرين والثأر من ال خليفة ولكنه لم يجد استجابة من الحكومة السعودية فانتهز فرصة الخلاف الذى حدث بين السيد سعيد بن سلطان البوسعيدى سلطان مسقط وبين حكام البحرين واتصل بسلطان مسقط ، يحرضه على مهاجمة البحرين ويعرض استعداده للمشاركة، وقد أثار ذلك عليه غضب الحكومة السعودية وعلى رأسها الامام عبدالله بن سعود الذى خلف والده المغفور له الامام سعود فى الحكم فأمر بمهاجمة قلعة ارحمة فى الدمام وقد تم تنفيذ الأمر على الفور وطرد ارحمة بن جابر من الدمام فهاجر الى فارس سنة ١٢٣٠ هـ الموافق ١٨١٦ ● ونزل بقرب بوشهر ومن هناك استأنف اتصالاته بسلطان مسقط الذى كانت العلاقات بينه وبين البحرين قد ساءت بدرجة أكبر وواصل ارحمة بن جابر تحريضه على غزو البحرين ويعرض عليه مساعدته . وفعلا بدأ سلطان مسقط يتحرش بالبحرين وبدأ ذلك التحرش بتعرضه لخمس عشرة سفينة من سفن البحرين على مقربة من مسقط ونهب حمولتها واحتجزها .

عند هذا الحد لا بد من وقفة .. فقد ظهرت ملامح المؤامرة التى تحاك ضد البحرين كما أميط اللثام عن الاطراف المشاركة فيها والتى كانت تستهدف القضاء على الدولة الوليدة قبل أن يشتد عودها واغراقها فى بحر من المعارك يحول بينها وبين دعم أركان الحكم . وقد التقى فى هذه المؤامرة عدد من الاطراف هم .

○ **ارحمة بن جابر الجلاهمة** الذى لم يتوقف يوما واحدا بعد هزيمته فى اخيكيكيرة عن اثارة كل القوى المحيطة ضد البحرين وعن التماس

◆ رعايا السعود وبين الخليفة أمراء البحرين ومن معهم من ال صباح أمراء الكويت وكانت المعركة من العنف لدرجة أن ميازيب السفن سالت دما ويقدر عدد القتلى بألف وخمسمائة قتيل فى عدادهم دعيج الصباح وراشد بن عبدالله ال خليفة وشبت النار فى سبع سفن انفجرت فيها مخازن البارود وتطايرت اقسامها ومن فيها

ويذكر فى أخبار هذه الموقعة أن الشيخ عبدالله بن أحمد عندما جاءه خبر مقتل ابنه راشد اثناء المعركة قال ارموه فى الخن ياما فى ظهرى من راشد مما يدل على عنف المعركة

(الباحث)

● ذكر لوريمر فى الجزء الثالث من دليل الخليج صفحة ١٢٠٢ ان أمير الوهابيين أسخطه انقلاب ارحمة بن جابر عليه فقام باضطهاده بكل الوسائل التى ملكتها ⇦

العون من هنا وهناك وبعد فشله في الحصول على هذا العون من الحكومة السعودية اتصل بسلطان مسقط مما ادى الى طرده من الدمام

ومن فارس حيث لجأ هو واسرته اتصل بالمقيم السياسي المستر بروس لنفس الهدف

○ **مستر بروس المقيم السياسي في الخليج** والمقيم في بوشهر والذي كان يمثل السياسة الانجليزية في الخليج وكانت تقوم في هذه الفترة على الحيلولة دون قيام اى قوة مستقلة وقوية على الساطىء بقدر الامكان وتغذية الصراعات بين القوى المحلية لتتبدد قواها وتنشغل بصراعاتها

○ **السيد سعيد بن سلطان سلطان مسقط** وهو اول حاكم عربي بالخليج يعقد تحالفا مع الانجليز

○ **الحاكم العام في اقليم فارس**

وقد بدأت خيوط المؤامرة باتصال ارحمة بن جابر بالمستر بروس وحكى له ما تعرض له من الطرد من الدمام بسبب ال سعود وال خليفة وفي نفس الوقت اتصل ارحمة بسلطان مسقط بمباركة وتشجيع مستر بروس وكانت النتيجة كما ذكرنا أن بدأ التحرش باحتجاز سلطان مسقط لسفن البحرين الخمس عشرة ونهب حمولتها واعتقال من فيها وكان من بين الذين قبض عليهم سلطان مسقط الشيخ عبدالرحمن بن راشد الفاضل وسفينته (الجاسرى) ومحمد بن مقرن بن محمد ال خليفة وسفينته ومحمد بن صقر المعاودة وسفينته (السلطاني) وغيرهم من اهالي البحرين وقد سجن الرجال المقبوض عليهم في قلعة (الجلالى) بعد ذلك اتصل سلطان مسقط بحاكم شيراز وعرض عليه خطة لغزو البحرين وطلب منه امداده بالف فارس واربعمائة جواد وقد وافق حاكم شيراز على ذلك بشرط ان يقوم سلطان مسقط في حالة فشل الحملة على البحرين بدفع كل تكاليف الحملة مع غرامة سنوية لحاكم شيراز اما اذا نجحت الحملة وتم الاستيلاء على البحرين فان على سلطان مسقط في هذه الحالة أن يدفع

بناء وفي يوليو ١٨١٦ م امر بتدمير قلعة كان ارحمة بن جابر قد شيدها في الدمام على ساحل الاحساء وتمكن هذا بجهد شديد من انقاذ اسرته وممتلكاته ونقلها الى خور حسان وكان امر الوهابيين قد امر بان تنقل هذه جميعا الى الدرعية واخيرا في اكتوبر سنة ١٨١٦ م وصل ارحمة الى بوشهر لاجئا منفيا تصحبه ٥٠٠ اسرة وكان معه عدا القوارب الصغيرة سفينتان كبيرتان وسفينة متوسطة وعدد من السفن الصغيرة وما زالت السواحل العربية والشمالية تحتفظ حتى اليوم باثار قلاع تنسب الى ارحمة بن جابر

عشرة الاف تومان سنويا لحاكم اقليم فارس الايراني . ووافق سلطان مسقط وبدأ الاستعداد للحملة . فكتب لأهل البحرين ينذرهم بالحرب وضمن كتابه الآية الكريمة « ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون »●. فرفضوا تهديده وردوا عليه بجواب جاء فيه « إن وإن » وذلك اشارة الى الآية الكريمة « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ●●

وأعد سلطان مسقط حملته وفى ١٩ يوليو ١٢٣٠/هـ ١٨١٦ م ابحرت الحملة من مسقط قاصدة البحرين يقودها السيد سعيد بن سلطان وقد ضمت معظم أطراف المؤامرة فبعد مغادرتها مسقط انضمت اليها ثلاث سفن من بوشهر بأمر الحاكم الايرانى كما انضمت اليها فرق مختلفة من العرب من مينائى كنكون واعسيلوه وكذلك قوات ارحمة بن جابر الجلاهمة وبينما كانت الحملة فى طريقها الى البحرين كان الطرف الباقى من اطراف المؤامرة وهو المستر بروس المقيم البريطانى فى بوشهر يقوم بدور آخر آكثر خبثا ودهاء .

فقد وصل المستر بروس الى البحرين وكان هدفه الرئيسى هو معرفة مدى قوة ال خليفة واستعدادهم الحربى لمواجهة الحملة التى بدأت بالفعل طريقها الى البحرين ولكنه أخفى هذه المهمة الرئيسية وراء مجموعة من المناورات . لقد التقى بعد وصوله بالشيخ عبدالله بن أحمد ال خليفة والشيخ سلمان بن أحمد ال خليفة وأعلن أنه يريد أن يعرف طبيعة الخلاف فعرض عليه الشيخان أسلوب التحرش الذى مارسه سلطان مسقط وكيف انه استولى غدرا على خمس عشرة سفينة من سفن البحرين وكيف انه ارسل انذارا بالحرب واعلانه أن السفن الحربية الانجليزية سوف تشترك معه فى هجومه على البحرين اضافة الى اغلاق الموانىء الهندية التى تسيطر عليها بريطانيا فى وجه أى جهة على عداء مع سلطان مسقط ورد المستر بروس بأن موقف الحكومة البريطانية هو الحياد وانها لن تساعد سلطان مسقط فى هجومه على البحرين ولكى يزيد من عملية التمويه ويظهر حسن نيته عقد مع الشيخ عبدالله والشيخ سلمان اتفاقية بذلك وهى بالطبع اتفاقية غير رسمية

● النحل - ٣٧ -

●● ال عمران - ١٦٠ -

ان لم يعوض من حكومته بعقدها والهدف منها كان فقط لتعطية مهمته الحقيقية ونعتقد انها تشبه الاتفاقية التى عقدها مع الشيخ حسن بن ارحمة القاسمى أمير راس الخيمة فى سنة ١٨١٤ م ●

وقد رد عليه الشيخ عبدالله بن احمد قائلا انه اذا ضمن حياد بريطانيا فانه قادر على حماية البحرين لانه على علاقة ودية مع الدولة السعودية ولم نعثر حتى الآن على نص هذه الاتفاقية مما يؤكد انها كانت فقط مجرد مناورة امتاز بها اسلوب الكابتن بروس لتعطية مهامه الحقيقية فى اللعب على كل الخيوط على اى حال عند هذا الحد غادر بروس البحرين وبعد رحيله مباشرة كانت الحملة التى يقودها سلطان مسقط قد وصلت الى مياه البحرين ولكن البحرين كانت قد استعدت لمواجهتها واحتشد أهل البحرين للدفاع عن بلدهم فرمموا مدخل خور القليعة بالحجارة واغرقوا فيه السفن القديمة بعد ان ملاوها بالحجارة كما اغلقوا مداخل البحرين فى المسار عند السابة وقد دلت هذه الاجراءات الدفاعية على بعد نظر الشيخ عبدالله واخيه الشيخ سلمان ومعرفتهما باسلوب الحرب البحرية وبالطريقة التى يفكر بها الجيش المهاجم وبالطريقة الدفاعية الفعالة لحماية الجزيرة

لقد توقعا أن القوة المهاجمة سوف تتجه الى خور القليعة لتتخذ بذلك موقعا متوسطا للهجوم بين المحرق والمنامة وهو موقع يجعل الجزيرتين فى مدى مدافع المراكب كما يجبر المدافعين الى تقسيم جيشهم قسمين قسم للدفاع عن المحرق وآخر للدفاع عن المنامة مما يتيح للقوة المهاجمة التغلب على كل قسم بسهولة وقد صدق هذا التوقع فتوجهت القوة المهاجمة بالفعل الى خور القليعة ولكنها فوجئت باغلاقه فلم يجد سلطان مسقط أمامه سوى الاتجاه الى جزيرة سترة فنزلت قواته بها واحتلتها وبقيت القوات المهاجمة بها ولم يحاول السلطان أن يتقدم خوفا من أن يبتعد عن سفنه وحتى لا يوسع من جبهة القتال مما يعطى للبحرين فرصة التفوق عليه ومن الناحية الأخرى كانت قوات البحرين تضم المشاة وكانوا ينقسمون قسمين تحسبا لاحتمال وقوع الهجوم من أكثر من جهة قسم يقوده الشيخ عبدالله بن أحمد ال خليفة وقد تجمعت قواته فى المنامة وزحفت الى جد على حيث

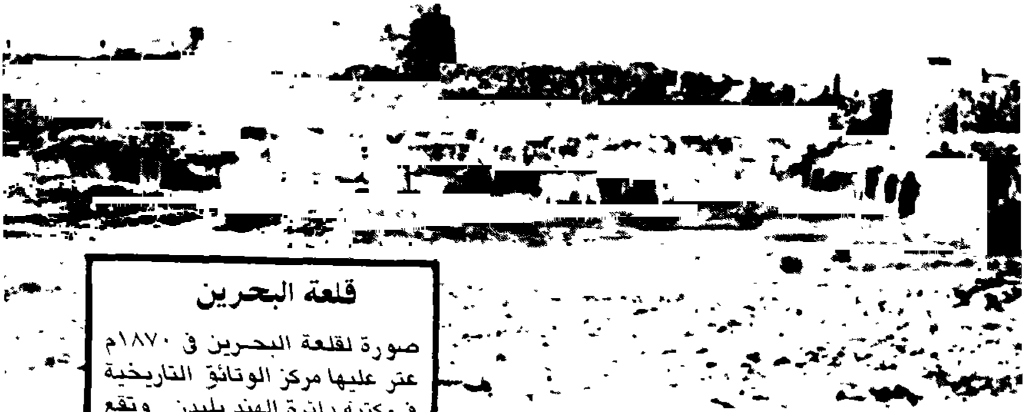
● اتفاقية بين الكابتن بروس وحسن بن أرحمة القاسمى فى ٢٢ تشرين الأول ١٨١٤ م راجع الملحق فى نهاية البحث

اتخذت مواقعها وسط النخيل . وقسم تجمع فى الرفاع تحت قيادة الشيخ سلمان بن أحمد ال خليفة وقد أصر رغم كبر سنه على الاشتراك فى المعركة وقد اعد له جمل ركبه على رأس قواته أما الفرسان فكانوا تحت قيادة الشيخ خليفة بن سلمان ال خليفة وقد كمنت قوات البحرين للقوة المهاجمة دون أن تتسرع بالهجوم حتى يتأكدوا من خطة المهاجمين ويطمئنوا الى عدم قيام أجزاء من جيش السلطان بمهاجمة مناطق أخرى من البلاد وبقوا كذلك ثلاثة أيام حتى ساور القلق السلطان الذى لم يكن يدرى ما يدور فاستدعى ارحمة بن جابر الجلاهمة وقال له « فين اعتيباتك يا شيخ ارحمة غابو (يعنى ماتو) فأخذت الحمية ارحمة بن جابر ورد قائلا يجهزون عشاك ياسيدنا .

وفى الصباح وهو صباح اليوم الرابع انسحب ارحمة بن جابر وجنده من سترة واتجه بسفنه مستهدفا الالتفاف حول المحرق من الشمال لمهاجمة المنامة ونهبها أثناء انشغال القوات البحرينية بالقتال مع السلطان ولكنه ـ وهو الخبير بالبحر ـ حالفه سوء التقدير اذ كان عليه ليصل الى بغيته أن يتجه شمالا وكانت الريح تهب من الشمال مما أجبره على أن (يجاوش) ● خاصة وسفنه كانت شراعية وكانت النتيجة انه تأخر كثيرا فى الوصول وفى نفس الوقت وهو صباح اليوم الرابع لنزول القوات فى سترة واثناء الجزر بدأ السلطان فى التقدم الى (العكر) وفوجىء بظهور قوات البحرين من بين النخيل وهم يرفعون اعلامهم ويدقون طبولهم واشتبكت طلائع القوة المتقدمة مع قوات البحرين وفى نفس اللحظة هجمت فرسان البحرين على قوات السلطان من الخلف ومن المكان الذى يوجد فيه الآن جسر سترة بالمعامير وأدرك السلطان على الفور أن قواته على وشك أن تقع بين فكى كماشة وان ذلك لو حدث فسوف تتعرض هذه القوات للابادة وقد هاجمت الخيل بالفعل قواته التى انسحبت بسرعة الى خرسان واديان ●● حتى تتفادى هجوم الخيل وأخذ بعضهم يصيح على البعض الآخر لينزلوا هذه الخرسان

● (يجاوش) اصطلاح بحرى توصف به السفينة التى تبحر فى مواجهة الريح مما يجعلها مضطرة للذهاب والعودة مع الميل حتى تصل الى هدفها مما يستغرق منها وقتا طويلا للغاية

●● الخرسان جمع خريس وهو جدول مائى فى أرض طينية رخوة تنبت فيها بعض الحشائش



قلعة البحرين

صورة لقلعة البحرين في ١٨٧٠م عثر عليها مركز الوثائق التاريخية في مكتبة دائرة الهند بلندن وتقع هذه القلعة على الساحل الشمالي لجزيرة البحرين وتحتل موقعا مهما في نهاية خليج مفتوح وقد دلت الحفريات على انها قلعة اسلامية في اسسها وان سبب ارتفاعها انها بنيت على اثار قلعة قديمة

وفي ٩٦٩هـ/ ١٥٦٨م جدد بناء القلعة في عهد وزارة جلال بن مراد شاه ثم جددت ورممت بواسطة البرتغاليين

قلعة الرفاع

بناها الشيخ سلمان بن احمد الفاتح قبل عام ١٨١٦م وربما بنيت على اسس لقلعة اقدم من ذلك التاريخ وجاء وصف للقلعة كتبه الكابتن (لوتس) عام ١٨٢٠م عندما زار سمو الشيخ سلمان بن احمد الفاتح في القلعة وبصحبته الكابتن بروس المقيم السياسي في بوشهر وبعض الضباط وتناولوا الطعام عنده. هذا الوصف منشور ضمن سطور هذا البحث



حتى لا تدهمهم الخيل ولم تلبث قوات السلطان أن انهزمت وفر من بقي من جنوده الى السفن لا يلوون على شيء وقد خلفوا وراءهم عددا كبيرا من القتلى بينهم حمد بن سلطان شقيق السلطان سعيد وكانت خسائر البحرين قليلة وقد قتل في المعركة من جانبهم قاسم بن درباس من ال بنعلي والشيخ محمد بن ابراهيم ال خليفة وأحد أولاد الشيخ عبدالله بن أحمد واسرع السلطان بالانسحاب بمن بقي من قواته . وقد بلغت أخبار الهزيمة ارحمة بن جابر الذي كان ما يزال يكافح الريح للوصول الى المنامة فأسرع هو الآخر بالفرار بسفنه الى بوشهر

بعد وصول السلطان الى مسقط هم بقتل المعتقلين البحرينيين عنده والذين قبض عليهم عندما احتجز سفن البحرين ولكن أخته موزة منعته من ذلك قائلة له انهم أسرى وان الوسيلة الوحيدة للانتقام هي تجهيز حملة ثانية على البحرين اذا كان يريد حقا أن يثأر لمقتل أخيه فأعاد السلطان تجميع قواته وسار بها الى جزيرة قيس استعدادا لمعاودة الهجوم على البحرين .

وهنا تتبدى حنكة حكام البحرين في معالجة الامور سلما أو حربا . فقد حاربوا عندما فرضت عليهم الحرب وانتصروا في حربهم دفاعا عن أرض البحرين ولكن اذا كانت الحرب ضرورية أحيانا فان السلم قد يحقق من النتائج أكثر مما تحققه الحرب وهي السياسة التي اعتمد عليها حكم الشيخ سلمان بن أحمد والتي عرضنا لها في بداية البحث فعندما علم الشيخ سلمان بن أحمد بخبر الحشد الجديد أرسل وفدا برئاسة السيد عبدالجليل بن السيد ياسين الطباطبائي ومعه الشيخ حمد بن عبدالله بن أحمد ال خليفة وآخرون ووصل الوفد الى جزيرة قيس في الوقت المناسب والذي لا شك أن ال خليفة كانوا يدركون جيدا أبعاده وأبعاد الظروف التي تحاصر السلطان الغاضب الذي أدرك من موقعه في جزيرة قيس تلاعب الانجليز وسياستهم في ضرب القوى المحلية بعضها ببعض كما تبين كما يقول لوريمر في كتابه أن الايرانيين ينوون الغدر به والقاء القبض عليه وسجنه في شيراز . وسط هذه الظروف وصل وفد البحرين للتفاوض من أجل الصلح وعرضوا على السلطان مبلغا من المال مقابل فدية أخيه ومقابل اطلاق سراح المعتقلين البحرينيين في (الجلالي) وقد وافق السلطان على الصلح وتنازل عن ثلاثة أرباع المبلغ الذي سبق الاتفاق عليه

★★★

ظهر من التحركات الأخيرة ومن

السياسة التي انتهجها الكابتن بروس أبعاد السياسة البريطانية في الخليج وهدف بريطانيا في احكام سيطرتها على الخليج وهو الهدف الذي مهدت له بضرب القوى المحلية بعضها ببعض حتى تضعف من قوتهم وحتى يسهل عليها بعد ذلك احكام سيطرتها وقد اخذت الظروف تتهيأ لتحقيق هذه السياسة ففي يوم ٤ سبتمبر ١٨١٨ م تمكن ابراهيم باشا ابن محمد علي من تدمير الدرعية والقضاء على الدولة السعودية الاولى وفي يوم ١ يوليو ١٨١٩ م اجتمع مجلس الرئاسة في بومبي وقرر اعداد حملة عسكرية لمهاجمة راس الخيمة واختير الميجور جنرال (اللواء) السير وليم جرانت كير (Major Gen Gr W Keir) قائدا عاما للحملة التي اشتركت فيها قوات السلطان وهاجمت هذه القوة القواسم في راس الخيمة الذين استبسلوا في الدفاع عن ارضهم ولكن المدافع البريطانية بعيدة المدى والسلاح الحديث الذي استخدمه الانجليز تفوق على مالدى القواسم من سلاح ورغم ذلك استمرت المعركة من ٣/١٢/١٨١٩ م وحتى ٩/١٢/١٨١٩ م قبل أن يتمكن الجنرال كير من دخول راس الخيمة حيث استسلم الشيخ حسن بن رحمة القاسمي بعد ذلك انطلق الاسطول البريطاني في الخليج ليدمر المدن فدمر مدينة (الرس) ودمر جميع السفن التي كانت راسية في موانيء الساحل وتوجهت السفن البريطانية الى البحرين ومشطت موانئها ثم عبرت الى الساحل الغربي للخليج وفتشت موانيء لنجة وعسيلوه وكنكون وجارك ودمرت جميع ماصادفته من سفن القواسم وكان من نتيجة هذه الحملة والتدمير الذي الحقته بالموانيء والسفن أن اصبحت بريطانيا هي المسيطرة على الخليج والقوة المرهوبة فيه وأصدر الجنرال كير أمره للنقيب بيرونت تومسن في ١٩/١٢/١٨١٩ م ليكون ضابط الارتباط الجديد بين القوة البريطانية والسيد سعيد سلطان عمان وطلب اليه أن يعد صيغة معاهدة سلام عامة ليوقعها كل شيوخ الخليج وقام النقيب تومسن تساعده روجته المسز تومسن بكتابة صيغة المعاهدة وكان النقيب تومسن يجيد العربية والتحق اصلا بالحملة ليكون مترجما للجنرال كير

وقد جاء نص المعاهدة التي اطلق عليها المعاهدة العامة بين شيوخ الخليج والحكومة البريطانية عام ١٨٢٠ باللغة العربية وكالآتي

«الحمدلله الذي جعل الصلح خير الانام وبعد قد صار الصلح الدائم بين دولة سركار الانكريز وبين الطوايف العربية المشروطين على هذه الشروط»

No. 2.

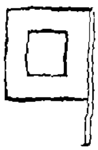
معاهدة العمومية مع الاقوام العرب في خليج فارس في سنة ١٨٢٠ ع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الصلح خيراً للأنام وبعد قد صار الصلح الدائم بين دولة سركار الانكريز وبين الطوائف العربية المشروطين على هذه الشروط -

الشرط الأول — ان يزول النهب والغارات في البر والبحر من طرف العرب المشروطين في كل الأزمان -

الشرط الثاني — ان تعرض احد من العرب المشروطين على المترددين في البر والبحر من كافة الناس بالنهب والغارات لا بحرب معروف فهو عدو لكافة الناس فليس له الأمان على نفس ولا مال والحرب المعروف هو الذي صار اعلانه به وتبيين مأموريته من دولة الى دولة وقتل الناس واخذ المال بغير اعلانه وتبيين وامر دولة فهو النهب والغارات -



الشرط الثالث — ان العرب المصالحين لهم في البر والبحر علم احمر فيه حروف او بلا حروف على مطلوبهم وهو في قطعة ابيض عرض الابيض الذي في القطعة يعادل عرض الاحمر كما هو مصوّر في الحاشية وان هذا هو علم العرب المصالحين يستعملون به ولا يستعملون بغيره -

الشرط الرابع — ان الطوائف المصالحين كلهم على حاله الأول الا انهم صار الصلح بينهم وبين دولة سركار الانكريز وان لا يحارب بعضهم بعضاً والعلم هو الشاهد على ذلك فقط وليس هو شاهد على غيره -

الشرط الخامس — ان مراكب العرب المصالحين كلهم بايديهم قرطاس مرشوم امضا اميرهم فيه اسم المركب وطوله وعرضه وكم تحمل من كارة وبايديهم ايضاً مكتوب آخر مرشوم امضا اميرهم فيه اسم صاحب المركب واسم الناخذاه وعدد الرجال وعدد السلاح ومن اين سار وفي اي وقت والى اي بندر يتوجه فان تعرض لهم مركب من الانكريز او غيرهم يعرضون عليه القرطاس والمكتوب -

الشرط السادس — ان العرب المصالحين ان كان مرادهم يرسلون رسولاً الى سركار الانكريز في البحر العارض ومعه الذي يحتاج اليه ويجلس مع السركار حتى يقضي غرضهم منه وسركار الانكريز ان كان مراده يرسل رسولاً ايضاً الى عندهم كذلك والرسول الذي جاء الى خط اميرهم في قرطاس مراكبهم المذكور الذي فيه طول المركب وعرضه وكم تحمل من كارة ويكتب هذا الرسول تجديد في كل سنة وايضاً كل من الرسولين حرمه على قومه -

المعروف وان كان صاحبه يحمل السلاح [illegible] مسلمين او غيره [illegible] سلوم السلاح فهو قد اخالف الصلح وان العرب المصالحين مع الانكليز يعدون [illegible] وان شاء الله تعالى لا يزال علوم العرب الا بعد تمامهم من عمل ذلك [illegible] .

[illegible] ان نهب [illegible] الرجال و النساء و الاولاد من سواحل السودان او غيره وحملهم في المراكب فهو من النهب و الغارات والعرب المصالحين لا يفعلون من ذلك شيئا .

[illegible] ان مراكب العرب المصالحين [illegible] المذكور يدخلون في كل بندر [illegible] الانكليز [illegible] على قدرهم يبيعون و يشترون فيها و ان كان احد تعرض [illegible] ذلك [illegible]

[illegible] ان هذا [illegible] على جميع الطوايف و الناس يعملونها [illegible] تم الشروط [illegible] تحرير القول في راس الخيمة بثلاثة نسخ في [illegible] شهر ربيع الاول [illegible] سنة ١٢٣٥ الهجرية مايتين خمس و [illegible] والدراهم [illegible] دبلا و رشمو في راس الخيمة في [illegible] .

[illegible]

(Sd) W. GRANT KEIR,
Major-General

. . . .

[illegible] عبد الله [illegible] الوكيل عن الشيخ سليمان بن احمد [illegible] .

[illegible] بن احمد آل خليفة في ٩ جماد الاول سنة ١٢٣٥ في البحرين و قبلوا ذلك [illegible] .

عبد الله بن
احمد آل خليفة

[illegible] آل خليفة في ٩ جماد الاول سنة ١٢٣٥ في البحرين و قبلوا ذلك [illegible] .

سليمان بن احمد
آل خليفة

الشـــرط الأول أن يــزال النــهب والغـارات فى البر والبحـر من طرف العرب المشروطين فى كل الأزمان

الشرط الثانى ان تعرض أحد من قوم العرب المشروطين على المترددين فى البر والبحر من كافة الناس بالنهب والغارات بلا حرب معروف فهو علنا كافة الناس فليس له الامان على حاله ولا مـاله والحرب المعـروف هو الذى منادى به مبين مامود به من دولة الى دولة قتل الناس واخذ ماله بغير مناديه وتـبـيـن أوامــر دولة فهــو النــهب والغارات .

الشـــرط الثـالث ان العـــرب المتصالحين لهم فى البـر والبحر علم احمر فيه حروف أو بلا حـروف على مـطلوبهم وهو فى كفـة أبيض عرض الابيض الذى فى الكفة يعادل عرض الأحمر كما هو مصور فى الحاشية وان هـذا هـو علم العـرب المصـالحـين فيستعملون به ولا يستعملون بغيره

الشـــرط الرابـــع أن الطوايـــف المصـالحـين كلهم عــلى حـالة الأول ولانهم صار الصلح بينهم وبين دولة ســركـار الانكـريـز وان لا يحــارب بعضهم بعضا والعلم هو الشاهد على ذلك فقط وليس هو شاهد على غيره

الشرط الخامس أن مراكب العرب المصـالحين كلهم بـأيديهم قـرطاس مرشوم بخط أميرهم فيه اسم المركب وطوله وعـرضه وكم يحمـل من كاره وبايدهم ايضا مكتوب اخـر مرشـوم بخط أميرهم فيه اسم صاحب المركب واسم الناخذة وعـدد الرجال وعـدد السلاح ومن اين ساروا وفى أى وقت والى أى بندر يتوجه فان تعرض لهم مركب من الانكريز أو غيرهم يعرضون عليه القرطاس والمكتوب

الشــرط الســادس ان العـــرب المصالحين ان كان مرادهم يـرسلون رســولا الى سركـار الانكريـز فى بحر فارس ومعه الذى يحتاج اليه فيجلس مع السركـاريين يقضى غـرضهم منه وسركار الانكريز ان كان مراده يرسل رســولا أيضــا الى عنــدهم كــذلك والرسول يلحق خطه الى خط أميرهم فى قرطاس مراكبهم المذكور الذى فيه طول المركب وعرضــه وكم يحمل من كارة وينبغى خط الرسول يجدد فى كل سنة وايضا كل من الرسولين خرجه على قومه

الشــرط السابــع ان كــان طايفــة أو غيرهم لا يزالون من النهب والغارات فالعرب المصلحون يقومون عليهم على قدر حالهم ويصـير بين العـرب وبين الانكريز كلام فى ذلك فى وقت وقوع ذلك النهب والغارة

الشرط التامن ان قتل الناس بعد تسليم السلاح فهو من الغارات ولا من الحرب المعروف وان كان طائفة يقتل النــاس مسلمين أو غيـره بعد تسلم الســلاح فهو قــد أخلف الصلح فان

العرب المصالحين مع الانكريز يقومون عليهم وان شاء الله تعالى فلا يرال عليهم الحرب الا بعد تسليم من فعل بدلك وحكم به

السرط التاسع ان نهب الرميق الرجال والنساء والأولاد في سواحل السودان أو غيره وحملهم في المراكب فهو النهب والغارات فالعرب المصالحون لا يفعلون من دلك سيا

السرط العاشر ان مراكب العرب المصالحين الحاملة علمهم المدكور يدخلون في كل بنادر دولة سركار الانكرير وفي بنادر فينهم على قدرهم يسترون ويبيعون فيها وان كان احد لعرض لهم مدلك على سركار الانكريز

الشرط احدى عشر ان هذه الشروط المذكورة فهى على جميع الطوايف والناس يتقبلونها فى المستقبل كل قبلوها فى الحين .

الشروط وان تحرير القول فى رأس الخيمة بثلاث نسخ فى فى تاريخ ظهر يوم السبت اثنين وعشرين من شهر ربيع الأول فى سنة ١٣٣٥ الهجرية مائتين وخمس وثلاثين بعد الالف ورسمود المشروطون فى الاماكن والتواريخ المكتوبة ذيلا فرسموه فى راس الخيمة فى تاريخ تحرير القول

خط السر دار بيده وخاتمه

كتبه حسن بن رحمة بيده

كتبه قضيب بن أحمد بيده

كما جاء النص بالانجليزية كالآتى

TRANSLATION OF THE GENERAL TREATY WITH THE ARAB TRIBES OF THE PERSIAN GULF, 1820

IN THE NAME OF GOD, THE MERCIFUL, THE COMPASSIONATE[1]

Praise be to God, who hath ordained peace to be a blessing to his creatures. There is established a lasting peace between the British Government and the Arab tribes, who are parties to this contract, on the following conditions

ARTICLE 1

There shall be a cessation of plunder and piracy by land and sea on the part of the Arabs, who are parties to this contract, for ever.

No. 2

TRANSLATION OF THE GENERAL TREATY WITH THE ARAB TRIBES OF THE PERSIAN GULF, 1820.

IN THE NAME OF GOD, THE MERCIFUL, THE COMPASSIONATE!

Praise be to God, who hath ordained peace to be a blessing to his creatures. There is established a lasting peace between the British Government and the Arab tribes, who are parties to this contract, on the following conditions:—

ARTICLE 1

There shall be a cessation of plunder and piracy by land and sea on the part of the Arabs, who are parties to this contract, for ever.

ARTICLE 2

If any individual of the people of the Arabs contracting shall attack any that pass by land or sea of any nation whatsoever, in the way of plunder and piracy and not of acknowledged war, he shall be accounted an enemy of all mankind and shall be held to have forfeited both life and goods. And acknowledged war is that which is proclaimed, avowed, and ordered by government against government; and the killing of men and taking of goods without proclamation, avowal, and the order of a government, is plunder and piracy.

ARTICLE 3

The friendly (literally the pacificated) Arabs shall carry by land and sea a red flag, with or without letters in it, at their option, and this shall be in a border of white, the breadth of the white in the border being equal to the breadth of the red, as represented in the margin (the whole forming the flag known in the British Navy by the title of white pierced red), this shall be the flag of the friendly Arabs, and they shall use it and no other.

ARTICLE 4

The pacificated tribes shall all of them continue in their former relations, with the exception that they shall be at peace with the British Government, and shall not fight with each other, and the flag shall be a symbol of this only and of nothing further.

ARTICLE 5

The vessels of the friendly Arabs shall all of them have in their possession a paper (Register) signed with the signature of their Chief, in which shall be the name of the vessel, its length, its breadth, and how many Karahs it holds. And they shall also have in their possession another writing (Port Clearance) signed with the signature of their Chief, in which shall be the name of the owner, the name of the Nacodah, the number of men, the number of arms, from whence sailed, at what time, and to what port bound. And if a British or other vessel meet them, they shall produce the Register and the Clearance.

ARTICLE 6

The friendly Arabs, if they choose, shall send an envoy to the British Residency in the Persian Gulf with the necessary accompaniments, and he shall remain there for the transaction of their business with the Residency, and the British Government, if it chooses, shall send an envoy also to them in

endly Arabs and the British at the time when such plunder and piracy shall cur.

ARTICLE 8.

The putting men to death after they have given up their arms is an act of racy and not of acknowledged war, and if any tribe shall put to death any rsons, either Mahommedans or others, after they have given up their arms, ch tribe shall be held to have broken the peace; and the friendly Arabs shall t against them in conjunction with the British, and, God willing, the war ainst them shall not cease until the surrender of those who performed the act d of those who ordered it.

ARTICLE 9.

The carrying off of the slaves, men, women, or children from the coasts of rica or elsewhere, and the transporting them in vessels, is plunder and piracy the friendly Arabs shall do nothing of this nature

ARTICLE 10

The vessels of the friendly Arabs, bearing their flag above described, shall er into all the British ports and into the ports of the allies of the British far as they shall be able to effect it, and they shall buy and sell therein, and any [illegible] attack them the British Government shall [illegible]

ARTICLE 11

These conditions aforesaid shall be common to all tribes and persons, who ll hereafter adhere thereto [illegible] those who adhere to m at the time present [illegible] Articles.

Signed [illegible] by the Vakeel on the part of the Shaikh Sul[illegible] bin mad and Abdulla bin Ahmed, in his quality of Vakeel to the Shaikhs afored, on Saturday, the [illegible] of the month of Rubi-ul-Sani in the year the Hegira one thousand two hundred and thirty-five, corresponding to the of February 1820.

(Sd.) SYUD ABDOOL JALIL BIN SYUD YAS,
Vakeel of Shaikh Sulman bin Ahmed and Shaikh Abdulla bin Ahmed of the family of Khalifah, Shaikhs of Bahrain.

ned at Ras-ool-Kheimah at the me of [illegible] by

) W. GRANT KEIR, *Major-[illegible] General*

S.)

Signed and accepted by Sulman bin Ahmed, of the house of Khalifah, at Bahrain, on the 9th of Jumadi-ul-Awal in the year of the Hegira one thousand two hundred and thirty five, corresponding to the 23rd February 1820

(L. S.)

ed and accepted by Abdulla n Ahmed of the house of Khalifah, at Bahrain, on the 9th of Jumadi-ul-Awal in the year of the Hegira one thousand two hundred and thirty-five, corresponding to the twenty-third of [illegible] bruary 1820.

(L. S.)

ARTICLE 2.

If any individual of the people of the Arab contracting shall attack any that pass by land or sea of any nation whatsoever, in the way of plunder and piracy and not of acknowledged war, he shall be accounted an enemy of all mankind and shall be held to have forfeited both life and goods. An acknowledged war is that which is proclaimed, avowed, and ordered by government against government; and the killing of men and taking of goods without proclamation, avowal, and the order of a government, is plunder and piracy.

ARTICLE 3.

The friendly (literally the pacificated) Arabs shall carry by land and sea a red flag, with or without letters in it, at their option, and this shall be in a border of white, the breadth of the white in the border being equal to the breadth of the red as represented in the margin (the whole forming the flag known in the British Navy by the title of white pierced red), this shall be the flag of the friendly Arabs, and they shall use it and no other.

ARTICLE 4.

The pacificated tribes shall all of them continue in their former relations, with the exception that they shall be at peace with the British Government, and shall not fight with each other, and the flag shall be a symbol of this only and of nothing further.

ARTICLE 5.

The vessels of the friendly Arabs shall all of them have in their possession a paper (Register) signed with the signature of their Chief, in which shall be the name of the

vessel, its length, its breadth, and how many Karahs it holds. And they shall also have in their possession another writing (Port Clearance) signed with the signature of their Chief, in which shall be the name of the owner, the name of the Nakhoda, the number of men, the number of arms from whence sailed, at what time, and to what port bound. And if a British or other vessel meet them, they shall produce the Register and the clearance

ARTICLE 6

The friendly Arabs, if they choose, shall send an envoy to the British Residencey in the Persian Gulf with the necessary accompaniments, and he shall remain there for the transaction of their business with the Residency, and the British Government, if it chooses, shall send an envoy also to them in like manner, and the envoy shall add his signature to the signature of the Chief in the paper (Register) of their vessels, which contains the length of the vessel, its breadth, and tonnage, the signature of the envoy to be renewed every year. Also all such envoys shall be at the expense of their own party

ARTICLE 7

If any tribe or others shall not desist from plunder and piracy, the friendly Arabs shall act against them according to their ability and circumstances, and an arrangement for this purpose shall take place between the friendly Arabs and the British at the time when such plunder and piracy shall occur.

ARTICLE 8

The putting men to death after they have given up their arms is an act of piracy and not of acknowleged war, and if any tribe shall put to death any persons either Muhamma dans or others, after they have given up their arms, such

tribe shall be held to have broken the peace; and the friendly Arabs shall act against them in conjunction with the British, and, God willing, the war against them shall not cease until the surrender of those who performed the act and of those who ordered it.

ARTICLE 9.

The carrying off the slaves, men, women, or children from the coasts of Africa or elsewhere, and the transporting them in vessels, is plunder and piracy and the friendly Arabs shall do nothing of this nature.

ARTICLE 10.

The vessels of the friendly Arabs, bearing their flags above described, shall enter into all the British ports and into the ports of the allies of the British as far as they shall be able to effect it; and they shall buy and sell therein, and enemy shall attack them the British Government shall take notice of it.

ARTICLE 11.

These conditions aforesaid shall be common to all tribes and persons, who shall hereafter adhere thereto in the same manner as to those who adhere to them at the time present. End of the Articles.

Signed at Shargah by the Vakeel on the part of the Shaikhs Suleiman bin Ahmed and Abdulla bin Ahmed, his quality of Vakeel to the Shaikhs aforesaid, on Saturday, the twentieth of the month of Rubee-oos-Sance in the year of the Hegira one thousand two hundred and thrity-five, corresponding to the 5th of February 1820.

(Sd.) SYUD ABDOOL JALIL BIN SYUD YAS.

Vakeel of Shaikh Suleiman bin Ahmed and Shaikh Abdulla bin Ahmed of the family of Khalifah, Shaikhs of Bahrain.

Signed at Ras-ool-Kheimeh at the time of issue by
(Sd.) W. GRANT KEIR, Major-General

Signed and accepted by Suleiman bin Ahmed, of the house of Khalifah, at Bahrain, on the 9th of Jamadi-ool-Awal in the year of the Hegira one thousand two hundred and thirty-five, corresponding to the 23rd February 1820.

(L.S.).

Signed and accepted by Abdulla bin Ahmed of the house of Khalifah, at Bahrain, on the 9th of Jamadi-ool-Awal in the year of the Hegira one thousand two two hundred and thirty-five, corresponding to the twenty-third of February 1820.

(L.S.)

بعد تحطيم قوة القواسم وفى يوم ٢٠ يناير ١٨٢٠ م وصلت الى البحرين السفينة الحربية الانجليزية (ايدن) التى كانت تقوم بتفتيش الخليج بحثا عن سفن القواسم وبأسلوب استعراض العضلات ونزل منها الكابتن فرانسيس لوتش (Francis Loech) قائد السفينة يرافقه المستر بروس المقيم البريطانى فى الخليج ومعهما بعض ضباط البحرية الانجليزية فى زيارة للبحرين . وقد كتب الكابتن فرانسيس لوتش فى مذكراته عن هذه الزيارة يقول :

« ان موقع ووضع مدينة المنامة

أفضل بكثير من أى مكان شاهدته فى الخليج وبالرغم من أن معظم بيوتها مشيدة من سعف النخيل الا انها تمتاز بتنسيق ونظافة لا يوجدان فى الاماكن الأخرى ويبدو من تصرفات السكان أنهم من طبقة ممتازة (The People also appeared to be of a very superior class): والحقول خارج المدينة مزروعة بعناية واتقان وترى فيها صفوف النخيل المتقاطعة وتوجد بالمنطقة الداخلية حدائق نخيل واسعة ومنظمة والامر الذى شد انتباهى فى هذا الوقت من السنة هو وجود البرسيم (الجت) الجميل بكثرة حيث تتغذى به المواشى التى تنتج أفضل أنواع اللحم والحليب والزبدة التى لم نتذوق مثلها منذ تركنا انجلترا »

وقد توجه الكابتن فرانسيس لوتش ومرافقوه الى الرفاع للسلام على الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة وكتب فرانسيس عن ذلك يقول

« توجد فى وسط الجزيرة أرض مرتفعة أقيم عليها قصر الشيخ وقامت حوله مدينة واسعة . وجدران القصر ترتفع الى حوالى ١٥ أو ٢٠ قدما وعرضها فى القاعدة يتراوح بين ١٠ اقدام و ١٢ قدما وهى مربعة الشكل ويوجد فى كل زاوية منها برج كما توجد المتاريس حول الجدران وفى الابراج فتحتان (مزاغيل) لرماة البنادق والأرض حول القلعة خالية من الزراعة كما انها منحدرة من أغلب جهاتها عدا قطعة مسطحة واحدة فى أحد الجوانب . وقد وجدنا الشيخ عند باب القلعة حيث اصطف حوالى ٢٠٠ حارس يرتدون الجلابيب البيضاء وكل منهم مسلح ببندقية وسيف وكيس للبارود والرصاص مصنوع من جلد ناعم وكان الشيخ جالسا على مقعد حجرى (دكة) عند الباب وبعد القهوة قام الشيخ ودعانا ان نتبعه وأمر الا يصحبنا أحد الا أخوه عبدالله واقتادنا أنا وبروس حول زاوية من زوايا القلعة شمالا على الأرض المرتفعة حتى وصلنا الى مدخل كهف منحوت فى الصخر فدخلناه . لم نكن نعرف أين كنا نتجه وكان الممر منحوتا فى الصخر ومنخفضا ولم نكن نستطيع السير منتصبى القامة كان الممر شبه مظلم وقد واصلنا سيرنا حتى وصلنا الى غرفة واسعة منحوتة فى الصخر وجدرانها من الحجر الرملى وفى هذه الحجرة جلس الشيخ ودار بيننا حديث طويل » . وفى هذه الزيارة عقدت اتفاقية مؤقتة جاء فى شروطها .

ان يلتزم شيخ البحرين بعدم السماح لأى سفن أو قوارب ترفع علم القواسم باللجوء الى موانىء البحرين وكان الكابتن لوتش قد استلم بالفعل عشر سفن من سفن القواسم كانت موجودة بالبحرين.

وفى ٢٢ فبراير ١٨٢٠ وقع الشيخ سلمــان بن احمد وأخــوه الشيــخ عبـدالله بن احمد معـاهدة الســلام العامة التى كان قد وقعها من قبل فى الشارقة ممثلهم السيد عبدالجليل بن السيد يسن الطباطبائى فى ٥ فبراير ١٨٢٠ م .

وفى صيف سنــة ١٨٢١ م اجتاح وباء الكوليرا جزر البحرين وقيل ان ضحايا وبـاء الكوليـرا بلغوا أربعـة الاف شخص .

وفى سنـة ١٨٢٢ م غـدر المستـر بروس بالبحرين عندما وقع اتفاقية مع حكومة شيراز وهى الاتفاقية التى لم تقرها الحكومة البريطانية ولم يقرهـا الشاه وعزل بسببها بروس من منصبه وفى ٢٧ ينـايـر ١٨٢٣ قــام الملازم ماكلوئيد الذى عين خلفا للكابتن بروس بزيارة للبحرين حيث استقبل بحفاوة واكرام خاصة والهدف من الزيارة كان لتأكيد أن المعاهدة التى وقعها بروس مع شيراز يتحمل وزرها وحــده وان الحكومة البريطانية لم تقرها وقد قام مــاكلويد بـزيارة الشيــخ سلمان بن أحمد ال خليفة فى الرفاع وقد أوكـل الشيخ سلمان بن أحمد حكم البحرين الى أخيه الشيخ عبدالله بن أحمد والى ابنه الشيخ خليفـة بن سلمان وركن الى الراحــة لكبــر سنــه وفى سنــة ١٨٢٥ م/ ١٢٣٦ هجـريــة انتقــل الشيخ سلمان بن أحمد ال خليفة الى رحمــة الله ودفن فى مقبـرة الرفــاع وخلفـه فى حكم البلاد أخـوه الشيخ عبـدالله بن أحمد ال خليفـة ليبـدأ فصل جديد من تاريخ البحرين .

Extract from the Diary of Captain Francis E. LOCH who commanded the man of war H.M.S. EDEN in the Persian Gulf during the expedition against the Pirates. The following extract was written in January 1820. Captain Loch with captain BRUCE, who was the British Resident in Bushire, with some of the ship's officers rode out to Rafaa to visit SHAIKH AHMAD BIN KHALIFA and his brother SHAIKH ABDULLA.

" The aspect and the situation of the town (MANAMA) is far superior to any I had seen in the Persian Gulf, although many of the houses are made of date branches, yet with a neatness and cleanliness not to be seen elsewhere. The people also appeared to be of a very superior class. Outside the town are fields in the highest state of cultivation, they are intersected by rows of date trees. Further inland are large date groves, in excellent order but what struck me was that, at this time of the year many of the fields contained the most beautiful crops of clover (Jett) which the cattle were fed on. The cattle produced the most superior meat, milk and butter such as we had not tasted since we left England."

(LOCH then went out to Rafaa which he describes as follows:-)

" In the centre of the island is rising ground on which is built the Shaikh's castle and a considerable town. The walls (of the castle) are between fifteen and twenty feet in height and ten to twelve feet in thickness at the base. The walls are in the form of a square with a round tower at each corner. The walls and towers have parapets and loop holes for muskets. Round the fort there was no cultivation and the ground sloped from it on all sides, except at the top where there was a considerable flat space.

At the gate of the fortress we met the Shaikh, attended by about 500 guards, all dressed in long white robes, each man had a musket and a sword and a cartouche box, made of goat leather. The Shaikh was seated on one of the stone benches at the side of the gate. After coffee the Shaikh rose and beckoned us to follow him, giving orders that nobody else, except his brother (ABDULLA) should come. Off he went, leading Bruce and me, ROUND ONE ANGLE OF THE FORT, THEN DOWN THE NORTH EASTERN SIDE OF THE RISING GROUND UNTIL WE CAME TO THE MOUTH OF A CAVE, CUT OUT OF WHAT SEEMED TO BE SOLID ROCK into which we were conducted.

To where this place would lead neither Bruce or I could devise nor did we know where we would be taken to. The passage, in the rock, into which we had entered almost at once became too low for us to walk in an erect position and it was in nearly total darkness. We groped our way until we came to a SPACIOUS ROOM, CUT OUT OF THE SANDSTONE ROCK. Here the Shaikh sat down.

(They then had a long conversation about the pirates.)

THIS NEWS ABOUT BAHRAIN WAS SENT TO HIS EXCELLENCY SHAIKH SULMAN BIN HAMAD AL-KHALIFA BY SIR CHARLES BELGRAVE, on 25th July 1961.

مقتطفة من مذكرات فرانسيس لوتش

الملحق

نص الاتفاقية التى عقدت بين الكابتن بروس وحسن بن ارحمة القاسمي وقد اثرنا أن نورد نصها لسببين الأول أن الاتفاقية المشابهة والتى تذكر المصادر أنها عقدت مع البحرين لم يعثر عليها حتى الآن والثاني انه لما كنا نعتقد أن اتفاقية البحرين لابد أن تكون مشابهة لهذه الاتفاقية لأنهما عقدتا في نفس الظروف ومع نفس الممثل الانجليزي فقد يكون من المفيد للباحث أن يطلع على نصوص هذه الاتفاقية

(الباحث)

٢٢/تشرين أول/ ١٨١٤م

اتفاقية بين الكابتن بروس. وحسن بن رحمة القاسمي

قولنامة أو اتفاقية بين الكابتن وليم بروس، المقيم فى بوشهر، نيابة عن الحكومة البريطانية. وحسن بن محمد بن غيث القاسمي، نيابة عن الأمير حسن بن رحمة، زعيم القواسم فى رأس الخيمة، معقودة فى اليوم الحالي فى بوشهر

تقرر من الآن فصاعدا تحقيق علاقات صداقة ملزمة بين الحكومة البريطانية وقواسم رأس الخيمة، ويجب اعتبار كافة ماحدث سابقا فى طي النسيان وفقا للشروط التالية

المادة الأولى ان على القواسم احترام الراية البريطانية والامتناع عن التحرش أو عرقلة الملاحة فيما يتعلق بكافة أنواع السفن سواء

أكانت سفنا أو أدوات أو زوارق الخ .. التى تبحر حاملة الرخصة والعلم البريطانى ، بل على العكس من ذلك ، فان عليهم تقديم المساعدة والعون اللازمين لها لغرض مواصلة رحلتها .

المادة الثانية : يكون ميناء رأس الخيمة وكافة الموانىء الأخرى الواقعة تحت سيطرة حكومة القواسم مفتوحة للرعايا البريطانيين ، الذين يكون من حقهم زيارة وانجاز مهامهم التجارية فيها كما هو الحال بالنسبة لموانىء الخليج الأخرى ، وان نفس هذا المبدأ سوف يطبق بالنسبة للموانىء البريطانية فى الهند ، اذ أنها ستكون مفتوحة للقواسم بنفس الشروط المطبقة على العرب الآخرين

المادة الثالثة : فى حالة تحطم سفينة ما أو تعرضها لبعض الحوادث الأخرى حين تواجدها بالقرب من سواحل أو جزر الخليج التابعة لحكومة القواسم أو الواقعة تحت نفوذها ، يتحتم تقديم كافة المساعدات اللازمة لتلك السفينة وملاحيها ، مع اتخاذ كافة الاحتياطات لمنع اتلاف أو سرقة شحنتها

المادة الرابعة : لغرض تلافى الاشتباه ولتمييز سفن القواسم عن غيرها من سفن الدول العربية الأخرى ، يوافق القواسم على رفع علم أحمر مكتوب فى وسطه بالعربية « لا اله الا الله محمد رسول الله » وسيعتبر هذا العلم راية لرعاية حسن بن رحمة وقواسم رأس الخيمة فى المستقبل .

المادة الخامسة : اذا استولى قواسم رأس الخيمة على زورق أو سفينة من أية مواصفات كانت تابعة لقبائل معادية لهم ، فانه يجب اعادة الأموال التى تكون محمولة عليها عند المطالبة بها مباشرة اذا ثبت أن تلك الأموال تعود ملكيتها الى رعايا يتمتعون بالحماية البريطانية .

المادة السادسة : يتعهد حسن بن غيث ، وكيل حسن بن رحمة ، والذى عقدت معه هذه الاتفاقية بشكل قاطع بأنه حال عودته الى رأس الخيمة سوف يعيد السفينة H.C.MARES (١) والأموال العائدة

---

(١) اسم وكيل السفينة العمانية التى اسرها القواسم وكانت محملة بالافراس المرسلة الى الفرقة السابعة عشرة البريطانية وكبريت الى الحكومة البريطانية

ملكيتها لأحمد شـاه والتى ذكر أنهـا نقلث من جزيـرة قيس فى زورق قاسمى ، ويرسلها الى خوجا غولاب وسيط الشركة الموقرة فى مسقط

المادة السابعة   اضافة الى ما تقدم ، تم الاتفاق على أنه فى حالة بروز ضرورة لابطال هذه الاتفاقية ، فعلى الراغب فى ابطالها اعطاء اشعار مسبق بذلك   فان من يرجع فى عهده فانما يبتعد عن الله .

المادة الثامنة   بما ان فى نية حسن بن رحمة ايفاد وكيل عنه ، مخول بكافة الصلاحيات الى بومباى لمناقشة وتـوقيع اتفـاقات أكثـر الزاما وشمولا مع الحكومة البريطانية فى وقت قريب ، فان الاتفاق الحالى على هذه المواد المبدئية سيكون رهنا بموافقة حاكم بومباى الموقر ، والذى ستحال اليه بأقرب فرصة ممكنة لغرض دراستها .

وقعت فى بوشهر فى هذا اليوم من تشرين الاول ١٨١٤ ، الموافق ٢١ من شوال ١٢٢٩ هجرية   بأيدينا وختمنا

وليـم بروس

المقيم

٢٣ تشرين الأول ١٨١٤

المراجع

○ التحفة النبهانية تأليف الشيخ محمد بن خليفة النبهاني دار أخبار العلوم بيروت .
○ المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة الجزء الأول تأليف الاستاذ فالح حنظل .
○ نقل الاخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار تأليف حميد بن سلطان بن حميد الساسي مراجعة فالح حنظل طبعة أولى ١٤٠٦/١٩٨٦ م
○ دليل الخليج القسم التاريخي الجزء الثالث تأليف ج ج لوريمر طبعة قطر

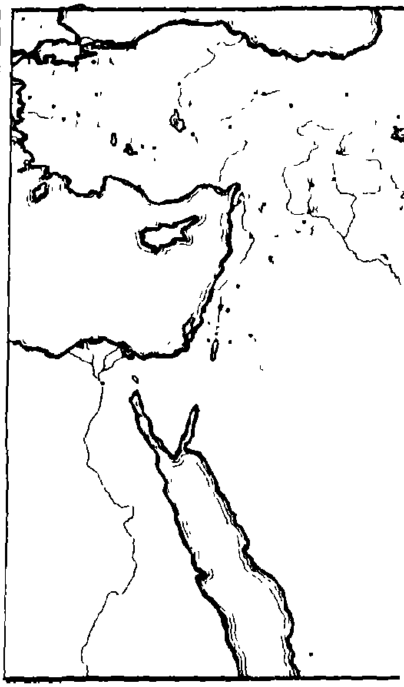
التطور التاريخي لسياسة

دراسة وثائقية وتحليلية

لاحظ الباحث من خلال دراساته في تاريخ العالم العربي الحديث ، ان هناك اراء تتردد حول توسعات «محمد على» حاكم ولاية مصر ، في املاك الدولة العثمانية ، التي كانت لها السيادة الشرعية ـ وقتذاك ـ علي ـ مصر ـ وعلى معظم العالم العربي الحالي .

وقد تضاربت الاراء فيما بينها ، حول الاسباب التي ادت الى تلك التوسعات ، وعن الاهداف منها ، وشدت انتباه الباحث ، مسالة الخليج العربى بالذات ، فرغم ان بعض بلاده ، كانت لا تدور في فلك الدولة العثمانية ، الا انه كانت هناك تطلعات واهتمامات من جانب محمد على تجاه الخليج ، الامر الذي شكل علامة استفهام ، وبالتالي اخذ المؤرخون الذين تناولوا هذه المسالة او اشاروا اليها بصورة او بأخرى ينظر كل واحد منهم الى المسالة بمنظار وبمفهوم قد يتفق او يختلف مع غيره

محمّد علي تجاه الخليج العربي





دكتور

تمام همام تمام

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر

المشارك بجامعة القاهرة

والمعار الى جامعة البحرين

والمعروف ان محمد علي كانت له سياسة خارجية . يرى الباحث انها مرت بعدة ادوار ، ولذلك نتساءل . هل كانت تطلعات محمد علي الى الخليج العربي . نوعا من الاستعمار ، يشبه ذلك الذي اوجده الاوروبيون منذ بداية العصر الحديث خارج اوروبا ، ام ان هناك دوافع جعلته ، يتطلع الى تلك الجهات . رغم بعدها عن مركز قيادته في القاهرة . ام ان تطلعه اليها . كان وليد الظروف وقتذاك ، حين كان في شرق الجزيرة العربية ، ام ان هناك اسبابا اقوى من كل ذلك دفعته للاهتمام بهذه المنطقة

وسرعان ماشكلت هذه التساؤلات وغيرها . قضية ، امام الباحث رأى ان لها مكانا من الاهمية في تاريخ العالم العربي الحديث ، عامة وفي تاريخ الخليج خاصة ومن ثم فهي جديرة بالدراسة الاكاديمية والتحليلية ، حتى تظهر لنا الحقيقة المجردة ، من اي غرض ، من وراء تطلعات هذا الحاكم ، وهل كانت محاولتة توحيدية لتلك الجهات ، وما هو موقعها في سياسة القاهرة وقتذاك ، وهل كانت هناك عقبات ، وما هي الاثار التي ترتبت على تلك التجربة

وقد عالج الباحث هذه القضية ، برؤية ، يرجو أن تكون جديدة ، فقد اخضع الوثائق الرسمية وغيرها مما جمعه من مادة علمية ، للدراسة التحليلية ، في اطار منهج البحث التاريخي ، ويأمل ان يكون قد كشف في هذه الدراسة ، عن الحقيقة التاريخية ، بروح محايدة ، وان تكون هذه الدراسة اسهاما في صناعة تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، من ناحية ، وفي اثراء المكتبة العربية من ناحية اخرى .

موقع الخليج العربي :

يقع الخليج العربي في قلب العالم القديم بين المحيط الهندي والبحر المتوسط ، وهو بحر هامشي أو بحر داخلي ، يشغل الرصيف القاري ، ولهذا كان قليل العمق ، اذا قيس بأعماق خليج عمان والخلجان الاخرى ، ويتصل الخليج العربي بخليج عمان ، عن طريق مضيق «هرمز» الذي يبلغ اتساعه ٦٠ كم ، وهو بذلك يتشكل الذراع اليمنى للمحيط الهندي (١) .

ويمتد الخليج العربي من دائرة العرض ٢٤° شمالا الى دائرة العرض ٣٠.٣٠° شمالا ، أي أنه يمتد ستا ونصفا من دوائر العرض ، ويمتد من خط الطول ٤٨° شرقا الى ٥٦,٢٠° شرقا اي انه ذو محور يميل من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بمقدار ثمان درجات .

وتبلغ مساحة الخليج ٢٢٦.٠٠٠كم٢ ، ويمتد ساحله الغربي من رأس مسندم حتى شط

العرب (١٥٠٠ كم) ، اما الساحل الشرقي فيمتد (١٠٦٠ كم) من مضيق هرمز جنوبا حتى شط العرب شمالا .

ويتراوح عرض الخليج بين ٢٠٠ و٣٠٠ كم ويبلغ طوله ١٠٠٠ كم[٢]

واعمق اجزاء الخليج ، يتجاوز مائة متر في الغالب ، وبه مناطق واسعة ، لا يتجاوز عمقها ٤٠ مترا ، ويوجد هذا العمق القليل فيه الى مسافة ١١٠ كم من ساحله عند مصب شط العرب . كما يوجد ايضا في مناطق اخرى في داخله مثل المناطق التي تكتنف جزر البحرين ، وعلى العموم فان اعمق اجزائه يوجد بالغرب من مضيق هرمز ، ويزداد العمق كلما اتجهنا من رأس الخليج الى هذا المضيق[٣] .

وقد ادت العوامل الجغرافية ، مثل الموقع والتضاريس والمناخ ، والموارد الاقتصادية ، الى جعل الخليج ، مركزا تجاريا وممرا مائيا عالميا ، منذ اقدم العصور ، لعالم التجارة والحرب واخيرا السياسة . الامر الذي طبع تاريخ بلاد الخليج ، ونشاطها ، سواء كان تجاريا او حربيا او سياسيا ، بطابع خاص .

فيمتد الخليج العربي ومدخله خليج عمان في اتجاه شمالي غربي ، اذ ان محوره يأخذ هذا الاتجاه ، موازيا لمرتفعات زاجروس ، كما ان نهري دجلة والفرات اللذين يلتقيان عند «القرنه» مكونين مجرى مائيا واحدا هو شط العرب الذي يصب في الخليج قرب ميناء «الفاو» يجريان في اتجاه شمالي غربي ايضا ، ليقترب نهر الفرات من الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، فلا تزيد المسافة بين مسكنه على نهر الفرات وبين هذا الساحل على ١٩٠ كم .

وقد جعل امتداد هذين المسطحين المائيين «الخليج وعمان» وكذلك نهرى دجلة والفرات في هذا الاتجاه الشمالي الغربي ، جعل الخليج العربي طريقا مائيا للسلع التجارية بين الشرق والغرب . كما ان الخليج كان ملتقى طرق القوافل البرية القادمة من الصين ومن منطقة ما وراء النهر وايضا ملتقى طرق القوافل القادمة من جنوب الجزيرة العربية[٤] .

وقد فرض موقع الخليج بين الاقليم المدارى «شرق افريقيا وشبه القارة الهندية» في الجنوب ، وبين الاقليم المعتدل في الشمال «دول حوض البحر المتوسط» ، وهذان الاقليمان يختلفان من حيث المناخ ، ويختلفان من حيث الانتاج النباتي والزراعي ، ثم طلب دول البحر المتوسط لانتاج الاقليم المداري من التوابل والمر والبخور وغيرها - فرض - على سكان الخليج العربي ، ان يقوموا بالوساطة التجارية بين الاقليمين السابقين

وبمعنى اخر العمل كوسطاء للملاحة بين الشرق والغرب[٥].

وبالاضافة الى ذلك ، يتميز الخليج العربي باهمية استراتيجية بالغة الاهمية فبحكم موقعه في قلب العالم القديم ، اصبح من اليسير على من يتمكن من السيطرة عليه ، ان يسيطر بالتالي على جنوب غرب اسيا وشبه القارة الهندية[٦] وقد فطنت شركة الهند الشرقية البريطانية لاهمية موقع الخليج[٧] . ولم يات القرن التاسع عشر ، حتى كانت انجلترا تفرض هيمنتها العسكرية عليه ، والسيطرة على كل مقدراته ، لتامين طرق تجارتها مع الهند ، وحماية مصالحها في الشرق[٨]

الأدوار التي مرت بها سياسة محمد علي الخارجية :

يستحسن قبل ان ندخل في جوهر الدراسة ، ان نلقي نظرة سريعة ، على سياسة محمد علي الخارجية ، لنقف على خطوطها العامة ، وحتى نتمكن من معرفة ما اذا كانت له تطلعات تجاه الخليج العربي من عدمه ، وبمعنى اخر ، هل كان الخليج ضمن خططه السياسية ، ام ان التطلع اليه كان وليد الظروف التي ساقته الى تلك الجهات

في الوقت الذي تولى فيه محمد علي باشا حكم مصر في عام ١٨٠٥ م كان الموحدون ، يزيدون من توسعاتهم في شبه الجزيرة العربية ، وكانت الدعوة التى رفعوا شعارها وهي الدعوة الوهابية - التوحيدية - التي تطالب بتنقية التعاليم والمفاهيم الاسلامية من الشوائب التي علقت بها ، والعودة بالاسلام الى بساطته الاولى ، كانت قد ازدادت قوة وانتشارا ، فقد تخطت توسعات الموحدين ، حدود نجد ، واطلت على الخليج العربي ، ووصلت الى جنوب العراق ، وبسطت نفوذها على الحجاز ، ورنت بأبصارها الى الشام[٩]

وكانت حركة الموحدين ، ضربة وجهت الى مكانة الدولة العثمانية وهيبتها ، خاصة في البلاد الاسلامية ، التي كانت تدين لها روحيا ، ولا تتبع لها سياسيا .

ومما زاد من تحرج الموقف ، اعلان الموحدين زوال السيادة العثمانية عن الحرمين الشريفين ، ومنع الامير «سعود بن عبدالعزيز» قوافل الحج من الشام ومصر والعراق ، من الوصول الى الحجاز لاداء فريضة الحج ، وكان هذا الاجراء ، له من الخطورة بمكان ، فقد ترتب عليه ان تشكك المسلمون في مقدرة السلطان العثماني - خادم هذين الحرمين على تأمين الطرق المؤدية الى الاماكن المقدسة .

وبعد ان فشل كل من ولاة بغداد ودمشق في الوقوف في وجه الموحدين او

محاربة الدعوة الجديدة ، ولما كانت دولة الخلافة العثمانية يهمها الى حد بعيد ، الاحتفاظ بسيادتها على الحجاز ، حيث وجود الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، حتى تظل مكانتها الروحية قائمة في العالم الاسلامي [١٠] ، تطلبت منها الضرورة ، ان تتطلع الى والي مصر ، رغم ما تحمله من مرارة وكراهية ضده ، فهي لم تنس ان مجيئه الى الحكم ، كان رغما عنها بسبب قوة الارادة الشعبية في مصر ، التي جاءت به الى كرسي الولاية ، واضطرت الدولة ان توافق على التعيين ، وحفاظا على مكانتها ، قالت ان التعيين تم بناء على رغبة الرعية وتمسكها به[١١]

فأرسلت الدولة اليه اوامر التكليف منذ عام ١٨٠٧ بالتوجه الى بلاد العرب ، للقضاء على قوة الموحدين ، واعادة مكة والمدينة الى حكم السلطان[١٢] ، الذي يعتبر الرمز الاكبر لمعظم العالم الاسلامي .

ويبدو ان السلطان العثماني تغاضى عن الخلافات التي كانت بين الدولة وبين محمد على وذلك لهدفين هما

١ ـ القضاء على حركة الموحدين واعادة سلطانه على بلاد العرب .

٢ ـ من الممكن اضعاف قوة محمد على الصاعدة عن طريق خوضه المعارك مع الموحدين .

وعلى ضوء ذلك ، يتضح لنا ، أن مهمة محمد على ، كانت فتح بلاد العرب للدولة العثمانية من جديد ولحسابها ، بل وكان بقاؤه هو شخصيا على ولاية مصر متوقفا الى حد كبير على نجاحه في هذه المهمة

ورغم الاعتذارات التي كان يسوقها للباب العالي ، والتي تتضمن عدم قدرته المالية ، او تخوفه من والي الشام «سليمان باشا» او خوفه من تطلع الدول الاوروبية الى مصر [١٣] وكان اقربها الى ذهنه ، حملة فريزر الانجليزية الفاشلة والتي تم اجلاؤها عن الاسكندرية في ١٩ سبتمبر ١٨٠٧[١٤] . وغير ذلك من الامور التي كانت في نظره ، تستوجب عدم الاندفاع ومحاربة الموحدين . الا انه ، بسبب الضغوط عليه من جانب الدولة العثمانية ، استجاب في نهاية الامر ، وسير حملة بقيادة ابنه «طوسون» عن طريق السويس الى الحجاز في اغسطس ١٨١١ ، لتنفيذ هذه المهمة التي القيت على عاتقه[١٥] .

والواقع أنه بجانب الاعتذارات التي ساقها محمد على الى الباب العالي ، كانت هناك عوامل اساسية ، لم يستطع الكشف عنها للسلطان العثماني ، ولعل اهمها ما يلي :

١ ـ كانت سلطته في مصر حتى ذلك الوقت لا تزال مزعزعة الاركان ، لان اختياره واليا على البلاد ، كان ـ كما ذكرنا ـ على غير رغبة الباب العالي ،

ومن ثم كان اولياء الامور في الاستانة ، يتحينون الفرص للتخلص منه .

٢ ـ كان المماليك لا يزالون يتربصون للاطاحة به ، حتي يستعيدوا نفوذهم وسيطرتهم التي كانت لهم قبل قدوم الحملة الفرنسية على مصر والشام[١٦]

٣ ـ حدوث توترات بينه ـ اي محمد علي ـ والزعامات الدينية والشعبية في مصر

٤ ـ ان الموقف في اوروبا والصراع بين فرنسا وانجلترا ـ خاصة ـ كان ينعكس على المشرق الاسلامي ، وخاصة مصر بالدات وواليها الجديد من جانب ، ومن بقايا المماليك من جانب اخر ومن الدولة العثمانية نفسها من جانب ثالث

فقد تحسب محمد على لكل هذه العوامل ووضعها في عين الاعتبار ومن ثم كان يقدم الاعتذارات للباب العالي ، حتى لا يؤخذ هو على غرة

فلما تمكن من التخلص من اعدائه في الداخل ، سواء من الزعامات الدينية او الشعبية او من المماليك[١٧] بجانب ملاحقة الباب العالي لتجريد الحملة العسكرية الى بلاد العرب ، رأى أن يعمل على كسب ود السلطان ووجد انه ليس من المستساغ ان يقدم اعتذارا يحمل اي معنى للرفض ، لأنه اخذ في اطار سياسته العامة ، يتجه الى تحقيق فكرته الرامية الى تكوين دولة حديثة .

ويبدو ان محمد على ، ادرك حقيقة الوضع السياسي لمصر ، عقب الحملة الفرنسية ، ومدى تأثرها بتيارات السياسة الاوروبية ، وانعكاس الصراع بين الدول الاوروبية ، ليس على مصر فقط ، بل على العالم العربي كله ، ولعله تيقن ببعد نظره ، وهو الرجل الداهية ، ان حالة الدولة العثمانية ، من الضعف ، بحيث لا يمكنها الاحتفاظ بأملاكها طويلا . اذا لم تفعل شيئا يجدد من حيويتها ويعيد لها قوتها ، فقد تغيرت الظروف الدولية ، ولم يعد القرن التاسع عشر ، على غرار القرن السادس عشر ، الذي كانت فيه الدول الاوروبية نفسها تعمل الف حساب للدولة العثمانية ، فقد رأى محمد على ان تلك الدول بما فيها روسيا القيصيرية ، لابد ان تعمل على تمزيق املاك دولة الخلافة العثمانية ، التي كان من ضمنها بطبيعة الحال ، معظم العالم العربي[١٨] .

لذلك اخذ محمد على ، ينشط ، ليستفيد من مصر بالذات ، ربما لثقلها الحضاري وبعدها التاريخي ، وكثافتها السكانية ، ومواردها الاقتصادية وان يكون منها دولة حديثة قوية ، عسكريا واقتصاديا ، ليتمكن بها من مقاومة اي غزو من الخارج ، وحماية او فتح اقاليم جديدة في اسيا وافريقيا .

وكان يهدف من وراء ذلك وهو بهذه القوة ، ان يقف في وجه الضغط الاستعماري الاوروبي الذي صار يزحف على العالم الاسلامي ، لكن يجب ان نقول منذ البداية ان محمد على ، لم يكن يتطلب منه هذا العمل بالضرورة ، ان يقضي على الدولة العثمانية نفسها ، ويتولى هو السلطة ، اذ كان يمكن ان يبقى على الاسرة الحاكمة العثمانية ، خاصة وان الخليفة - الرمز الاكبر لمعظم العالم الاسلامي - من ابناء تلك الاسرة - ويوجه سياستها بالطريقة التي تؤدي الى تجديد شبابها وقوتها ، كما ان ذلك لم يكن يتعارض مع امله - اي محمد على - في الحصول على نوع من الاستقلال ، داخل نطاق الدولة ، يشبه ذلك الذي تتمتع به ولايات شمال افريقيا(١٩) .

وعلى ضوء ذلك ، نستطيع القول ان سياسة محمد على الخارجية مرت بثلاثة ادوار هي :

الدور الاول

ويمتد من عام ١٨٠٥ م حتى موقعة نوارين في عام ١٨٢٧ ، وفيه انصرفت جهود محمد على لاستمالة السلطان العثماني ، صاحب السيادة الشرعية على مصر ، وظل يظهر له كل انواع الخضوع ، ويستجيب لكل مطالبه من اموال وغلال واخضاع الاقاليم الثائرة . وكان محمد على يهدف في هذا الدور الى ان يثبت مركزه في مصر ، والمحافظة على استقراره ، حتى يتمكن من اعادة بناء مصر على اسس حديثة ومحاولة ان يزيد من رقعتها على حساب املاك الدولة نفسها ولكن في اطارها .

ويلاحظ ان السلطان العثماني ، رغم انه كان يحبذ انتصارات محمد على في الاقاليم المتمردة على الدولة ، الا انه في قرارة نفسه لم يكن مرتاحا من تصاعد قوة ذلك الوالي ، وظهوره بمظهر الفارس الاسلامي ، في ظل وجود الخلافة في بنى عثمان ، خشية ان يحدث منه مالا تحمد عقباه ، لذلك سنرى ان العلاقات بين الطرفين سرعان ما تتخذ طريقا اخر ، وهو الخلاف ، وتنتهي الى المواجهة المباشرة في الدور الثاني .

الدور الثاني

ويمتد من ١٨٢٨ الى ١٨٤٠ ، وفيه يحدث النزاع مع السلطان العثماني ، وتدور حروب بين الطرفين على ارض الشام ، ويشتط محمد على بالتفكير ، كلما اشتدت به المضايقات من جانب الاستانة وتسد الابواب في وجهه ، لايجاد الحلول التي كان يتطلع اليها ، الى الانفصال عن الدولة العثمانية ، وتأسيس دولة حديثة ، من مصر وما يمكن ان يضم اليها من البلاد العربية ، الامر الذي كان يزعج السلطان ويقلقه الى حد كبير ، ومن ثم كان يتمسك بسيادته الشرعية على مصر ويعمل على تأكيدها ، فيبدو ان

انسلاخ الولايات الاوروبية عن الدولة العثمانية ، جعلها اكثر تشبثا بما بقي لها من الولايات الاسلامية ، خاصة مصر . فكان السلطان يدرك جيدا ، ان ضياع مصر الناهضة القوية، منه سوف يجعلها - اي مصر - تتطلع الى جاراتها العربيات . في وقت ضعفت فيه دولة الخلافة ، واتجهت الاطماع الاوروبية الى املاكها[٣] الامر الذي ترتب عليه ، ان تكتلت الدول الاوروبية ، وعلى راسها انجلترا ، للقضاء على قوة مصر الاسلامية الصاعدة ، تحت ستار المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، ومن ثم وجهت الى محمد على ضربة كسرت عموده الفقري ، ممثلة في معاهدة لندن (١٨٤٠) وانتهى الامر بان سحب محمد على قواته من الشام وشبه الجزيرة العربية ، وابقاء مصر ولاية في اطار الدولة العثمانية ، وسريان المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين الباب العالي وتلك الدول في مصر ، وكان من بينها معاهدات الامتيازات الاجنبية والمعاهدة التجارية «معاهدة بالطة ليمان» التي كانت تهدف للقضاء على سياسة الاحتكار التي اتبعها محمد على في مصر والسودان وسوريا واليمن[٢١]

الدور الثالث

ويمتد من ١٨٤١ الى ١٨٤٨ وفيه عاش محمد على مجروحا منهوك القوى ، بعد ان تبددت احلامه ، واقتصر نشاطه السياسي على مصر والسودان[٢٢]

وصول محمد على الى شرق الجزيرة العربية واطلاله على مياه الخليج العربي :

ذكرنا انه ترتب على حركة توسع الموحدين في شبه الجزيرة العربية ، والتطلع الى الشام والعراق ، ان دب الخوف لدى حكومة السلطان العثماني ، وبعد ان فشل كل من ولاة العراق والشام ، في صد خطر حركة الموحدين ، طلبت الدولة العثمانية من واليها في مصر «محمد علي» ان يوجه جيشا للقضاء على هذه الحركة واعادة الحرمين الشريفين في مكة والمدينة الى سلطة الدولة[٢٣] .

حدث ذلك في فترة كانت تتواكب مع الدور الاول من سياسة محمد على الخارجية التي تتسم بالطاعة والولاء الكامل للسلطان العثماني ، فوجه قواته الى بلاد العرب بقيادة ابنه «طوسون» . وحين لاحظ محمد على ، ان تلك القوات - رغم انتصاراتها على الموحدين - لم تحقق الهدف كاملا ، والذي يتلخص في ان يدفع الامام «سعود بن عبدالعزيز آل سعود» كل تكاليف الحملة العسكرية على الحجاز ، واعادة ما كان الموحدون قد اخذوه من الحجرة النبوية الشريفة ، بل وان يذهب الامام بنفسه الى

القاهرة لمعالجة القضية مع حاكمها[٢٤] الامر الذي جعل الامير سعود ، يعتبر ان هذه الشروط اهانة له ، فأخذته حميته العربية ، وصمم على رفضها ، واعلن استعداده لمواصلة الحرب . فاضطر محمد على والحالة هذه ، ان يعد نفسه للذهاب شخصيا لاخضاع قوة الموحدين[٢٥] .

ويبدو ان هناك عوامل دفعت محمد على للمخاطرة والذهاب بشخصه الى بلاد العرب ، لعل منها ما يلي :

١ ـ ان يثبت للباب العالي انه جدير بالتكليف من قبل الدولة .

٢ ـ عدم انهيار سمعته وقوته ، كما حدث لغيره من ولاة العراق والشام .

٣ ـ المحافظة على اسمه الذي صار يتردد في العالم الاسلامي ، بانه يحارب لتأمين طرق الحج ، بعد ان توقف قدومه من بعض الجهات كمصر والشام والعراق ، وكذلك حماية المقدسات الاسلامية في الحجاز[٢٦] .

٤ ـ ان مصر جديرة بان تنال من الامتيازات ، كما هو الحال بالنسبة لولاية الجزائر في شمال افريقيا[٢٧] .

وقبل ان يرحل الى بلاد العرب ، ارسل الى رؤساء الجند ، يطلب منهم الصمود والمداومة على الصلاة ، حيث قال « .. كونوا يدا واحدة ، وصلوا اوقاتكم الخمس ، فمكانكم مكان اصلاح واستغفار ، ينصركم الله ويثبت أقدامكم»[٢٨] .

وفي ٢٥ اغسطس ١٨١٣ تحرك ـ اي محمد على ـ من السويس الى جده ، بعد ان اناب عنه ولديه اسماعيل وابراهيم في ادارة شئون البلاد[٢٩] .

هذا وقد دارت في البداية احتكاكات بين محمد على والموحدين ، كان النصر فيها للموحدين ، الا ان الحظ خدم محمد على ، بوفاة الامام سعود بن عبدالعزيز في ابريل ١٨١٤ ، وبوفاته فقد الموحدون ، اعظم مساعد واكبر بطل ، بلغت في عهده الدولة السعودية الاولى ، شأوا بعيدا لم تبلغه من قبل .

لكن شاءت الظروف ان لا يستمر محمد على كثيرا في بلاد العرب ، فقد جرت حوادث في تلك الفترة ، اضطرته ان يعود الى مصر منها

١ ـ علمه بهروب نابليون بونابرت من منفاه في جزيرة «البا» ودخوله باريس في ٢٠ مارس ١٨١٥ ، وهروب الملك لويس الثامن عشر الى الحدود البلجيكية[٣] فخشى محمد على ـ ان تصبح مصر هدفا لحملة فرنسية جديدة ، لانه كان يدرك ان الصراع في اوروبا ينعكس على مصر بطريق مباشر او غير مباشر .

٢ ـ شكوكه في مسألة انعام السلطان العثماني بالباشوية على احد المماليك في مصر ، وكان يدعى «لطيف باشا» ولم يسبق للسلطان ان انعم بها على احد بعد تولية محمد على الحكم غير

اولاده[٣١] .

على اية حال عاد محمد على الى مصر عن طريق قنا ووصل الى الجيزة في ٢٣ يونيو ١٨١٥ ، واستمر طوسون في مباشرة العمليات الحربية التي كانت تتقدم تجاه الدرعية ـ عاصمة الموحدين ـ ولكنه توقف بسبب نقص المؤن والذخائر ، وقبل المفاوضة مع الامير «عبدالله بن سعود» ، وعقدت شروط الصلح في يونيو من ذات العام[٣٢] ، وقفل طوسون عائدا الى مصر ، حيث توفي بالاسكندرية .

وسرعان ما رفض الامير عبدالله بن سعود الشروط التي فرضها عليه محمد على الامر الذي ترتب عليه ان استعد الطرفان لاستئناف القتال[٣٣] .

وقد اختار محمد على لقيادة الجيش في هذه المرة ابنه «ابراهيم باشا[٣٤]» الذي تمكن من الوصول الى الدرعية ، وضرب الحصار حولها في السادس من ابرايل ١٨١٨ ، فاضطر الامير عبدالله بن سعود ، ان يستسلم للامر الواقع ، بعد ان دافع عن عاصمة الموحدين دفاعا بطوليا مستميتا ، وتسلم ابراهيم باشا العاصمة في ٩ سبتمبر ١٨١٨ ، وبهذا تكون الدولة السعودية الاولى قد سقطت لحساب الدولة العثمانية ، واطلت القوات المصرية على مياه الخليج العربي ، بعد أن سيطرت تلك القوات على الاحساء والقطيف[٣٥]

وهنا توقفت فتوحات محمد على ، بل وصدرت الاوامر الى ابراهيم باشا بالانسحاب من شرق الجزيرة العربية[٣٦] ، والعودة الى مصر ، التي وصلها في ديسمبر ١٨١٩ ، وكان قد بدأ بتنفيذ السياسة الجديدة التي رسمها والده لحكم البلاد ، فعين ابن اخته «احمد يكن باشا» محافظا على مكة ، وحاكما على الحجاز ، واليه يرجع جميع المسئولين الاخرين في شئونهم[٣٧] .

العوامل التي ادت الى الانسحاب من شرق الجزيرة العربية ١٨١٩

لعل هناك من يتساءل لماذا توقفت قوات محمد على ، بعد ان اطلت على مياه الخليج ، فهل كانت هناك خطة مسبقة في القاهرة ، سار ابراهيم على هديها ، أم هناك ظروفا دعته للانسحاب ، خاصة بعد ان سيطرت قواته على الاحساء والقطيف ، رغم الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية التي تتميز بها تلك الجهات .

في الواقع قبل ان نناقش هذه القضية ، يستحسن ان نعرف كيف تمت السيطرة على الاحساء والقطيف اولا ، وهل كان ذلك من العوامل التي ادت الى الانسحاب .

تشير الوثائق الرسمية ، الى ان فتح الاحساء والقطيف ، واعادتهما لسيادة الدولة العثمانية ، كان في ذهن



ابراهيم باشا ، قبل ان تسقط الدرعية نفسها ، وذلك لاسباب منها .
١ ـ اهمية هذه البلاد لاطلالها على الساحل الغربي للخليج ، مما يكسبها ميزة استراتيجية خطيرة . فضلا عن مواردها الاقتصادية من زراعة وغوص ، وتعاملها التجاري الواسع مع بلدان الخليج وغيرها .
٢ ـ ما يمكن ان تقدمه من مساعدات للقوات المصرية
٣ ـ تشجيع «الخوالد» حكام الاحساء السابقين ، لابراهيم باشا ، على فتح تلك البلاد ، على ان يكونوا وكلاء عن محمد على في حكمها[٣٨] .
٤ ـ كان ابراهيم باشا ، قد تلقى رسالة من والده ، تشير الى ان السلطان العثماني ، كلفه باعادة فتح القصيم ، وما حولها وميناء القطيف والاحساء ، وادخال تلك الجهات في طاعة السلطان[٣٩] .

ولما كان ابراهيم باشا مشغولا في تلك الفترة بحصار الدرعية ، رد على والده بانه «بعد فتح الدرعية بتوفيق الله تعالى ، يكون ضبط الحسا وميناء القطيف ، وانتزاعهما من يد الخوارج ، من المسائل الطبيعية ، كما انه سيحصل العلم بالتمام ، بكل امر من امور الاقاليم ، وبخصوص وضع البلد في الحالة الموجبة للضبط والربط ، سيفاد طرف ذاتكم الولية النعم بالتفصيل عما ترغبونه دولتكم ، من اوجه النظام ، وذلك على الوجه الذي اكون وقفت عليه ، بعد انهاء مسألة الدرعية[٤] »

٥ ـ كانت عمليات الفتح في حد ذاتها ، مسألة عادية ، لأنه لم تكن هناك نقطة محددة تتوقف عندها

لذلك بعد ان سقطت الدرعية ، كان الموقف عاديا ومهيأ ، ان ينظر ابراهيم باشا الى تلك البلاد ، فأمد محمد وماجد ، ولدي «عريعر بن دجين» من زعماء الخوالد ، بقوة عسكرية ، لطرد «فهد بن عفيصان» عامل الموحدين من الاحساء

وحين علم ابن عفيصان بهذه الاخبار ، فر هاربا الى البحرين ، وبعد ان تم الاستيلاء على الاحساء ، توجه الاخوان «محمد وماجد» الى القطيف وفرضا الحصار عليها من ناحية البر ، بينما انصبت نيران مدفعية اسطول «ارحمة بن جابر الجلاهمة» عليها من ناحية البحر ، وانتهى الامر ، بأن رفعت المدينة راية الاستسلام باسم القوات المصرية ، وسيطر الخوالد على اقليم الاحساء في اطار الادارة المصرية[٤١] ، ومن ناحية اخرى تمكن «ارحمة بن جابر» من اعادة بناء قلعته السابقة في الدمام ، بعد ان وافق له ابراهيم باشا على ذلك[٤٢]

وهكذا بينما كانت قوات ابراهيم باشا مستمرة في اداء مهامها ، وصلت الاوامر من القاهرة ، تطلب اليه الانسحاب من شرق الجزيرة العربية[٤٣] وبالتالي اسندت ادارة الاحساء الى الخوالد من قبل الدولة العثمانية ، على ان تتبع والى العراق من النواحي الادارية[٤٤] .

وهنا تتضارب اراء المؤرخين حول دوافع الانسحاب المفاجيء ، فمنهم من يرى انه كان بضغط من الباب العالي ، على حاكم مصر ، ويبررون ذلك ، بان الادارة المصرية في الاحساء ، ارتكبت بعض الاخطاء ، فقد ارسل ابراهيم باشا ، محمد بك كاشف ومعه مائتان واربعون شخصا ، وامرهم بالاستيلاء على ما في بيت المال ، وما كان لآل سعود من اموال وسلاح وخيل ، وقد نفذوا ذلك الامر ، وزيادة على ذلك استولوا على اموال كل شخص كانت له علاقة مع الموحدين ، وقتلوا قاضي الاحساء «الشيخ عبدالرحمن بن نافع» وجميع

هيئة الوعظ والارشاد التابعة للموحدين[٤٥] الامر الذي جعل الخوالد ، يهرعون الى «داود باشا» حاكم العراق[٤٦] حتى لا تلصق بهم تهمة تلك الاخطاء ، فاستثمر والي العراق هذه المسألة ، واخذ يستثير الباب العالي ، على ان تعود الاحساء ، تحت اشرافه ، كما كانت قبل ان يستولى الموحدون عليها ، وكان في الوقت نفسه ، يقدر خطورة قوات محمد على ومدى قوتها ، وهي تلك التي اخضعت الدولة السعودية الاولى ، ولعله تصور - اي والي العراق - انه اذا تركت تلك القوات تواصل نشاطها في شرق الجزيرة العربية ، فانه لابد ان تتطلع الى العراق وتهدد حكمه .

والواقع ان داود باشا كان يعاني في تلك الفترة من تهديدات داخلية ، حيث اخذت القوى العربية ، منذ اواخر عام ١٨١٨ ، في التجمع والعمل ضده ، مستغلة فرصة الاضطرابات الكردية ، للتخلص من الحكام المماليك في العراق ، وقامت بالتعرض للسفن المارة بين بغداد والبصرة ، بهدف اضعاف قدرات هؤلاء الحكام ، وفقد ثقة الجماهير بهم ، والعمل على عزلهم من حكم العراق . وسرعان ما اتسع نطاق هذه الحركة العربية ، وشمل نشاطها وسط وجنوب العراق وامتدت الى منطقة الجزيرة بمساعدة الجنود الاكراد ، ومما زاد الطين بله ، رواج اشاعات ، مفادها ان حاكم «كرمانشاه» الميرزا محمد علي يتحرك في الحدود العراقية وكان معتمد الدولة الفارسي قد ارسل كتابا الى داود باشا يتضمن ان ولاة بغداد السابقين ، كانوا يبعثون برسائل تهنئة وتبريك الى الشاه ، او وكلائه ، بمناسبة حلول الاعياد ، او عند وصول الفتوحات ، مع القيام بمراسم الصداقة والمودة ، في حين امتنع داود باشا عن اتخاذ هذه الاجراءات منذ توليه مقاليد الامور ، مما اثار استياء حكومة الشاه . وبمناسبة نية الشاه زيارة «السلطانية» القريبة من حدود «شهرزود» ولتلافي ما سبق ، حبذ معتمد الدولة ، ان يقوم حاكم بغداد باجراء المراسم المعتادة ! وهدده باوخم العواقب في حالة الامتناع عن ذلك

فأسرع داود باشا وافاد الباب العالي بمضمون هذه الرسالة ، فأدرك الاخير ، ان الفرس ينوون الهجوم على العراق ، لذا صدرت الاوامر الى والي الموصل ووالي حلب بالاستعداد ، والى ولاة ادرنه ومرعش وسيواس بالتهيؤ ورفع حالة الطوارىء ، تحسبا لما يسفر عنه الغد بالنسبة للعراق .

ويبدو ان داود باشا ارتاب في هذه الاستعدادات الواسعة وخشى ان تؤدي الى زوال حكمه ، ولذلك فضل اعطاء تنازلات للفرس ، وقدم لهم ما

طلبوه من ضمانات . تم اسرع باعلام الباب العالي . بانتهاء الازمة وزوال الاسباب الموجبة للاجراءات الاستثنائية . مشيرا بصورة غير مباشرة الى عدم حاجته للنجدات العسكرية من الايالات العثمانية المجاورة[٤٦]

وعلى ذلك بعد ان خلص من تلك الازمة . تطلبت منه مصلحته ان يبعد الوجود المصري من شرق الجزيرة العربية . الذي تم في أواخر يوليو ١٨١٩ والواقع انه رغم اهمية راي هؤلاء المؤرخين ، الا اننا نرى ان مسألة الانسحاب تحتاج الى رقفه . لما لها من اهمية في سياسة محمد علي الخارجية . ولانها تدخل في نطاق المرحلة الاولى من مراحل تطلعاته في الخليج العربي .

فقد ذكرنا ان الدور الاول من سياسة محمد علي الخارجية ، التي اتسمت بالولاء الكامل والخضوع الكلي للسلطان العثماني ، امتدت حتى عام ١٨٢٧ وقد واجهته في هذه الفترة بالذات ، مشاكل ، تعد اخطر من قضية الوحديين ، بالنسبة لمركزه الشخصي ، ونعتقد انه لولا ضغوط الدولة العثمانية عليه للذهاب الى شبه جزيرة العرب ، لكان قد حصر كل نشاطه واهتمامه بتلك المشاكل التي كانت موجهة اليه اساسا . وليتفرغ لاعادة بناء مصر على اسس واساليب حديثة .

فبجانب اعدائه من الداخل - رجال الدين والزعامات الشعبية - كان بعض الامراء من المماليك قد لجأوا الى السودان[٤٨] ، وكونوا لهم ما يشبه الامارة في «دنقلة» ورحل جماعة منهم الى كردفان وسنار ، وصاروا يكونون الجنود من السود ، ويقطعون طرق القوافل مع مصر ، ومن ثم اصبحوا والحالة هذه . مصدر قلق وتهديد ضد محمد علي نفسه[٤٩]

ومن ناحية اخرى كان محمد علي يرقب تحركات هؤلاء المماليك في السودان . وتطلعهم الى الامير «سعود بن عبدالعزيز» . ولعلهم كانوا يريدون عقد محالفة معه ضد محمد علي . كما لا نستبعد ان يكون محمد علي ، أخذ احتياطاته من ان يتعاون المماليك مع الحبشة ، وقيام دولة مملوكية تسيطر على حوض النيل الاوسط ، وتطل على ساحل البحر الاحمر ، وتؤسس في هذه المناطق زعامات تخضع بصورة او اخرى لسيادة المماليك ، اذا اخذنا في الاعتبار ان الانجليز الذين كانوا يحقدون على محمد علي ، كانوا يرتبطون بصداقة مع المماليك وعلى علاقات طيبة في تلك الفترة مع الاحباش[٥٠] .

ومن ناحية ثالثة ، كما تشير الوثائق الرسمية ، فإن محمد علي ، كان في هذه الفترة المبكرة من حكمه ،

يخطط لتكوين دولة حديثة قوية ذات منعه[٥١] وأن ينهض بالبلاد في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واقامة نظام شبيه بنظام الحكومات الاوروبية الحديثة[٥٢] . مما جعل البعض يردد منذ البداية ، ان محمد على كانت تسول له نفسه توسيع رقعة مصر بالاستيلاء على املاك الدولة العثمانية نفسها[٥٣] .

وكانت حروب محمد على في جزيرة العرب ، تجربة ، أوضحت له ما يلي

١ ـ ضرورة تطبيق النظم الحديثة على جيشه ، فرغم ان قواته كانت حتى ذلك الوقت ، تتكون من خليط من الباشبوزق «المرتزقة» وحققت انتصارات في كثير من المعارك[٥٤] الا انه لم يسلم من رفعها راية التمرد والعصيان ضد القادة من حين لآخر ، فأخذ يقارن وهو نفسه من الجنود الالبان ، بين جيشه غير النظامي ، وبين قوات الحملة الفرنسية على مصر ، وقوات حملة فريزر الانجليزية على الاسكندرية في عام ١٨٠٧ ، وهنا لاحظ التفاوت الكبير بين جيشه ، والجيوش النظامية الاوروبية

فبعد عودته من شبه جزيرة العرب في يونيو ١٨١٥[٥٥] بدأ مباشرة في محاولة تنظيم الجيش في اغسطس من ذات العام ، وتدريب الجند على الاساليب الاوروبية ، وكان هؤلاء الجنود لا يرغبون في النظام الاوروبي ، ربما لاسباب دينية ، فعارضوا ذلك ، اشد المعارضة ، وقامت ثورة في القاهرة ، وتآمر الجند على الفتك بمحمد علي نفسه ، لانه لم يكن في نظرهم سوى جندي الباني ، ولم يتميز عنهم الا برتبته العسكرية ، فكانوا يرون ان الجميع في خدمة خليفة المسلمين ، السلطان العثماني ، فنهبوا الاسواق واضطروه الى الاعتصام منهم بالقلعة ، وقد قتل في تلك الفتنة كل منظمي الجيش ، الا ان محمد على بذكائه ودهائه ، تمكن من اخضاع الجند الثائرين ، وأظهر لهم توقفه عن المشروع ومن ثم زال الخطر[٥٦] .

ولكن لما كانت خطته ـ محمد على ـ تكوين دولة حديثة ، ورسم لها برنامجا يتكون من نهضة داخلية شاملة ، وقوة عسكرية في البر والبحر للدفاع عن البلاد وتنفيذ سياسته الخارجية[٥٧] كان عليه والحالة هذه ان يكون جيشا نظاميا ، مهما كانت الظروف[٥٨] .

فدبر خطة لتنفيذ المشروع ، وذلك بابعاد الجند الالبانيين من القاهرة تدريجيا الى بلاد العرب والى جنوب مصر والى المعسكرات الاخرى في الاقاليم المصرية ، وكان قد حصل على خدمات عدد من الضباط الاوروبيين لتدريب القوات العسكرية الجديدة ،

وقام احد ضباط جيش نابليون بونابرت المدعو «سيف» والذي اشهر اسلامه فيما بعد ، وتسمى باسم «سليمان الفرنساوى» بادارة مدرسة المشاة العسكرية التي تأسست في عام ١٨٢٠ في اسوان ، لتكون على مقربة من بلاد النوبة وبعيدة عن القاهرة(٥٩)

٢ ـ كانت المشكلة لتكوين الجيش النظامي ، تتمثل في توفير الرجال الصالحين للجنديه ، فرأى محمد على ، انه اذا اقبل على تجنيد الفلاحين المصريين ، فان ذلك يؤثر على فلاحة الارض وزراعتها ، وهو في اشد الحاجة الى استثمارها ، ومضاعفة الانتاج لاتباع الاستهلاك المحلي ، وامداد الدولة العثمانية ، بما تحتاجه من غلال واموال ، فهداه تفكيره الى ان ينظر الى السودان ، حيث كثرة الرجال الذين يصلحون للجندية(٦٠)

وكانت ظروف السودان الداخلية وقتذاك ، تختلف كلية عن ظروف شبه الجزيرة العربية ، حيث لا توجد به حركة تعمل على توحيده ، كما هو الحال في تلك الجزيرة(٦١)

لذلك بعد أن سقطت الدرعية ، وانتشرت القوات المصرية في الاحساء والقطيف ، فضلا عن كل الاعتبارات السابقة ، كانت فكرة فتح السودان ، قد اختمرت في ذهن محمد على ، ووصلت الى مرحلة تستوجب سرعة التنفيذ .

وعلى ضوء ما سبق ، نرى ان انسحاب القوات المصرية من شرق الجزيرة العربية ، جاء في وقت مناسب جدا ، لمشروع فتح السودان ، وتجنيد السودانيين في الجيش النظامي ، والابقاء على الفلاح المصري ليعمل في المشروعات التنموية والتعمير .

أما مسألة الانسحاب في حد ذاته ، فلا نستبعد ـ كما ذكرنا ـ ان تكون حكومة السلطان العثماني وراءها ، اذا اخذنا في الاعتبار ، أن القوات المصرية أدت مهمتها في بلاد العرب ، ومن ثم رأت تلك الحكومة ، ان لا تترك الحبل على الغارب لحاكم مصر ، حتى لا تسول له نفسه الجنوح للانفصال ، مع ضرورة المحافظة على ولائه للسلطان ، للاستفادة من قوة مصر الناهضة ، فقد عين السلطان «محمود الثاني» في يوليو ١٨١٩ ، ابراهيم باشا بن محمد على ، على «جده» مكافأة له على الخدمات التي اداها للدولة العثمانية في بلاد العرب(٦٢) .

ومن ناحية اخرى ، لم يكن في مقدور محمد على في تلك الفترة بالذات ، ان تستمر قواته في البقاء بشرق الجزيرة العربية لأسباب لعل منها

١ ـ عدم وجود الاحتياطي الكافي من الجنود للاقامة في مناطق شاسعة مثل

شبه جزيرة العرب ، خاصة في اجزائها الشرقية المطلة على الخليج ، لبعدها عن مركز قوته وادارته في مصر ، لذلك نراه لم يترك حامية تذكر في تلك الجهات ، حين انسحب ابراهيم باشا منها .

٢ ـ ادراكه للوجود البريطاني في الخليج ، الذي صار يتزايد ، ويتحول من علاقات تجارية الى علاقات سياسية ، وعلاقة هذا الوجود ، ببعض القوى المحلية ، التي كانت في قرارة نفسها ، لا ترتاح للوجود المصري بان يظل قائما في شرق الجزيرة .

٣ ـ حتى ذلك الوقت ، لم تكن قد نضجت في ذهن محمد على ، فكرة توسيع الدولة الحديثة ، على حساب الدولة العثمانية في الجناح الاسيوي ، والدليل على ذلك انه رفض العرض الذي تقدم به سلطان مسقط ، لاقامة تحالف بين الطرفين ، حين علم هذا السلطان بتقدم القوات المصرية الى نجد ، واكتفى ـ اي محمد على ـ باستئجار ٢٠ سفينة من مسقط لمساعدة قوات طوسون باشا في نقل المؤن والامدادات(٦٣) .

٤ ـ فضل محمد على ان يركز نشاطه في البحر الاحمر والجناح الافريقي ، لتحقيق هدفين هما :

ا ـ التوسع في السودان والعمل على توحيده وادماجه في دولته الجديدة ، وادخال النظم الحديثة اليه ، والاستفادة من موارده البشرية والاقتصادية ، وليكون نقطة انطلاق لنشر الثقافة الاسلامية الى الجنوب .

ب ـ ان تكون قواته على مقربة من السويس(٦٤) خشية ان تتطلع انجلترا وترسل حملة للاستيلاء عليها ، كما حدث وارسلت حملة في عام ١٨٠٧ للاستيلاء على الاسكندرية(٦٥) .

هذا ويبدو ان محمد على ، لم تفته اهمية البحر الاحمر للانجليز ، شأنه في ذلك ، شأن الخليج ، فقد لاحظ ، على اثر منح ابراهيم باشا ، تولية حكم جده وتوابعها «إياله الحبش على البحر الاحمر» ، من قبل السلطان العثماني ، استياء وتبرما من جانب انجلترا ، لانها كانت تخطط منذ الحملة الفرنسية على مصر ، للتحكم بمفردها في طريقي البحر الاحمر والخليج ، لكونهما الطريقان البحريان الرئيسيان المؤديان الى شبه القارة الهندية ، فاستولت في عام ١٧٩٩ على جزيرة «بريم» عند بوغاز باب المندب ، كما عقدت في عام ١٨٠٢ وما بعده سلسلة من معاهدات الصداقة مع سلطان لحج وعدن وبعض زعماء المنطقة لضمان مصالحها التجارية ، ولتأمين طريقها البحري الى الشرق(٦٦) .

كما عقدت معاهدة سياسية دفاعية مع امام مسقط في عام ١٧٩٨ واخرى

في عام ١٨٠٠ بهدف ابعاد الفرنسيين من الخليج وبالتالي تضمن تفوقها وسيطرتها عليه . ولما لاحظت قوة محمد على الناهضة في جزيرة العرب وفي السودان والبحر الاحمر ، سارعت - اي انجلترا - وعقدت معاهدة مع امام اليمن في ١٨٢١ ، تسمح لها بتصريف متاجرها في اسواق البلاد في احوال ملائمة لمصالحها[٦٦]

لم تكن هذه التطورات خافية على حاكم مصر ، وكانت رؤيته بالنسبة للبحر الاحمر ، هي ذات الرؤية بالنسبة للخليج . وامام ظروفه وامكانياته فضل ان يركز اهتمامه في مشروع فتح السودان في تلك الفترة ، وظلت حكومته ترقب وترصد تطور العمليات العسكرية البريطانية في الخليج ضد عرب القواسم . خاصة حول ما احدثته الحملة الانجليزية الثالثة ضدهم في عام ١٨١٩[٦٦]

هذا ويلاحظ انه اذا كان محمد على قد انتهى تماما في ١٨٢٠ من وضع سياسة جديدة في البحر الاحمر ، وذلك بالاشراف عليه واعادة الحركة التجارية وتنشيطها بين موانيه ، حتى يحصل على عوائد ، تساعده في مشروعاته العديدة ، فانه بسبب انسحابه المفاجيء من شرق الجزيرة العربية في اواخر يوليو ١٨١٩ ، لم يكن قد وضع سياسة معينة تجاه الخليج العربي ، اللهم الا تخوف حكومة القاهرة من تزايد الوجود البريطاني في المنطقة ، وكانت شديدة القلق بصفة خاصة على البحرين لاهميتها الاستراتيجية في الخليج[٦٩] .

الآثار التي ترتبت على الانسحاب :

ترتب على انسحاب قوات محمد على وانكماش الادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية ، عدة اثار لعل اهمها واخطرها ما يلي

١ - استفحال النفوذ البريطاني في الخليج العربي الذي تمثل في :

(أ) توجيه ضربة بحرية ضد مشيخات الخليج العربية ، وقد ساعد بريطانيا على ذلك ان سلطاتها في الهند في عام ١٨١٩ ، كانت تدعو اكثر من اي وقت مضى لتدخل عسكري واسع النطاق في الخليج العربي ، فقد انتهت الحرب العامة في اوروبا . وانكسرت فرنسا - عدوتها التقليدية - التي كانت تحاول على عهد نابليون بونابرت ان يكون لها وجود في الخليج ، بل زيادة على ذلك فإن بونابرت كان يقوم بمساع لدى ايران والدولة العثمانية من اجل قيام تحالف ثلاثي ضد روسيا[٧٠] .

ولكن بعد هزيمة نابليون بونابرت في موقعة «واترلو» وانعقاد مؤتمر فيينا في عام ١٨١٥ ، سيطرت بريطانيا على

معظم الاملاك الفرنسية في الشرق ، وبالتالي اصبحت اكثر اهتماما بتأكيد سيطرتها البحرية على الطرق المؤدية الى المحيط الهندي ، وكانت السلطات البريطانية في الهند قد تغلبت على مقاومة «المهارتا» العتيدة ، التي كانت تؤثر بشكل واضح على حكومة بومباي(٧١) .

ولما تمكن محمد علي من ان يقضي على الدولة السعودية الاولى ، التي كانت تناصر بطريقة او بأخرى ، القوى العربية البحرية في الخليج ، ضد السفن الاجنبية ، تطلبت الضرورة من الانجليز ، أن يقضوا على تلك القوة ، التي باتت تؤرق الوجود البريطاني في المنطقة ، فكان ان سيرت انجلترا حملتها المشهورة في نوفمبر ١٨١٩ بقيادة الجنرال «وليام جرانت كير» الذي نجح في الفتك بالقوة العربية ، ودمر اسطول القواسم وضرب قلاعهم(٧٢) .

ويبدو ان هزيمة القواسم ، وما ترتب عليها من اثار في الخليج ، كانت درسا للدولة العثمانية ، فصارت تحلل محاولات الانجليز للتقارب مع محمد علي ، حين ارسلت السلطات في الهند «الكابتن سادلير» لمقابلة ابراهيم باشا ، والتنسيق معه لضرب القواسم (٧٣) فخشيت ان ينجح الانجليز في جهات اليمن فبعد آن اطلع الباب العالي ، على التقارير الواردة اليه من قبل والى العراق والسفير الفرنسي في الآستانة ، حول عملية الخليج ، وتحرك القوات الانجليزية تجاه القطيف ، سارع الصدر الاعظم ، ونبه محمد على ، بان لا ينخدع بأقوال الانجليز ، ونصحه بان يكون على حرص في التعامل معهم «لمقاصدهم الفاسدة»(٧٤)

وان دل ذلك على شيء ، فانما يدل على ان حكومة السلطان العثماني كانت على يقين من اطماع الانجليز ، وانها كانت تسخر والى مصر في تلك الفترة، للدفاع والمحافظة على أملاك الدولة ، سواء كانت تلك الاملاك عربية او حتى اوروبية

(ب) ربط مشيخات الخليج العربية ، بمعاهدة السلام العامة ، التي ابرمت في عام ١٨٢٠ م والتي كانت في الحقيقة ، بداية السيطرة السياسية لبريطانيا العظمى على تلك المشيخات(٧٥)

ويلاحظ ان محمد على ، كان غير مرتاح لهذه المعاهدة ، لما تنطوى عليه من اضرار مستقبليه بالخليج ، ولانه صار على دراية تامة بأهداف الانجليز بالنسبة للعالم الاسلامي ، وتخوفهم من روسيا ، التي كانت تتطلع الى ايران والخليج ، للوصول الى الهند ، فاستغل ـ محمد على ـ العلاقات التي كانت بينه وبين السيد سعيد سلطان مسقط ، وارسل اليه ، ينصحه بعدم

الاتفاق مع الانجليز[٧٦] .

٢ ـ عودة الخوالد المدعومين من قبل الدولة العثمانية لحكم الاحساء ، على ان يتبع هذا الاقليم من النواحي الادارية والى العراق[٧٧]

٣ ـ اصبحت السلطات البريطانية في الهند ، بعد ان هيمنت عسكريا وسياسيا على الخليج ، ترى عدم تشجيع الدولة العثمانية على بسط نفوذها في هذه الجهات[٧٨] ، خاصة وان محمد علي قام بالمهمة التي كان لابد ان تقوم بها هي ـ اي السلطات البريطانية ـ ضد الموحدين ، لمساندتهم عرب القواسم ، الذين دأبوا على اهانة وتضييق الخناق ضد المصالح الانجليزية في الخليج

٤ ـ احباط ارحمه بن جابر الجلاهمة ، الذي كان يعلق امالا كبيرة على مساعدة القوات المصرية له ، في توطيد مركزه على ساحل الاحساء[٧٩] وكان ارحمه قد اتخذ من قلعة الدمام ، قاعدة لتحركاته ضد سفن البحرين التجارية ، مما جعل بريطانيا ، لا ترى بأسا ، من الاعتراف بسيادته على منطقة القطيف ، رغم تأكدها من العداوة التي بينه وبين حكام البحرين ، مع ضرورة مراقبته ، حتى لا يستفحل خطره ، ويكون قوة بحرية قوية على غرار قوة القواسم[٨٠] .

ونظرا للتطورات التي كانت تتلاحق بعضها اثر بعض في الخليج ، والتي تأثر بها كل من حكام البحرين وارحمه بن جابر نفسه في الدمام ، تم توقيع معاهدة في فبراير ١٨٢٤ بين الطرفين ، بمساعدة المقيم البريطاني «ستانوس E.G.Stannus» ، الذي انتهز هذه الفرصة ليوطد النفوذ الانجليزي في المنطقة ، عن طريق القيام بدور الوسيط بين الاطراف المتنازعة ، وتضمنت المعاهدة ان يكف ارحمه بن جابر عن مهاجمته سفن البحرين ، بل والتعاون معا ضد اي عدوان يقع على شعب البحرين .

ولكن يبدو ان هذه المعاهدة ، أتت بنتائج غير طيبة بالنسبة لابن جابر الجلاهمه ، فصار يتخبط في سياسته ، فتارة يحاول الاتصال بسلطان مسقط ، وتارة اخرى يتناسى معاهدته مع حكام البحرين ، وتارة ثالثة يشدد الحصار على القطيف ، ويهدد جميع السفن التجارية الداخلة او الخارجة من الميناء ، فقام الكولونيل «ستانوس» بارسال طرادين حربيين الى الدمام ، لحماية السفن التجارية ، ووجه تحذيرا لابن جابر ، وحمله مسئولية اعماله ، التي كانت في نظر ستانوس ، نوعا من القرصنة ، غير ان ارحمه بن جابر ، تجاهل الانذار ، وكان يشجعه وقتذاك ، الموحدون ، الذين كانوا قد استعادوا مركزهم في نجد ، ويسعون لاعادة

نفوذهم السابق في الاحساء ، وعندما عرض الموضوع على «الفنستون» قرر انه مهما كانت اعمال ارحمه تهدد المنطقة ، فهي اعمال حربية مشروعة ، وانه طالما انحصرت تلك الاعمال في المنطقة القريبة من القطيف ، فليس هناك اسباب تبرر منعه ، ولذلك ارسلت الاوامر الى ستانوس ، لسحب الطرادين من ساحل القطيف(٨١) .

والواقع ان قرار «الفنستون» يحتاج الى تحليل ، فهو دليل اخر ، على ان الانجليز ، كانوا لا يمانعون في ان يتصارع العرب مع بعضهم البعض ، حتى تضعف قوتهم ، ويصفون زعاماتهم بأنفسهم ، ولا يتدخلون - الانجليز - الا في حالات اقتراب الخطر من مصالحهم ، او لاشعار القادة والزعماء بأنهم هم وحدهم القادرون على معالجة مشاكل العرب وايجاد الحلول المرضية لها .

على اية حال عندما ازدادت تصرفات ارحمه بن جابر العدائية ، وصارت لا تحتمل ، تحالف حكام البحرين مع الخوالد ، حكام الاحساء السابقين في عام ١٨٢٦ ضده ، فقامت قوات الخوالد بمحاصرته من ناحية البر ، بينما تصدت قوات البحرين له من ناحية البحر ، وانتهى الأمر بمصرعه(٨٢) .

٥ - تطلع السيد سعيد سلطان مسقط الى البصرة ، للحصول على الزكاة منها ، ولم تمانع السلطات الانجليزية في تلك الفترة ، في ان يتحرك السلطان ، ضد «داود باشا» حاكم العراق ، بعد ان فشل الكابتن «تايلور» في الوساطة بين الطرفين ، وينتزع منه البصرة(٨٣)

فقد كانت الامور غير طيبة بين هذا الحاكم والسلطات الانجليزية ، ورفضت انجلترا ان تمده بالضباط لتدريب جيشه على النظم الحديثة ، كما كان يفعل محمد علي في مصر ، مما جعله يستعين بضباطين من الفرنسيين ، لتنظيم قواته ، نكاية في الانجليز ، ويزيد من الرسوم الجمركية على الواردات الانجليزية ، لذلك ، رأت انجلترا ، ان اشتباك امام مسقط معه ، يضعف من قوته ، وبالتالي يسهل التعامل معه ، وفقا للمصالح البريطانية .

لكن عندما حدثت توترات بين الدولة العثمانية وروسيا ، وصارت الاخيرة تزيد من تطلعاتها الى الهند ، خشي الانجليز على الاوضاع في كل من ايران والعراق ، وصار «تايلور» نفسه ، يحذر حكومته من احتمال وقوع هجوم روسي على العراق ، ثم الزحف الى الهند عن طريق البصرة وبوشهر ، واخذ يؤيد موقف داود باشا ، الذي كان السلطان العثماني قد امر بخلعه من منصبه ، بل اشتط

في تأييده الى درجة انه كان يدعو الى اقامة دولة مستقلة في العراق ، تحت حكم داود ، تعمل كمنطقة عازلة Buffer State بين روسيا والخليج ، والموافقة على ارسال ضباط بريطانيين لتدريب القوات العراقية[٨٤] .

ويبدو ان هذه التطورات في الخليج ، شدت انتباه محمد على في مصر ، رغم حروبه ضد الثوار في المورة ، الذين رفعوا راية التمرد والعصيان على الدولة العثمانية[٨٥] ورغم انشغاله بتطبيق التنظيمات الحديثة في كل من مصر والسودان ، فتطلبت منه تلك المسالة المرشحة في الخليج ، ان يتدخل في الامر ، ليوقف تطور الازمة بين سلطان مسقط وحاكم العراق ، عند حد قد يمكن القوى الاسلامية من تفويت الفرصة على الانجليز ، فقد لاحظ ، كيف ان الاوروبيين ، يساعدون ثوار المورة ، بصورة او باخرى ، ضد الحكم الاسلامي ، فبعث رسالة الى سلطان مسقط في عام ١٨٢٥ ، يطلب فيها ، ان يوقف تحركه ضد البصره ، وفعلا ، توقفت التحركات العمانية[٨٦]

ويبدو ان سلطان مسقط ، كان لا يتوقع مثل هذا التصرف من جانب محمد على ، نظرا للعلاقات الطيبة التي كانت تربط بين الطرفين ، وكان من مظاهرها انه حين توجه السلطان لاداء فريضة الحج على ظهر السفينة «ليفربول» في عام ١٨٢٤ ، استقبله والي جده ، استقبالا حافلا ، كما ارسل محمد على بعثة من كبار رجاله للترحيب بالعاهل العماني ، ويبدو ان السيد سعيد ، حرص من جانبه ، على توقيت حجه في ذلك العام ، لكي يعبر عن سروره وتأييده لمحمد على ، بعد ان نجحت قواته في نجد والحجاز[٨٧] ، وبصفة عامة لتوثيق الروابط وتعزيز العلاقات بين الطرفين

ولكن يبدو ان سيد مسقط ، تصور ، ان تورط محمد على في حرب الموره ، يأخذ كل اهتمامه ، ومن ثم لن يجد الوقت للاهتمام بشئون الخليج ، فسارع وارسل قواته البحرية الى البصرة للاستيلاء عليها ، ولكنها لم تحقق الهدف المطلوب ، فقد تم التغلب على المشاكل بين الطرفين بالطرق السلمية ، وعاد الاسطول العماني الى مسقط في نوفمبر ١٨٢٦[٨٨]

هذا وقد نتج عن تدخل محمد على لانهاء الازمة ان حسن داود باشا من علاقاته معه فنلاحظ ان حاكم بغداد ، خلال تصاعد الخطر الانجليزي الممتد من القطيف الى مخا باليمن ، يكتب الى حاكم مصر ، ليطلعه على عدد السفن الانجليزية التي كانت تخرج من القاعدة البريطانية في بومباي ، ويحدد خطوط سيرها ، ويكتب له بالتفصيل ما كان يحدث من تعاون بين قوات

سلطان مسقط والقوات الانجليزية في الخليج(٨٩) .

٦ـ ترتب على تركز الوجود المصرى فى الحجاز، ان اتاح الفرصة لال سعود، ان يعيدوا قوتهم، ويكونوا الدولة السعودية الثانية، فقد نجح الامير (تركى بن عبدالله) فى ان يستولى على نجد، وان يتغلب على الخوالد ويستعيد منهم الاحساء (٩٠) الامر الذى اقلق محافظ مكة، وجعله يطلب من حكومة القاهرة، الموافقة على توجيه حملة اليه لوضع حد لنفوذ ال سعود المتزايد فى الجبهة الشرقية من شبه الجزيرة، ولكن نظرا لان محمد على، كان وقتذاك فى نزاع مع السلطان العثمانى، بعد ان رفع ضده راية التمرد والعصيان، عقب معركة نوارين ـ السابق الاشارة اليها ـ فانه لم يستطع الاستجابة لمحافظ مكة، فقد كان مشغولا فى اعداد حملته العسكرية للاستيلاء على الشام بالقوة من الباب العالى (٩١) واكتفى بان ارسل الى محافظ مكة، بان يوجه النصح للامير السعودى، وان يركن الى الهدوء، ويحثه على اعلان ولائه لحكومة مصر، والا ارسل اليه ـ اى محمد على ـ جيشا لجبا يكتسحه اكتساح السيل، ويقهره ويدفع غائلته (٩٢) ونعتقد أنه اذا كان محمد على يهمه فى تلك الفترة الحرجة الحرص على وجوده فى الحجاز بصفة خاصة، حيث الاماكن الاسلامية المقدسة، حفاظا على سمعته، التى اصبحت (سحرا) ووصلت الى مسامع كل المسلمين، وكان فى اشد الحاجة الى تأييد الرأى العام العربى والاسلامى فى حروبه ضد السلطان الذى كان فى نظر معظم المسلمين، السلطان الخليفة، الذى يحمى ديار الاسلام من التسلطات والمطامع الاوروبية الاستعمارية، فان تطورات الخليج العربى، وزيادة التدخل الانجليزى فى شئونه، وسعت من دائرة رؤية محمد على السياسية تجاه هذه المنطقة العربية الاسلامية، الامر الذى سيتطور فيما بعد الى محاولة تكوين اقليم موحد منها، تستند عليه دولته من ناحية الشرق، كما سنشير اليه بعد قليل.

عودة قوات محمد على الى شرق الجزيرة واستئناف تطلعه الى الخليج العربى:

ونتساءل الان ما هى الدوافع التى ادت الى عودة تلك القوات، ونقول انه منذ معركة (نوارين) التى دمرت فيها الاساطيل المصرية الجزائرية التركية فى ٢٠ اكتوبر ١٨٢٧، امام الاساطيل المشتركة من روسيا وانجلترا وفرنسا وايطاليا، التى وصلت الى مياه اليونان لمساعدة الثوار ضد الاتراك(٩٣)، تأكد

محمد علي، ان الدول الاوروبيـة، لن تسمح له بلاستيلاء على الموره، بل ان الاسكندرية نفسها، كان من الممكن ان تتعـرض لحصار بحـرى من جـانب الدول الاوروبية المشتركة فى المعركة، لذلك لم يستجب محمـد على ـ لطلب السلطان (محمود الثانى) بمـواصلة القتـال، واستجـاب لنـداء الحلفـاء الاوروبيين ووقع معهم اتفاقا منفردا، دون رغبة السلطان العثمانى، فى اول اغسطس ١٨٢٨، يقضى بتنظيم تبادل الاسرى، وجلاء الجيش المصرى من المورة، ويحدد كيفية هذا الجلاء الذى تم فى ديسمبر ١٨٢٨ [٩٤]

والواقع ان هذا الاتفاق يعتبر نقطة تحول خطيرة فى سياسة محمد عـلى الخارجية فقد انهى الدور الاول من سيـاسـة الطاعـة والولاء الكـامـل للسلطان، وبدا الدور الثانى من ادوار سياسته الخارجية، الذى تميز بموقفه المعادى للباب العالى، ثم ظهوره عـلى المسرح الدولى كقوة لا يمكن اغفالها فى العالم الاسلامى.

وقد كشف محمد على عن سياسته المعـادية للسلطان، عنـدما رفض ان يستـجيـب له بـامـداده بـالجيش والاسـطول، لمـواجهـة روسيـا التى اعلنت عليه الحرب فى عام ١٨٢٩، فقد رأى حاكم مصر، ان لا فائدة تعود عليه من وراء ذلك، وانما رأى ان الظروف ملائمة جدا، لان ينال بحد السيف ما وعده به السلطان من توليه عكا علاوة على مصر،

وكانت فرنسا لا تزال تتعاطف معه، وتتقـرب اليـه، وارسلت المهنـدس (سيريزى) لمعاونته فى بناء الاسطول المصرى الجديد بالاضافة الى امداده بـالعلمـاء والفنيـين لمسـاعـدتـه فى مشروعاته الجديدة[٩٥].

ولما علم محمد عـلى ان السلطان، على وشك ان يخلعـه من ولاية مصر، اعلن الحـرب عليه، وسـير جيـوشـه بقيادة ابراهيم باشا فى اكتوبر ١٨٣١ للاستيلاء على الشام، وعندما تقدمت القوات المصريـة الى (كوتـاهية)[٩٦] إنـزعج السلطان (محمـود الثـانى) وخشى من ضياع ملكه، خاصة عندما وصلته الانباء عن تأييد بعض سكان اسيا الصغرى، لانتصارات ابراهيم، وتكـوين حزب عـربى فى (البصـرة) للوقوف مع مصر ضد السلطان [٩٧]، وسرعان ما تجاوب سكان بغداد مع البصـرة، وعبروا عن تـذمرهم ضـد الاتراك،[٩٨].

فاضطر السلطان والحالة هذه، ان يتـطلع الى الدول الاوروبية، ولكنهـا كانت فى تلك الفترة ـ خاصة بريطانيا ـ مشغـولة بمشاكلهـا، مثل منـاقشـة القـوانين الاصـلاحية فى البـرلمـان، ومشكلتى بلجيكا وهولنـدا، ولهذا لم يستطع (بالمرستون) ان يوجه اهتمامه الى موضوع التوسع الروسى فى اسيا،

كما لم يكن يهتم كثيرا بمصير الدولة العثمانية او باطماع والى مصر (٩٩)

حينئذ لم يجد السلطان امامه الا روسيا عدوته القديمة، التى سبق وعرضت على الباب العالى، ان ترسل اليه قوة بحرية واخرى برية لمساعدته ضد القوات المصرية، وكان السلطان قد تردد فى قبول هذا العرض، ولكن نظرا لتقدم قوات محمد على، انتهزت روسيا هذه الفرصة، وارسلت القائد (مورافييف) الى السلطان، ليعرض عليه استعداد القيصر (نيقولا الثانى) لوضع الاسطول الروسى تحت تصرف الباب العالى، لردع قوات محمد على (١٠٠)

وعندما، احتل ابراهيم باشا (كوتاهية) فى ٢ فبراير ١٨٣٣، اضطر الباب العالى، الى طلب المساعدة من روسيا رسميا، وفى ٢ فبراير دخل الاسطول الروسى مياه البسفور، وانزلت القوات الروسية قبالة القسطنطينية، لحماية السلطان، وتحسبا لاى هجوم من قبل ابراهيم باشا

عندئذ انزعجت كل من بريطانيا وفرنسا، للتدخل الروسى، لان ذلك من وجهة نظرهما، وبالذات بريطانيا، يخل بمبدأ المحافظة على التوازن الدولى فى البحر المتوسط، فشددت فرنسا والنمسا الضغط على الباب العالى، للاتفاق مع محمد على، وابرم اتفاق كوتاهية فى ٨ ابريل ١٨٣٣، بين السلطان ومحمد على، وبه ولى الاخير، على مصر والشام وجزيرة كريت، كما تثبت ابنه ابراهيم باشا على جدة وولاية الحبش (سواكن ومصوع) على البحر الاحمر (١٠١)

وعلى ذلك تمكنت مصر ان تتحكم فى الطريقين القصيرين السريعين للملاحة عبر العراق والخليج، نظرا لسيطرتها على الشام وعلى معظم البحر الاحمر، حيث وجودها فى الحجاز والسودان.

وهنا يبدو ان مشروع تكوين الدولة الحديثة، قد اكتمل فى ذهن محمد على، ولم يتبق امامه فى الجناح الاسيوى، الا فتح اليمن واعادة السيطرة على شرق الجزيرة العربية، والنظر الى الخليج العربى.

ففى اواخر عام ١٨٣٣، اوفد مبعوثا يدعى (سيد خالد افندى) الى بغداد عن طريق الخليج، وقد عرج المبعوث فى طريقه على بوشهر فى مارس ١٨٣٤، وهناك ابلغ المقيم السياسى البريطانى (تايلور) بانه يحمل رسائل محمد على، الى سلطان مسقط وامير شيراز ومشايخ المنتفك وقبائل بنى كعب، سكان شط العرب وجنوب العراق، واضاف للمقيم البريطانى قوله، ان محمد على، قد فوضه الباب العالى، للتحدث باسم بغداد وسواحل وجزر الخليج، التى كانت اصلا،

خاضعة للنفوذ العثماني، وقد ارسل (تايلور) من بغداد، تقريرا عن مهمة (سيد خالد) الى الكولونيل (كامبل) فى مصر، واتصل الاخير بمحمد على، للاستفسار عن هذا الموضوع، وعن رايه عموما بالنسبة للوضع فى بغداد وكان محمد على قد خبر السياسة الانجليزية وعرف المغزى من وراء هذه المقابلة وغيرها، لذلك يبدو انه حاول ان يتنصل بطريقة دبلوماسية من الموضوع، وان يجيبه بذكاء الرجل الداهية، فقال له بان من المعروف ان سكان بغداد لا يرتاحون للحكم القائم عليهم، وعبروا عن ذلك بتذمرهم المستمر، لدرجة انهم طلبوا من واليه فى سوريا (شريف بك) التحرك، للاستيلاء على بغداد، نيابة عن الوالى، اى محمد على، ولكنه لم يفكر فى شىء من هذا القبيل، واضاف ان المبعوث (سيد خالد) هو من اتباع والى بغداد السابق (داود باشا) وطلب منه العمل لديه، ولكى يتخلص – محمد على – منه، قام بارساله الى سلطان مسقط، مزودا بخطاب توصية منه، غير ان الكولونيل (كامبل) لم يقتنع بتفسيرات محمد على، لان والى مصر، لم يتعود اعطاء خطابات توصية دون ان يكون وراء ذلك هدف محدد.

وبالاضافة الى ذلك، كان هناك فى ذات الوقت، مبعوث من السيد سعيد، سلطان مسقط، فى دار الوالى، والوالى نفسه، ذكر للكولونيل كامبل، ان السيد سعيد، قد عاتبه على شراء سفن لحملته على اليمن، فى الوقت الذى كان فيه السيد سعيد على استعداد لاعارته تلك السفن.

وعلى ضوء ذلك، كان كامبل على يقين من ان سيد خالد قد توجه الى بغداد لاسباب هامة، حتى ولو كان ذلك لجمع المعلومات عن البلاد، خصوصا، وان محمد على، كان على دراية بأحوال العراق، وطلب الاهالى هناك دعوته لانقاذ بغداد من فساد الحكم فيها(١٠٢)

والواقع ان الاستنتاج الذى خرج به مستر كامبل، يجب ان يؤخذ فى الاعتبار، لان محمد على، صار يشعر بالقوة، بعد حصوله على المكاسب الاقليمية، التى تضمنتها اتفاقية كوتاهيه، ومن ثم بات امر الدولة الحديثة، التى كان يحلم بها، على وشك ان يصبح حقيقة.

ويبدو انه كانت هناك عوامل اخرى تشجعه على ترجمة هذا الحلم الى واقع، وابراز الدولة تحت الشمس، لعل منها

١ـ نظر محمد على الى اتفاقية السلام العامة فى الخليج (١٨٢٠) واتفاقية اليمن فى (١٨٢١)، نظرة شك وارتياب من الوجود الانجليزى فى تلك الجهات، وكان يرى ان الهدف منهما، هو تقوية النفوذ البريطانى واتساع

دائرته.

ونحن نرى ان اتفاقية اليمن، كانت ردا على التوسع المصرى فى البحر الاحمر، وان اتفاقية السلام العامة فى الخليج، كانت لا تخلو من اسباب مصرية لابرامها، فرغم ان الظاهر من ارسال حملة ١٨١٩ الانجليزية الى الخليج، هو لتحطيم القوة العربية البحرية المناهضة للوجود البريطاني، الا انها كانت فى الوقت ذاته اشعارا لمحمد على، حتى لا يفتح عينيه تجاه الخليج، وان مسألة ارسال الكابتن (سادلير) لمقابلة ابراهيم باشا فى شبه جزيرة العرب، بعد سقوط الدرعيه، للتعاون معا ضد حلفاء الموحدين، كانت تخفى وراءها حقيقة، وهى معرفة الانجليز بخطط هذا القائد، والوقوف على قوته، فكان الانجليز يدركون قوة مصر الناهضة، ويخشون من تصاعدها، خاصة وان اسم محمد على، صار يتردد فى العالم الاسلامي، على انه من الابطال، فكانت المعاهدة (١٨٢٠) حسب تصورنا الشخصى، بمثابة اشارة ليعمل محمد على حسابها، اذا فكر فى العودة الى شرق الجزيرة العربية.

٢ـ ترتب على اتفاقية كوتاهيه، ان صارت الدول الاوروبية، تعيد حساباتها ازاء القوة الجديدة فى مصر خاصة وقد جددت مصر أسطولها الحربي وكان محمد على، ينظر الى تلك الاتفاقية، بمنظار يختلف كلية عن منظار الدول الاوروبية لها، فقد كانت تلك الدول ـ خاصة انجلترا ـ تأمل ان يقتنع محمد على بشروط تلك الاتفاقية، وان لا تتعدى طموحاته اكثر من ذلك، حتى لا يثير ارتباكا للمصالح البريطانية فى الشرق من ناحية واستقرار الأوضاع على ما هى عليه فى الدولة العثمانية من ناحية اخرى ولابعاد تطلعات روسيا عنها من ناحية ثالثة.

٣ـ اعتماده على جيش حديث ومنظم، اصبح من اقوى جيوش الشرق (١٠٣)

٤ـ احتكاره لبعض الموارد الاقتصادية، عاد عليه بارباح، مكنته من تنفيذ برامجه التنمويه فى الزراعة والرى والصناعة وغيرها، بالاضافة الى مشروعاته التوسعية(١٠٤)

٥ـ السيطرة على اليمن تمكنه من التحكم فى البحر الاحمر من ناحية الجنوب

٦ـ اقتناعه التام، ان الدولة العثمانية، وصلت الى مرحلة من الضعف والانهاك تجعلها غير قادرة على الادارة وتطبيق الاساليب الحديثة فى املاكها الشاسعة.

٧ـ يقينه ان الدول الاوروبية، لابد ان تمزق الدولة العثمانية وهى على وضعها الراهن، وان مسألة المحافظة عليها القصد منها عدم احداث خلخلة فى توازن القوى الدولية بقدر الامكان،

ريثما يحين الوقت المناسب.
فقد سبق وسلخت فرنسا ولاية الجزائر من الدولة فى عام ١٨٣٠.
٨ـ وعلى ضوء كل تلك الاعتبارات، رأى محمد على، بعد ان استقرت الاحوال فى السودان والشام والحجاز، ان الواجب الاسلامى، يتطلب منه، اعادة النظر الى شرق الجزيرة العربية والخليج، طالما ان القوة العثمانية او القوة الفارسية او القوة العربية المحلية. لم تتمكن من وقف تزايد النفوذ الانجليزى فى تلك الجهات

موقف السعوديين

بعد ان انسحبت القوات المصرية من الاحساء ونجد فى عام ١٨١٩، تمكن الموحدون بزعامة الامير (تركى بن عبدالله بن سعود) من ان يعيدوا نفوذهم فى تلك الجهات، ولم يأت عام ١٨٣٠ حتى كان السعوديون قد اخذوا يهتمون من جديد بساحل شرق الجزيرة العربية من البحرين حتى مسقط [١٠٥] وقد ترتب على ذلك ان تنفس (القواسم) الصعداء، فعبروا عن ارتياحهم لصعود القوة السعودية، مما جعل الانجليز، يرون فى تلك التطورات، ثمة احتمال، ان يمارس القواسم نشاطهم السابق ضد السفن البريطانية فى الخليج[١٠٦]
واستمر الامير تركى فى تطلعاته من الاحساء، التى اتخذ منها نقطة انطلاق الى الخليج العربى، واضطرت بلاد ساحل شبه الجزيرة الشرقى من الكويت الى رأس الحد، ان تعترف بسيادة السعوديين، وان توافق كل من البحرين ومسقط على دفع الزكاة لهم[١٠٧]
لكن سرعان ما حدث خلاف بين أبناء البيت السعودى نفسه، فقد اغتيل الامير (تركى بن عبدالله) فى عام ١٨٣٤، على يد (مشارى بن عبدالرحمن ال سعود) وانتقم الامير (فيصل بن تركى) بقتل قاتل والده [١٠٨]
هذا وقد ترتب على تلك الاحداث، ان انتهز الخوالد، الفرصة وتحالفوا مع الشيخ (عبدالله بن احمد ال خليفة) شيخ البحرين، وابنه مبارك امير قلعة الدمام، لرفض سيطرة السعوديين على الاحساء، وقام آل خليفة بفرض الحصار على سواحل القطيف[١٠٩]
لكن من ناحية اخرى، كان سلطان مسقط، لا يزال يكرر محاولاته للاستيلاء على البحرين. رغم مشاكله مع بعض قبائل المنطقة [١١٠] فلم يستطع رغم اتساع دولته التى جمعت بين مسقط وزنجبار فى شرق افريقيا [١١١] ان يغض الطرف عن جوهرة الخليج (البحرين) فتارة نراه يعرض تحالفه مع محمد على لمساعدته فى

الحصول عليها(١١٢)، وتارة اخرى يحاول التقرب من السعوديين لذات الهدف (١١٣). ولكنه لم ينجح فى كلا الحالتين، لانه وكما يبدو فان محمد على، لم يوافق على هذه الفكرة، كما ان الامير فيصل آل سعود رغم انه كان يريد ان يستفيد بقوة سلطان مسقط البحرية، فى سبيل تحقيق اهداف سعودية فى البحرين، بعد تحالف حاكمها مع الخوالد، الا ان سلطان مسقط، حين ادرك ان الامير السعودى، لم يسمح له بان يسيطر على البحرين بمفرده، عبر له عن اعتذاره، بحجة انه مرتبط بالانجليز ولا يستطيع القيام بهذه المهمة دون استشارتهم (١١٤)

والواقع ان الانجليز، بعد ان شعروا بتطلعات محمد على نحو الخليج، تلك التى لم يستبعدها الكولونيل كامبل فى القاهرة، على اثر مقابلته مع محمد على، للوقوف على رحلة المبعوث (سيد خالد أفندى)، التى اشرنا اليها سابقا، صاروا يحاصرون سلطان مسقط، لتقوية العلاقات معه، وعقد معاهدة، حتى لا تقع مناطق الخليج تحت سيطرة محمد على، ففى بداية شهر نوفمبر ١٨٣٤، بعث الملك (وليم الرابع) ملك انجلترا، برسالة الى (شارلس جرانت) رئيس مجلس الهند، يحثه على عقد معاهدة مع السيد سعيد، فقد خشيت انجلترا بعد ان سيطر محمد على، على مصر وسوريا وسواحل البحر الاحمر. ان يسيطر ايضا على مسقط، وهذا له من الخطورة بمكان، لان محمد على، اذا تمكن من ذلك، فانه يسيطر على الطريقين الملاحيين التجاريين (البحر الاحمر والخليج) الى الهند.

خاصة وان السلطات الهندية نفسها اعترفت، بان محمد على، قد اصبح القوة الفعالة الاولى، فى منطقة شبه الجزيرة العربية، وانه اخذ يوجه اهتمامه الى الساحل الممتد الى مسقط، ولعله يطمع فى السيطرة على هذا الجزء، كما ان هناك اعتقادا بان امام مسقط ينظر الى والى مصر باحترام اكثر مما ينظر به الى شركة الهند الشرقية البريطانية(١١٥).

على اية حال، رأى الامير فيصل آل سعود، ان الظروف تتطلب منه ان يؤمن ظهره من جانب الخوالد وآل خليفة معا، حتى يتفرغ لبقية انحاء دولته الشابه، فعقد العزم على ضرورة التخلص من الوجود البحرينى فى منطقة القطيف والدمام.

ويبدو من سير الاحداث، ان البحرين، كان فى امكانها، ان تتصدى لتهديدات الموحدين، لكن سرعان ما تعرضت ـ اى البحرين ـ فى عام ١٨٣٦ لضغوط من فارس هذه المرة، فاضطر شيخ البحرين ان يرفع حصاره عن ساحل الاحساء

والقطيف، ويفتح صدره للامير السعودى، بل وان يدفع له الزكاة سنويا، لمساعدته ضد تهديدات الفرس(١١٦)

وبعد ان قررت حكومة محمد على، تنفيذ مشروع فتح اليمن، وصار الساحل اليمنى تحت الحكم المصرى، ودخول القوات المصرية عدن فى ٢٧ اغسطس ١٨٣٧، راى محمد على فى ذات الوقت، انه من الممكن توجيه جزء من الجيش تجاه الجزيرة العربية والخليج العربى(١١٧)

فتوجهت حملة الى الحجاز، بعد ان اخذ فى الاعتبار، ضرورة المحافظة على القوة التى كانت فى سوريا، تحسبا لاى هجوم مباغت من جانب الباب العالى

وعندما وصلت تلك الاخبار الى مسامع الامير فيصل آل سعود داخله الخوف(١١٨)، خاصة وان الحملة كان على راسها الامير (خالد بن سعود(١١٩)، منافسه على الحكم، وكان يشارك الامير خالد، فى قيادة الجيش (اسماعيل اغا) وحاول الامير فيصل ان يتحاور مع محمد على بالحسنى، وابدى الامير، كافة استعداده، للموافقة على كل طلباته - اى محمد على) - ليتخلى عن الامير خالد وعدم مهاجمة املاك السعوديين فى شرق الجزيرة العربية(١٢٠)

ولكن يبدو ان المسألة صارت فى نظر محمد على، اكبر من اعتراف الامير فيصل بالولاء لمصر، فقد تحولت سياسته الخارجية بعد اتفاقية كوتاهية (١٨٣٣) الى ضم شبه الجزيرة العربية والشام ومصر والسودان، وما يمكن ضمه من بلاد تنطق بالضاد فى وحدة سياسية واحدة، تتكون منها دولته الحديثة، فقد حان الوقت فى نظر محمد على ليترجم حلمه الى حقيقة.

وكان محمد على يطمئن الى الامير (خالد بن سعود) فى تحقيق ذلك المشروع الكبير، ولا يرتاح الى امراء الموحدين، ولعله كان على يقين من كرههم وعداوتهم له، فهم لن ينسوا اسقاط الدرعية، وما فعلته قواته ضدهم، وهذه غلطة، يتحمل مسئوليتها، محمد على باسم الدولة العثمانية بالدرجة الاولى، لان نتيجتها كانت - كما اثبتت الاحداث - لصالح انجلترا فى الخليج العربى.

فالمعروف ان الموحدين، كانوا يهدفون الى نشر الدعوة الوهابية التى تنادى بتنقية الاسلام من الشوائب التى علقت بمفاهيمه، والعودة الى بساطته الاولى - وكانوا يحاربون العرب وغير العرب من المسلمين، الذين يرون انهم - من وجهة نظر الموحدين - قد انحرفوا عن كتاب الله (١٢١)

وكانوا يحاربون الاتراك لا على

انهم اجانب يحتلون البلاد العربية، وانما باعتبارهم مسلمين، خرجوا على اصول الديانة الاسلامية الحقه، ومن ثم انهارت الحضارة الاسلامية في عهدهم، وتفوقت عليها حضارة الغرب الاوروبي التي تخلو الى حد كبير من الجوانب الايمانية والاخلاقية، ومحاولاتها المتكررة في غزو العالم الاسلامي بطريق او بأخر.

فاجتهد الموحدون لتصفية الادارة العثمانية من شبة الجزيرة العربية، ومحاولة تكوين وحدة سياسية منها، والتطلع الى العراق والشام وبلاد الخليج العربية[١٢٢] وبصفة عامة، كان الموحدون يسعون الى اعادة مجد الدولة الاسلامية من الناحية الدينية، معتمدين في ذلك على اساس عربي في المقام الاول[١٢٣]

وكان محمد على في الدور الثاني من سياسته، يحارب الدولة العثمانية، ايضا، ولم تكن في خطته ازالة الخلافة الاسلامية عن بني عثمان، وانما حارب الدولة لاسباب تختلف عن الاسباب التي كانت لدى الموحدين.

فكان يرى ان الدولة العثمانية، قد شابها الهرم، واستنفدت كل مواردها المادية والمعنوية، وصارت عرضة للتفكك والتمزق من جانب الدول الاستعمارية[١٢٤] وان النجاة بالعالم الاسلامي - على الاقل - تعتمد على الاخذ باساليب الحضارة الاوروبية الحديثة، حتى يتمكن هذا العالم من مواجهة الدول الطامعة فيه بذات سلاحهم، اي بالحضارة الاوروبية الحديثة نفسها[١٢٥]

وبصفة عامة كان محمد على يحارب الدولة العثمانية، ولديه رغبة اكيدة في اعادة مجد الدولة الاسلامية ايضا، لكن من الناحية السياسية، معتمدا في ذلك على كل العناصر التي تخضع للدولة [١٢٦]

وكان يرى ان مصر في ذلك الوقت هي المسئولة بحكم امكانياتها ومقدراتها، عن تكوين دولة حديثة، تضم البلاد العربية، لانسجامها من حيث اشتراكها في اللغة فضلا عن عامل الدين الاسلامي.

لكن لا يجب ان ننسى او نتناسى، ان محمد على شخصيا كانت له مطامع سياسية من وراء ذلك، منها على الاقل ان يظل حكم دولته في ذريته من بعده.

ومن هنا كان الاختلاف بين الموحدين ومحمد على، الذي كان - اي الاختلاف - من سوء حظ العالم العربي والاسلامي، لانه لو اتحد محمد على مع الموحدين، لكان من الممكن ان يعيدوا على الاقل - للعرب - مجدهم السابق، وان تتجدد الحضارة الاسلامية على اسس ايمانية واخلاقية، مع جوانب مادية حديثة ومتطورة، لاتتعارض مع جوهر العقيدة الاسلامية، خاصة اذا اخذنا

فى الاعتبار، ان الاسلام يحث على طلب العلم والاستزادة من المعرفة، حتى ولو كان اصحابها من غير ملة الاسلام(١٢٧)

على اية حال، بعد ان فشل الامير (فيصل آل سعود) فى اقناع محمد على، بالعدول عن محاربته، استنفر قومه، واعد كل ما يملك من عدد وعدة، لمواجهة عدوه، وفى الوقت نفسه، اخذ يتصل سرا، بوالى بغداد، (على باشا رضا) الذى كان يخشى هو الاخر، من تطلعات محمد على الى العراق والزحف عليه من الشام ثم الجزيرة العربية، فصار والى العراق يشجع الامير السعودى على مقاومة قوات محمد على، وافاده بانه على استعداد لمعاونته(١٢٨)

ويبدو ان الامير فيصل حقق بعض الانتصارات على اعدائه، ولكن سرعان ما تغيرت الظروف، حيث تولى قيادة الجيوش المصرية (محمد خورشيد باشا) فى مايو ١٨٣٨ بدلا من اسماعيل اغا(١٢٩)

وهنا ادرك الامير فيصل خطورة الموقف، نظرا لتولى خورشيد باشا القيادة الجديدة، فاستخدم مع هذا القائد الدبلوماسية، ريثما تصله المعونة من والى العراق، فارسل اليه اخاه (جلوى بن تركى) يرجوه عدم محاربته، وانه على اتم الاستعداد لتنفيذ كل طلباته(١٣٠)

ولكن يبدو ان محمد على، تبين ان موضوع نجد، ليس مجرد اسناد حكمه الى هذا او ذاك من ابناء سعود، وانما وجد ان الظروف وقتذاك، تتطلب من خورشيد، ان ينفذ مخطط القاهرة، لتكوين جبهة عربية قوية فى تلك المناطق، تعتمد عليها مصر للأسباب الاتية.

١ـ ان الدولة العثمانية صارت تتقرب اكثر الى الدول الاوروبية ـ خاصة انجلترا ـ للوقوف ضده ـ اى ضد محمد على ـ وعقدت مع الحكومة الانجليزية معاهدة تجارية فى ١٩ اغسطس ١٨٣٨ لابطال الاحتكارات التجارية فى ممتلكات الدولة، وكان من بينها، من الناحية الشرعية، على الاقل، حتى وقتذاك ، مصر وسوريا، وكان الهدف من وراء ذلك، مضايقة محمد على، وتضييق الخناق عليه اقتصاديا، لانه كان يحتكر تجارة الحرير فى سوريا ومعظم الحاصلات الزراعية فى مصر والسودان والبن فى اليمن

٢ـ مواجهة تزايد التدخل البريطانى فى البحر الاحمر والخليج فقد تمكنت انجلترا من أن تعقد اتفاقا مع (محسن بن فضل) سلطان لحج فى ٢ فبراير ١٨٣٨، يقضى بان يتنازل السلطان عن (عدن) للانجليز فى مقابل بعض الاموال(١٣١)، وكان الهدف من وراء ذلك هو احكام السيطرة على

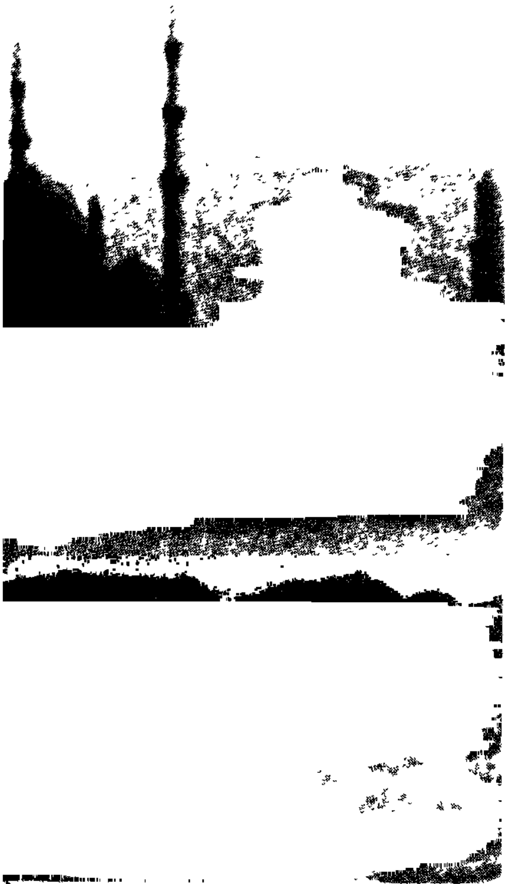
مداخل البحر الاحمر من الجنوب، حتى تقطع الصلة بين هذا البحر، الذى صار يخضع للسيادة المصرية وبين الخليج الذى اصبح محط انظار محمد على.

٣ـ لم يفت محمد على، مغزى محاصرة الممثل الانجليزى له، للاستفسار عن مشاريعه المستقبلية، وكان يدرك جيدا ان ممثلى انجلترا فى مصر والخليج بل والعراق، يطلعون رؤساءهم فى انجلترا والهند على اخبار التحركات المصرية فى هذه الجهات.

موقف الانجليز:

كانت انجلترا ترحب فى قرارة نفسها بسقوط الدرعية، وتفتيت قوة الموحدين، حتى لا يستفحل امرها، وتصبح خطرا على وجودها فى الخليج ومصالحها فى البحر الأحمر، ومن ناحية ثانية، حتى لا تتكون قوة عربية موحدة فى الخليج، مناهضة للوجود والمصالح الانجليزية [١٣٢] خاصة اذا اخذنا فى الاعتبار، ان الموحدين، كانوا يعتبرون نشاط القوة العربية البحرية فى الخليج ضد السفن الاجنبية نوعا من الجهاد

لذلك نرى ان انجلترا، لا تعترض على توسع محمد علي فى شبه جزيرة العرب على عهد الدولة السعودية الأولى، بل تحاول، سواء كان ذلك رغبة، كما يقول البعض، ام ستارا يخفى من ورائه اهدافا معينة، التعاون مع قوات ابراهيم باشا فى عام ١٨١٩، للقضاء على هذه القوة العربية البحرية فى الخليج [١٣٣]، طالما انه لم يظهر على سياسة محمد علي، حتى ذلك الوقت (١٨١٩) ما يشير الى



مضـايقتها في طرق مـواصلاتهـا الى الهند (١٣٤)

لكن حـين لاحظت اقتـراب محمد علي من الخليج، وتطلعه الى البصرة، بصـورة او بأخـرى، جن جنـونهـا، خاصة وان البحر الأحمر تحول الى ما يشبه البحيرة المصرية (١٣٥) فنظرت الى المسألة بقلق بالغ، خاصة وان دولة محمـد علي الحـديثة، صـارت تزداد توسعا وقـوة، يومـا بعد يـوم (مصر والسـودان وسـوريـا ومعـظم شبـه الجزيرة العربية) وبها من الامكانيات البشرية والاقتصادية والثقافية، مـا يجعلها تشكل قـوة لها وزنهـا دوليا، وكانت هناك فرنسا، المعروفة بعدائها التقليدي، لانجلترا، لاتـزال تتعاطف مع محمد علي وتشجعه في مشـاريعه المختلفة (١٣٦)

ومن نـاحية اخـرى، لم تستبعـد انجلترا، ان يحدث تقـارب بين مصر وايران، فقد لاحظت ان العلاقـة بين محمد علي والشاه، كانت طيبة في تلك الفتـرة (١٣٧) وقـد انعكست هــذه العـلاقة عـلى الحجاج القـادمين من ايـران والداغستان، لأداء فـريضـة الحـج، في الحجـاز، فكـانت تصـدر الأوامـر من حين لأخـر، بمعـاملتهم معـاملة طيبة وكـريمة وتـوفير الأمن والطمأنينة وسبل الراحة لهم في مكة او المدينة في غدوهم ورواحهم (١٣٨)

ولا شك ان هؤلاء الحجاج، كانوا ينقلون صورة هذه المعاملة الى الأهالي في بلادهم، الأمر الذي ترتب عليه أن ازدادت سمعة «محمد علي» في الشرق الاسلامي.

لذلك رأت انجلتـرا، انــه اذا تم تعاون بين مصر وايران، فإنـه يزيـد المشكلة تعقيـدا، بـالنسبـة لأمـن المصالح البريطانية، ليس في الخليـج فحسب، بل في الشرق كله (١٣٩)

فصـارت تـرقب وتـرصـد وتحلل التحركات المصرية في شرق الجزيرة العربية، من واقع التقارير، التي كان يرفعها، المسئولون البريـطانيون في الخليج ومصر والعراق، فمثـلا ارسل المقيم البريطاني في بغـداد كولونيـل «تايلور» الى مستر «بالمرستون» وزير الخـارجية البريطانية، في اواخر نوفمبر ١٩٣٧، يفيـده عن تحركـات القوات المصـريـة في نجـد، وتقـدمهـا نحـو الاحسـاء والقطيف، للاستيـلاء على البحرين، وطارت اشاعـة ان القوات المصرية، تشمل عددا اكثر مما كـان معروفا في البداية، فـأرسل «هينـل» المقيم البريطاني السياسي في الخليج احد الطرادات الى البحرين، برسالة عاجلة الى الشيخ عبدالله بن احمد، وبرسالة اخرى الى الوكيل البريطاني هنـاك، للافـادة عن صـحـة هـذه الاشـاعة، وعن التحـركات المصـرية عموما، وتضمن رد حـاكم البحرين، بأن القوات المصـرية التي هـاجمت

الرياض تتألف من الف فارس والف من المشاه، وان هذه القوات وصلت الى ما وراء مدينة الرياض بمسيرة سبعة ايام او ثمانية، اما وكيل المقيم البريطانى فى البحرين، فقد حدد عدد القوات الراكبة بألف وخمسمائة، والمشاه بنحو خمسمائة، بقيادة اسماعيل أغا، وكان مع القوات اثنا عشر مدفعا من طراز مورتر، تحت اشراف «راشد باشا» وذكر ان قوات الاحتياط، كانت ترابط فى القطيف وتتألف من ٨٠٠٠ خيال بقيادة خورشيد باشا، وفى جميع المناطق الواقعة بين الرياض والمدينة، توجد حاميات عسكرية، مما يدل على ان هذا الجيش، يعتزم البقاء بصفة دائمة فى البلاد، واضاف الوكيل، ان الشيخ عبدالله بن احمد، كان قلقا من الهدف النهائى للحملة، وان اكثر ما يخشاه، ان يقوم تعاون بين محمد علي وسلطان مسقط، وذلك لاحتلال البحرين عن طريق الاسطول العمانى [١٤٠].

وفى اول ديسمبر ١٩٣٧، وصل الى «بالمرستون» تقرير آخر من الضابط «لينش» فى بغداد، يشير هو الآخر، الى مواصلة القوات المصرية زحفها صوب ساحل الجزيرة الشرقى، ويحلل «لينش» فى تقريره الموقف بقوله، ان من الصعب تحديد صورة الاوضاع الراهنة فى تلك المنطقة، ويمكن القول، انه لا توجد قوة، فيها، تستطيع التصدى لمحمد علي، او تضع حدا لمحاولته الرامية الى الاستعانة بالقبائل العربية فى العراق، لتحقيق اهدافها، ويرى ان التحركات المصرية، تتطلب اتخاذ قرار فورى، بشأن مصير الدولة العثمانية، ومدى تأثر المصالح الانجليزية المباشرة فى الهند، اذا استولى محمد علي، على مصبات انهار العراق وموانىء الخليج، فضلا عن سواحل البحر الأحمر، التى سمح له للأسف الشديد، كما يقول لينش باحتلالها، فقد كان من مصلحة محمد علي ان يستولى على هذه المناطق جميعها، لأن ذلك يعتبر امرا حيويا بالنسبة له فبجانب تدعيم موقفه، يمكنه ان يتحدى بريطانيا [١٤١].

فاضطر وزير الخارجية البريطانية، ان يرسل الى القنصل البريطانى العام فى مصر، المستر «كامبل» في ٨ ديسمبر ١٨٣٧، ليستفسر من محمد علي، عن وجهة الحملة المصرية، وهل تنوى التقدم الى الخليج، والتدخل فى شئون بلاده، خاصة البحرين، وكان رد محمد علي، انه لا يفكر فى مد نفوذه على بلاد الخليج العربية، لأن محمد علي، كان يدرك مغزى هذه الاستفسارات وان القصد منها، هو معرفة خططه، وربما الضغط عليه للاقلاع عنها.

ويبدو انه كان على وعى جيد، فرأى ان انجلترا لن تكون متساهلة معه، وتسمح له، بالاستيلاء على الخليج،

كما حدث بالنسبة للبحر الأحمر، الذى خرج من قبضتها، بعد ان نشطت شركة الهند البريطانية فى تعاملها التجارى مع اهالى البلاد التى تشرف عليه (١٤٢).

ومن ناحية اخرى، لما كانت قوات خورشيد، تضيق الخناق على الموحدين، وتحاصرهم فى «دلم» (وهي من مدن اقليم الخرج بمنطقة امارة الرياض) ووجود ضغوط مصرية اخرى على العراق من جهات الشام، فقد ارسل السفير البريطانى «بونسنبى» فى ٣٠ اكتوبر ١٨٣٧ الى وزير الخارجية البريطانية «بالمرستون» يشير الى ان تقدم قوات محمد علي فى الشام، يحقق حلمه فى نهرى دجلة والفرات، والخليج، مما يؤثر على المصالح الانجليزية فى الهند بشكل مباشر (١٤٣).

والمعروف ان انجلترا كانت تولى اهتماما خاصا للأنهار التى تقع فى مستعمراتها، او التى توصل اليها، وذلك لانسياب الحركة التجارية وانعاشها، والتحكم فى مسار تلك الانهار بمفردها، حتى تستطيع ان يظل نفوذها فعالا عليها، فمثلا ارسلت بعثة استطلاعية برئاسة الكولونيل «شيزنى» (١٨٣٤ ـ ١٨٣٦) لدراسة مدى صلاحية انهار دجلة والفرات والدجيل «الكارون» للملاحة البخارية، وأجرت اتصالا مع الشيخ «جابر» امير المحمرة، للحصول على موافقته باستخدام نهر الدجيل «الكارون» للملاحة البخارية الانجليزية (١٤٤).

فحين اشارت تقارير ممثليها، بأن قوات محمد علي، سواء فى شرق الجزيرة العربية او فى الشام، تشكل خطورة، على طرق مواصلاتها الى الهند، زاد قلق الحكومة الانجليزية من نوايا محمد علي، ومشروعاته التوسعية، وباتت تعمل حساب ذلك، وصار تطلعه الى الخليج يشكل عبئا جديدا لسياستها الخارجية، بجانب عبء المقاومة، ضد روسيا، التى كانت تتطلع هى الأخرى اليه، للوصول الى الهند، وضرب الوجود الانجليزى فى الشرق

فتحرك بالمرستون، وطلب من المستر كامبل فى القاهرة، ان يبلغ محمد علي بأسلوب مغلف بالضغط، ان الحكومة البريطانية، لا يمكنها ان تقف مكتوفة الأيدى، ازاء تطلعات محمد علي في الخليج والعراق (١٤٥).

وعندما دار الحديث بين محمد علي وكامبل، حاول محمد علي ان ينفى عن نفسه بأن له اطماعا فى العراق، وأما بالنسبة للخليج فقد اجاب محمد علي بأنه ليس من حق كامبل، التدخل فى هذا الموضوع، وان البلد الوحيد الذى يحق له التحدث فى ذلك، هو حكومة مسقط، وانه ـ اى محمد علي ـ يكن كل الاحترام والمودة لحاكمها السيد

سعيد، خاصة وانه اعلن عن رغبته فى ادخال الاصلاحات الحديثة الى بلده، وبالتالى فإن احتلاله - محمد علي - لسقط، حتى لو تسنى له ذلك، فإنه لن يعود عليه بفائدة، لأن هذه البلاد تتمتع بحكم مستنير (١٤٦).

والواقع ان هذا الرد من جانب محمد علي، يحتاج الى مزيد من التحليل، فكان محمد علي يرى:

١ - ليس من حق الانجليز، ان يتكلموا ويتدخلوا فى شئون الخليج، باعتبار ان هذه القضية مسألة داخلية، وفى الامكان معالجتها - ان وجدت - دون تدخل من الخارج.

٢ - كان هذا الرد منطقيا الى ابعد الحدود، ويحمل فى طياته اتهاما مباشرا للانجليز الذين يقحمون انفسهم فى المنطقة لحاجة فى نفوسهم.

٣ - ليس الهدف من تطلعات محمد علي للخليج السيطرة او الاستعمار، وانما الهدف هو ادخال التنظيمات الحديثة، على بلاده العربية، كما صار يطبقها فى مصر والشام والحجاز والسودان.

٤ - وجود محمد علي فى الخليج، لن يفيده اقتصاديا، بقدر ما يفيد هو الخليج من ادخال المدنية الحديثة اليه.

٥ - تطلبت الضرورة من محمد علي، ان يضم بلاد الخليج العربية، بصورة او بأخرى فى وحدة واحدة، وربطها مع دولته، لابعاد الخطر الانجليزى عنها، وحتى لا تتحول الى هند اخرى.

لذلك عندما اخذت قوات خورشيد، تحرز الانتصارات على قوات الموحدين، واستسلم الأمير فيصل آل سعود الذى خذله والى العراق، حيث لم يرسل له الامدادات العسكرية والمعونة، التى سبق ان وعد بها (١٤٧) وبدلا من ذلك، ارسل اليه قبطان البصرة الحاج محمد قبودان (تركحة بيلمز) رسالة لا تتضمن اكثر من كلمات الاستنكار والشجب والتأييد المعنوى (١٤٨). لم يتردد محمد علي، فى ابلاغ الممثل الانجليزى فى القاهرة، بما وصلت اليه الأمور فى شبه الجزيرة العربية، فأخبره فى نهاية الأسبوع الثالث من مايو ١٨٣٨، ان قواته، صارت تسيطر على نجد، واخضعت شبه الجزيرة العربية، من مكة والمدينة الى الخليج، وان الأمير «فيصل بن تركى» اعترف بالولاء لحكومة القاهرة، واشترك فى مقاومة هؤلاء الذين لم يطيعوه، وتعهد بتقديم مساعداته ازاء القبائل فى عسير، بل وبإخضاع البصرة لحكمه اذا كان - اى محمد علي - راغبا فى ذلك (١٤٩).

وان دل هذا الأمر على شيء، فإنما يدل على ان محمد علي، بات يتكلم من موقع القوة، وان انتصاره فى شرق الجزيرة، اضاف اليه كسبا جديدا وزيادة فى انتشار سمعته، ليس فى

الخليج فحسب وانما فى العالم الاسلامى، وكان على انجلترا ان تعمل حسابها بدقة لتلك القوة الجديدة.

الموقف بعد سقوط دلم:

الواقع ان فترة حصار «دلم» كانت فترة عصيبة بالنسبة لخورشيد، فقد نفدت منه المواد التموينية او اوشكت على الانتهاء، وتقلصت كميات الذخيرة الى حد كبير، وصارت الأموال التى لديه قاصرة عن تغطية نفقات الجنود، فتطلبت منه الضرورة ان يستعجل النظر الى الاحساء والبحرين والكويت والبصرة والساحل العمانى ومسقط، اى الى بلاد الخليج العربية ـ ككل ـ للاعتبارات الآتية

١ ـ الحصول على المواد الغذائية من تلك البلاد للقوات المسلحة

٢ ـ كانت قوة محمد علي قد وصلت فى تلك الفترة الى درجة تمكنه من ربط هذه البلاد او ضمها الى الدولة الحديثة

٣ ـ ربما تحدث ردود فعل مضادة، خاصة من قبل انجلترا، التى صارت تضيق ذرعا من تصاعد اسهم محمد علي فى العالم الاسلامى، فأراد محمد علي، ان يستعجل ويرتبط، وهو على تلك القوة التى كان عليها، مع بلاد الخليج العربية، بصورة او بأخرى، حتى يجعل كلا من انجلترا والدولة العثمانية امام الأمر الواقع

فبعد هزيمة «عمرو بن عفيصان» عامل السعوديين فى الاحساء، وقبوله كلاجىء سياسى لدى الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة حاكم البحرين [١٥٠] صار هذا الاقليم مفتوحا امام خورشيد للسيطرة عليه ولينطلق منه الى الخليج.

فأستاذن هذا القائد حكومة القاهرة، بأنه يستعد لضم الاحساء وذلك بإعداد بعض الجنود وارسالهم قبل فوات موسم الشتاء، لان الطريق خلو من الماء، واضاف ان ميناء القطيف على مقربة من هذه الجهات، ومن ثم فهو فى حاجة الى سفينتين صغيرتين من السفن الموجودة فى جدة، وذلك لتسهيل جلب الذخيرة من جهتى البصرة والكويت، لشدة حاجة الجيش المصرى اليها [١٥١].

كما اوضح خورشيد لحكومته، خطورة الانجليز فى الخليج ومحاولاتهم الاستقرار فيه، ليصدوا التطلع الروسى الى فارس والخليج، حتى لا يتمكن الروس من الوصول الى الهند، عن طريقهما، وركز خورشيد حديثه حول البحرين، فبجانب مواردها الاقتصادية المتعددة من مصايد اللؤلؤ ومعادنها مثل سبائك الذهب الى بساتينها ونخيلها واشجارها وتمورها ومزارعها، بالاضافة الى مياه ينابيعها وعيونها العذبة [١٥٢] فقد وصفها خورشيد

بـأنها بمثـابة مفتـاح الخليـج، واذا استولت انجلترا عليها، فإن الجزيرة ستصير مثل جزيرة مالطة فى غضون خمس عشرة سنة (١٥٣).

وفى الوقت نفسه، كان خورشيد قد ارسل مندوبا الى زعماء اهل الاحساء يدعوهم الى الدخـول فى دائرة نفـوذ محمد علي، فـأسرعـوا بالاستجـابة، معبرين عن ولائهم لحكومة القاهـرة، وبهذا صارت الاحسـاء، كنجد تحت اشراف خورشيد (١٥٤).

وكان محمد علي فى هذه الفترة يقوم بزيارة للسودان، ليشاهد على الطبيعة مدى ما وصلت اليه البلاد من تقـدم اثر تطبيق النظم الحديثة فيها واناب عنه فى القاهرة «عباس بـاشا»، الذى اجاب خورشيد على مكاتبته السابقة (٢٠ ديسمبر ١٨٣٨) بأنه يفضل منح الاحساء الأمان والتقدم اليها سلما، والموافقة عـلى ارسال سفينتـين الى القطيف، طالما كان من المتعذر ارسال المؤن عن طريق المدينة المنورة (١٥٥)

وكان خورشيد من جانبه قد بدأ فى تنفيذ سياسة محمد عـلي الرامية الى الاصلاح وتطبيق الأساليب الحديثة المتـطورة، للنهـوض بـالبـلاد، التى ارتبطت بحكومة القاهرة، فعين «محمد افندى رفعت» حاكما على الاحسـاء، ليقوم بهذه المهمة. ويدبر اموره حتى وصـول السفن الصغيرة التى وافق عليها عباس باشا (١٥٦)

لكن سرعان مـا حدثت تـطورات دولية، اجبرت عباس باشا، على عدم ارسـال السفن الشراعيـة الى ميناء القطيف ، الأمر الذى جعل خورشيد يستشيـط غضبـا، نـظرا لحـاجتـه الشديدة الى الذخيـرة، فكتب بلهجة شديدة الى عباس باشا، يستفسر عن عدوله عن ارسال السفن، حتى يكيف نفسـه مع الظروف التى يعيشهـا فى شرق الجزيرة (١٥٧)

والحقيقة ان خورشيد كان معذورا فى كتـابتـه الى عبـاس بـاشـا، بتلك الطريقـة، ولعله لم يـكن يـدرى ان الأمور فى الشام، كانت تزداد خطورة يوما بعد يوم، خـاصة بعـد ان عقد الباب العالى مجلسا حربيا، قرر فيـه تجهيـز جيش بقيادة «حـافظ بـاشا» لمنـازلة محمد عـلي، وتدخـل فرنسـا وانجلتـرا والنمسـا، لمنـع السلطان العثمـانى من تنفيذ ذلك، خـوفا من تدخل روسيـا، استنادا الى معـاهدة «هنكار اسكلسى» المبرمة بينها وبـين الدولة العثمانية فى ٨ يوليو ١٨٣٣.

وحين شعر «عباس باشـا» بمغبة الأمـور، ارسـل الى محمـد عـلي فى السودان يخبره بتلك التطورات، فعاد الأخير مسرعا الى القاهـرة فى مارس ١٨٣٩، ليقف بنفسـه على مجـريات الأمور (١٥٨)

ويبدو ان خطورة الموقف فى الشام، تطلبت من محمد علي، ان يركز نشاطه

السياسي والحربي هناك. فحاول الرجل ان ينال ضمان الدول الأوروبية لمعاهدة كوتاهية، ثم معاونتها له للمفاوضة مع الباب العالي. وكان في الوقت نفسه يعزز من قواته التي احرزت نصرا ساحقا على قوات السلطان بقيادة حافظ باشا في «نصيبين» غرب نهر الفرات. رغم تحصينها الذي اشرف عليه الالمان الذين كانوا يعملون في خدمة الجيش العثماني (١٥٩)

ومن ناحية اخرى. كتبت القاهرة الى خورشيد في الميدان الشرقي. توضح له تلك التطورات. وعدم قدرتها على ارسال السفن الشراعية الى ميناء القطيف بسبب موقف الانجليز المتشدد ضد السياسة المصرية (١٦٠)

ويرى ان مسالة اقتراب الوجود المصرى من الخليج والعراق. كان السبب الرئيسي في تحرك انجلترا المتزايد. فاحتلت بالقوة العسكرية عدن في ١٨ يناير ١٨٣٩، لتتحكم في مداخل البحر الأحمر من الجنوب، ولتحول دون اى اتصال مصرى بحرى منه الى الخليج. وبدات تفكر في ارسال سفن مسلحة الى البصرة لابعاد اى نفوذ مصرى عنها (١٦١)

موقف الدولة العثمانية :

يتطلب الانسجام التاريخي ، ان نطرح اولا سؤالا هو هل كانت توسعات محمد علي ، نوعا من الاستعمار ، الذي كانت تمارسه الدول الاوربية منذ بداية العصر الحديث ، ومن ثم صارت مصر ، في موضع الدول المتنافسة ، شأنها في ذلك شأن فرنسا مثلا ، ام ان المسألة كانت لها ابعاد اخرى .

الملاحظ من سير الاحداث ، ان سياسة محمد علي ، لم تتجه الى تكوين مستعمرات في الخارج ، وانما اتجهت الى تحقيق مشروع وحدوي كبير وهذا فرق واضح بينها وبين سياسة الدول الاوربية التي كانت تتجه الى تمزيق وتفتيت الكيانات الكبيرة

فقد انحصرت معظم توسعات محمد علي في حدود الدولة العثمانية ، التي لم ينكر - هو سيادتها الشرعية عليه - وادخال المدنية الحديثة اليها لتقاوم المطامع الاجنبية بذات سلاح تلك المدنية وفي الوقت نفسه الاستفادة من التقدم الاوربي ، مع المحافظة على جوهر الدين والتراث الاسلامي ، وكان - أي محمد علي - قد وافق على ان تستفيد مصر من خدمات جماعة «سان سيمون» في مشروعاتها المختلفة ، حتى يتمكن من ان ينهض بها على اسس حديثة

أي ان المسألة كانت داخلية بحتة ، والهدف منها ، بغض النظر عن مطامعه هو الذاتية ، العمل على تحديث ولايات تلك الدولة، وتطلبت الظروف ان تتسع نظرة مصر ، وقد وصلت الى درجة من القوة الى تلك البلاد التي تشاركها في اعتناق الاسلام واللغة ، لتحميها من

الدول الاستعمارية المتربصة بها .

هذا في الوقت الذي نظر فيه الخليفة السلطان ، الى توسعات محمد علي ، على انها حركة انفصالية ، وكان في امكانه التفاهم معه ، بصورة او بأخرى ، ومن ثم يستفيد من مصر في تقوية دولة الخلافة نفسها ، ولكنه أي السلطان ركب رأسه وعزت عليه نفسه ، ان يرفع احد ولاته راية التمرد ضد الدولة العلية ، فأتاح الفرصة للتدخل الاجنبي في نزاع داخلي .

ومع ذلك نرى ان القضية كانت لها ابعاد اخطر من التدخل الاجنبي ذاته ، فنعتقد ان الهدف منه هو تفتيت أية وحدة عربية اسلامية ، خاصة اذا كانت قائمة من مصر ، فإذا كان القرن التاسع عشر قد شهد صحوة اسلامية هنا او هناك فان الغرب الاستعماري بأساليبه المختلفة لم يقف امامها مكتوف الايدي او يسمح بأن يتكرر تاريخ صلاح الدين الايوبي بطريقة او بأخرى ، فموقف انجلترا المتشدد من مصر الاسلامية الصاعدة والحالة هذه لا يدعو للدهشة ، وانما الدهشة تأتي من موقف الدولة العثمانية نفسها .

فالواقع ان تلك الدولة ، ارتكبت سلسلة من الاخطاء الفادحة منها

اولا مع الموحدين الذين نجحوا الى حد كبير في حركة توحيد شبه الجزيرة العربية وفرضوا عليها اسلوبا جديدا في الحياة والحكم ، ترتب عليه ان اخذ الناس يغيرون من سلوكياتهم القديمة ، وقد عبر عن ذلك الامير «عبدالله بن سعود» حيث كتب الى محمد علي يقول .

«اننا جاهدنا الاعراب حتى أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة ، والزمناهم صيام رمضان وحج بيت الله الحرام ومنعناهم من ظلم العباد والسعي في الارض بالفساد ومن قطع سبل المسلمين»(١٦٢)

وارسلت اليهم - أي الدولة العثمانية - محمد علي ، ليكسر قوتهم ، التي كان من الممكن ان تحد من نشاط الوجود الانجليزي في الخليج .

وثانيا لعدم تفاوضها مع محمد علي ، والوقوف معا ضد مطامع الدول الاستعمارية ولم تأخذ من مسألة الجزائر مؤشرا لبداية سقوط املاكهابالتدريج في قبضة اعداء الاسلام

فكان تمسك السلطان العثماني بكرسي العرش ، قد اعماه عن رؤية الحقيقة ، وهي ان اعداء الاسلام والمسلمين ، لن يرتاحوا لقيام قوة اسلامية ، ويعتبرونها في اي مكان خطرا عليهم ومن ثم يجب القضاء عليها .

والغريب حقا ، ان زعماء العالم الاسلامي ، وقتذاك لم يدركوا كنه سياسة الدول الاوربية - ككل - فرغم وجود عداوات بينها في بعض الاحيان الا انها سرعان ما كانت تضرب بعداواتها عرض الحائط وتنسى خلافاتها ، وتلتقي سياساتها في خط واحد ، لمناصرة احد شعوبها ، ضد الحكم الاسلامي ، فمثلا

تضامنت بعض الدول الاوروبية ، بغض النظر عن مذاهبها الدينية المختلفة ، ضد الحكم العثماني في اليونان عام ١٨٢٧ ، وعقدت في لندن بروتوكولا في ٣ فبراير ١٨٣٠ ، تقرر بمقتضاه ان تصير اليونان دولة مستقلة رغم انف الدولة العثمانية

فكانت البلاد الاسلامية او على الاقل البلاد العربية في حاجة ماسة الى وجود مثل هذا التضامن ، للتصدي للاخطار المحدقة بها من جانب الدول الاوربية

ولما كانت الدولة العثمانية قد وصلت الى هذه المرحلة من الضعف سواء في جهازها الاداري او قواتها العسكرية، وكانت مصر الاسلامية، في امكانها، ان تكون وحدة قوية - على الاقل - من البلاد العربية، لانسجامها من حيث اللغة والعادات والتقاليد والتاريخ، وكانت لا ترى بأسا من ان تظل في اطار دولة الخلافة العثمانية، فهل من المنطق، ان تنساق وراء اعداء العرب والمسلمين، ويردد ان محمد على، كان هدفه من توسعاته، الاستعمار، ام ان الرجل بذكائه وبعد نظره، رغم انه غير عربي، كان هدفه التعمير(١٦٣) والتصدي لمطامع الاستعماريين الاوربيين

ولعل ما جاء في تقرير (جون بورنج) الذي حضر الى مصر عام ١٨٣٧، وكتب عن احوال البلاد ما يؤيد رأي الباحث، فقد جاء في ذلك التقرير، (. كل من ينعم النظر في محاسن مصر من دخل وفير ومحصولات جديدة، وقيام سياسة التسامح وانتشار التعليم وادخال فنون الحرب البرية والبحرية وتحسن المواصلات والعمل على تأمين السائحين. واحترام السلطات ومسلك الباشا نفسه، يستطيع ان يطنب في مزايا هذا الجانب المضيء . ولو حكمنا على احوال الشعب بمقياس حضارتنا وطبقا لنوازع الخير الذي يدعو اليها الدين المسيحي، لوجدناها جديرة بالأسى . غير اننا اذا وازنا بين ما تم في مصر بعد كفاح في سبيل الاصلاح وما تم في اي بلد اسلامي اخر، انتهينا الى نتائج على اكبر جانب من الفائدة والاهمية(١٦٤)

محاولة خورشيد لتكوين وحدة من بلاد الخليج العربية:

تطلبت الامور من خورشيد، ان يبرهن لمحمد علي، وهو في تلك الظروف، انه جدير بتكليفه بمهمة فتح تلك الجهات، وتكوين وحدة منها، وربطها او ضمها الى حوزة الدولة الحديثة بشكل او باخر، وذلك بان يسرع في اجراء عمليات التنسيق والحوار مع الزعماء العرب، على الساحل الغربي للخليج

والواقع ان مسألة تطلع خورشيد الى بلاد الخليج العربية، أثارت عدة اراء لدى المؤرخين، فهل كانت بناء على خطة مرسومة في القاهرة ام ان الظروف هي التي دعت خورشيد، ان يقوم بتحركاته

صوب الخليج العربى،

فيرى البعض ويرجح، ان المسألة كانت وليدة الظروف التى واجهت الحملة المصرية فى نجد، ويستندون الى اصرار خورشيد على الوصول الى بلاد الخليج العربية شمالا وجنوبا من البحرين، وفى الوقت نفسه لا ينفون فكرة ضرورة التواجد المصرى فى تلك الجهات منذ سقوط الدرعية(١٦٥).

والواقع ان مسألة الظروف لا تتعارض على الاطلاع مع وجود الفكرة اساسا فى سياسة القاهرة، فالمعروف تاريخيا، ان محمد على، كان يرسل قواته الى الجهة المراد فتحها، دون وضع خط جغرافى محدد او نقطة معينة، للوقوف عندها، فى بداية الامر، وانما كانت تحكم القادة، اعتبارات اخرى غير ذلك، فمثلا، حين تقدم الجيش المصرى لفتح السودان، لم تكن هناك نقطة محددة، للتوقف عندها، وكذلك الحال فى شبه جزيرة العرب، طالما لم تكن هناك عقبات، تدعو للتوقف، واذا كانت القوات المصرية قد انسحبت من الاحساء فى عام ١٨١٩(١٦٦)، ولم تكمل جولتها صوب الخليج، فقد حدث ذلك بناء على ظروف واعتبارات سبق واشرنا اليها.

اما فى هذه الجولة الثانية، فان الظروف تختلف كلية عن ظروف الجولة السابقة، فكان الهدف فى هذه المرة، هو تكوين جبهة قوية، تكون قادرة على صد المطامع الاستعمارية، وذلك بضم بلاد الخليج العربية، التى يمكن ان يفتحها قادة جيوش محمد على، سواء سلما او عن طريق القوة العسكرية، فكانت المسألة اذن، تتوقف على تقدير هؤلاء القادة، وان مهمة القاهرة فى كل الاحوال، هى ابداء المشورة، من منطلق ظروفها، والامداد بالتموين والسلاح.

لذلك نعتقد ان خورشيد باشا، جاء الى نجد وفى ذهنه فكرة الوصول الى بلاد الخليج العربية، لاكمال الدولة التى رسمها محمد على فى خطته السياسية ولوضع حد للتدخل الانجليزى المتزايد فى شئون تلك البلاد، وتدخل المسئولين الانجليز انفسهم فى ايجاد الحلول حول نزاعات المشايخ، وكانوا فى الحقيقة يرمون الى تمزيق المنطقة الى كيانات صغيرة وضعيفة(١٦٧)

وكان زمن الوصول الى تلك الجهات، يتوقف على ظروفه هو - اى خورشيد - من حيث وفرة مواد التموين والذخيرة، مع افادته القاهرة عن خطواته اولا بأول

ومن ناحية اخرى فان محمد على نفسه، لم يهمل مسألة الخليج، لاهميته فى تكوين دولته، رغم كل الظروف القاسية التى مر بها، وانما كانت هناك اولويات فى تنفيذ خططه السياسية، اجبرته الظروف والفائدة على اتباعها، والدليل على ذلك، انه رغم انشغاله فى حروب المورة، تدخل على الفور لمعالجة المشاكل بين سلطان مسقط ووالى العراق كما سبق واشرنا اليه.



على اية حال ف الوقت الذى اشتدت فيه الازمة بين محمد على والسلطان (عبدالمجيد) ووضح للعيان، ان محمد على، صارت له الكلمة العليا ف الدولة العثمانية، خاصة بعد ان سلم الاسطول العثمانى بقيادة (احمد باشا فورى) نفسه لمحمد على ف مياه الاسكندرية بحجة ان استاسول اصبحت خاضعة لروسيا[١٦٨]، كان خورشيد ف شرق الجزيرة ينفذ سياسة القاهرة الرامية الى اصلاح البلاد وراحة العباد[١٦٩]، من ناحية، ويعمل على فتح قنوات الاتصال مع بلاد الخليج العربية للارتباط مع حكومة محمد على من ناحية أخرى، فكان ان توصل الى عقد (اتفاقية تعاون) مع حاكم البحرين ف اواخر مارس ١٨٣٩[١٧٠] ومن البحرين التى كانت تشكل ف نظرة - اى خورشيد - اهمية خاصة، نظرا لموقعها الاستراتيجى ف قلب الخليج، ومواردها الاقتصادية المتنوعة، بجانب امتلاكها اسطولا بحريا ممتازا، وفوق كل هذا وذاك تربص الانجليز وبعض القوى المحلية بها، امتدت تطلعاته منها الى الجنوب (الساحل العمانى ومسقط) والى الشمال (الكويت والبصرة)، وقد تمكن من ان يربط بعض هذه البلاد، بشكل او باخر مع دولة محمد على، وكان ف طريقه الى ان يكون منها - اى بلاد الخليج العربية وحدة سياسية، تشكل الاقليم الشرقى لتلك الدولة، وبالتالى كان من الممكن ان يصير الخليج العربى كالبحر الاحمر ف قبضتها، خاصة وان العلاقات كانت ودية بين محمد على وشاه ايران ف ذلك الوقت

ولعل ايران كانت ترحب بوجود محمد على ف الخليج، نكاية ف انجلترا التى كانت تتدخل ف امورها الداخلية من حين الى حين، من جانب، ولاشعار روسيا، التى كانت تتطلع اليها، بوجود قوة اسلامية قوية ف الخليج من جانب اخر

ولكن سرعان ما تصادمت هذه الخطوات الوحدوية مع السياسة البريطانية، التى كانت تخشى على مشروعاتها فى الخليج ومصالحها فى الهند، فكان ان ازدادت - انجلترا - تقاربا مع الدولة العثمانية، ومع بعض الدول الاوروبية، خاصة النمسا، التى كانت تتشدد فى الحفاظ على النظم القديمة، وتمكنت انجلترا من تحطيم محمد على وابادة دولته عن طريق معاهدة لندن (١٨٤٠) وكانت القوات المصرية تنسحب للمرة الثانية والاخيرة من الجزيرة العربية، تاركة ساحة الخليج العربى للنفوذ الانجليزى،

وهكذا فشلت تطلعات محمد على للخليج العربى، بسبب موقف السياسة البريطانية اولا، وبسبب قصر نظر الدولة العثمانية وضعفها ثانيا.

ولكن رغم فشل التجربة، الا انها كانت على اى حال، بادرة لا بأس بها، احدثت شيئا من اليقظة الفكرية والوعى السياسى، كانت البلاد فى حاجة اليهما، وصارت بلاد الخليج العربية، رغم سقوطها فى قبضة الحماية البريطانية، تتلمس الطريق الى ايجاد نوع من الوحدة او الاتحاد يضم شملها

الهوامش

١ ـ يشكل البحر الاحمر الذراع اليسرى للمحيط الهندى
٢ ـ د محمد متولى ود محمود ابو العلا جغرافية الخليج ـ الخليج العربى وخليج عمان ودول شرق الجزيرة العربية ـ ص١١ وما بعدها ـ الكويت ١٩٨٢
٣ ـ د محمد رشيد الفيل الاهمية الاستراتيجية للخليج العربى ص٣٦ ، الخليج العربى فى مواجهة التحديات «محاضرات الموسمين الثقافيين السابع والثامن ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥» مطبوعات رابطة الاجتماعيين بالكويت .
٤ ـ د محمد متولى ود محمود ابو العلا مرجع سابق ص ١٥ ـ ١٦
٥ ـ للمزيد عن العلاقات التجارية خاصة فى العصور الوسطى أنظر
د أحمد عبدالحميد الشامى العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الاقصى واثر ذلك فى بعض الجوانب الحضارية فى العصور الوسطى ـ القاهرة ١٩٧٨ »
٦ ـ جذب موقع الخليج الاسكندر الأكبر فى القرن الرابع قبل الميلاد ، ليقوم بحملة عسكرية ، لغزو جنوب العراق وايران والسند ، وكذلك جذب موقعه بالاضافة الى نشاطه التجارى ، دولة البرتغال فى بداية القرن السادس عشر ، لتسيطر عليه وتحرمه هذا النشاط ، وذلك بتحويل تجارة الشرق الى أوروبا عن طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الاطلسى ، الأمر الذى ترتب عليه ان تفتحت عيون الدول الاوربية على الخليج العربى ، خاصة انجلترا ، لكونه احد الطرق المؤدية الى الهند
٧ ـ تأسست شركة الهند الشرقية «الانجليزية» بقرار صدر من الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا فى ٣١ ديسمبر ١٦٠٠ ، تضمن منح تلك الشركة امتياز التجارة فى الهند والشرق ، وتعود علاقتها بالخليج منذ أيامها الأولى فى الهند ، فصارت لها وكالات فى ايران (١٦١٦) والعراق والخليج العربى ، تحولت فى القرن الثامن عشر الى معتمديات ترعى الشئون السياسية ، الى جانب النشاط التجارى للشركة ، وصار ممثلوها فى البلاد يحملون صلاحيات القناصل

ومراكزهم ، وكانت الشركات البريطانية وغيرها من الشركات الأوربية ، مقدمة للاستعمار ، فقد ورثت الحكومات الأوربية هذه الشركات ، ومن ثم فرضت الاحتلال رسميا على مستعمراتها ، ونرى هذه الصورة واضحة في آسيا وافريقيا ، أنظر

د صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي « القاهرة ١٩٧٤ »

د شوقي الجمل تاريخ كشف افريقيا واستعمارها « القاهرة ١٩٧١ »

— Cambridge History of India vol. 1—V- edited by Dodwell- H.H- Combridge 1929.

— Panikar- K.M : Asia and Western. Calcutta 1953

٨ ـ للمزيد أنظر

د. صلاح العقاد معالم التغير في دول الخليج العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ـ جامعة الدول العربية

٩ ـ للمزيد أنظر

د عبدالكريم غرايبه قيام الدولة السعودية العربية «القاهرة ١٩٧٤»

١٠ ـ د حسين مؤنس الشرق الاسلامي في العصر الحديث ص١٩٢ وما بعدها

١١ ـ للمزيد أنظر

د. عبدالرحمن الجبرتي عجائب الآثار في التراجم والأخبار حـ ٤ ص٩٧ وما بعدها «القاهرة ١٣٢٢هـ»

١٢ ـ دفتر رقم (١) معيه تركي ، وثيقة رقم (٥) بتاريخ ٨ شوال ١٢٢٢ هـ (الموافق ٩ سبتمبر ١٨٠٧) م دار الوثائق القومية بالقلعة ـ القاهرة

١٣ ـ دفتر رقم (١) معيه تركي ، وتيقة رقم (٧) بتاريخ ١١ محرم١٢٢٣ هـ (الموافق ٩ مارس ١٨٠٨) م

١٤ ـ وصف الجبرتي ، موكب الاسرى البريطانيين في القاهرة ، بعد هزيمتهم في معركة رشيد في ٣١ مارس ١٨٠٧ ، وصفا رائعا ، انظر ، حـ٤ ص ٤٧ وما بعدها ، مرجع سابق

١٥ ـ دفتر رقم (١) معيه تركي ، وتيقة رقم (٧٠) بتاريخ ٩ شعبان ١٢٢٦ هـ (الموافق ٢٩ اغسطس ١٨١١) م

١٦ ـ د السيد رجب حراز ، المدخل الى تاريخ مصر الحديث ص٢٤٩ وما بعدها «القاهرة ١٩٧٠» م

١٧ ـ حتى يكسر محمد علي تلك الزعامات ، نفى عمر مكرم نقيب الأشراف الى دمياط في ١٢ أغسطس ١٨٠٩ ، ودبر مذبحة القلعة في أول مارس ١٨١١ للتخلص من زعماء المماليك ، أنظر

الجبرتي ، مرجع سابق حـ ٤ ، ص٩٧ وما بعدها

١٨ ـ يلاحظ ان المغرب الاقصى «مراكش» لم تخضع للدولة العثمانية ، وظلت مستقلة الى ان سقطت في قبضة الاحتلال الاسباني والفرنسي في عام ١٩١٢

١٩ ـ دفتر رقم (١) معيه تركي ، وثيقة رقم (٥٤) بتاريخ ٢٧ شوال ١٢٢٥ هـ

(الموافق ٢٥ نوفمبر ١٨١٠) م

٢٠ ـ د أحمد عزت عبدالكريم دراسات في تاريخ العرب الحديث ص٢٣١ وما بعدها «بيروت ١٩٧٠»

٢١ ـ د أحمد عزت عبدالكريم سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ومحمد علي مقال في كتاب البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ص٣٤٢ «جامعة عين شمس القاهرة ١٩٨٠»

٢٢ ـ للمزيد انظر

Mohammed Sabry : L- Empire Egyptian
Sous Mohammed Ali et la Question d'orient. 1811 — 1848. Paris 1930

٢٣ ـ للمزيد انظر

د عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم الدولة السعودية الأولى ص٢٩٧ وما بعدها «القاهرة ١٩٧٥»

٢٤ ـ عبدالرحمن الرافعي عصر محمد علي ص١٠٩ وما بعدها «القاهرة ١٩٥١»

٢٥ ـ محفظة رقم (١) دوات . وثيقة رقم (٢) بتاريخ ١٢٢٦ هـ (الموافق ١٨١١) م

٢٦ ـ محفظة رقم (٤) بحر برا . وثيقة رقم (١٤٨) بتاريخ ٢١ رجب ١٢٣٠ هـ (الموافق ٢٩ يونيو ١٨١٥) م

٢٧ ـ دفتر رقم (١) معية تركي . وثيقة رقم (٥٤) بتاريخ ٢٧ شوال ١٢٢٥ هـ (الموافق ٢٥ نوفمبر ١٨١٠) م

٢٨ ـ محفظة رقم (٣) بحر برا . وثيقة رقم (٨٢) بتاريخ محرم ١٢٢٧ هـ

٢٩ ـ الجبرتي مرجع سابق جـ ٤ ص١٧٩ وما بعدها

٣٠ ـ د يونان لبيب رزق وآخرون اوربا في عصر الرأسمالية ص٢٧٥ «القاهرة ١٩٨٣»

وكذلك د جلال يحيى العالم العربي الحديث ص٨٤ «الأسكندرية ١٩٧٤»

٣١ ـ الجبرتي مرجع سابق جـ ٤ ص ١٨١ وما بعدها هذا وقد قتل لطيف باشا ومن معه بعد أن حاول الهرب والاختفاء

٣٢ ـ محفظة رقم (٤) بحر برا . وثيقة رقم (٣٥) بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠ هـ (الموافق ١١ سبتمبر ١٨١٥) م

٣٣ ـ د عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم مرجع سابق ص٣٢٢ وما بعدها

٣٤ ـ محفظة رقم (٤) بحر برا . وثيقة رقم (٦٤) بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٣١ هـ (الموافق ٢١ يوليو ١٨١٦) م

٣٥ ـ أشعل ابراهيم باشا النيران في الدرعية ولعل هذا كان بأوامر من الباب العالي . وكان من بين شروط الاستسلام . سفر الأمير عبدالله بن سعود الى القاهرة (١٦ نوفمبر ١٨١٨) ومنها الى الاستانة . حيث لقي حتفه هناك . انظر

د صلاح العقاد الحملة المصرية في شبه جزيرة العرب ١٨١١ ـ ١٨١٨ ص١٠٧ وما بعدها . مجلة الخليج والجزيرة العربية . العدد السادس

٣٦ ـ محفظة رقم (٦) بحر برا ، وثيقة رقم (١١٧) بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٢٣٤ هـ (الموافق ١٣ سبتمبر ١٨١٩) م

٣٧ ـ للمزيد أنظر . عبدالرحمن الرافعي مرجع سابق

٣٨ ـ محمد عبدالقادر الانصارى تاريخ الاحساء ص١٤٤ وما بعدها « الرياض ١٩٦٠ »

٣٩ ـ محفظة رقم (١) ذوات ، وثيقة رقم (٩٤) بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣ هـ (الموافق ١٣ يوليو ١٨١٨) م

٤٠ ـ ذات الوثيقة السابقة

٤١ ـ الانصارى مرجع سابق . ص١٤٤ وما بعدها

٤٢ ـ كان ارحمة بن جابر الجلاهمة ، يمثل القوة العربية البحرية في الخليج المساعدة لابراهيم باشا ولقواته وقتذاك ، أنظر
د. جمال زكريا ارحمة بن جابر الجلاهمة حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد التاسع ١٩٦٤ .

٤٣ ـ د. عبدالعزيز نوار تاريخ العراق الحديث ص١٨٨ وما بعدها «القاهرة ١٩٦٨»

٤٤ ـ د. عبدالعزيز نوار داود باشا ص٢٣٠ وما بعدها «القاهرة ١٩٦٨»

٤٥ ـ د. جمال زكريا الخليج العربى ـ دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الأوروبى الأول . ص٤٥٨ القاهرة ١٩٨٥

٤٦ ـ الانصارى مرجع سابق ص١٤٤ وما بعدها

٤٧ ـ د مهدى جواد حبيب الصراع العثمانى الفارسى وآثره على العراق حتى أواخر القرن التاسع عشر ـ ص٩٣ وما بعدها ـ الحدود الشرقية للوطن العربى ، دراسة تاريخية ، مجموعة أبحاث أصدرتها جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق « بغداد ١٩٨١ »

٤٨ ـ محفظة رقم (١) بحر برا ، وتيقة رقم (٤٩) بتاريخ ١٩ شعبان ١٢٢٥ هـ (الموافق ١٩ سبتمبر ١٨١٠) م

٤٩ ـ د. تمام همام تمام الرقيق والجندية في نظر محمد علي . ص١٢٨ ـ المجلة التاريخية المصرية «القاهرة ١٩٨٣»

٥٠ ـ ذات المرجع السابق . ص٣٠

٥١ ـ د مكي شبيكه السودان في قرن (١٨١٨ ـ ١٩١٩) ص١٢ وما بعدها «القاهرة ١٩٤٧»

٥٢ ـ د. راشد البراوى مجموعة الوثائق السياسية ـ المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس . ص٩ وما بعدها « القاهرة ١٩٥٢ »

٥٣ ـ Dodwell- H. : The Founder of Modern Egypt- Study of Mohamed Ali. p. 50. Camb. 1931

٥٤ ـ د. السيد رجب حراز المدخل الى تاريخ مصر الحديث . ص٢٣٦ وما بعدها « القاهرة ١٩٧٠ »

٥٥ ـ د. عبدالعزيز الشناوى ود جلال يحيى وثائق ونصوص التاريخ الحديث

والمعاصر ص٥٥١ ، القاهرة ١٩٦٩ »

٥٦ ـ عبدالرحمن الرافعي مرجع سابق
٥٧ ـ د أحمد عزت عبدالكريم دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص٢٣٠
٥٨ ـ د جلال يحيي مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر ص٤٨ « القاهرة ١٩٦٧ »
٥٩ ـ د عبدالرحمن زكي اعلام الجيش والبحرية في مصر في القرن التاسع عشر حـ ١ ص ٣٥ وما بعدها «القاهرة ١٩٤٧
٦٠ ـ د تمام همام تمام جهود محمد علي للحد من انتشار تجارة الرقيق في السودان ص٢٦ وما بعدها ، مجلة الدراسات الافريقية ـ العدد السابع ، جامعة القاهرة ١٩٧٨
٦١ ـ كان السودان مقسما الى عدة ممالك وسلطنات مثل سلطنة الفونج الزرقاء في سنار ، وسلطنة الفور في دار فور ، ومملكة تقلي في منطقة جبال النوبا غرب النيل ، وكانت المنطقة من اسوان حتي وادى حلفا «النوبة» ، تخضع لحكومة الكشاف الاتراك ، وخضعت سواكن ومصوع على البحر الاحمر للدولة العثمانيه ، وكانت هناك في جنوب السودان ممالك وثنية تتمثل في الشلك والدنكا والباري والنوير ، انظر للباحث
الرقيق والجندية في نظر محمد علي ، مرجع سابق ص١٢٢ وما بعدها
٦٢ ـ د شوقي الجمل تاريخ سودان وادى النيل حـ ٢ ص٢٣ «القاهرة ١٩٦٩»
٦٣ ـ Burchardt- L. : Nots On the Bedouins and Wahabys- PP.251 — 252. London 1930
٦٤ ـ دفتر رقم (٤) معيه تركي وثيقة رقم (٦٣) بتاريخ ١٣ رمضان ١٢٣٦ هـ
٦٥ ـ Fortscue- J.W. : Ahistoy of the British Army- Vol.V P 47
٦٦ ـ Ghorbal, Shafik: The beginnings of the Egyptian question and the rise of Mehemet Ali. P. 156. "1928"
٦٧ ـ د عبدالحميد البطريق من تاريخ اليمن الحديث (١٥١٧ ـ ١٨٤٠)
٦٨ ـ د بدرالدين عباس الخصوصي دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر حـ ١ ص١٩٥ وما بعدها «الكويت ـ ١٩٨٤»
٦٩ ـ دفتر رقم (٧) معيه تركي مسلسل ٢٨٢ بتاريخ ٢٧ شوال ١٢٣٦
٧٠ ـ د مهدى جواد حبيب مرجع سابق ص٨٥
٧١ ـ د صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي ص٩٩ وما بعدها ، القاهرة ١٩٧٤
٧٢ ـ Miles- S. B. : The Countries and Tribe of the Persian Gulf. P. 324. London 1919
٧٣ ـ محفظة رقم (٦) بحر برا ، وثيقة رقم (١١٥) بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٢٣٤ هـ (الموافق ١٣ سبتمبر ١٨١٩) م
٧٤ ـ محفظه رقم (٧) عابدين ، وثيقة رقم (٢٠٩) بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة ١٢٣٥ هـ/ ٣١ مارس ١٨٢٠ ، نقلا عن د عبدالرحيم عبدالرحمن ، من وثائق

شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي المجلد الأول ص٤٧٦ وما بعدها ، الدوحة ١٩٨٢

٧٥ ـ د جاكلين اسماعيل سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر . ص١١ وما بعدها ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ العدد السادس عشر ـ السنة الرابعة ـ جامعة الكويت

٧٦ ـ محفظة رقم (٧) عابدين ، ذات الوتيقة السابقة

٧٧ ـ د عبدالعزيز نوار داود باشا ص٢٣٠ وما بعدها « القاهرة ـ ١٩٦٨ »

٧٨ ـ د صلاح العقاد مرجع سابق ص١٠٣

٧٩ ـ كان ارحمة بن جابر ، على عداء مع حكام البحرين ، ومن تم رفض ان يوقع على معاهدة السلام العامة (١٨٢٠) حتى لا تحد من تصرفاته العدائية في المنطقة

٨٠ ـ للمزيد عن القواسم انظر صالح محمد العابد دور القواسم في الخليج العربي «بغداد ـ ١٩٧٦»

٨١ ـ جون ب كيلي بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ـ الجزء الاول ترجمة محمد آمين عبدالله . ص٨١ وما بعدها سلطنة عمان ١٩٧٩

٨٢ ـ للمزيد عن أرحمة بن جابر أنظر
د. جمال زكريا حوليات كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ، المجلد التاسع ـ القاهرة ١٩٦٤

٨٣ ـ Arabian Gulf Intelligence,
Selections from the Records of the Bombay Government. New Series, No. XXIV, 1856, Historical Sketch of the Rise and Progress of the Government of Muskat, PP. 191-192

٨٤ ـ كيلى بريطانيا والخليج مرجع سابق حـ ١ ص٤٦٢ وما بعدها

٨٥ ـ قامت في هذه الولاية العتمانية ثورة ضد الحكم التركي في عام ١٨٢١ وأعلن اليونانيون استقلالهم في ١٨٢٢ ، فطلب السلطان العتماني الى محمد علي حاكم مصر ، القضاء على هذه التورة ، واستجاب محمد علي لطلب السلطان ، ودخل هذه الحرب البعيدة عن الميدان العربي ، واستمرت الحرب في كريت والمورة حوالى سبع سنوات (١٨٢٢ ـ ١٨٢٨) خسرت مصر خلالها اسطولها الحربي وحوالى تلاثين الفا من الجنود وما يقرب من مليون جنيه ، تكاليف ومصروفات الحملة ، وانتهت بنزاع مرير مع السلطان العتماني ، استهل به محمد علي الدور التانى من سياسته الخارجية

٨٦ ـ Historical Sketeh ... OP. Cit- Muskat- P.192

٨٧ ـ د. جمال زكريا الخليج العربي مرجع سابق ص٤٥٩ ـ ٤٦٠

٨٨ ـ Historical Sketck ... OP. Cit- Muskat- P.195

٨٩ ـ د عبدالعزيز نوار التأثير الاستراتيجي والسياسى المتبادل بين منطقتى البحر الاحمر والخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر ص٢٥٠ ـ البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ـ جامعة عين شمس ـ القاهرة ١٩٨٠

٩٠ ـ امين الريحاني نجد وملحقاته ص ٩١ وما بعدها «بيروت ١٩٧٢» وللمزيد عن تاريخ الاحساء انظر
د محمد عرابي نخلة تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ «الكويت ١٩٨٠»
٩١ ـ عبدالرحمن الرافعي مرجع سابق
٩٢ ـ دفتر رقم (٤٠) معية تركي. وثيقة رقم (٤١٢) ووثيقة رقم (٤١٣) بتاريخ ٢٧ صفر ١٢٤٦هـ (الموافق ١٨ اغسطس ١٨٣٠)
٩٣ ـ د زاهية قدورة تاريخ العرب الحديث ص ٣٤٢ وما بعدها «بيروت ١٩٧٥»
٩٤ ـ عبدالرحمن الرافعي مرجع سابق
٩٥ ـ ترتب على علاقة فرنسا بمحمد علي، دعوتها اليه ليرسل حملة عسكرية لفتح الجزائر لحسابها. ونظرا لفشل المشروع. ارسلت حملتها منفردة واستولت على الجزائر في عام ١٨٣٠
٩٦ ـ يقال ان غرض ابراهيم باشا كان الدخول الى القسطنطينية. لانزال السلطان محمود الثاني عن العرش. والتوصل الى شروط للصلح في مصلحة محمد علي.
٩٧ ـ India office, Factory Records, From Farren to Secret Committee, 2 — 5 — 1832, Persia and the Persian Gulf, Vol. 47, PP. 247 — 266
٩٨ ـ دفتر رقم (٤٠) معية تركي. وثيقة رقم (٨٢٣) بتاريخ ٩ صفر ١٢٤٨ هـ (الموافق ٨ يوليو ١٨٣٢م)
٩٩ ـ كيلي مرجع سابق جـ ١ ص٤٦٦
١٠٠ ـ جورج يانج تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل. تعريب علي احمد شكري «القاهرة ١٩٣٧»
١٠١ ـ اقنعت روسيا السلطان العثماني، ان كيان دولته يتوقف على مساعدة روسيا له، ومحالفتها اياه، وتمكنت في ٨ يونيو ١٨٣٣ من ابرام معاهدة (هنكار اسكلسي) مع الباب العالي، وهي معاهدة هجومية دفاعية لمدة ثماني سنوات. وكانت سرية وبدون علم الدول الاخرى. وقد ترتب على هذه المعاهدة. ان بدأت روسيا عهدا جديدا في سياستها ازاء تركيا والمسألة الشرقية بصفة عامة. فتحولت سياستها الرامية الى تقسيم تركة الرجل المريض صراحة الى بسط الحماية الروسية عليها، وقد ترتب على ذلك متاعب جديدة في افق السياسة الدولية. احدثت آثارا هامة في السياسة المصرية هذا وقد حقد بالمرستون على حاكم مصر الذي كان السبب في اعطاء الروس هذه الفرصة
١٠٢ ـ كيلي مرجع سابق جـ ١ ص ٤٧٥ ـ ٤٧٧
١٠٣ ـ يلاحظ ان تجربة تجنيد السودانيين في الجيش الحديث لم تنجح. ومن ثم لجأ محمد علي الى تجنيد ابناء الفلاحين المصريين، فصاروا يؤلفون الجيش النظامي، الذي انتظمت به وحدات من السودانيين
١٠٤ ـ للمزيد انظر د محمد فؤاد شكري واخرين بناء دولة مصر محمد علي (السياسة الداخلية) «القاهرة ١٩٦٧»
١٠٥ ـ كيلي ج ب الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية. تعريب خيري حماد

ص٩٧ وما بعدها «بيروت ١٩٧١» وكذلك بريطانيا والخليج جـ ١ ص٣٨٢ - ٣٨٣ وكذلك د صلاح العقاد التيارات السياسية.. مرجع سابق ص ١٢١ وما بعدها

١٠٦ - Arabian Gulf Intelligence. Selections From the Records of the Bombay Govermment. New Series. NO.X X IV. 1856. Histoical Sketch of the Wahabee of Arabs. p p. 437 — 438.

١٠٧ - Ibid. pp. 438 — 439

١٠٨ - للمزيد انظر عثمان بن بشر عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ٢ ص٥٠ وما بعدها «الرياض»

١٠٩ - محمد بن خليفة النبهاني التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ص١٥٥ وما بعدها «مصر ١٣٤٢ هـ»

١١٠ - Historical Sketch.. op. Cit Muskat pp 207 — 208

١١١ - د صلاح العقاد ود جمال زكريا زنجبار «القاهرة ١٩٥٩»

١١٢ - Kelly. j. b. Britain and the Persian Gulf. p. 289 London 1968

١١٣ - Historical Sketch ... op. Cit. Wahabees pp. 439 — 440.

١١٤ - Histoical Sketch... op. Cit. Wahabees. pp. 443 — 444.

١١٥ - كيلي مرجع سابق، جـ ١ ص٤٠٦ - ٤٠٧

١١٦ - لوريمر دليل الخليج جـ ٣ . ص ١٤٣٦ - القسم التاريخي «طبعة جديدة معدلة ومنقحة ، أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر»

١١٧ - د جمال زكريا الخليج العربي «دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤» ص ٦٥ وما بعدها «القاهرة ١٩٦٦»

١١٨ - Arabian Gulf Intelligence. Selections From the Records of the Bombay Vernment. New Series. No. X X I V. 1856.
Historical Sketch of Uttoobee Tribe of Arabs; Bahrain p. 386

١١٩ - كان الأمير خالد بن سعود من اكبر الذكور الأحياء من اخوة الأمير عبدالله ابن سعود آخر امراء الدولة السعودية الأولى، وكان ابراهيم باشا اصطحبه معه بعد سقوط الدرعية، فعاش في مصر حوالي ثمانية عشر عاما

١٢٠ - Histocal Sketch.. op. Cit. Wahabees pp. 443 — 444

١٢١ - للمزيد انظر عرض المملكة العربية السعودية، جـ ١ «القاهرة ١٩٥٥»

١٢٢ - انظر على سبيل المثال
السالمي «ابي محمد عبدالله بن حميد بن سلوم» تحفة الأعيان بسيرة اهل عمان جـ ٢ ص١٥٧ وما بعدها «القلعة بمصر بدون تاريخ

١٢٣ - د جلال يحيى العالم العربي «المدخل» ص٨٤ الاسكندرية ١٩٧٤

١٢٤ - Saab, H : Arab Federalists of the Ottoman Empire. p. 165 «1958»

١٢٥ - Ibid: pp. 140 — 150

١٢٦ - د جلال يحيى مرجع سابق ص ٨٤

١٢٧ - انظر للباحث الاستعمار والثقافة الاسلامية، سلسلة مقالات منشورة في مجلة الهداية الاسلامية في عامي ١٩٨٥ - ١٩٨٦ - وزارة العدل والشئون

الاسلامية ـ دولة البحرين

١٢٨ ـ محفظة رقم (٢٦٤) ترجمة الوثيقة رقم (٢٦١) حمراء. بتاريخ ٢٢ شعبان ١٢٥٣هـ

١٢٩ ـ عثمان بن بشر مرجع سابق حـ ٢ ص١١ وما بعدها

١٣٠ ـ محفظة رقم (٢٦٤) صورة الوثيقة العربية المؤرخة في ٢٩ محرم ١٢٥٤ هـ

١٣١ ـ نظرا لمعارضة ابن السلطان للاتفاقية وتاثيره على والده. انتهى الأمر بان احتلت القوات البريطانية بالقوة عدن في ١٨ يناير ١٨٣٩ قبل وصول القوات المصرية اليها. للمزيد انظر د فاروق اباظة عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر (١٨٣٩ ـ ١٩١٨) «القاهرة ١٩٧٦»

١٣٢ ـ د صلاح العقاد معالم التغير في دول الخليج العربي ـ الفصل الأول

١٣٣ ـ B.J. Kelly: Britain and the persian gulf. PP. 134 — 149 — london 1968.

١٣٤ ـ تغاضت انجلترا في البداية عن توسع محمد علي في الشام. طالما ان ذلك لا يمس امن مواصلاتها الى الشرق. ولأن مسالة الحفاظ على املاك الدولة العثمانية. كان الهدف منه اساسا ان تضمن طرق تلك المواصلات تحت اشراف دولة ضعيفة مثل تركيا وقتذاك. وفي الوقت نفسه ابعاد روسيا من الاقتراب من هذه الطرق. والا لماذا تغاضت انجلترا عن احتلال فرنسا للجزائر في عام ١٨٣٠ . وكانت هذه ولاية عثمانية. ولعل الاجابة ايضا هي بعد الجزائر عن طرق مواصلاتها الى الهند

١٣٥ ـ د حسين مؤنس الشرق الاسلامي في العصر الحديث ص ١٦٦

١٣٦ ـ جورج يانج مرجع سابق ص ٥٨

١٣٧ ـ F. O .78 — 233 — Ellis: Memmorandum on Moh. Ali: Pasha of Egypt. 9 — 1 . 1833

١٣٨ ـ محفظة رقم (٤) بحر برا. وثيقة رقم (١٣١) بتاريخ ٣ شوال ١٢٣٢ (الموافق ١٦ اغسطس ١٨١٧)

١٣٩ ـ F. O. 78 — 25B Copy of a translation of a persian letter from his Magesty theKing of persia to his E. MHO. ALI Pasha of Egypt July 1833

١٤٠ ـ كيلي بريطانيا والخليج مرجع سابق حـ ١ ص٥٠٣ ـ ٥٠٤

١٤١ ـ ذات المرجع ص٥٠٥

١٤٢ ـ Hill. R: Egypt in the Sudan 1820 — 1881 p. 8 London 1959

١٤٣ ـ د عبدالحميد البطريق مرجع سابق ص ٥٧ وما بعدها

١٤٤ ـ د مهدي جواد حبيب مرجع سابق ص١٠٢ ـ ١٠٥ هذا وقد استبدلت اسم المحمرة الى خورمشهر. بعد احتلال الفرس لعربستان . ذات المرجع ص ١١٢

١٤٥ ـ د بدر الدين الخصوصي مرجع سابق حـ ١ ص٥٠٦

١٤٦ ـ كيلي بريطانيا والخليج مرجع سابق جـ ١ ص ٥٠٦

١٤٧ ـ محفظة رقم (٢٦٤) عابدين، رقم الوثيقة (٢٦١) حمراء، المرفق العربي (هـ) بتاريخ ٢٣ شعبان ١٢٥٣ (٢٢ نوفمبر ١٨٣٧) نقلا عن د. عبدالرحيم عبدالرحمن . من وثائق شبه الجزيرة العربية المجلد الأول ، مرجع سابق ص٥٨٢

١٤٨ ـ محفظة رقم (٢٦٤) وثيقة رقم (٤٨) حمراء (٩) اصلية، بتاريخ رجب ١٢٥٤ (اكتوبر ١٨٣٨)

ويلاحظ انه بعد سقوط دلم، ارسل الأمير فيصل الى القاهرة تحت قوة السلاح في ديسمبر ١٨٣٨ انظر
Historical Sketch... op. Cit. Wahabees pp. 445 — 447

١٤٩ ـ د الخصوصي مرجع سابق ص١٣٢

١٥٠ ـ Historical Sketah... op. Cit. — Wahabees. p. 445 ‧‧ وكذلك لوريمر حـ ٣ ص١٤٣٧

١٥١ ـ محفظة رقم (٢٦٤) وثيقة رقم (٥٨) أصلية ، (١١) حمراء بتاريخ ٤ شوال ١٢٥٤ هـ (الموافق ٢٠ ديسمبر ١٨٣٨م

١٥٢ ـ محمد بن خليفة النبهاني التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ص١٣ وما بعدها «ط٢ مصر ١٣٤٢ هـ

١٥٣ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٤٠) اصلية، (١٠) حمراء بتاريخ ٢٩ رمضان ١٢٥٥ هـ (الموافق ٢٧ فبراير ١٨٣٩)

١٥٤ ـ عثمان بن بشر مرجع سابق جـ ٢ ص ٨٠ وما بعدها

١٥٥ ـ محفظة رقم (٢٦٤) وثيقة رقم (١١) بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٢٥٤ (الموافق ٢٨ يناير ١٨٣٩)

١٥٦ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (١) اصلية، (٦) حمراء بتاريخ ١٧ محرم ١٢٥٥ (الموافق ٢ ابريل ١٨٣٩)

١٥٧ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٢) اصلية، (٣٧) حمراء بتاريخ ٢٩ محرم ١٢٥٥ هـ (الموافق ٤ ابريل ١٨٣٩)

١٥٨ ـ كان محمد علي قد بلغ سن السبعين عاما تقريبا وقتذاك، ويقول الاخوة السودانيون، ان محمد علي كان يريد ان يتعرس «يتزوج» من احدى السودانيات.

١٥٩ ـ قبل ان تصل اخبار هزيمة الجيش التركي الى القسطنطينية، كان السلطان محمود الثاني، العدو التقليدي لمحمد علي، قد توفاه الله في ٢١ يونيو ١٨٣٩ ، وخلفه علي العرش إبنه عبدالمجيد الذى كان شابا لا يتجاوز عمره السادسة عشرة

١٦٠ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٤) اصلية، (٣٨) حمراء بتاريخ ١٩ محرم ١٢٥٥هـ (الموافق ٤ ابريل ١٨٣٩

١٦١ ـ د. عبدالعزيز نوار تاريخ العراق الحديث ص ٢١٨ (القاهرة ١٩٦٨)

١٦٢ ـ د عبدالكريم غرايبة قيام الدولة السعودية العربية القاهرة ١٩٧٤

١٦٣ ـ Taynbee. A: A Study of Histoy vol 111 p. 247 «1951»

١٦٤ ـ انظر ترجمة التقرير في د محمد فؤاد شكري واخرون بناء دولة مصر محمد علي ص ٣٣٧ وما بعدها «القاهرة ١٩٤٨».

١٦٥ ـ د عبدالعزيز نوار تاريخ العراق الحديث ص ٢١٥. وكذلك د الخصوصي مرجع سابق ص١٣٤ وما بعدها

١٦٦ ـ للمزيد عن تاريخ الاحساء انظر د محمد عرابي نخلة مرجع سابق ص ٣٥ وما بعدها

١٦٧ ـ كالفن هـ الن اسلوب المصالحة البريطانية واثره في تجزئة امارات الخليج «دراسة لوضع دبي بين ١٨٣٣ ـ ١٨٥٣» ص٦٩ وما بعدها مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد الحادي عشر السنة الثالثة يوليو ١٩٧٧

١٦٨ ـ د ياسين عبدالكريم اتفاقيات الحدود الشرقية الى نهاية القرن التاسع عشر ـ الحدود الشرقية للوطن العربي مرجع سابق ص ٢٠٧ وما بعدها

١٦٩ ـ د عبدالحميد البطريق مرجع سابق ص ٥٧ وما بعدها. وينطبق معنى هذه العبارة بصورة واضحة وادق في السودان. انظر للباحث جهود محمد علي للحد من انتشار تجارة الرقيق مرجع سابق

١٧٠ ـ نظرا لاهمية هذه الاتفاقية. سيفرد الباحث لها دراسة خاصة بمشيئة الله

تطوّر علاقة القرامطة بالسّلطة العبّاسيّة

بقلم :
الدكتور
عبدالله
أبوعزة
المجمع الثقافي
- أبوظبي

جنوب العراق



القرمطية تبدأ بالعنف والصراع

فرقة من القرامطة في جيش الخليفة

عندما ظهر القرامطة في جنوب العراق بعد سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م كانت الخلافة العباسية قد استعادت بعض قوتها بعد تدهورها اثر مقتل الخليفة المتوكل. ولقد استمرت هذه المرحلة خمس عشرة سنة فقط اذ سرعان ما ذهبت بقايا قوة الخلافة الى غير رجعة بعد تولي جعفربن أحمد الخلافة سنة ٢٩٥هـ، وهو الذي لقب بالمقتدر. واستمر عهد المقتدر خمسا وعشرين سنة كانت السلطة اثناءها ممزقة بفعل التنازع بين القوى المتصارعة على الغلبة والنفوذ. ولم تنته حالة التمزق بعد قتل المقتدر وتولية القاهر، بل استمرت وازداد تفاقمها الى ان جاء البويهيون وسيطروا على العراق سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م. واثناء الاربعين سنة التي سبقت مجيء البويهيين كانت القوى العسكرية هي التي تتنازع السلطة. فكان هناك قادة القوات المرتزقة التي تشكل منها الجيش العباسي مثل ياقوت وبجكم ومحمدبن رائق ومؤنس، كما كان هناك امراء بني حمدان، وابرزهم ناصر الدولة الحسن بن حمدان. اما الخليفة نفسه، أي بشخصه، فلم يكن سوى رمز اجوف يتركز في وظيفته وحولها شيء من بقايا النفوذ الروحي وبقايا التعلق بمعنى الخلافة الديني[1].

لهذا فإننا عندما نتحدث عن «تطور علاقة القرامطة بالسلطة العباسية» انما نعني علاقة القرامطة بهذه القوى مجتمعة ومنفردة، قبل سنة ٣٣٤هـ، وعلاقتهم بالملوك البويهيين وبقبول الخلافة العباسية من حيث المبدأ. ولا مراء في ان وصفنا للسلطة بأنها عباسية - في هذه الفترة - والحاق صفة «العباسية» بها يفتقر الى الدقة، اذ اننا اضطررنا الى استعمال هذه الصفة لأنها الشيء الوحيد الذي يمكن ان يجمع تلك القوى المتعددة تحت عنوان واحد. ولسنا نعني بالسلطة، سلطة شاغلي منصب الخلافة بأي

وتتحول إلى المساومة وتبادل المنافع

العباسي لمحاربة الحمدانيين

حال. ولقد واجه المؤرخون المعاصرون ـ كالطبري ـ هذه المشكلة التعبيرية فلجأوا الى استعمال اصطلاح «السلطان» وذلك عند الحديث عن الأعمال التي كانت تقوم بها القوى المتحكمة في بغداد. فقد ادركوا ان نسبة العمل الى الخليفة غير صحيحة ولذلك لجأوا الى تعبير «السلطان» للدلالة على ما نعنيه في ايامنا باستعمال كلمة «السلطات». ولم تكن لفظة السلطان قد صارت لقبا لمنصب محدد يحمله شاغل ذلك المنصب، كما حدث في عهد السلاجقة ومن بعدهم. ولولا خشيتنا من ان يختلط المعنيان لفضلنا استعمال كلمة «السلطان» على لفظ السلطات.

كانت هذه مقدمة لابد منها حتى لا يقع القارىء في أي لبس او ابهام.

القرامطة والخلافة العباسية :

كانت الخلافة العباسية هي المركز الذي تنصب عليه النقمة والعداء طوال مرحلة تكوين الحركة القرمطية الاسماعيلية. ولقد صورتها الحركة وتصورها انصار الحركة باعتبارها منبع الظلم ورمز الطغيان ومصدر كل شر وفساد. ولذا كان العمل على اسقاطها وتدميرها وتحطيم كل ما قام بها وارتبط بأوضاعها وتفرع منها ودعمها وساندها، كل ذلك، كان العمل على اسقاطه وتدميره يمثل الهم الأول لقادة القرامطة وانصارهم. وهذا الموقف العقلي والنفسي هو الذي يفسر لنا موجة العنف العارمة التي بدأ بها القرامطة مسيرة الثورة ضد السلطة العباسية التي كانت تحتفظ ببقايا من قوتها في عهد الخليفة المعتضد وابنه المكتفي (٢٧٠هـ ـ ٢٩٥هـ). وعندما اتضح وشاع امر تمزق السلطة وتعدد مراكزها في أواخر خلافة المقتدر تبين ان المقولة التي تنسب الشر والطغيان كله الى الخليفة لا تمثل الحقيقة، وادرك قادة القرامطة ان هناك قوى متعددة تتصارع لتحقيق المكاسب السياسية والمالية ولا تحفل بأمر الدين اوبالمعنى الديني لمركز الخلافة. كما تبين ان هذه القوى على استعداد لتبادل المنافع والأخذ والعطاء مع أي

ـوة اخـرى بمـا في ذلك القـرامـطة انفسهم. وهكذا اخذ موقف القرامطة يتغير، فسارت العلاقة في اطار جديد مختلف عن اطارها في الحقبة السابقة. لقد ادرك القرامـطة بشكل يقيني ان القـاهـر والراضي والمتقي والمـطيـع والطائـع لا يملكـون اي سلطة وان ياقوت وبجكم وابن رائق وناصر الدولة يهتم كـل منهم بمصلحته الخـاصـة وكسبـه الشـخصي، فهـدأت حـدة الخصومات وحلت محلها المساومات من اجل تقاسم المغانم وتبادلها وهذا التغير لم يحدث بين عشية وضحاها، وانما احتاج الأمر الى عدد من السنين بدأت بمحاولات من جانب القرامـطة لتحقيق اكبر قدر من الكسب عن طريق المسـاومـة المصحـوبـة بـالضـغـط العسكري، بينما حاولت السلطة تألف القرامطة وتأنيسهم للواقع القائم بأقل ثمن ممكن

ولقـد بـدأت محـاولات السلطات لتـأنيس القرامـطة في مـطلع القـرن الرابع، اذ يحدثنا ابن الاثير عن رسالة بعثها المقتدر الى ابي سعيد الجنابي حاثا اياه على «اطلاق من عنـده من اسـرى المسلمـين». كمـا تضمنت الرسـالة منـاقشـة لاقنـاع الزعيم القرمطي بخطأ الطريق الذي اختاره. لكن الوفد الذي حمل الرسالة علم وهو في البصرة ـ في طريقه الى البحرين ـ ان ابا سعيد مات، فتوقفوا عن المضي في مهمتهم ريثما تصلهم توجيهات من بغداد. وعندما وصلوا الى البحرين ـ بعـد ان جاءتهم التعليمـات بـذلك ـ استقبلهم خليفة ابي سعيد استقبالا حسنا، واكرمهم، ثم اطلق الاسـرى وبعث جواب خطاب الخليفة(٢).

لكن هذه المحاولة المبكرة من جانب الخلافة، لم تقابل بالتجاوب الكـافي. وفي سنـة ٣١١هـ بعث سليمـان بن الحسن بن بهرام، ابوطاهـر، رسالة الى بغداد يطلب فيها اعطاءه البصرة والاهـواز وبعض الاماكن الاخـرى، لكن طلبه رفض(٣). وشهدت السنوات التالية هجمات بالغة العنف قادهـا ابوطاهر حيث وجه ضرباته للأهداف البالغة الحساسية بـالنسبة لسلطات بغـداد. واستمـر العنف حتى سنـة ٣٢٢هـ عندما اوفد حاجب الخليفـة برسالة الى ابي طاهر تدعـوه لاعلان ولائه للخليفة مقابل اقراره على ما بيده من البـلاد، أي اعـطائـه الصفـة الشرعية، بـالاضافـة الى الاستعداد لتقليده امارة أي بلد يختـاره. وطلب منه ـ في نفس الرسالة ـ ان يكف عن مهاجمة قـوافل الحجيـج، وان يعيد الحجر الاسود الى مكانه من الكعبة. ورد ابوطاهر مبينا عدم نيته التعرض للحجيـج، ووعد ان لا يصيبهم بـأي مكـروه، كمـا طلب ان يـسمـح له

قرامطة البحرين يحمون قوافل

الحجّاج مقابل رسوم للمرور

بالحصول على التموين والامدادات الاخرى من البصرة موضحا انه سيعلن ولاءه للخليفة ويخطب له في انحاء البحرين، ان استجابت بغداد الى طلبه. وقد سارت قوافل الحجيج الى مكة وعادت سالمة دون ان يتعرض لها أحد، وبذلك يكون أبوطاهر قد بر بوعده[٤].

والتطور الهام الملفت للنظر هو ان يعرض ابوطاهر اعلان الولاء لخلافة بغداد والاستعداد لاقامة الخطبة للعباسيين في البلدان التي يحكمها الزعيم القرمطي. ولكي ندرك عظم هذا التطور ينبغي ان نتذكر ان الهدف الأول للحركة القرمطية هو اسقاط الخلافة العباسية ليس لأنها منبع الظلم والشرور فحسب ـ في نظر القرامطة ـ بل ولأنها نقيض الامامة العلوية الاسماعيلية، وحيث ان الامامة الاسماعيلية تمثل أهم ركن عقيدي فان الوجود الواقعي للخلافة العباسية ينفي الوجود الواقعي للامامة الاسماعيلية. وقد سكت أبوطاهر عن موضوع اعادة الحجر الاسود.

ويبدو ان المساومات لم تحقق الاهداف التي كان كل من الفريقين يطمح الى الحصول عليها لأننا نجد اباطاهر يهاجم الحجيج في السنة التالية، غير انه لم يسرف في القتل هذه المرة كما كانت عادته في السنوات السابقة، بل اكتفى بأخذ ما وجد من مال ومتاع. ولعله اراد ان يبقي الباب مفتوحا للاتصالات السلمية، على ان تتحقق اهدافه بالمساومة المصحوبة بالضغط العسكري[٥].

وتذهب احدى الروايات الى ان اباطاهر تلقى نصيحة من احد اتباعه تزين له ان يفرض على الحجاج رسوم مرور مقابل توفير السلامة لهم وبذلك يصبح له دخل ثابت وعلاقات حسنة مع جميع ملوك وامراء البلاد الاسلامية. وقد استصوب أبوطاهر هذا الرأي ـ حسب ما تقول الرواية ـ

«ونـادى مـن وقـتـه في النـاس بالأمان[٦]». والذي نرجحه ان هذه الرواية من نسج الخيال، ولكنها نسجت لتفسير واقع قائم. ومصدر شكنا في الرواية هو الادعاء بان النصيحة المزعومة بلغت اباطاهر بعد مهاجمته للحجيج سنة ٣٢٣هـ، بينما نعرف انه كان يساوم السلطات العباسية قبل ذلك بسنوات طويلة للحصول على المال والامتيازات الاخرى مقابل ضمان سلامة قوافل الحج. ومهما يكن من أمر فان مضمون الرواية يمثل ميل ابي طاهر للحصول على الرسوم مقابل تامين سلامة الحج واقامة علاقات سلمية مع سلطات بغداد. وقد حدث ذلك.

وعاد ابوطاهر الى المساومة بعد ذلك بسنتين، فقد قدم الى الكوفة وقبض على اميرها شفيع اللؤلؤي بامان، فبعثه الى السلطان يعرفه انهم صعاليك لابد لهم من أموال، فان اعطاهم مالا لم يفسدوا عليه، وحدموه فيما يلتمسه، والا فلا يجدون بدا من ان يأكلوا بأسيافهم[٧]». والمقصود بالسلطان هنا سلطات بغداد ـ بطبيعة الحال ـ والرسالة واضحة. فمادامت بلاد القرامطة فقيرة فانهم يحتاجون الى اعانة مالية. فان تلقوها، سالموا والا حصلوا على ما يريدون، او بعض ما يريدون، بالسيف. وعلى اثر ذلك كاتب محمدبن رائق، امير الامراء ببغداد، اباطاهر، وجرى الاتفاق على ان تدفع سلطات بغداد للقرامطة مائة وعشرين الف دينار سنويا وكميات من المواد الغذائية مقابل ان يدخلوا في طاعة الخليفة، وان يكفوا عن غاراتهم المعتادة بطبيعة الحال. وعاد ابوطاهر الى البحرين[٨].

ونقرأ في أخبار سنة ٣٢٦هـ عن وجود فرقة من المقاتلين القرامطة ضمن الجيش العباسي الذي سار من بغداد متوجها الى الموصل وعلى رأسه الخليفة الراضي بالله وأمير الامراء بجكم. وقد ذهب ذلك الجيش لتأديب ناصر الدولة بن حمدان بسبب تأخيره دفع الأموال المستحقة لبغداد عن ولايته. وقد انسحب القرامطة عندما وصلوا الى تكريت «بسبب مضايقة في ارزاقهم، فانصرفوا مغضبين الى بغداد[٩]». أي ان القرامطة اصبحوا يقاتلون تحت راية سلطات بغداد. وفي أخبار السنة التالية، اي سنة ٣٢٧هـ، نقرأ ان ممثل أمير القرامطة قبض رسوم المرور من الحجاج عند موضع زبالة، وكان مقدار الرسوم ثلاثة دنانير عن العمارية، وديناريں عن الجمل، ودينارا عن الرمالة ولم يتعرض الحجاج لأي سوء[١٠]. وصار جند القرامطة يتولون حراسة قوافل الحجيج ليحموها من غارات قبائل

الاعـراب في الطرق الصحـراويـة ويـأخذون مقـابل ذلك مبـالغ ماليـة تؤمنها سلطات بغـداد(١١). وبلغ من اعتماد قوافل الحج في حمايتها عـلى جنـد القرامـطة انـه عنـدمـا تـوفي سليمـان بـن الحسـن بن بـهـرام الجنابي، أبوطاهر أمير البحرين سنة ٣٣٢هـ لم يذهب احد الى الحج لأن زعماء القرامـطة انشغلوا بموت أبي طاهر وبترتيب اوضاعهم بعد موته فلم يـرسلوا جنـدهم لحـراسـة قـوافـل الحجاج، ولذلك انقطع الحـج في تلك السنة(١٢).

وربمـا يستغـرب تكـرار عقـد الاتفـاقات مـع القـرامـطة لاحـلال العـلاقـات السلميـة محـل الحـرب والغارات، مع تـذبذب العـلاقة بـين السلم والحـرب فيمـا ذكـرنـاه في الصفحات السابقة، وقد يحمـل ذلك عـلى الظن بأن القـرامطة لم يكـونوا راغبين في مسالة الخلافة العباسية، وان ظروفا عارضـة وطارئة هي التي حملتهم عـلى قبـول السـلام وتلقي الأموال في صورة اعانة اورسوم مرور او اتاوة. ولكن ذلك الاستغراب وهذا الظن سوف يزولان عندما نتـذكر ان الفتـرة بين سنتي ٣٠٠هـ و٣٣٤هـ (٩١٢ ـ ٩٤٥م) كانت من اشد فترات الاضـطراب السياسي والاقتصـادي التي عانى منها العـراق. صحيح ان الخليفة المقتدر شغـل سدة الخـلافة فترة ربع قرن (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ) ولكنه كان مجرد رمز اجوف لا حول له ولا قوة. فلقد تولى الخلافة وعمره ثـلاث عشرة سنة عن طريق مؤامرة نفـذها القادة العسكريون والوزراء ليتجنبوا مجيء خليفة قوي يكف ايـديهم عن اختلاس الأموال العامة ونهب أموال الناس وقد عزل المقتدر من منصبـه خلال تلك الفترة ثلاث مرات واعيد الى منصبه بعد عزلين لكنه قتل بعد العزل الثالث. وحتى بعد ان كبر وبلـغ سن الرجـولة ظل بعيـدا عن أيـة سلطة حقيقية، اذ كانت السلطة موضع نزاع بين مختلف قادة الجماعات العسكرية التي كـانت لا تفتأ تتـأمر وتتقـاتـل وتتصارع بحيث لا يكاد يثبت قائد في موقعه سوى فترة قصيرة مما لا يتسع المجال لسرد تفاصيله(١٣).

وقد أقام القرامطة علاقات سلمية مـع كـل واحـدة من الجمـاعـات والتكتـلات العسكريـة التي تنازعت السيطرة على دار الخلافة وفي نواحي العراق. ويمكننا الاستـدلال على ذلك بسهولة مما تورده المصادر عن وجود فرق من المقاتلين القرامطة بين صفوف جنـود هذا القـائـد أو ذاك من بـين المتصـارعين في بغـداد. فمنـذ سنـة ٣٢٤هـ عنـدمـا استـدعى الخليفـة الراضي ابابكر محمدبن رائق ليوليـه

امرة الامراء نجد القوات التابعة لابن رائق تتكون من جماعات من «الاتراك والديلم والقرامطة»(١٤). ونجد فرقة من القرامطة كذلك في جيش ابي عبدالله البريدي المتغلب على منطقة البصرة(١٥). بل لقد صرنا نقرأ عن جماعات الجند القرامطة وكأنهم اصبحوا مثل جماعات الجند الاخرى التي كانت دائمة التنازع والتقاتل في شوارع العاصمة العباسية. ومن امثلة ذلك ما ذكره الامام ابن الجوزي ضمن اخبار سنة ٣٣٠هـ اذ روي ان حربا وقعت بين جماعة من الجند الاتراك وجماعة من الجند القرامطة، «فانهزم القرامطة وخرجوا عن بغداد(١٦)». كذلك نقرأ عن فرقة من الجند القرامطة ضمن قوات ناصر الدولة الحمداني تقاتل معه في حربه ضد معزالدولة بن بويه سنة



٣٣٤هـ/ ٩٤٥م(١٧). وهنـاك أمـثـلة اخرى من هذا القبيل لا مبرر لاطالة السـرد الممل بـذكـرهـا. ومن هـذه التفـاصيـل يتضـح ان تكـرار عقـد الاتفاقات بين القرامـطة والسلطة في بغداد انما يعود الى التغير الذي كان يـطرأ عـلى السلطة من حيث تغـير الاشـخـاص والجمـاعـات الذيـن يسيطرون على مراكز الحكم.

العهد البويهي :

وقـد شـهـد عـام ٣٣٤هـ تغييـرا اساسيا في اوضاع العراق والخلافة العباسية حيث جاءت القوات البويهية واستـولت عـلى بغـداد وقضت عـلى شراذم الجند وقادتهم المتنازعين على السلطة والمغانم، وانزلت الخلفاء الى اشـد درجـات الاذلال وتمكنت من توحيد السلطة في العراق، لكنها ابقت على منصب الخلافة مجرد رمـز دون ان تترك لشاغله اي قدر من السلطة او حتى من الاحتـرام المعنـوي. وعـلى الرغم من ان البويهيين كانوا يعتنقون المذهب الشيعي الا انهم لم يفرضوه على العراق وابقوا الخلافـة السنية. وكان طبيعيا ان تنقطع الترتيبات التي قامت بين القرامطة وسلطات بغـداد قبل مجيء البويهيين لكنها لا تلبث ان تعود بصورة اكثر ثباتا وانتظاما.

لقـد شهدت السنـوات الأولى من الحكم البـويهي شيئا من الاحتكـاك والتوتر بين القرامطة والبويهيين. وقد حدث اول احتكاك عندما قـاد الامير البويهي معز الدولة قـواته لاحتـلال البصرة وسار في الطريق الصحراوي غربي الفرات، فبعث اليه القرامـطة برسالة احتجاج ينبهونه فيها الى انه كان عليه ان يستأذنهم، باعتبـار ان المنـطقـة تخصهم. ورفض الامـير البويهي الاعتراف بحقوق القرامـطة المدعاة في تلك الناحية، وهددهم بأنه سيزحف عليهم بعد ان ينتهي من أمر البصـرة(١٨)، غير ان ذلك الزحف لم يحدث. والظاهر ان معز الدولة ادرك خطورة فتح معركة مع القرامطة نظرا



الحسن الأعصم يقود الحرب ضد الفاطميين تحت الأعلام العباسية

لصعوبة السيطرة على الصحراء، ولانه لم يشأ ان يبدد قواته في صراع لا طائل من ورائه، ولذلك اقام بينه وبينهم نوعا من التفاهم الذي ارتكز على قاعدة وطيدة. وظهرت بوادر هذا التفاهم عندما انضمت فرقة من القرامطة الى الجيش البويهي الذي خرج من بغداد سنة ٣٣٧هـ بقيادة الحاجب سبكتكين متجها الى الري. وكان معز الدولة قد ارسل ذلك الجيش مددا لاخيه ركن الدولة لمعاونته في حربه ضد عساكر خراسان(١٩). ويبدو ان القرامطة حصلوا على امتيازات مالية لقاء هذا التعاون حيث اصبح لهم مركز جمركي على باب البصرة بجانب مركز جمركي بويهي في نفس الموضع. وهذا يدل على حدوث اتفاق على اقتسام عائدات الجمارك بين الجانبين بصورة او اخرى. وقد اشار الرحالة المعاصر المقدسي الى ان الضرائب كانت ثقيلة سواء على وسائط النقل النهري او البحري. وذكر ان الرسوم على الغنمة الواحدة بلغت اربعة دراهم. وكانت الرسوم تجمع من الحجاج على ما يحملونه من بضائع، كما كانت الرسوم تجبى على جمال الاعراب(٢). والحقيقة اننا لا نستطيع التأكيد على كون هذه الامتيازات التي حصل عليها القرامطة بالنسبة لجمارك البصرة مرتبطة بتعاونهم العسكري مع معز الدولة في الحملة المشار اليها وذلك لأن التاريخ الذي بدأ فيه المركز الجمركي القرمطي في البصرة لم يحدد. ومن الجائز ان يكون هذا الترتيب قد تم في وقت لاحق. ومهما يكن من أمر فان تقاسم المغانم على هذا النحو يدل دلالة واضحة على مدى خوف البويهيين من القرامطة وتقديرهم لأهمية التعاون معهم. ولم يقتصر هذا التعاون على الامور المالية والعسكرية بل انه شمل الأمور السياسية كذلك. ففي سنة

٣٦٦هـ قدم الى الكوفة احد زعماء القرامطة، وهو ابوبكر محمدبن علي بن شاهوية ومعه قوة من الف رجل. وقد أمر ان تقام «الدعوة بها وبسوراء والنيل للطائع لله ولعضد الدولة(٢١)». والمقصود بالعبارة هو الدعاء للخليفة العباسي والملك البويهي على منابر المساجد اعلانا للولاء لهما ولما يمثلان. والظاهر ان سلطة القرامطة كانت وطيدة في الكوفة والطريق الصحراوي الموازي لحافة الفرات اليمني. فعندما توفي يوسف بن الحسن الجنابي سنة ٣٦٧هـ «اغلقت اسواق الكوفة ثلاثة ايام(٢٢)». ثم تحدثنا اخبار السنوات التالية عن وجود ممثل قرمطي مقيم في بغداد، او سفير ـ حسب اصطلاحنا المعاصر ـ هو ابوبكر بن شاهويه الذي اشرنا اليه قبل قليل. وكان له نفوذ وهيبة حتى قيل انه «كان يتحكم تحكم الوزراء(٢٣)».

ونستنتج من بعض ما ورد في المصادر ان سوء تفاهم حدث بين القرامطة والبويهيين ادى الى قدوم قوة قرمطية كبيرة اعادت فرض سلطة القرامطة على الكوفة «على وجه التغلب» كما يقول ابن الجوزي. وكانت هذه القوة قد جاءت ردا على قيام السلطة البويهية باعتقال ابي بكر بن شاهوية الممثل القرمطي في بغداد وبالرغم من استيلاء القرامطة على الكوفة مجددا وشروعهم في جمع الضرائب ونهب المحصولات فقد حاولوا ابقاء باب التفاهم مع البويهيين مفتوحا، فقد اقاموا الخطبة لشرف الدولة البويهي «واعتزوا الى ملك الناحية(٢٤)». لكن التفاهم تعذر بين الفريقين، فجاءت قوات قرمطية اخرى من البحرين فارسل صمصام الدولة جيشا لمواجهتهم، وتعاونت جماعات من الاعراب مع البويهيين في القتال فحلت الهزيمة بالقرامطة وانكسرت شوكتهم، واسر عدد من قادتهم، وذلك سنة ٣٧٥هـ(٢٥).

واخيرا بلغ التحول في موقف القرامطة من الخلافة العباسية ذروته عندما قاد الحسن الاعصم قوات القرامطة والمتحالفين معها تحت الوية وشعارات عباسية، حيث كانت القوات ترفع الاعلام السوداء ـ شعار العباسيين ـ وتقيم الخطبة للعباسيين في كل بلد سيطرت عليه، وسار ليحارب الفاطميين، فاستولى على بلاد الشام واخضعت قواته كثيرا من نواحي الدلتا المصرية ومناطق في الصعيد(٢٦).

مع الحمدانيين :

ومن القوى المتنافسة التي دخلت حلبة الصراع وحاولت فرض هيمنتها

في العراق تحت لواء الخلافة العباسية الواهنة بنوحمدان. وقد خدم بنوحمدان الخلفاء العباسيين وحاربوا في سبيل توطيد السلطة العباسية سنوات طويلة. والذي يهمنا هنا هو ابراز العلاقة الخاصة التي قامت بين القرامطة من ناحية والامراء الحمدانيين من ناحية اخرى

لقد شارك الامراء الحمدانيون في حروب العباسيين ضد القرامطة وابلوا في ذلك بلاء حسنا منذ سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٤م، على الأخص الحسين بن حمدان[٢٧] كما ان عبدالله بن حمدان، الملقب بابى الهيجاء، حارب القرامطة عندما كان قائدا لقطاع طريق الكوفة ـ الحجاز وحراسة قوافل الحجيج، بل انه وقع اسيرا في ايديهم سنة ٣١٢هـ[٢٨] وبعد ان تحسنت علاقة القرامطة بسلطات بغداد تعاونوا مع ناصر الدولة بن حمدان واصبحت فرقة منهم تشكل جزءا من جيشه[٢٩]. وظلت هذه العلاقة وطيدة مع الحمدانيين على ما يبدو، اد نقرأ انهم طلبوا من سيف الدولة الحمداني الذي كان اميرا على حلب ان يزودهم بكمية من الحديد، وذلك سنة ٣٥٣هـ، فاستجاب في الحال. وبلغ من حرصه على توفير طلبهم انه «قلع ابواب الرقة، وهي من حديد، وسد مكانها، واخذ حديدا بديار مضر حتى اخذ سنجات الباعة والبقالين...» ثم امر بنقل ما تم جمعه الى بلدة هيت بالسفن النهرية، ومن هيت ارسله اليهم بطريق البر[٣٠]. ولا ينبغي ان يكون هناك مكان للوهم بأن العلاقة بين الجانبين انطلقت من اساس مذهبي ووشائج دينية استنادا الى ما يقال من ان الحمدانيين كانوا شيعة. لقد قامت العلاقة من اجل مصالح اقتصادية تجارية وسياسية. اما شيعية الحمدانيين فلم تكن الا من قبيل الشعارات والبيانات التي يطلقها السياسيون في عصرنا حسب الظروف السياسية، وهي شعارات تنتقل بأصحابها من النقيض الى النقيض في كثير من الأحوال.

علاقة القرامطة بالبريديين

شغل البريديون المسرح السياسي في العراق طوال عشرين عاما (٣١٦هـ ـ ٣٣٦هـ). لقد كانو ثلاثة اخوة ظهروا من خلال عملهم في الادارة الاقليمية في الاهواز ومنطقة البصرة. وكانت للأخوة اطماع وتطلعات كبيرة حاولوا تحقيقها من خلال موجات الفوضى والاضطراب التي شهدها العراق في تلك الحقبة من تاريخه. ولم يستنكف البريديون من اتباع اية وسيلة ـ مهما كانت دنيئة او

مستهجنة ـ الامر الذي اساء الى سمعتهم وجعل كل المؤرخين يتفقون على ذمهم وتجريحهم.

والذي يهمنا من امر البريديين هنا انهم كانوا على علاقة وثيقة بالقرامطة، وتبين لنا احداث سنة ٣٣٠هـ ان فرقة من المقاتلين القرامطة كانت في جيش ابي عبدالله البريدي عندما جرت المواجهة بينه وبين امير الامراء محمدبن رائق[٣١]. وأثناء الصراع بين البريديين وهرب ابي الحسين البريدي الى الاحساء مستجيرا بالقرامطة استقبلوه واكرموه. ثم انهم ارسلوا معه قوة عسكرية يقودها اثنان من اخوة اميرهم ابي طاهر لتسوية الخلاف في صالحه وعند وصول القوة الى المدينة تبين ان عبدالله ابوالقاسم، البريدي قد احكم حراسة المدينة وتمكنت قواته من ردهم عنها. وحاصروها فطال الحصار، واصابهم الضجر، فلجأوا الى مصالحة ابي القاسم البريدي مع عمه ابي الحسين وقد سمح ابوالقاسم لعمه بدخول المدينة استجابة للوساطة والضغط القرمطي[٣٢]. واضطر ابوالقاسم البريدي الى الهرب من البصرة بعد ذلك بأربع سنوات عندما استولى عليها معز الدولة البويهي وانهى حكم البريديين سنة ٣٣٦هـ. وقد اتجه ابوالقاسم الى الاحساء حيث اقام عند القرامطة حوالي سنة. وفي العام التالي بعث كتابا الى معز الدولة يطلب منه الامان والسماح له بالمثول بين يديه. فغادر الاحساء الى بغداد حيث اكرمه معز الدولة وظل بها حتى وفاته[٣٣].

حالة هذه العلاقة :

يتبين من خلال تتبعنا لسلوك القرامطة السياسي والعسكري وتشابك علاقتهم مع مختلف القوى السياسية والعسكرية التي استظلت بالخيمة العباسية المهلهلة ان القرامطة اصبحوا واحدة من القوى المحلية، وسعوا الى ان يكون لهم وجود مستقر، ومعترف به من قبل القوى الاخرى في المنطقة. وعلى هذا الاساس أمكن ان يقوم بينهم وبين جيرانهم سلام. فاذا كان الامر كذلك فان هذا يقودنا الى التساؤل عن مدى نوع علاقة القرامطة بالخلافة الفاطمية، سواء في شمال افريقيا او في مصر.

والحقيقة ان حديث الباحثين والمؤرخين في موضوع هذه العلاقة بين القرامطة والفاطميين ملفوف بقدر كبير من الخلط والتضارب. سواء عند المؤرخين القدامى او المحدثين. بل كذلك في اقوال المؤرخ الواحد. ولا مراء في ان الانتقال الى بحث هذه النقطة يخرج بنا عن موضوعنا، ومع ذلك أرى من المناسب التأكيد على ان

دلالة علاقات القرامطة بالسلطة العباسية ابتداء من اوائل القرن الرابع الهجري لابد وان تحملنا على الشك في وجود علاقة ارتباط جدي او ولاء يتصف بأي درجة من الاستقرار بين القرامطة والفاطميين. ولعلنا نجد الفرصة لدراسة هذا الموضوع في بحث مستقل بإذن الله.

المراجع

(١) خير مصدر يصف تفاصيل احداث هذه الفترة من تاريخ الخلافة العباسية هو ابوعلي. احمدبن محمد. المعروف بمسكويه، كتاب تجارب الامم، مجلدا ـ ٢، تحقيق هـ ف أمدروز، القاهرة مطبعة التمدن، ١٩١٤ ـ ١٩١٥م

(٢) عزالدين ابوالحسن علي بن ابي الكرم محمد المعروف بابن الاثير كتاب الكامل في التاريخ بيروت دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦، مجلد ٨، ص٨٤

(٣) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في اخبار الحقائق، تحقيق نبيلة عبدالمنعم داود، القسم الاول والقسم الثاني من المجلد الرابع، مطبعة النعمان بالنجف، ومطبعة الارشاد ببغداد، ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣، القسم الأول، ص٣١٥

(٤) ابن الاثير، مجلد ٨، ص٢٩٤ ـ ٥

(٥) تقي الدين احمد بن علي المقريزي اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا جزان، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، ١٩٦٧ ـ ١٩٧١، مجلد ١، ص١٨٣

(٦) المصدر نفسه

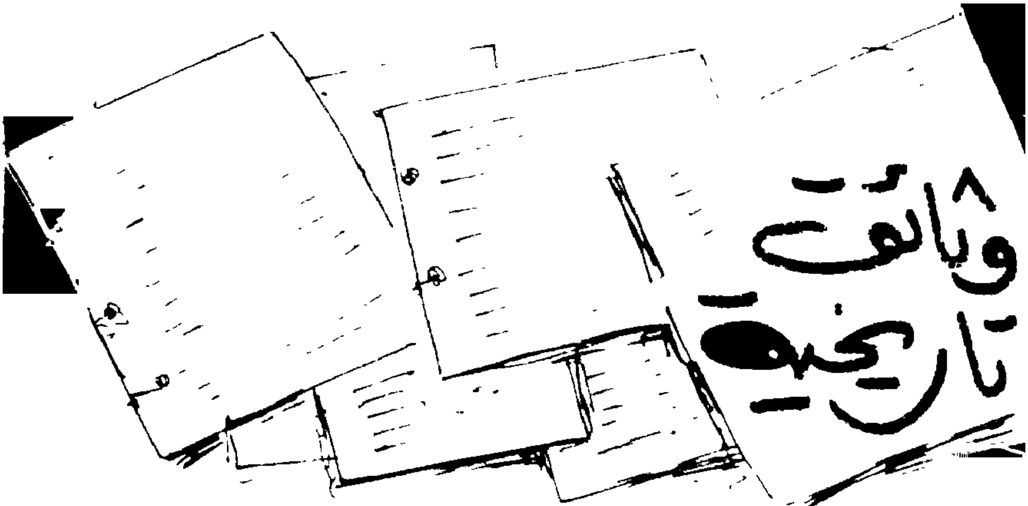
(٧) المصدر نفسه، ص١٨٤

(٨) محمدبن عبدالملك الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، الجزء الاول، تحقيق البرت يوسف كنعان، بيروت المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦١، ص١٠٢.

(٩) مسكويه، مجلد ١، ص ٤٠٥

(١٠) ابوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر أباد، الدكن مطبعة دائرة المعارف العثمانية، مجلد ٦، ص٢٩٦، وانظر كذلك العيون والحدائق، مجلد ٤، قسم ٢، ص ٨٠ ـ ١

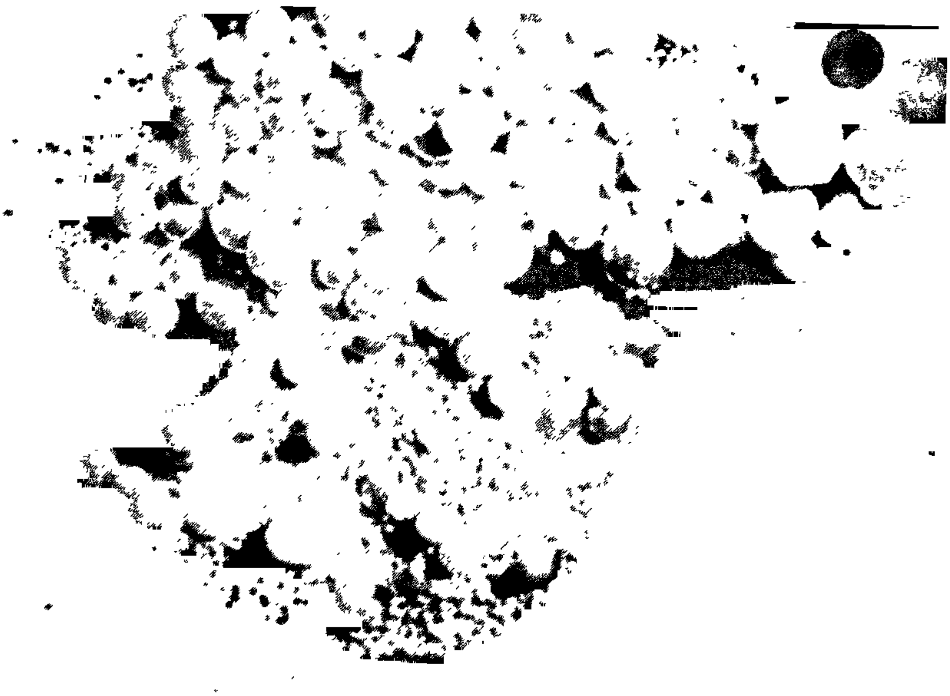
(١١) ابن الجوزي، مجلد ٦، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.
(١٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٦.
(١٣) انظر حاشية رقم (١).
(١٤) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ص٩٩، وانظر مسكويه، مجلد ١ ص٤٠٨.
(١٥) العيون والحدائق مجلد ٤، قسم ٢، ص١٠٨ ـ ١١١.
(١٦) ابن الجوزي، مجلد ٢، ص ٩٠ ـ١.
(١٧) مسكويه. مجلد ٢ ص ٩٠ ـ ١
(١٨) المصدر نفسه، ص١١٢، العيون والحدائق، مجلد ٤، قسم ٢، ص١٨٥، ابن الاثير، مجلد ٨، ص٤٦٩.
(١٩) مسكويه، مجلد ٢، ص١١٧ و١٢٩.
(٢٠) ابوعبدالله، محمدبن احمد المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم بيروت مكتبة خياط، تصويرا بالاوفست عن طبعة E.J.Brill لسنة ١٩٠٦م، ص ١٣٣ ـ ٤.
(٢١) ابن الجوزي، مجلد ٧، ص ٨٣
(٢٢) المصدر نفسه، ص ٨٦.
(٢٣) ابن الاثير، مجلد ٩، ص ٤٢.
(٢٤) ابن الجوزي، مجلد ٧، ص ١٢٦ ـ ٧، ابن الاثير، مجلد ٩، ص ٤٢
(٢٥) ابن الجوزي، مجلد ٧، ص ١٢٦ ـ ٧، ابن الاثير، مجلد ٩، ص٤٢ ـ ٣
(٢٦) المقريزي، مجلد ١، ص ١٢٩ ـ ١٣١
(٢٧) ابن الاثير، مجلد ٧، ص ٥٣١ و٥٤٢ و٥٤٩.
(٢٨) المصدر نفسه، مجلد ٨، ص١٤٧ و١٥٥ و١٧٢.
(٢٩) مسكويه، مجلد ٢، ص ٩٠ ـ ١
(٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.
(٣١) العيون والحدائق، مجلد ٤، قسم ٢، ص ١٠٨ ـ ١١١.
(٣٢) ابن الاثير، مجلد ٨، ص ٤١٠ ـ ٤٤١، مسكويه، مجلد ٢، ص ٦٠ ـ ١
(٣٣) العيون والحدائق، مجلد ٤، قسم ٢، ص ١٨٥ ـ ٦، مسكويه، مجلد ٢، ص ١١٢، ابن الاثير، مجلد ٨، ص ٤٦٩.



صيد اللؤلؤ في البحرين

الدكتور على ابا حسين وب. ل. نارايان

لقد حفظت سجلات التاريخ القديم عن سكان البحرين ارتباطهم بصيد اللؤلؤ في المناطق المجاورة لجزر البحرين ، وظل هذا الارتباط دون توقف حتى العصر الحديث . ونستدل على ذلك من لوحة حجرية وجدت في اثار مدينة (اور) السومرية في بلاد الرافدين والتي تعود الى الفي عام ونيف قبل الميلاد . هذه اللوحة من اقدم الوثائق التاريخية التي تم العثور عليها ان لم تكن اقدمها وهي محفوظة في المتحف البريطاني . وفي مركز الوثائق التاريخية في البحرين صورتها وبالبحث صورة لها وفيها ان (اور) استوردت بعض السلع كالنحاس والاخشاب واللؤلؤ عن طريق



دلمون وهذا يدل على التبادل التجاري بين دلمون (البحرين الحالية) ومدينة (اور) السومرية وشهرة دلمون بتصدير اللؤلؤ اليها . كما عثر على ثمانية الواح حجرية من معبد نينكال من عصر سلالة أور الثالثة تخص تجارة دلمون ومن تلك السلع اللؤلؤ . وفي الاسطورة السومرية (ان اوتونابشتم) بطل الطوفان السومري أراد الخلود مما جعله يسكن (دلمون) الارض التي يصطفيها الجميع . وربما تكون نبتة الخلود التي أخبر اوتونابشتم (جلجامش) عنها عندما قابله في مقره هي (اللؤلؤ)[1] . وورد ذكر صيد اللؤلؤ على طول الشاطىء العربي للخليج في أيام

المقدونيين . وتؤكد المصادر اليونانية ان اكثر ما يقع من مصائد اللؤلؤ قرب السواحل الرملية المحيطة بجزر البحرين وكان للاغريق والرومان علاقات تجارية مع البحرين وخاصة في عهد الاسكندر المقدوني فقد خصص بطلميوس فصلا عن مصائد اللؤلؤ في (تايلوس) وتايلوس هو الاسم الذي أطلقه الرومان على جزيرة البحرين الام وعند (بليني) الذى عاش في ٣٢٥ق.م ان جزيرة تايلوس الواقعة مقابل الجرها (العقير) تشتهر بلآلئها وان في تايلوس مدينة تحمل نفس اسمها(٢)

ورغم ندرة ما كتبه الغربيون القدامى عن صيد اللؤلؤ في الخليج العربي الا ان الرحالة والجغرافيين والذين كتبوا عن الاحجار والجواهر من العرب وما أورده الشعراء في العصر الجاهلي والأموي في شعرهم يلقى الضوء على هذه الصناعة وتعتبر كتبهم وثائق تاريخية من شهود عيان فهم يصفون ما يرونه ويتحدثون عن صلات البحرين بالممالك المعاصرة وتفاصيل أرخبيل البحرين جغرافيا واقتصاديا بالاضافة الى صيد اللؤلؤ حول جزر البحرين . وقلما تجد كتابا لديهم يتحدث عن اللؤلؤ في الخليج العربي دون ذكر البحرين خاصة وان اسم البحرين في عهدهم كان يطلق على الرصيف الساحلي الشرقي من جزيرة العرب بما فيه جزيرة أوال والجزر المحيطة بها وكانوا يذكرون اسم البحرين مقرونا بذكر اللؤلؤ ، وان الذي يقرأ في كتب هؤلاء الرحالة يجد ان من يحكم البحرين كانت له السيطرة على مناطق صيد اللؤلؤ حول جزر البحرين ، فقد ذكر الخطيب البغدادي المتوفي (٤٦٣هـ) ان هارون الرشيد ولي أحد كبار قادته وهو (المعلى) ولاه على اقليم واسع في الخليج العربي ومنه البحرين والغوص ثم جمعت هذه الاعمال لمحمد بن سليمان بن على بن عبدالله العباس بن عبدالمطلب ثم لغيره وقد يكون مسئولا عن دفع اتاوة أو ضريبة الى حاكم آخر كما فعل والى البحرين في سنة ٦٢٨هـ وهو الفضل بن على العيوني الذي دفع ضريبة الى الاتابك ابي بكر سعد بن زنكي السلغري بعد ان دفعها سلفه الى حاكم (قيس) قبله(٣).



اللوحة الحجرية التي عثر عليها في «اور»

وأشار المقدسي (ت ٣٨٠هـ) الى البحرين وشواطئها وصيد اللؤلؤ فيها

أما ناصر خسرو الذى حج عام ٤٤٣هـ فوصف البحرين اثر عودته من الحج وصف نخيلها واستخراج اللؤلؤ من بحرها وذلك ايام العيونيين الذين كانوا يأخذون نصف ما يستخرجه الغواصون منه(٤) .

وحين وصف الشريف الادريسى (ت ٥٦٠هـ) جزيرة أوال قال ان اوال حاضرة البحرين وهي مدينة عامرة وان جزيرة أوال وساير ما بين بلاد البحرين وعمان تسكنها العرب

وفي جزيرة أوال أمير قائم بنفسه وقد رضيه أهل الساحلين لعدله ومتانة دينه وفيها رؤساء الغواصين ساكنون بهذه المدينة والتجار يقصدون اليها من جميع الاقطار بالأموال الكثيرة ويقيمون بها الاشهر الكثيرة حتى يكون وقت الغوص في شهر اغسطس وسبتنبر (سبتمبر) وكانوا يخرجون من المدينة في ازيد من مايتي دونج والدونج أكبر من الزورق . فاذا خرج الغواصون عن اوال تقدمهم الدليل والغواصون خلفه في مراكبهم صفوفا لا تتعدى جريه ولا تخرج عن طريقه حتى اذا فرغوا من الغوص انصرفوا

الى جزيرة أوال في ما جمعوا من اللؤلؤ وقد وضعوها في صرر مكتوب على كل صرة اسم صاحبها فاذا نـزلوا أوال اخذت تلك الصرر من التجار وصارت في قبض والي البحرين وفي ذمته لبيعها في موضع البيع امام التجار فيقبض كل تاجر ماله وينصرف الناس ليعودوا الى هناك في العام القابل وهكذا ابدا ويـرسل الوالي النفيس من اللؤلؤ الى امير المؤمنين الخليفة العباسي[٥].

كمـا ذكـر الرحـالة ابن بـطوطة (ت ٧٧٩هــ) والذي زار البحـرين فـوصف عملية الغـوص وقـال ان ضريبة يـدفعها الغـواصون الى والي البحرين تقدر بالخمس

ووصف الملاح (احمد بن ماجد) في كتابه (الفوائد) عام ٨٩٣هـ جزيـرة البحـرين فـقـال وتسـمـى اوال وحـواليها معـادن اللؤلؤ وعدة جـزر (حولها) كلهـا معادن اللؤلؤ ويـأوي عليها قريب الف مـركب وفيها جملة قبائل من العرب وحملة تجار وهي في تاريخ هذا الكتاب لاجود بن زامل بن حسـين العـامـري الجبـرى (ملك البحرين)[٦]

وقد تعرضت البحرين الى عدوان أجنبي في مستهـل القـرن العـاشر الهجري السادس عشر الميلادي وهو الاحتلال البرتغـالي واهم سبب لهذا الاحتــلال كـان غنـى البحـريـن الاقتصادي وخاصة في اللؤلؤ بدليل ما اوردته الرسائل المتبادلة بين القائـد البرتغالي افونسو دالبوكيرك مع ملك البرتغال فقد كتب اليه رسالة مؤرخة في ٢٠ اكـتـوبـر ١٥١٤م/ ٩٢٠هـ يعرض عليه انه يريد احتلال البحرين لانهـا منطقـة غنية حيث يكثـر فيها اللؤلؤ ويستـطرد القائد البـوكيـرك بقوله ان في مياه (باريم) ـ كما يطلق عليهـا البرتغـاليـون ـ بـذور اللآلىء واللآلىء نفسهـا وانهـا تـرسـل الى اقاليمنا ويعني بذلك الى هرمز وجوا في الهند وهي احسن جودة ومتـانة من التي توجد في اماكن اخرى من هـذه المنـطقـة . وان لؤلؤة البحـرين من النوع الممتاز ويتولى تجار من البحرين ادارة عمليـات الغـوص عـلى اللؤلؤ ويبيعونه مما يكسبهم أرباحـا طائلة وختم البـوكيرك قـوله . ان البحرين جـوهـرة لا يمكن تـركهـا في أيـدي المسلمين[٧] .

لقـد اقنع القـائد البـوكيرك ملك البـرتغـال فـأرسـل أربـع سفـن للاستطلاع بقيادة ابن عمه (بيرو) ثم تبعه افونسو دالبوكيرك نفسه وكان في البحـرين منـدوب بـرتغـالي للملك البـرتغالي يسكن في البحـرين لغرض صيـد اللؤلؤ ثم أرسـل افـونسـو

للوبر ولم نسمع من بني بعيسه سوى ...

المرتفعه وعلى جنوبي تلك الجزيره على مسيرة اربعة ايام ... تشتمل وتسلم بالمدينه

للعجب وتسمى بالعجمة ... وقيل كان فيها اكسير ... في البحر واقل ...

ولم يكن ... في هذا وفي حين ... فيها الكسير في قديم الزمان

بالحوالي ... من الترتيب للمجوسية ... الموج بغير سليل وكرم

ان جرت باقصى الشمال وهي البحرين المسامتة ... عند نزول الشمس

برج الميزان ... سعة الارباح ودواب شتى

• واذا ... من اوصافها • وقد ذكر الشافعي ... المنزل

للجزيرة الملقبة وهي البحرين المتقدم ذكرها وتسمى اوال وفيها ... قريبة

وفيها الماء الحالي من جملة جوانبها واعجب ما فيها مكان يقال له القصاصير

يغوص الانسان في البحر المالح بالقربة ويملاها من الماء الحالي وهو من ... الماء

المالح • ومن اليها معادن اللؤلؤ ومنه جزيرة ... اللؤلؤ ويجري عليها نحو

الف مركب وفيها جملة من اهل العرب وجملة تجار وفيها جملة من النخل المثمر

والوافد ... الابل والبقر والاغنام وفيها ... زاده

وقال ... ولم ... غايته اعمان ... في تاريخ الكامل لابن الاثير

زكريا بن ... ان يقوم ... على القطيف السلطان ... بن ...

... بلغت ... جزيرة جزوى ... المتقدم ذكرها وكتب

واخذ البحرين والقطيف ... ثمانين وثلاثمائه وقد اخذ ... عمان ابن شهاب بالسيف على سليمان بن سليمان ... الاباضية ... وقاموا ... واستولوا عليهم ... التالي ... نعرف بجزيرة ...

---

* ـ ابن ماجد عام ٨٩٣هـ وفيه ... ان عدة جزر حول البحرين

[illegible] اللؤلؤ ويدور اليها قريب من الف مركب

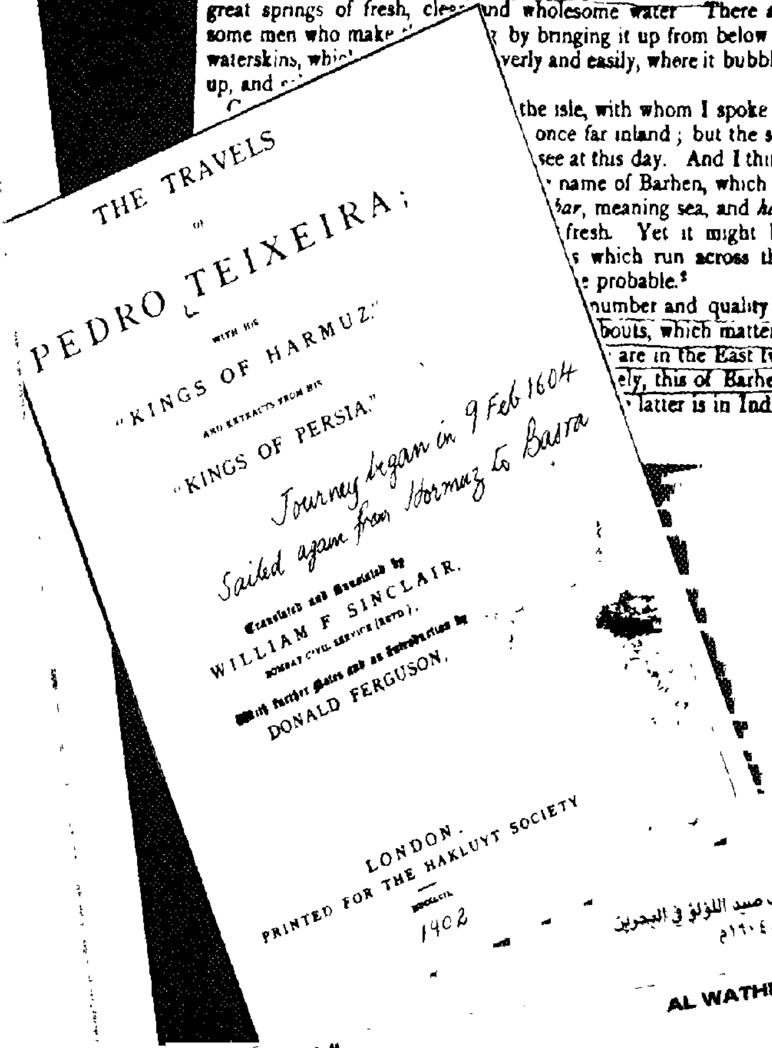
دالبوكيرك القائد (انطونيو كوريا) (١٥٢١م/٩٢٨هـ) فاحتل البحرين وبقيت تحت النفوذ البرتغالي حتى ١٦٠٢م/١٠١١هـ وحاولوا استعادتها حتى ١٦٢٢م ١٠٣٢هـ الا ان مقاومة اهلها حالت دون ذلك تم عقد معاهدة يانسة سنة ١٦٢٥م مع الشاه عباس تنازلت فيها البرتغال عن كافة الاقاليم الساحلية ما عدا شواطىء البحرين التي كانت غنية باللآلىء[1] وقد كتب الرحالة البرتغالي (بيدرو تكسيرا) في اسفاره التي بدأت في ٩ فبراير ١٦٠٤م من (حوا) الى هرمر ومنها الى البصرة مارا بالبحرين مقال تشتهر جزيرة البحرين بلآلئها كما وكيفا وهذا موضوع اذكره باختصار لانه معروف عامة توجد في الشرق معاصتان كبيرتان احداهما في البحرين في الخليج وثانيتهما في مانار بالقرب من سيلان

ويبتدىء موسم صيد اللؤلؤ في البحرين في شهر يونيو او في يوليو عادة ويستمر الى اغسطس ويتكون الاسطول من ٢٠٠ سفينة (من نوع طرادة) ١٠٠ منها للبحرين و٥٠ لجلفار و٥٠ من نخيلو ، وتمتاز (لآلىء البحرين) وتفوق جميع الأنواع الأخرى من حيث المواصفات والوزن . اذا قارنا لؤلؤتين احداهما بحرينية وثانيتهما أخرى من نفس الحجم فتتفوق لؤلؤة البحرين وزنا . ان قيمة تجارة اللؤلؤ سنويا في اللآلىء الصغيرة والعادية تبلغ ٥٠,٠٠٠ دوكات دون ان ناخذ في الاعتبار قيمة اللآلىء المهربة وهي حوالى ١٠٠,٠٠٠ دوكات لان التهريب يتم خوفا من اغتصاب المندوب البرتغالي في البحرين . وتستخدم معدلات القيراط او قيلات او عبس (٣ عبسات تساوي قيراطا واحدا) ومثقال (ويساوي المثقال ٢٤ قيراطا أو ٧٢ جراما تقريبا) ويتم تصنيف اللآلىء الصغيرة على اساس ٢٠ أو ٣٠ أو ٤٠ لكل متقال يغوص الغواصون البحرينيون الى عمق ١٢ أو ١٥ غورا (والغور) يساوي عمق ٦ أقدام وأشار المحقق في الهامش قوله وتمتد (جزيرة البحرين) الى ٣٠ ميلا طولا و٩ اميال عرضا وطبقا لتقرير ورد من الهند يمتد موسم الصيد من يونيو الى اكتوبر وان شواطىء البحرين تجرى الى ٤ أو ٥ أغوار أي ما بين ٢٤ ـ ٣٠ قدما وانها من أغنى السواحل ومؤكدة من حيث الانتاج

ويستطرد بقوله ويستخدم في الخليج حوالى ٤,٥٠٠ سفينة و٣٠,٠٠٠ عامل في موسم الصيد

fruitful, especially of dates, which are most abundant. There is little wheat, but some barley. Rice, the staple food after dates, is brought from India through Harmuz. There is water in plenty, rather brackish than sweet. The best is that of Nanyáh, the name of certain very deep wells in the centre of the isle. The next is that got from the bottom of the sea, as follows. The chief town of the isle, Manamà, is on the sea shore, and near it, in the depth of three or three and a-half fathoms, are several great springs of fresh, clea... and wholesome water. There are some men who make ... by bringing it up from below in waterskins, whi... ...verly and easily, where it bubbles up, and ...

... the isle, with whom I spoke of, ... once far inland; but the sea ... see at this day. And I think ... name of Barhen, which in ... *bar*, meaning sea, and *hen*, ... fresh. Yet it might be ... s which run across the ... probable.[2] ... number and quality of ... bouts, which matter I ... are in the East Two ... ely, this of Barhen, ... latter is in India,


THE TRAVELS

OF

PEDRO TEIXEIRA;

WITH HIS

"KINGS OF HARMUZ,"

AND EXTRACTS FROM HIS

"KINGS OF PERSIA."

Journey began in 9 Feb 1604

Sailed again from Hormuz to Basra

Translated and Annotated by

WILLIAM F. SINCLAIR,

BOMBAY CIVIL SERVICE (RETD.),

With further Notes and an Introduction by

DONALD FERGUSON.

LONDON:

PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY.

MDCCCCII.

1902

الرحالة بيدرو تكسيرا يصف صيد اللؤلؤ في البحرين ... سنة ١٦٠٤م

وتحمل كل سفينة من ٥ الى ١٤ شخصا ، وان مناسبة صيد اللؤلؤ تقدم منظرا جميلا حيويا متسما بالنشاط والبهجة وقد احتلها البرتغاليون في بداية القرن السادس عشر وأسسوا فيها وفي القطيف مراكز تجارية لاحتكار تجارة اللؤلؤ وبعد اخراج اللؤلؤ من المحار ، تسلم الحبات الى صاحب السفينة الذى بدوره يقسمها الى ٣ فئات بواسطة مناخل مصنوعة من نحاس اصفر ذات ثقوب مختلفة الأحجام. واللآلىء التى لا تمر من منخل ذي ثقوب أكبر تسمى (راس) ثم يأتي نوع ثان يسمى (باطن) ويأتي بعد ذلك نوع ثالث يسمى (دزل) ويتم تصنيف اللآلىء حسب الانواع الثلاثة وتباع الى تجار اللؤلؤ حسب نظام معقد لتسعيرها وفقا لأشكالها وألوانها واثقالها واحجامها ينظمها التاجر من جديد في رزم صغيرة ويرسلها الى الأسواق الهندية . وبصفة عامة ليست اللآلىء البحرينية بيضاء بنفس الدرجة كاللآلىء السيلانية لكنها أكبر حجما واكثر جمالا من حيث الشكل ويبقى لمعانها لمدة أطول[٩]

ومن الطريف ان تاجرا بحرينيا اسمه الشيخ محمد وصل الى هرمز عام ١٥٢٨م ومعه لؤلؤة ثمينة جدا عرض بيعها هناك بمبلغ الفي (اشرفي) ولكن قائد القلعة البرتغالية (دي ميلو) في هرمز نهبها منه وأصدر اوامره بضرب الشيخ محمد ضربا مبرحا وتسفيره من هرمز بعد ان يربط بالحبال فما كان من الرئيس شرف الدين الا ان أطلق سراح الشيخ محمد فاشتدت الخصومة بين دي ميلو وشرف الدين فطلب دي ميلو ان يدفع شرف الدين خمسة آلاف اشرفي مقابل اطلاق سراح الشيخ محمد فرفع الشيخ محمد شكوى ضد (دي ميلو) لدى الحاكم العام البرتغالي في الهند (لوبو واز) فطلب الحاكم من الرئيس شرف الدين تحقيقا حول الاتهامات المنسوبة للقائد البرتغالي وأخيرا فرض ملك البرتغال غرامة على دي ميلو واعيدت حقوق كل من الشيخ محمد وشرف الدين في هرمز[١٠]

وحاول العثمانيون الاستيلاء على البحرين بسبب ما تتمتع به من خيرات ومنها صيد اللؤلؤ خاصة فقد تعرضت الاحساء والقطيف لصراع بين الولاة العثمانيين من جهة وآل عريعر من جهة أخرى مما أدى الى هجرة بعض تجار اللؤلؤ وما يملكون من سفن الغوص الى البحرين فأدى ذلك الى ركود اقتصادي في الاحساء والقطيف

(١١)

محل وجود الوثيقة : ارشيف رئاسة الوزراء

اسم الدفتر : دفتر المهمة

رقم الدفتر : ٣

رقم الوثيقة : ١١٢٢

الصحيفة : ٣٧٩

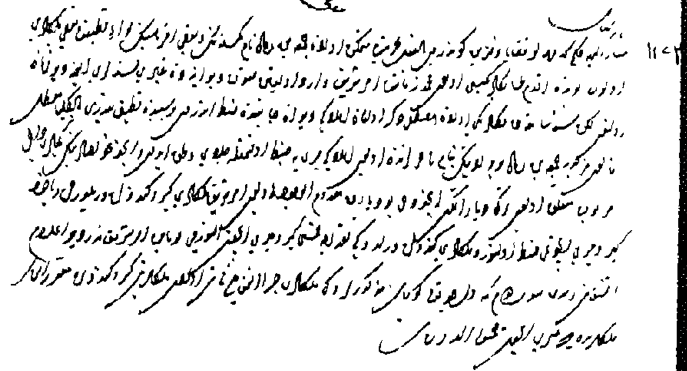
التاريخ : ١٨ شعبان ٩٦٧

الحكم موجه الى امير امراء لحسا

جاء فيه ان الامير المذكور بعث دفتر القضاة المختوم الى مقام السلطان يقول فيه ان امير لحسا السابق / مصطفى استولى على اموال جمعة رمال الموجود في القطيف رغم امر السلطاني الصادر الى امير لحسا السابق / محمد حول منع الاعتداء على اموال رمال واقربائه بعد اخذ حقوق الديوان منها ويضيف الامير المذكور ان جمعة بن رمال من كبار التجار من في القطيف وبعدما استولى الامير السابق على امواله هرب الى البحرين واستقر فيها واخذ معه ما يملكه من السفن والغواصين اللؤلؤ مما ادى الى ركود اقتصادي في البلد ولم يعد يذكر اسم اللؤلؤ في البلد . ويسئل الامير من المقام العالي الوجه الصالح في المشكلة وهو اما تسليمها الى اصحابها او الاستيلاء عليها من قبل الخزينة .

ويأمر السلطان في حكمه ارجاع اموال عائلة جمعة رمال اليهم وقبض ما للخزينة منها .

١٨ شعبان ٩٦٧



وثيقة عثمانية مؤرخة في ٩٦٧هـ وفيها ان بعض تجار اللؤلؤ من القطيف استقروا في البحرين فانتعشت تجارته فيها

(١٢)

[illegible]

حكم الى امير أمراء لحسا

لقد ارسل امير امراء بغداد مرسالة مفصلة الى مقام العالي بخصوص فتح قلعة بحرين [illegible] برجا فيها مواجه منه القلعة بجانب (منامة) في البحرين، وتأسيس مركزا [illegible] اخرا في القلعة للمهمات والعساكر واللوازمات الضرورية لانشاء تلك البرج في البناء المذكور [illegible] تأمين وتجهيز ٢٠ الف من [illegible] والرصاص المعمولة من اوراق [illegible] لاستعمال [illegible] المواد الانشائية في تلك البناء ......

وثيقة عثمانية [illegible] سنة ٩٨٣هـ ١٥٧٥م

خاصة بعد أن استولى مصطفى باشا على أموال (آل رحال) وهم من تجار اللؤلؤ الذين نزحوا الى البحرين مع تجار آخرين ولم يعد يذكر اللؤلؤ في البلد ، ولكن السلطان العثماني أمر باعادة أموالهم ما داموا يدفعون رسوم خزينة الدولة[١١] وفي وثيقة عثمانية مختومة بختم أمير الاحساء العثماني ومرسلة الى دار السلطنة مؤرخة في ٩٨١هـ/١٥٧٣م ورد (ان في البحرين أكثر من ثلثمائة قرية وان ربحها السنوي اربعين الف فلوري (خاصة من صيد اللؤلؤ) وان من السهولة فتحها . ويسأل الصدر الأعظم كيف يتم فتح البحرين ومتى وكم العدة لفتحها ؟ ثم يطلب تقصي الاخبار عن عساكر البحرين وعن محصولها ؟)[١٢] .

ثم أمر السلطان ببناء برج (قلعة) في ميناء المنامة ٩٨٣هـ وهذا ثاني ذكر في التاريخ عثرنا عليه لميناء المنامة وأول ذكر كان أثناء حملة مصطفى باشا الفاشلة على البحرين ضد البرتغاليين في سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م[١٣] .

أما الوثائق (الهولندية) فقد أوردت ذكر اللؤلؤ في البحرين ففي عام ١٦٣٤م ابتاع نيكولاس اوفرسخي مدير المؤسسة الهولندية في جمبرون كمية قليلة من اللؤلؤ على سبيل التجربة وبعث بها الى هولندا . فلم تجد هذه اللآلىء اقبالا في أسواق هولندا بسبب أثمانها العالية ولكن ذلك أثار اهتمام الهولنديين بالبحرين في ١٦٤٠م مباشرة خاصة بعد تدهور التجارة الهولندية مع ايران وتدهور الأوضاع في جمبرون (بندر عباس) وقد استهدف الهولنديون بذلك تحقيق آفاق جديدة في التجارة وخاصة في تجارة اللؤلؤ ولكن محاولات هولندا المتكررة في الدخول الى أسواق اللؤلؤ باءت بالفشل لأسباب مختلفة وفي بداية الخمسينات من القرن السابع عشر بذلت شركة الهند الشرقية الهولندية مجهودا ضخما لبسط مصالحها في آسيا وقام الهولنديون بدراسة امكان ارسال ممثلي الشركة الى البحرين وجلفار (رأس الخيمة) لشراء اللؤلؤ ولكنهم لم ينفذوا خطتهم وقد يرجع السبب الى الصراع القائم بينهم وبين البرتغاليين في منطقة سيلان حيث احتل الهولنديون أماكن صيد اللؤلؤ فيها وصرفوا النظر عن الاهتمام بلؤلؤ الخليج العربي . وقد أصدر مدير المكتب الهولندي في جمبرون (بندر عباس) تعليماته الى كوبمان هنريك في كونك وذلك في ٢٢ مايو ١٦٤٣م لشراء اللؤلؤ من

البحرين ، وان يبحر في بداية الشهر السادس على ان يصحب معه (تسيك بيت) وهو هندي بانياني فيتوجها ومعهما حصانان وجملان او بغلان لنقل أمتعتهما وان يستقلا سفينة من سفن المسلمين المتوفرة على ساحل كونك وحين وصولهما للبحرين يستأجرا بيتا مناسبا ليستقرا فيه حتى شهر اكتوبر ويشتريان اللآلىء ثم يتوجهان باللآلىء الى هولندا

وجاء في الوثائق الهولندية وصف لصيد اللؤلؤ وفيه ان صيادي اللؤلؤ يتوجهون بمراكبهم الصغيرة في شهر يوليو من كل من البحرين وكنغ والقطيف وجلفار (راس الخيمة) فتبتدىء المرحلة الاولى لعملية الغوص وبعد ان يحصدوا حصادا لا يستهان به ، يتوجهون الى بعض الجزر الصغيرة الواقعة على بعد حوالى ١٠ او ١٢ ميلا من البحرين ومعهم الاصداف التى تفتح في حضور ربابنة السفن والقواد المختصون لهذا الغرض . وتستخرج اللآلىء وتسلم الى القواد المذكورين الذين يستلمون اللآلىء التي يصادق عليها ربان السفينة ويختمها بختمه ثم انهم يتوجهون الى البحر للمرة الثانية لصيد المحار وتتكرر العملية حتى يتم تقييم الحصاد الثالث حوالى بداية أو أواسط شهر سبتمبر حينما يعود كل صياد لؤلؤ الى مقره (غالبا الى البحرين) وهناك تباع اللآلىء بأغلى تمن ممكن . ثم ينقلها المشترون الى بلدان شتى . ويستطرد مدير المكتب الهولندي باصدار تعليماته الى كوبمان فيقول . ونوصيك باستخدام كل وسيلة لشراء اللآلىء المستديرة البيضاء الخالية من الماء مقابل أسعار معقولة ومناسبة . وعليك الا تبدى رغبة شديدة في الشراء . كن هادئا كي لا يثير حماسك التجار الى الكبرياء والعناد . وتظاهر (وهي الحقيقة) بأنك جئت لتستكشف اذا يمكن للشركة ان تبيع بضائعها في تلك البلدان بأرباح معقولة (نحن حلفاء البرتغاليين الآن ونستطيع ان نتحرك في كل مكان بحرية) وعليك ان تدعم زعمك بالقول بأنك جئت بالبضائع المتنوعة لهذا الغرض وفي هذه الأثناء عليك ان تكون حريصا على شراء فئات اللؤلؤ بالنقد من طراز ¼ و½ و¼١ و½١ قيراط الى قيراطين حسب ما يتوفر من أحسن الانواع . ولا تشتري فئات مخلوطة بحيث يكون الثلث منها كروية وشفافة والباقي أصفر اللون ورديء غير شفاف الا اذا ضمنت بأنها ستربح . وفي رأينا اذا اشتريت اللآلىء من هذه الفئة فعليك ان

Extract from a letter by the director of the Dutch establishment in Ispahan, Carel Constant to the Batavia High Government, 20 XII 1643

(f.863v)

---Bij soo verre onse cassa 't toelaet, sullen op den incoop der peerlen letten en eenige advantagieusche partijtgens voorcoomende aenslaen, edoch soo noch vermercken sal der niet veele met voordeel in gedaen connen werden waervan ons den tijdt hiernaer de zeeckerheyt openbaere, deesen jaere offte 't gepasseerde saeysoen is de vangst soober geweest. Voor Chormandel werden ons door d'Edele gouverneur Arent Gardenijs geene geeyst . Tot ontdeckinge van dien en off daerinne ietwes met voordeel bij der hant genoomen kan werden, sullen letten en U Edelhedens advys geeven, edoch wert den handel in Baran en Catieffa soo mecanyck, naer ons laetten onderrechten, gedreeven, dat door onse natie mijns oordeels weinich ten goede verricht sal connen werden, en is 't een handel die met goede kennisse dient te geschieden en persoonen die goede ervarentheyt hebben daertoe gebruyct...

--- In as much as our funds allow us, we will keep an eye on the buying of pearls an in case some advantagious lots occur, we will buy them. But insofar as we observe, there can not be done much in this matter with profit; we hope that we may have any certainty in future. This year ofr the last season the fishery has been poor. The noble governor Arent Gardenijs[a] has not asked any from us for Coromandel. For the discovery of this trade and whether in this can be taken on anything with profit, we will pay attenion and inform Your Honours, but according to our information, the trade in Baran and Catieffa[b] is carried on in such a complicated mannerthat according to my opinion there can be done little good by our people. it is a trade which should be done with good knowledge and experienced persons should be employed in this matter...

هولندية مؤرخة في ١٦٤٣ ذكر فيها أن صيد اللؤلؤ في هذا العام كان ناقصا

تشتري اللآلىء الشفافة بأسعار معقولة أو عادية والبقية من اللآلىء الرديئة غير الشفافة مقابل سعر رخيص جدا ففي هذه الحالة يسمح لك بأن تشتري الفئات المخلوطة

وانه من الأفضل، أن تختار من الفئات التي تعرض امامك اللآلىء البيضاء المستديرة الخالية من الماء حتى اذا تكلفك هذه أكثر من الاسعار العادية . وانني واثق بانك سوف تجلب بعض الاصناف الجميلة من اللآلىء . بهدا نعطى لك ١٠ حبات من اللآلىء كعينة واكبرها ورنا قيراط واحد وكلفتني كل لؤلوة منهـا ٦ محمدي اذا وجدت اللآلىء من هذا النوع ورنا وشكلا اي ان شكلها كروي ومضمونها المائي أبيض وشفاف فعليك ان تشتري بين ١٠٠٠ و٢٠٠٠ حبة بسعر خمسة أو ٦ أو ٧ محمدي او أكثر بقليل على ان تصرف اقل ما يمكن لشراء اللآلىء لان ذلك في صالح الشركة ان ٥ حبات من اللؤلؤ كان وزنها الكلي قيراطان كلفتني ٨ محمدي لكل حبة منها . فان تجد اللآلىء من هدا النوع ولنفس السعر او اكثر بقليل فيمكنك ان تشتري بين الفين وثلاثة آلاف حبة

واذا عرضت أمامك اللآلىء من قيراطين او اكثر نعطيك الحق في شرائها ان كانت كروية الشكل ولونها أبيض وشفاف . ويسمح لك شراء حوالى ١٠٠٠ حبة لؤلؤ من وزن قيراطين وبسعر من ١٥ الى ٢٠ محمدي . واحذر ان توجد فيها عيوب او بقع وانها صافية وشفافة فان هذا امر هام اذا وجدت أزواج من الدرر الكبيرة الجميلة البيضاء على ان تكون شفافة لامعة ومستديرة صالحة لاستخدامها في حلقات الحلى فيمكنك ان تعرض لها من ٣٠٠ الى ٣٥٠ محمدي . وفي راينا اذا حددت هذا السعر او ما يقرب منه فلا مانع من شرائك بين ١٠ و١٢ زوجا منها . ولا يمكن لي ان احدد لك اسعار اللآلىء بالضبط فعليك ان تتصرف بصورة ملائمة حسب ظروف العرض والطلب في السوق وحسب مواصفات اللآلىء وان البانيان تسيك بيت متخصص في هذا المجال ولديه الماام باسعارها التقريبية . ارسل هذا البانيان لمساعدتك واجلب انتباهك الى خبرته وفي نفس الوقت لا يجوز الاعتماد عليه كليا اذ يجب عليك ان تقوم بعملية الشراء بنفسك وان المامك باللغة العربية يساعدك كثيرا ثم ادفع الى هذا البانيان مبلغا قدره ٣٥٠ محمدي من أجل تكاليف سفرة وعليه ان يتحمل نفقات الاكل بنفسه .

نوصيك بأن تقوم بالتحقيق في تقدير حجم البضائع المباعة كيفا وكما في هذه المنطقة سنويا واسعارها كي نعرف بالضبط اذا يمكن كسب الارباح لصالح الشركة وعلى سبيل الاختبار سيسلم لك ميير Mayer التاجر المعروف السلع الآتية وهي .

٢٠ علبة كافور ياباني

علب فلفل اسود لـ ٥٠ شخصا

علب خشب صندل لـ٥٠ شخصا

١٤ رزمة وفيها أنواع الفخار وأكواب القهوة مع أو بدون قاعدة كالمذكور على الرزمة وفي الفواتير . حاول بيع البضائع المذكورة بأحسن سعر ممكن في تلك المنطقة . لقد بعنا البضائع هنا بالأسعار الآتية : الكافور ٤٠ والفلفل الاسود ٢٤½ وخشب صندل ٣٦ لارنين و٣٠ رطلا وأكواب القهوة دون القواعد بواقع ٢٠ وبالقواعد بواقع ١٢ لارين وعليك ان تحافظ على المذكرة كاملة ونأمركم بكتابتها . كن دقيقا وحذرا في كافة تصرفاتك كيلا تلحق بالشركة أي ضرر أو تعرض نفسك للخجل بسبب اهمالك . وقد زود مدير الشركة بمبلغ ٢٥٠٠٠ لارنين لشراء اللؤلؤ من كونك والبحرين .

وتقول التقارير بأن صيد اللؤلؤ هذا العام (١٦٤٣م) كان ناجحا اذ أمل ان كوبمان يورد معه فئات من اللآلىء الفاخرة والى حد ما نفهم من رسائله انه تعرض لهجوم من اثنين من القراصنة وهو في طريقه من كنغ الى البحرين بالقرب من نابان ونهبا أموال الشركة (٣٢٠٠٠ محمدي) ، ولكن بعد بضعة أيام رجعا له الأموال في (عسالو) وهي قرية بحرية بالقرب من البحرين ، باستثناء بين ١٢٠٠ و١٣٠٠ محمدي ضاعت ما بين أفراد القراصنة[١٤] .

وورد في خطاب مؤرخ في ١٠-١٢-١٦٤٣م من مدير المؤسسة الهولندية الى حكومة بتافيا · بقدر ما تسمح به ميزانيتنا ونشترى من اللؤلؤ بعض الفئات الرابحة منها لكنه يبدو لحد معرفتنا بأنه من الصعب علينا ان نكسب أرباحا كثيرة . ونأمل ان نكون واثقين أكثر في المستقبل ، اذ كان الربح في الموسم الأخير من هذه السنة ضئيلا جدا .

ويجب ان نكون حريصين على معرفة كشف أسرار هذه التجارة واذا يمكن لنا ان نكسب أرباحا منها وسنخبر معاليكم لاحقا في هذا الشأن . ولكن طبقا لمعلوماتنا فان التجارة في كل من البحرين والقطيف تجرى بصورة معقدة وفي رأينا لا يقدر رجالنا ان يقوموا بأعمال مربحة .

1644 (١٨)

Vol. VOC 1147

Extract from a general letter by Governor General and Council in Batavia to the Gentlemen XVII in Holland, 23 XII 1644

(f.81: among a list of merchandise bought in Persia:)

2961 stux peerlen wegende 1986 caraet door ons volck selver tot een preuve in Barain opgecocht gaen over met het schip den Oliphant. UEdele gelieven ons de bevinding over te schrijven alsoo den paerlehandel op UEdeles nader ordre doen surcheren hebben.

2961 pieces pearls of a weight of 1986 carat, bought by our own people in Barain by way of an experiment come to you with the ship Oliphant. Your Honours are requested to write us your judgment; we have stopped the pearltrade until your new orders...

وثيقة هولندية تعود لسنة ١٦٤٤م وتدور حول تجارة اللؤلؤ في البحرين

وانها تجارة تتطلب معلومات جيدة ويجب ان يستخدموا رجالا ذوي خبرة فيها(١٥) .

وهذه رسالة من الحاكم العام لجزر الهند الشرقية الهولندية الى امستردام في ١٦٥٢م جاء فيها . سبق لنا ان نرسل لكم تقريرا عن الاوضاع في ايران وأرفقنا معه تقريرا عن خطة المدير (سارسريوس) لزيارة كنغ لشراء اللؤلؤ ، فلقد علمنا من رسالته المؤرخة ٢١ مارس بأنه طبقا للتقاليد المتبعة هناك تباع اللآلىء الشفافة والرديئة معا بصورة مخلوطة فاتخذ خطوات مناسبة حسب الظروف السائدة كي يحصل على صفقة رابحة. واشترى على سبيل الاختبار كمية صغيرة بمبلغ٤٩/ ١٧٥٠ جلدر كي يرسلها هنا لاختيار الحبات الشفافة منها وارسالها لكم وارسال النوع الرديء منها الى سورت . هذه اللآلىء تعطى ارباحا معقولة في سورت لان الحصاد فيها العام الماضي لم يكن مثمرا ، وبسبب شراء اللآلىء الثمينة المتوفرة من أجل جلالة الملك لم يستطع سارسريوس من ايفاء طلباتكم بقدر كاف واكتفى بشراء بعض العينات فقط . وحسب رأيه اذا رغبتم معاليكم في مواصلة هذه التجارة فيجب ارسال تاجر أو تاجرين محنكين لفترة من الزمن وذلك في موسم الصيد العادي الى البحرين أو جلفار حيث يتم صيد اللؤلؤ وعليهما ان يبقيا هناك من البداية الى النهاية ويكشفا عن تفاصيل عملية الشراء المباشرة وورد في رسالة من مدير المؤسسة الهولندية في جمبرون (بندر عباس) قوله : اذا ظل الخليج خاليا من السفن الانجليزية والبرتغالية ولم نواجه أي تدخل منها ، علينا ان نرسل مبعوثا ومعه بانياني ذو خبرة لمساعدته من كنغ الى البحرين ، طبقا لاقتراحنا . ونتمنى ان يحصل هذا التصرف على رضاكم(١٦)

وهذه مقتطفات من خطاب (هندريك فان ويك) مدير المؤسسة الهولندية في جمبرون الى الحاكم العام في باتافيا مؤرخ في ٥ مايو ١٦٦٣م يقول: نرسل طيه ٧٨٥ لؤلؤة صغيرة لهولندا حسب الطلب وان اسعارها تفوق الاسعار السابقة بكثير اذ لم يكن حصاد اللؤلؤ الصغير هذا العام مثمرا في البحرين على ان اللؤلؤ اكثر من قيراطين وزنا متوفر بكثرة لكنه غال . وان التجار الذين اخذوا معهم منه كميات كبيرة الى سورت خسروا بقدر ٤٠٪ لان اللؤلؤ في سورت أرخص بكثير من جمبرون والبحرين كما ان اللآلىء الصغيرة المذكورة اعلاه قد

اشتـراهـا البـانيـاني في البحـرين خصيصا للشركة الهولندية والا كنـا نتردد في شرائها بأسعار عالية مثل هذه . نأمل ان تنزل أسعـار اللآلىء الصغيرة الى معدل متوسط لاحقا كي نستجيب لطلبـاتكم في العـام القادم[١٧] .

وفي رسـالة اخـرى من مـديـر المؤسسة الهـولندية (هندريك) الى الحاكم العام في بتافيا مـؤرخة في ٨ فبراير ١٦٦٤ جاء فيها امرت هولندا بشـراء لآلىء بمبلغ ٥٠,٠٠٠ جـلدر وكميات من اللآلىء الصغيرة لم يكن الحصاد في البحرين في العـام الماضي مثمرا ومن المتوقع ان الحصاد يكون مثمرا هذا العـام سكلف تخصصا هـذا العـام ايضـا شـراء كميـات ملحوظة من النوعين في البحرين وكذلك نفوض شخصا في سبتمبـر واكتوبـر بشراء اللآلىء في كنغ التي يصدر اليها اللؤلؤ من البحـرين للبيـع وهكـذا نغطي طلبات هولندا على الاقل جزئيا وقـرر المجلس بـالاجمـاع تفـويض كـوبمان بهـذه المهمة وسـوف يصل قريبا[١٨]

ومن مقتـطفـات رسـالة ارسلهـا الحـاكم العـام في بتـافيـا بتـاريـخ ٢٣/١٢/١٦٤٤م جاء فيها

تصـل اليكم ٢٩٦١ حبـة لؤلؤة وزنها ١٩٨٦ قيراطا اشتراها رجالنا في البحـرين عـلى سبيـل الاختبـار بواسطة سفينـة (أوليفانت) ونـرجو معـاليكم اشعارنـا بانـطباعكم . قـد أوقفنا تجارة اللؤلؤ حتى نحصل على أوامـركم الجـديـدة [١٩] . وتشـير التقارير الايرانية بصفـة عامـة بأن ممـارسة تجـارة اللؤلؤ في ايـران لن تكـون مـربحـة للشـركـة فلقـد زار (كـوبمـان وليم بـوزيم) كنـغ لهـذا الغرض ومكث هناك ٥٠ يوما لكنه لم يستطيع ان ينفق اكثـر من ٤ و١٧ و٩٠٢ جلدر لشراء اللآلىء العادية ولم يستـطع شـراء اللآلىء الصـغيـرة الممتازة هناك ولا داعي للشركة ان تحرم نفسها من هذا النوع من اللآلىء لانها تأتي من (توتي كورن) بكميات لا بأس بها

وقـد أراد المديـر (فان ويـك) أن يرسل رجـلا الى البحرين حيث انهـا مركز تجاري رئيسي ويمكن فيها شراء كميـات من اللآلى المتنوعـة مباشـرة وحسبمـا ورد في كتـابكم ان اللآلى الرائعـة تصلح لأسـواق هـولنـدا والرديئة لأسواق روسيـا . ولم نتمكن من ارسال هذه البعثة لأن شراء اللؤلؤ يتطلب خبرة خـاصة ولا تـوجد لدى مستخدمي الشركة هذه الخبرة كما لا يمكن الاعتمـاد على البـانيـان لهـذه

التجارة بسبب غدرهم لكنه يمكن صرف مبلغ متواضع على سبيل الاختبار لهذا الغرض في وقت لاحق كي نعرف ان كانت هذه التجارة في مصلحة الشركة . (٢٠)

وفي جواب من مدير المؤسسة الهولندية الى الحاكم العام يذكر انه ارسل كوبمان الى كنغ لشراء كمية من اللؤلؤ لارسالها لهولندا. وانه لم يستطع شراء أكثر من ٢٠٣ قراريط و٤٤٣ حبة بالاضافة الى ٦٢٧ لؤلؤة صغيرة ممتازة وسعرها الاجمالي ١٢/-/١٣١٩ جلدر ومعناه أن التجربة أثبتت عدم جدواها ولا داعى للشركة أن تكرر الاختبار ان كان لدينا رجل ذو خبرة كافية قادر على شراء اللآلى المخلوطة، وهذا أمر هام، فكان يمكن له حسب تقديرنا، ان يشترى الشيء المطلوب من (البحرين)، ولا يمكن الاعتماد على البانيان لهذا الغرض ويجب أن نستخدم أحد الموظفين الكبار للشركة ممن لديه المام باللؤلؤ والا يكون مجهودنا عبثا ولن نستطيع ان نكتشف عن أسرار هذه التجارة بطريقة صحيحة (٢١).

وورد في خطاب مدير المؤسسة الهولندية في جمبرون الى الحاكم العام قوله لقد أرسلنا في السنتين المتتاليتين مبعوثا الى كنغ لينظر في أمكانية شراء كمية من اللؤلؤ ملائمة لهولندا لكن المهمات انتهت دون نتيجة لأنه لم يكن ممكنا لها ان تشترى الا كميات قليلة مما اثبت عدم جدوى استمرار العملية. واذا حصل معاليكم على خدمة مواطن هولندى ذى كفاءة يقوم بتجربة في (البحرين) في تجارة اللؤلؤ بكمية صغيرة، فمن المحتمل ان الشركة ترغب في ممارسة هذه التجارة. ولما أصل الى باتافيا سأرفع تقريرا لمعاليكم بهذا الشأن مثلما عملنا سابقا بواسطة ارسال الخطابات المستعجلة لكم لاننا ما لدينا في هذا المكتب رجل ذو خبرة ليقوم بالاختبار بالعناية المطلوبة الا اذا وافقتم على توفير خدمات (كوبمان) لمدة ٤ أو ٥ شهور. فأنه رجل يمكن الاعتماد عليه (٢٢) ومن خطاب لمدير المؤسسة في جمبرون الى الحاكم العام قوله لقد سبق للمدراء بتاريخ ٩ مايو ١٦٦٩م مناقشة موضوع انشاء مقر دائم للشركة الموقرة في مسقط تتطلب دراسة هذا الموضوع ارسال شخص ذى كفاءة الى مسقط في وقت مناسب ويجب عليه ان يفهم الى حد ما اللغة وكذلك أحوال وميول العرب وأن يزود بالتعليمات اللازمة ليكشف أنواع البضائع التى يمكن بيعها بالربح المناسب كما يعرف البضائع التى يمكن شحنها عند

العودة وكافة الأمور المتعلقة باستمرار اعمال التجارة نظرا لشهرة مسقط كمركز تجاري هام منذ سنوات عديدة لا تزال تزدهر (مسقط) بسبب زيارة كثير من التجار الهنود لأسوافها سنويا كما يبدو هناك امكانيات فيها تجلب اهتمام الشركة ويمكن تحليلها عقب اكمال دراسة الموضوع انه ليس من الضروري الاستعجال في ارسال البعثة الى هناك يجب علينا اولا ان ننتظر الاعلان من الحاكم العربي عن مدى الاعفاءات الجمركية المسموحة لنا وعلينا الا نبدى اهتمامنا البالغ بالتجارة مع بلاده فهو نفسه دعانا مرارا منذ مدة طويلة لنبدا التجارة في مسقط منتوقع انه سيمنحنا امتيازات جمركية ولكن اذا لم يوضح لنا بصراحة هذه الامتيازات ويكتفي بالتعبيرات العامة مثلما تتضمن رسالته الأخيرة بعدم ازعاجنا، فعلينا ان نقوم بعمليتنا تحت ستار شراء بعض الخيول ان عدد هذه الخيول في ايران قليل ويجب جلب خيول قوية البنية والتى توجد بكثرة (في مسقط) فعلى هذا الأساس تتاح لنا فرصة جمع المعلومات التى نحتاج اليها

لقد أوقفنا مشروع شراء اللؤلؤ في كل من كمغ والبحرين كلية ولن نفكر في هذا الأمر الا اذا تلقينا أوامر جديدة من معاليكم [٢٣].

وكتب كوبمان في رسالة مؤرخة في ١٥ ,١٠ ,١٦٩٠م قوله سافرت الى (البحرين) في ١٩ يوليو في مركب صغير استأجرته لمدة شهرين لأختبر صيد اللؤلؤ نيابة عن الشركة واتخذ اجراءات أخرى لازمة في البحرين في مجال تجارة اللؤلؤ يتضمن هذا التقرير نتيجة اختباراتى في الموضوع. اود ان اقول في البداية بأن اللؤلؤ هناك يقسم الى ٣ أنواع واسماؤها كبيسة وبارجة وبي ويتضح هذا من العينات المرفقة من اللآلى التى تم صيدها. تباع الكبيسة بأوزان أقل بمقدار ٣,٥ حبة لان العرب يعتبرون نصف أوس وزنا ثقيلا وأسعارها تتراوح بين ١٣٠ أو ١٤٠ أو ١٥٠ محمديا حسب اللون الاصفر فيها أو سوادها أو استدارة شكلها. وتباع البارجة بنفس الاوزان لـ ٦٠ أو ٧٠ محمديا لنفس الاعتبارات وتباع بي بواقع ١٦ أو ١٧ محمديا لنفس الاوزان وبالنسبة للكبيسة يجب الملاحظة ان الأسعار المذكورة لا تشمل اللآلى الدائرية منها ووزنها ٢,٥ حبة أو أكثر ويتم كيلها وتقدير ثمنها منفردة ويستخدم ٢٤ معيارا لتصنيف اللآلى حسب أنواعها الثلاثة

لاغـراض الضـريـبـة، هـذه هـي الاعتبـارات التي تنطبق عـلى تجارة اللآلى وانني اشتـريتها بمـوجب هذا النظام التقييمي كما يظهر في القائمة المرفقة. ومما لا شك فيه بان معاليكم ستجدون مشترياتي موضع رضائكم رغم انهـا كلفت أكثر هـذا العام من الاعوام السابقة ويرجع السبب الى ان اليهـود من البندقيـة وحلب اشتروا اللآلىء هذه السنة بكميـات أكبر من السنة الماضية وكذلك أرسلت كميات ضخمة الى سورت ايضا لم يسمح بها الانجليز لعدة سنـوات ولكن التجارة مع سـورت اصبحت حـرة الآن عقب ابرام اتفاقية السلام التي ابرمت بين الانجليز والمسلمين

لقـد مـارست بعض الحـريـة في تصرفي عندما اشتريت بعض اللآلىء من حجم أكبـر مما أمـرتم بشرائـه لكنني اعتقـد بـأنهـا تكـون مقبـولة وتجذب أرباحا في هولندا. ان كان هذا صحيحا وتريدون اصدار أمر لشراء كمية اكثر من هذا النوع أو أكبر منه فارجوكم ابلاغنا عنه بأسرع ما يمكن وكذلك عن الانواع التي تجلب أرباحا اكثر كي احدد مشترياتي وفقا لذلك.

آمل أن اشترى اثناء اقامتي هنا قلادة ذات لآلىء يبلغ وزن كل واحدة منها ٢٤، أو ٢٥ حبة. وبـالنسبة الى اللآلىء الصغيرة ووزنها من ٤ الى ١٢ حبة آمل أن أرسـل لكم كمية كبيـرة منها سنويا بالأسعار الحالية أو اقل منها وتتضمن القائمة المرفقة الأسعار الحـالية ومن المحتمـل انها تنخفض لاحقا أكون حريصا كل الحرص على ممارسة اليقظة في كل عمل اقوم بـه ورغم ذلك أنا آسف كل الآسف لأنني لم أستطع بيع الدوكات الذي استلمت في جمبرون بواقع ١٦ محمديا لاكثر من ١٤.٥ محمدى ويعتبر ذلك سعرا عاليا بسبب قلة توافر محمدى بصورة فوق العادة ويمكن تحـويل الدوكـات لدى الصـرافين لـ ١٣.٦٠ محمـدى لكل دوكات. فمن الأفضل ان المكتب في جمبـرون يـدفـع لي مستقبـلا عملة محمدى بدلا من دوكات كل سنة تكفى لتحقيق أوامركم لان التجار يترددون في قبول الدوكات

وبـالنسبة لصيـد اللؤلؤ مستقبلا انني لا أوصى بـه لمعاليكم بسبب قلة الربح. استخدمت عشرة مراكب لهذا الغرض ولا واحد منهـا يكسب ربحا يغطى مصاريفه. يتم صيد اللؤلؤ كل سنة اعتمادا على مجرد الأمل وحسن الحـظ وذلك على يـد الناس الذين لا يستطيعون ان يعملوا شيئا آخر.

وفي تقرير موجه من جمبـرون الى الحـاكم العـام ١٦٩٩م جـاء فيـه

بالنسبة لشراء اللآلىء قد أرسل كوبمان لهذا الغرض في عام ١٦٩٠ الى هناك من قبل الوكيل فان ريد بالتعليمات اللازمة. وبعثنا بنتائج صفقاته التجارية الى سيلان كي ترسل من هناك الى هولندا لغرض اصدار الأوامر اللاحقة مما هي الارباح ؟ قد امر الوكيل في العام الماضي بشراء اللؤلؤ بقدر ١٠,٠٠٠ جلدر سنويا وقد ابلغ كوبمان سعادة السفير الموقر كتابيا بانه يجب ان يتم شراء اللؤلؤ في كنغ وليس في البحرين وقد الحق كوبمان رنتساجين بكوبمان المذكور ليكسب معلومات دقيقة عن تجارة اللؤلؤ وكتب لنا (رنتساجين) حديثا من كنغ قائلا بانه يجب شراء اللؤلؤ في البحرين وليس في كنغ وأدلى بتصريحات بهذا الشأن كما ترون معاليكم في مقتطفات من رسالته حول الموضوع لم يستطع (كوبمان) صرف ٥٠,٠٠٠ جلدر في الموسم الاخير لشراء اللؤلؤ ولم تزد مشترياته عن مبلغ ٣٤,٢٩١/١٧/٦ جلدر بسبب حماس التجار الهنود في شراء اللآلىء لارسالها لسورت فارتفعت الأسعار نتيجة ذلك وشعر كوبمان بانه لا يستطيع ان يدفع الأسعار المرتفعة ان كانت الشركة ترغب في مزاولة التجارة فيها في هولندا وبناء على أمر السفير الموقر أرسلنا بضائع مختلفة من هنا الى كنغ للتحقق من امكانيات التجارة هناك كما رفعنا العلم الهولندي هنا في جمبرون في منطقة سكنية لموظفي الشركة فأثار هذا اعتراضا شديدا من البرتغاليين في البلاط الملكي الذين انزلوا علمهم. ففي وقت لاحق انزل شاه بندر علم الشركة مع الصاري وجميع ملحقاته على أساس ان العلم رفع دون علم الملك وكان صاحب الجلالة قد أصدر امرا كتابيا له لينزل علم الشركة. لكن شاه بندر لم يعرض هذا الأمر الكتابي أمام المقيمين ولم يعط لهم نسخة منه (٢٤)

وورد في رسالة الى حكومة بتافيا من هولندا فيما يخص شراء اللؤلؤ في كنغ أو في البحرين حيثما يوجد أحسن منه مقابل مبلغ محدد للاستثمار نكتفي بالقول بأنه اذا اتبع موظفونا تعليماتنا فنكسب الأرباح دون شك ولكن اذا تجاوزوا تعليماتنا واتبعوا ميولهم الشخصية كالعادة سنخسر بدلا من ان نكسب كما يبدو من فحص حسابات المبيعات المرفقة لبعض الفئات واذا حصل ذلك مستقبلا تحمل على حساباتهم الخاصة لمن يقومون بشرائها كافة الخسائر المتكبدة. (٢٥).

Vol. VOC 323

Extract from a letter by the Genmtlemen XVII in Holland to the Batavia High Government, 8 VII 1693

(the pages in this volume are not numbered, this extract is to be found in the chapter 'Persia' of the letter of 8 VII 1693 to Batavia)

---Belangende den inkoop van peerlen 'tsij tot Congo off Barin daer deselve best sijn te krijgen en dat met den aenleg en bestedinge daerin van soodanige somme als daertoe is geproiecteert, daerop weten wij niets anders te seggen dan dat wanneer onse bediendesn haer daerin komen te reguleeren nae d'instructie haer voor desen toegesonden, wij niets anders als goede profijten daerop te verwagten hebben, maer so sijlieden die komen te buyten te gaen en haer eygen fantasye daerin te volgen gelijck dat haer manier van doen is waerdoor wij in plaetse van voordeel op dese en geenre parthijen iongst bij ons verkoft schaede behaelt hebben gelijck als dat naerder is blijckende bij de rendementen die UEdele neffens desen werden toegesonden, wij nae dese deselve voor haer eygen reeckening sullen laten blijven en de schade daerbij te lijden verhaelen op die den inkoop daervan sullen hebben gedaen...

---Concerning the buying of pearls, either in Congo or in Barin, whereever they are best to be obtained and with the investment and spending in this of such a sum as has been destined , on this we know nothing else to say but that if our servants will comply themselves to the instruction which has been sent to them, we can not expect else but good profits from it, but when they exceed their instruction and follow their o...

وثيقة هولندية مؤرخة في ١٦٩٣م وفيها إشارة إلى صراعات للسيطرة على التحرير الغنية باللؤلؤ

وجدير بالذكر فإن (فالانتاين) قد كتب تقريرا وافيا أشار فيه الى ما كتبه الغربيون عن اماكن صيد اللؤلؤ وان صيادي اللؤلؤ يدفعون لشيخ البحرين ضريبة مقابل تأمين سلامتهم في مواضع الصيد فقال ان الاشارات الاولى لدور الانجليز في الخليج العربي تبدأ حين عاد احد البريطانيين واسمه (رالف فتش) وزملاؤه الى بريطانيا وقصوا على السلطات هناك عن الثروات الطائلة التي بالامكان جمعها عن طريق التجارة والتي شاهدوها في رحلاتهم حتى اقتنع الانجليز بانشاء شركة ايست انديا (شركة الهند الشرقية) في عام ١٦٠٠ فوضعت بريطانيا لها موطىء قدم في الخليج العربي تحت ستار من التجارة وساعدهم شاه ايران مقابل مساعدتهم له ضد البرتغاليين

وقد وصف الرحالة (رالف فتش) البحرين ولآلئها الكروية الجيدة والتي رآها تصدر الى اسواق هرمز وهي أجود أنواع اللآلىء [٣٠]

أما (شاردن) مبعوث الحكومة الفرنسية لدى ايران بين ١٦٧١ ـ ١٦٧٧م فكتب في مذكراته قوله (توجد مصائد اللؤلؤ عبر شواطىء الخليج العربي وخاصة حول جزيرة البحرين) [٣٧] و(تافر نيير) الفرنسي هو الاخر عقد فصلا في كتابه عن اللآلىء واماكن وجودها قال فيه توجد مصائد اللؤلؤ بالدرجة الاولى حول جزر البحرين [٢٨].

وبعد نحو قرن وصف الرحالة (نيبور) ١٧٦٥م جزيرة أوال وما حولها من الجزر والتي تقع في الجهة الغربية من الخليج العربي واكبرها جزيرة أوال وكذلك تحمل كل جزيرة اسما خاصا بها ونظرا لاهمية هذه الجزر من حيث صيد اللؤلؤ فقد درت عليها الأموال الطائلة وتقدر الرسوم التي جبيت على اللؤلؤ والتمور بنحو ثلثمائة الف ليفر فرنسي أو ما يعادل مائة الف روبية هندية وكان المتولي على البحرين هو الذي تدفع له الرسوم المذكورة وله قوة عسكرية يحافظ بها على الأمن في مناطق الغوص وفي بلاده وهذه الرسوم لتسديد نفقات المحافظة على الأمن. وكتب (رينال) بعد سنتين من رحلة نيبور ١٧٦٧م ان البحرين تشتهر بلآلئها وهي أكثر شهرة واهمية من السواحل الاخرى في الخليج تلك التي قلت فيها اللآلىء بينما البحرين غنية بها ويمارس العرب هذه المهنة ويؤدون رسوما الى شيخهم في جزيرة البحرين [٢٩] الذي يملك اسطولا حربيا يقوم بدوريات بحرية في شواطىء الغوص على اللؤلؤ

ولا عجب اذا مـا رأينـا ان حكـام البحرين كانوا يدافعـون عن مصدر ثـروتهم وعن سكـان بـلادهم ضـد القراصنة لكيـلا يخسروا شـواطىء اللؤلؤ.

وجدير بالذكر ان البحـرين كانت دائما موضوع منازعات بين القـوات الاجنبيـة المختلفة بسبب ثـروتها في اللؤلؤ [٣٠] ومع ذلك مارس العتـوب الحكمـة والمهارة في معـاملاتهم مـع المعتدين فحافظوا على سيطرتهم على البـحـرين ومـن دراسـة الوثـائـق والسجـلات الرسمية وغـير الرسمية التي كتـبـهـا الضـبـاط الانجليـز والمعتمدون السياسيون والعاملون في السلك الدبلوماسي والرحالة في القرن التاسع عشر وقد تركوا معلومات دقيقة ومفصلة وهم يمـارسـون اعمـالهم اليومية وان كانت تعكس انطباعاتهم الشخصية ولكنها تكاد تجمع على ان من سيطر على البحرين سيطر ايضا على ثرواتها من اللؤلؤ ومارس السيادة على مناطق صيده ودافع عنها فاصبح له حق فرض الضرائب على صيادى اللؤلؤ وبذلك يمكن القول بان مناطق اللؤلؤ اصبحت جـزءاً لا يتجـزأ من البحرين خاصة في القرن التاسع عشر واستمرت كذلك الى نهاية عهد الغوص وظهور النفط اي في عهـد آل خليفة. وسوف نستعرض مـا أورده الرحالة ورجـال السلك الدبلومـاسي بـايجـاز والتى وردت بتقـارير وكتب ووثـائق بريطانية ومنهم سكرتـير في السفارة البريطانية في ايران الذى كتب ذكريات رحلتـه التى قـام بهـا عـام ١٨٠٨م فقال . ان جزر البحـرين اغني ما في الخليج في اللؤلؤ وان شيخ البحـرين فرض ضريبة على صيد اللؤلؤ [٣١].

ويقول كل من الملازم (بروس) وهو من المقيمين في الخليج في رسالة كتبها الى حاكم بومباي في ٢٦ يناير ١٨١٧م وكـذلك القبطان (تـايلور) مسـاعـد المندوب السياسي في ذلك الوقت بأن ما يقوم به شيوخ العتوب في البحرين انما هو تجديد للتقاليد المتبعة قديما. وقد فرض والى البحرين ضريبة عـلى كل سفينة مقدارهـا تومـانان لكـل سنة ومقابل ذلك كانت لشيخ البحرين سبع سفن حربية تحمى سفن الغـوص في مـوسم الصيد وتـرافقها الى أمـاكن الصيد حتى تعود.

ويؤيد القبطان (ديورانـد) ذلك في مـذكرة كتبهـا عن صيد اللؤلؤ جـاء فيها كان شيخ البحرين عام ١٨١٦م (اى قبل نحو ثمانين عاما) قد فرض ضريبة لكى يستخـدم هذا المـدخول لأنشاء اسطول حربي لحماية أماكن الصيد والشواطىء التى ترسو حولها سفن الغوص. وكان لشيـخ البحرين اربـع سفن حربيـة مجهزة بـاسلحة

وتقوم بدوريات بصورة مستمرة وكان لها سهم مما تحصل عليه سفن الغوص من محاصيل (٣٢) اللؤلؤ وكانت الضريبة تسمى (نوب) واستمرت هذه الضريبة تدفع لشيخ البحرين واصبحت مصدر رخاء للحكام في البحرين وكانت تجمع الضرائب فور مغادرة السفن للشواطىء نحو اماكن الصيد وهذا النظام هو نفسه القائم اليوم على حد قول (ديوراند). كما اكد الكولونيل (ولسون) المقيم السياسي اهمية البحرين في مجال صيد اللؤلؤ ويقول في مذكرة حول هذا الموضوع (ان اطول واوسع السواحل لصيد اللؤلؤ تقع بالقرب من جزيرة البحرين. ويبلغ عدد السفن التي تستخدم لصيد اللؤلؤ ١٥٠٠ سفينة وان الضريبة التي يدفعها كل صياد الى شيخ البحرين تبلغ خمسة كراون (٣٣) ويؤيد القبطان (بروكس) الذي يعمل في القوة البحرية الهندية ما أورده (ولسون) وكان (بروكس) قد قام بتسجيل المساحات وطول الطرق البحرية في الخليج العربي كما تطرق الى البحرين فقال . يتم توظيف ثلاثين الف مستخدم في صيد اللؤلؤ ويستخدم شيخ البحرين ٢٤٣٠ سفينة ويتراوح عدد المستخدمين في كل سفينة ما بين ٨ ـ ٢٠ شخصا ويحصل الشيخ على ضريبة رمزية من كل سفينة مقابل الدفاع عنها كما ان لشيخ البحرين سفن تبحر على نفقته في موسم صيد اللؤلؤ علاوة على خمس سفن حربية مجهزة بالاسلحة والمعدات لتأمين قيام سفن الصيد عامة بأمان ويستطيع شيخ البحرين ان يجهز من ١٥ الى ٢٠ سفينة حربية اخرى اذا اقتضى الأمر (٣٤) ويستطرد القبطان بروكس حين يصف شواطىء اللؤلؤ اثناء رحلته للقيام بعمليات المساحة في الخليج شخصيا ما بين سنتي ١٨٢٠ ـ ١٨٢٩م فيقول تبدأ شواطىء صيد اللؤلؤ من جزيرة القرن الى الشارقة ويختلف عرضها من مكان لآخر. واغنى هذه السواحل من حيث الصيد هي شواطىء البحرين التي تمتد من خط العرض ٢٧ درجة شمالا وخط طول ٥٠ درجة شرقا الى الركن الشرقي عند مهبط الساحل ونظرا لحرية التصرف السائدة في تلك الشواطىء ينتهز سكان الخليج فرصة الصيد فيه بأمان تحت ظل حاكم البحرين

وجدير بالذكر ان الملازم جيه. آر ويل ستيد الذي كان يعمل مع القبطان بروكس والذي كان زميلا له بالقوات البحرية الهندية وقد شاركه في عمليات المساحة هذه كتب هو الاخر في كتابه

عن تجاربه الشخصية [٣٥] فقال ان حق صيد اللؤلؤ حق مشترك لسكان الخليج ولا يزال هذا الحق مشتركا ولهم حرية كاملة فيه الا ان التقاليد الموروثة تجعل كل واحد يحترم مناطق الصيد لدى الاخر وكان للبحرين عبر العصور نصيب الأسد من تلك المناطق. وكان سكان البحرين بحارة يعيشون على منتجات البحر وثرواته في قاع البحر ويفرضون سيطرتهم على ارخبيل البحرين بما فيه من جزر وفشوت وضحول وصخور مما يستفيدون منه في الصيد والحماية من العواصف وما فيها من ينابيع المياه العذبة خاصة اذا علمنا ان للمياه العذبة اهمية كبيرة للعاملين في الغوص وسائر السفن التجارية.

وننقل ما أورده (كامبل) المقيم المساعد في الخليج في عام ١٨٤٤م قوله ' ان الشيخ الوحيد الذي له حاجة ماسة لاسطول حربي هو شيخ البحرين نظرا للاطماع الخارجية التى تتعرض لها بلاده وأماكن الغوص حولها وكثرة خيراتها ويتوقف استقلاله على تفوقه في القوات البحرية [٣٦] وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر اخذت بريطانيا على عاتقها ارسال سفن حربية للبحرين لحماية أماكن صيد اللؤلؤ واخبار شيخ البحرين بذلك [٣٧] وجاء في برقية من (بيلي) للشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين (ان مصالح الذين يسكنون في جزركم ولهم علاقة بصيد اللؤلؤ سندافع عنها وان السفينة الحربية (هيوغ روز) غادرت الى البحرين وعليها المقيم المساعد لهذا الغرض [٣٨] وكان هذا التدبير من بريطانيا نتيجة لمحاولة الدولة العثمانية التدخل في البحرين وامتداد نفوذها الى سواحل الاحساء وتفيد السجلات والوثائق والاتفاقيات التى ابرمت مع شيخ البحرين وقتئذ انه تقرر ان يكون الدفاع عن أماكن صيد اللؤلؤ في البحرين تحت حماية الانجليز تلك الاماكن التى كانت تحت سلطة شيخ البحرين وبذا اعترف الانجليز ضمنا بسيادة شيخ البحرين في اقاليمه طبقا للالتزامات والاتفاقيات المعقودة معه [٣٩] وهكذا فان تحديد حدود صيد اللؤلؤ في البحرين كان متبعا حسب التقاليد المتوارثة على حد قول (مايلز) المقيم السياسي في عام ١٨٨٦م والذي تقلد عدة مناصب في الخليج العربي وسجل ملاحظاته بعد أن قام بتحقيقات شخصية في هذا الامر ونشرت زوجته بعد وفاته تلك المذكرات وجاء فيها قوله ' ان شواطىء اللؤلؤ الشهيرة في الخليج

العربي تمتد من الكويت الى الشارقة بمسافة قدرها ٣٣٠ ميلا تقريبا وقد مارس السكان مهنة صيد اللؤلؤ منذ عهد قديم ولا تزال هذه الاهمية من حيث وفرة الانتاج ونوعيته الجيدة خاصة في الشواطىء التي يمارس فيها صيادو اللؤلؤ الصيد حول امارة البحرين حول الشواطىء الممتدة من قطر الى القطيف حيث يبحر سنويا نحو الفين وخمسمائة قارب لصيد اللؤلؤ

وشهدت الفترة ما بين ١٧٨٣ ـ ١٨٧٥م ارتفاعا واضحا في انتاج اللؤلؤ وذلك بسبب الهدوء المتزايد السائد في مياه الخليج وخاصة حول مصائد اللؤلؤ تم بسبب الطلب المتزايد عليه

وقد بلغت صادرات لؤلؤ البحرين ٥٠,٠٠٠ جنيه في ١٧٩٠م وان التقديرات التي تمت في بداية ووسط القرن التاسع عشر حول حجم تجارة اللؤلؤ ابدت تباينا واسعا للغاية وكان هذا التقدير وهو ٣٥٠,٠٠٠ جنيه لسنة ١٨٣٠م بدون شك فيه مبالغة وان مبلغ ١٨٠,٠٠٠ جنيه لصادرات لؤلؤ البحرين لسنة ١٨٧٥م يبدو معقولا ومتوازنا مع انه يمكن ان يكون الانتاج اكثر من ذلك ولكنه يحفظ سرا كيلا يطلع عليه جامع الضرائب

ومثل انتاج اللؤلؤ فقد سجلت تجارة البحرين ايضا ارتفاعا عاما بين ١٧٨٣ و١٨٧٥م على الرغم من وقوع تقلبات عنيفة في الحياة الاقتصادية في هذه الفترة. خاصة عندما انتقل آل خليفة الى البحرين ويرجع الفضل في ذلك الى انتقال البحارة المهرة ونشاط التجار المحنكين من المؤسسات التجارية العتوبية في الزبارة الى البحرين اضافة الى انتصار آل خليفة ضد محاولات عمان للسيطرة على تجارة الخليج. وان الاستقرار والسلام الذي ساد الخليج قد ساعد في توسيع صيد اللؤلؤ ونقل البضائع التجارية من قبل الملاحين البحرينيين. كما يبدو في وقت مبكر كالثلاثينات (١٨٣٠م) استيطان عدد من التجار الهنود، تحت حماية بريطانيا في البحرين مما ساعد على حرية الوصول وسهولة التجارة مع شبه القارة الهندية الا ان الاضطرابات الداخلية التي هزت البحرين في الثلاثينات والاربعينات سببت خسائر مادية للفلاحين والتجار ورجال الاعمال ايضا فهاجر بعضهم الى السواحل المجاورة وفي بداية الستينات (١٨٦٠م) نشطت حركة البواخر البريطانية في مياه الخليج وتحولت الشحنات التجارية الموجهة الى الهند

من الخليج على حساب اصحاب السفن المحليين. على الرغم من ان البواخر البريطانية لم تجعل ميناء

البحرين مرفأ للتوقف بانتظام حتى ١٩٠٤م الا ان السفن المحلية اقتصرت رحلاتها القصيرة على داخل الخليج فقط [٤٠]

وفي الوقت الذي نشر فيه لوريمر كتابه أورد ان عدد السفن التى كانت تعمل في صيد اللؤلؤ في البحرين سنة ١٩٠٧م (٩١٧) سفينة كما ذكر ان القيمة الاجمالية لانتاج البحرين من اللؤلؤ في موسم ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦م حوالى مليون روبية أو ما يعادل ٣٩٩, ١,٤٣٤ جنيهاً استرلينياً.

الهوامش

(١) الاحمد الدكتور سامي سعيد تاريخ الخليج العربي ص٢١٠ و٢٤٠ . البصرة ١٩٨٥م

(٢) مجلة الجمعية الجغرافية الملكية والمجلد ١٨٩٠/١٢ وجي ان كنتز وسي ايتش استيفنسن كتاب اللؤلؤ طبع لندن ١٩٠٨م وأرنولد ولسن الخليج العربي ص٣٠ ١٩٢٨م

(٣) د العنيم عبدالله يوسف . الغوص على اللؤلؤ . ص٣٠ طبع الكويت ، ١٩٧٣م

(٤) ناصر خسرو . سفرنامة . ص١٤٤ . تحقيق الدكتور يحيى الخشاب

(٥) الادريسي حزيرة العرب من نزهة المشتاق . ص٥١ ـ ٥٤ . طبع بغداد ١٩٧١م

(٦) الوثيقة ٣/٨١ و٩٢ (الجبور عرب البحرين وعربان الشرق . للدكتور على ابا حسين)

(٧) الوثيقة ٤/١٠٣ و١٢١و١٢٣ رسائل افونسودي البوكيرك ـ المجلد الاول رسالة رقم ٥٠ ص٢٦٤ ـ ٢٦٥ وثيقة رقم ٤٨ ارشيف توري تومبو ٢٠ اكتوبر ١٥١٤م ودوارت باربوزا الجزء الاول ، ص٨٠ طبع ١٩٢١م .

(٨) جي ايتش فان لنشوتن كتاب حياة ملوك هرمز كتبه ١٥٩٦م ترجمه استيفانس ١٧١٥م وانظر الخطابات حول الاسفار البحرية

(٩) اسفار بيدر وتكسيرا في ١٦٠٤م ص١٧٥ ـ ١٧٧ طبع لندن ، ١٩٠٢م

(١٠) د جهانكير قائمقام . مسألة هرمز والعلاقات بين ايران والبرتغال/ من مجلة الدراسات التاريخية باللغة الفارسية ١٩٧٥م

(١١) وثيقة عثمانية من دفتر المهمة رقم ٣/١١٢٣ صفحة ٣٧٩ مؤرخة في ١٨ شعبان ٩٦٧هـ

(١٢) وثيقة عثمانية من دفتر المهمة رقم ٣٣/صفحة ٤٣ مؤرخة في ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م

(١٣) وثيقة عثمانية من دفتر المهمة رقم ٢٧ صفحة ١٩٧ مؤرخة في ١٢ شوال ٩٨٣هـ ١٥٧٣م وانظر الوثيقة ١/١٤٥ (صفحات من تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين)

(١٤) وثيقة رقم في او سي ١١٤٦ مؤرخة في ١٦٤٣/١١/٢٣م (د سلوت)

(١٥) وثيقة رقم في. أو. سي ١١٤٤ مؤرخة في ٢٠/١٢/١٦٤٣م
(١٦) وثيقة رقم في. أو. سي ١٢٠٣ مؤرخة في ٢/٥/١٦٥٤م
(١٧) وثيقة رقم في. او. سي ١٢٤٣/١٢٤٤ مؤرخة في ٥ مايو ١٦٦٣م (د. سلوت)
(١٨) وثيقة رقم في. أو. سي ١٢٤٨ صفحة ١٣٧٥ ـ ١٣٧٦ (د. سلوت)
(١٩) وثيقة رقم في. أو. سي ١١٤٧ (د. سلوت)
(٢٠) وثيقة رقم في. أو. سي/١٢٥١ مقتطفات من تقرير الحاكم في بتافيا الى مدراء الشركة في هولندا مؤرخة في ٣٠/١/١٦٦٦م
(٢١) وثيقة رقم في. او. سي/١٢٥٩ ص ٣٣٢٠ مقتطفات من خطاب مدير مؤسسة جمبرون الى الحاكم العام مؤرخ في ١٢/١/١٦٦٦م
(٢٢) وثيقة رقم في. او. سي/١٢٥٩ مؤرخة في ١٦٦٩م
(٢٣) وثيقة رقم في. أو. سي/١٢٧٨. د. سلوت
(٢٤) وثيقة رقم في. او. سي/١٥٣٩ ص ١٣٣ ـ ١٣٥ د. سلوت
(٢٥) رسالة رقم في. او. سي/٣٢٣ من هولندا الى حكومة بتافيا مؤرخة في ٨/٧/١٦٩٣ د. سلوت.
(٢٦) ارنولد ولسن. الخليج العربي ص ١٣٤. وكتاب برشاش سواحه (١٦٢٥)
(٢٧) السفريات مجلد ٣ نشر ١٧٢٠م ص ١٦٥ الطبعة الثانية ١٩٢٧م
(٢٨) اسفار تافرنيير عام ١٦٨٤م المجلد ٢ ص ١٤٥ و٩٥
(٢٩) رينال، تاريخ الجزر الشرقية والغربية. ترجمة جستا موند
(٣٠) اتيسون. المعاهدات. المجلد ١١ ص ١٩٠، دلهي ١٩٣٣م
(٣١) جيه موريير. رحلة في ايران عام ١٨٠٨ ـ ١٨٠٩م ص ٥٢.
(٣٢) ديوراند. تقرير اداري عن الخليج لعام ٧٧ ـ ١٨٧٨م
(٣٣) المذكرة في المجلد ٣ عام ١٨٣٣م من مجلة الجمعية الجغرافية الملكية
(٣٤) مختارات وثائق حكومة بومباي. المجلد ٢٤ السلسلة الجديدة ١٨٥٦م المذكرة في وصف الملاحة في الخليج العربي. ص ٥٦٠
(٣٥) ول ستيد، الاسفار الى مدينة الخلفاء (١٨٤٠م) المجلد الأول ص ١١٤
(٣٦) مختارات من وثائق حكومة بومباي المجلد ٢٤ لسنة ١٨٥٦م ص ٦٧
(٣٧) برقية من الكولونيل بيلى الى شيخ البحرين رقم ٢٩٩ في ٣١ مايو ١٨٧١
(٣٨) سجلات المكتب الخارجي ٧٨ مجلد ٢٤٤٤ رسالة رقم ٣٢ مؤرخة في ١٦/يونيو ١٨٧١م من حكومة الهند الى مكتب الهند.
(٣٩) من سجلات المكتب الخارجي ٧٨ المجلد ٥١٠٨ الجزء الثالث لـ أ ـ دبيلو مور ١٨٨٤ ـ ١٨٧٩م
(٤٠) لاندن، اعادة النظر في تاريخ البحرين، ص ٥٣ و٥٤ ، ١٩٨٣م

مساهمة الوثائق البرتغالية
في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي
لسواحل المغرب والبحر الأحمر

بقلم : د أحمد بوشرب

استاذ مساعد بقسم التاريخ كلية الآداب ـ فاس

بعد ان تعرض العالم العربي لهجمة صليبية استهدفت خلال العصور الوسطى شطريه الشرقي والغربي (الاندلس ـ تونس)، تعرض من جديد، وقبل بداية العصور الحديثة (سبتة والقسم الشمالي من المغرب) لمد ايبيري أولا، وعثماني ثانيا انتهى باكتساح اراضيه وفقدان استقلال بعض مناطقه لمدة تقرب من اربعة قرون. وتعتبر هذه الحقبة من اخطر الحقب التي مر بها العالم العربي. اذ كانت لها مخلفات جد خطيرة شملت كل الميادين وأثرت كثيرا على تطوره اللاحق وبقي بعضها قائما الى يومنا هذا.

والخليج العربي



فهل تسمح وثائقنا ومصادرنا العربي بالتأريخ لهذه الفترة ؟

لقد كان الجناح الغربي من العالم العربي يعيش اوضاعا اقتصادية وسياسية واجتماعية لم تكن تساعد على التأليف. ولذلك لم تصلنا عن الغزو الايبيرى أولا، والعثماني ثانيا الا اشارات طفيفة حالت الى يومنا هذا دون اهتمام مؤرخينا بهذه الحقبة رغم خطورتها فبالمغرب الاقصى مثلا، لم تصلنا وثيقة واحدة عن احداث كبرى وعن معارك كانت حاسمة كمعركة وادي المحازن الكبرى (١٥٧٨م) وأكثر من هذا، لا تسمح المصادر المتوفرة لدينا بكتابة تاريخ هذه الحقبة لكونها تفتقر الى الدقة افتقارا يبعث على الاستغراب فهى لا تحدد التواريخ ولا تذكر الاسماء ولا تميز بين جنسيات النصارى في فترة تنافست فيها الدول الاوروبية حول المغرب فصاحب (عروسة المسائل) مثلا لا يذكر حين تعرضه لتصدى السلطان الوطاسي محمد الشيخ لمحاولة البرتغاليين تحصين (جزيرة المليخة) (١٤٨٩) قصد التحكم في سهل اللكوس ومدينة القصر الكبير لا اسم السلطان ولا تاريخ الحدث ولا جنسية الغزاة.

أما ابن القاضي. فانه اكتفى بالاشارة التالية «وفي هذه السنة (٩٨٤هـ)، حرك الشيخ الوطاسي للجزيرة التي اسفل من قصر كتامة في شعبان منها بجميع أهل المغرب، واحتال في قطع الوادي الذي دخلت منه سفن الكفرة. فطلبوا منه العفو عن انفسهم. وقيل كانت في التي تليها»[١].

ومما له دلالة ان لا تستعمل كلمة برتغال من طرف مؤرخ مغربي الا في نهاية القرن التاسع عشر على يد الناصري الذي نقل ذلك عن مصدر اسباني اعتمد عليه للتأريخ للغزو الايبيري لسواحل المغرب، وان يكون الوحيد الذي أشار لأكبر عميل، يحيي او تعفوفت، الذي لعب دورا كبيرا في تحقيق البرتغاليين لمكتسبات مهمة بالجنوب وان يورد اسمه محرفا لنقله عن المصدر الاسباني السابق الذكر[٢] وما ذكرته عن المغرب ينطبق كذلك على جارتيه، الجزائر وتونس. فالاستاذ احمد توفيق المدني لم يستطع التأريخ للغزو الاسباني للجزائر الا بعد اللجوء الى أرشيف سمنكاس الاسباني[٣].

وبهذا يصبح الالتجاء الى الوثائق والمصادر الاوروبية ضروريا لكونها توفر المادة الاساسية، ولكونها تمثل بالنسبة الينا اهمية مزدوجة اذ تمكن من دراسة المد الايبيرى واكتساحه للاراضي الاسلامية من الزاوية الداخلية والخارجية (ربط الغزو



بأوضاع ايبيريا وبالتالي دراسة الاسباب والعوامل والوسائل المسخرة) ولكن هذا لا يعني أبدا الاستغناء الكلي عما يتوفر لدينا من وثائق ومصادر عربية مهما كانت عليه.

وتوفر الارشيفات الاوروبية للباحث العربي كميات هائلة من الوثائق النفيسة ولعل المغرب اليوم اكثر الدول العربية حظا في هذا الباب اذ تتوفر مجموعة المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب.

Sources Inedites de l'Histoire du Maroc

أكبر عدد منشور من الوثائق الاوروبية، لكونها تضم ٢٧ مجلدا ضخما تحتوي على مئات الوثائق التي تم التنقيب عليها بأرشيفات اسبانيا والبرتغال وفرنسا وانجلترا وهولندا. وهذه المجموعة قسمان : الأول خاص بالدولة السعدية وسمي السلسلة

الاولى، والثاني خاص بالدولة العلوية وسمي السلسلة الفلالية (٦ مجلدات نسخت من الارشيف الفرنسي).
وجاءت السلسلة الاولى موزعة بين الدول الاوروبية الخمس كالتالي - فرنسا . ٤ مجلدات - هولندا ٠ ٦ اجزاء - انجلترا ٠ ٣ أجزاء - اسبانيا ٣ أجزاء - البرتغال ٠ ٥ أجزاء.

ومما يجعل من وثائق السلسلتين اداة عمل مهمة جدا هو ان صاحب الفكرة والمشرف على النشر وحد خطة العمل اذ ان كل وثيقة تقدم بملخص موسع في بعض الاحيان بالفرنسية وترفق بحواشي وتعاليق تساعد كثيرا على فهمها وكلما تم العثور على ملف متعلق بحدث ما، حرر المنقبون عن الوثائق مقالا يدرج قبل تلك الوثائق يسلطون بواسطته الاضواء على ذلك الحدث ويبينون إضافات تلك الوثائق الدفينة.

وتأتي أهمية هذه السلسلة في انها توفر للباحث العربي مادة خاما ولا تلزمه بالتنقل والتنقيب خصوصا وانه يستحيل على كل من ليس له المام بعلم البيليوغرافيا قراءة الوثائق لكونها مكتوبة بخط يجعل عين القارىء غير المتعودة عليها عاجزة حتى عن معرفة اتجاه الحروف الصحيح هذا فضلا عما تحتوي عليه من رموز واختصارات تجعل بعض كلماتها لا تحتوى الا على حرف او حرفين من الابجدية اللاتينية

ورغم ما يمكن ان يوجه للمشرفين على نشر تلك الوثائق من لوم ومهما كانت الأسباب وراء نشر وثائق دون اخرى، فان الباحث العربي لا يمكنه اليوم الا ان يغتبط لتوفر هذه المادة العلمية الهائلة المتعلقة بأخطر فترات تاريخ العالم العربي الاسلامي وسأقتصر في المرحلة الاولى من هذا العرض على المجموعة البرتغالية التي دام تعاملي معها خمس سنوات. ولن اعرض لكل الوثائق التي اشتملت عليها، بل سأخص بالذكر العربية منها التي يمكن للباحث العربي الذي لا يستطيع استغلال النصوص البرتغالية الاعتماد عليها في دراسة مراحل اعتداء البرتغال على السواحل العربية الاسلامية ودوافعه ومختلف ردود الفعل التي تولدت عنه. وسأنتقل بعد ذلك للتعريف بوثائق اخرى محفوظة بالارشيف الوطني البرتغالي

وتم العثور على وثائق السلسلة البرتغالية بالارشيف الوطني بلشبونة Arquivo Nacional da Torre do Tombo وبمكتبه مدينة يابره (Evora) ونشرت الاجزاء الخمسة بباريس ما بين ١٩٣٤ و١٩٥٣م

نشر المؤرخ الفرنسي (P Cenival) الجزء الاول سنة ١٩٣٤ في ٧٨٢ص

احتوت على ١٥٨ وثيقة تتعلق بأحداث الفترة ما بين يوليو ١٤٨٦ وابريل ١٥١٦. وأغلبية هذه الوثائق عبارة عن تقارير بعث بها المسئولون البرتغاليون على الثغور ومساعدوهم البرتغاليون واليهود والمسلمون وتتعلق هذه التقارير بمراحل الغزو البرتغالي للجنوب المغربي. ورغم كثرة الوثائق السياسية فان هذا الجزء ضم عددا مهما من الوثائق التي تسلط الاضواء على الجوانب التجارية والاجتماعية والدينية. ومن بين الوثائق المذكورة توجد الوثائق العربية الاثنتي عشرة التالية

(١) نص معاهدة الحماية البرتغالية على مدينة ازمور بعث بها الملك البرتغالي الى اعيان المدينة للتصديق عليها وهي مؤرخة في ١٦ اغسطس ١٤٨٦ ومرفقة بنص التصديق وأسماء الموقعين عليها (ص - ٩ - ١٦)

(٢) رسالة من الملك البرتغالي (جوا الثاني) الى قائد مدينة آسفي مؤرخة في ١٦/١٠/١٤٨٨ يخبره بقبوله بقاء المدينة المذكورة تحت الحماية البرتغالية مع التأكيد على حقوق وواجبات الطرفين (ص٢٥ - ٣٠)

(٣) رسالة أعيان قبائل الشرقية (نواحي آسفي بالجنوب المغربي) الى الملك البرتغالي مؤرخة في ديسمبر ١٥٠٢ يشتكون فيها من تصرفات ممثله التجاري بميناء مزغان (قرب أزمور) التي تضر كثيرا بالسكان مما قد يؤدي الى الحاق الضرر بمصالح الملك (ص ٨٣ - ٨٤).

(٤) رسالة من الملك البرتغالي امنويل الاول الى اعيان ازمور مؤرخه في ٢٢/٤/١٥٠٤ ردا على طلب العفو الذي طلبوه اثر عصيانهم ونهبهم للسفن البرتغالية مع التأكيد على شروط الملك من اجل الحصول على العفو (ص٩٥-٩٨).

(٥) رسالة من اعيان اسفي الى الملك البرتغالي امنويل مؤرخة في ٢/٧/١٥٠٩ يشتكون فيها من النهب والتعسفات التي عانت منها المدينة بعد دخول الجيش البرتغالي اليها، ويفضحون فيها طيش سياسة القبطان الذي سبب خراب المدينة وفرار سكانها (١٧٨-١٩٨. وهى وثيقة مهمة جدا).

(٦) رسالة من آعيان ميناء ماسة بالجنوب المغربي الى نفس الملك البرتغالي مؤرخة في ٢٨ ربيع الاول ٩١٦ موافق ٦/٧/١٥١٠ يشتكون فيها من تصرفات ممثله التجاري بميناء سنتا كروش (اكد ير حاليا) ويعبرون فيها عن خيبة أملهم في الحماية البرتغالية. (ص٢٣٤ - ٢٣٩، وهى وثيقة مهمة جدا).

(٧) رسالة على بن سعيد، احد

اعيان ازمور، الى الملك امنويل مؤرخة في بداية شعبان ٩١٦هـ (ما بين ٣ ـ ١٢ يونيو ١٥١٠) يعرض فيها خدماته وخدمات سيده، المولى زيدان، حاكم ازمور (٢٤٩ ـ ٢٥١)

(٨) وثيقة مؤرخة في أوائل ربيع الثاني ٩١٨هـ (١٦ ـ ٢٥ نوفمبر ١٥١٢)، عين بواسطتها يحيى او تعفوفت، قائد المناطق الداخلية الخاضعة للبرتغاليين، ممثلا عنه في قبيلة الحارث وفوض له سلطات قضائية وحدد مختلف انواع الجرائم والعقوبات المناسبة (ص ٣١٦ـ٣٢٠)

(٩) وثيقة مشابهة تعود الى يونيو ١٥١٢ عين بمقتضاها يحيى او تعفوفت المذكور نائبا عنه باحدى قبائل الجنوب المغربي (ص٣٢٦ـ٣٢٧)

(١٠) رسالة من لحسن امجوط تعود الى اكتوبر ١٥١٢ بعث بها الى قبطان وعامل اسفي يفصح فيها بعض المواقف المعادية للبرتغاليين واعداد يحيى او تعفوفت للخيانة (ص٣٦٢ـ٣٦٣)

(١١) رسالة من نفس الشخص الى نفس المسؤول البرتغالي ديسمبر ١٥١٢) يخبره فيها بعصيان سكان المدينة العربية وتواطؤ يحيى او تعفوفت معهم (٣٧٠ـ٣٧١)

(١٢) رسالة من يحى او تعفوفت الى عمه بعث بها من منطقة الحوز (مارس ١٥١٤) يخبره فيها بقرب وصوله الى مقر اقامته (سرنو) وباستعداده لمواجهة الامير الوطاسي الذي دخل المنطقة لنسف المكتسبات البرتغالية ولمعاقبة المتعاملين مع البرتغاليين (ص٥١٤ـ٥١٥)

وبالاضافة الى الوثائق البرتغالية والعربية، يحتوي هذا الجزء على عدد من المقالات اشير هنا الى اهمها

- بداية التوسع البرتغالي بالمغرب (ص٧ـ١٦ من المقدمة)
- فرض نظام الحماية على آزمور سنة ١٤٨٦ (ص١ـ٣).
- احتلال أسفي من طرف البرتغال سنة ١٥٠٨ (ص١٢٠ ـ ١٢٧)
- تقسيم مناطق النفود بين البرتغال واسبانيا بالمغرب (٢٠٣ـ٢١٢)
- احتلال البرتغاليين لمدينة ازمور ٣٠ سبتمبر ١٥١٣ (ص٣٩٤ـ٤٠٢)
- الهجوم على مراكش يوم ٢٣ ابريل ١٥١٥ (ص٦٨٧ـ٦٩٢)
- الهجوم على المعمورة، يونيو اغسطس ١٥١٥ (ص٦٩٥ـ٧٠٢)

وتم جمع وتحقيق وتقديم وثائق الجزء الثاني على يد الباحث الفرنسي سينيفال ولكنه لم ينشر الا بعد وفاته سنة ١٩٢٧ وتم ذلك على يد المؤرخ البرتغالي لوبيز (David Lopes) والفرنسي ريكار (R Ricard) وقسم هذا الجزء الى قسمين نشر أولهما

بباريس سنة ١٩٣٩ في ٢٨٨ صفحة ضمت ٩٦ وثيقة تتعلق بالفترة ما بين مايو ١٥١٦ وديسمبر ١٥٢٦ وتوجد ضمن هذه الوثائق أربع عشرة وثيقة عربية.

(١) رسالة بعث بها احد الدكاليين (يوليو ١٥١٦) الى قبطان أسفي الجديد يعرض عليه فيها خدماته ويقدم بعض النصائح لارجاع الاستقرار الى المنطقة (ص١٦-١٧).

(٢) رسالة بعث بها الى نفس القبطان شخص يطلب فيها منه حماية قبيلته من مضايقات قبائل مشنزاية القوية - والرسالة مؤرخة في اغسطس ١٥١٦- (ص ١٩-٢٠)

(٣) رسالة من أعيان قبيلة أولاد عمران الدكالية التي قبطان ازمور قدر تاريخها بما بعد ١٥١٦/٨/٢٩ (ص٣٠-٣١)

(٤) رسالة من أعيان قبائل (الشرقية) الى الملك امنويل (بعيد ١٥١٦/١٠/٣ حسب تقدير الناشر) يخبرونه بعودتهم الى اراضيهم والى الولاء بعد فترة من العصيان وببداية تفاوضهم مع قبطان أزمور الذي نوهوا بخصاله (ص٤١ - ٤٢).

(٥) رسالة من شخص يسمى حمو اموكتر الى الملك البرتغالي يخبره فيها برفض قبائل الشاوية التعاون مع سلطان فاس ضد البرتغاليين (ص٥٠-٥١)

(٦) رسالة من يحيى بن بولصباع الى الملك البرتغالي بدون تاريخ (قدره الناشر في مايو ١٥١٧) يطلب منه فيها مساعدة مالية وألبسة شرفية ويعرض عليه وساطته بين البرتغال وقبائل الشاوية قصد اخضاعها (ص٨٩-٩٠)

(٧) رسالة من سليمان بن محمد الى اشياخ عبدة يخبرهم بقرب دخول السلطان الى المنطقة وينصحهم بالفرار وقدر الناشر التاريخ في بداية يونيو ١٥١٥ (ص٩٥).

(٨) رسالة من يحيى او تعفوفت الى امنويل (أول اغسطس ١٥١٧) يشتكي فيها من تآمر القبطان وبعض المسئولين البرتغاليين وأعيان الجالية اليهودية بأسفي ضده، الأمر الذي عاق كثيرا صموده في وجه جيوش السلطان (ص١٣٣-١٣٦)

(٩) رسالة من نفس العميل الى الملك البرتغالي بدون تاريخ (حسب الناشر ١٥١٧/٨/٥) يطلعه فيها على اوضاع المنطقة السياسية بعد الحملة العسكرية التي نظمها السلطان ويفضح فيها طيش سياسة القبطان ومساعديه التي أضرت كثيرا بمصالح الملك بالمنطقة (ص١٥٤-١٥٦).

(١٠) رسالة من عبدالرحمن بن حدو قائد المساي سابقا الى الملك أمنويل بدون تاريخ (بعد مايو ١٥٢١) يعبر فيها عن خيبة آمله في البرتغاليين


ATLANTIC OCEAN
MEDITERRANEAN
Madrid
Toledo
Valencia
Seville
Cordoba
Malaga
Granada
Murcia
Palermo
SICILY
Tunis
Sousse
Fez
Tlemcen
Marrakesh

الذين غادر منطقته صحبة اتباعه لخدمتهم، ويشتكي فيها من عداء المسئولين البرتغاليين بأزمور له (ص٢٨٢ـ٢٨٤).

(١١) رسالة من احمد الاعرج السلطان السعدي، الى الملك البرتغالي جوا الثالث مؤرخة في ٢٤ صفر ٩٣٢ هـ (موافق ١٠/١٢/١٥٢٥) يحتج فيها ضد عدم احترام قبطاني أسفي وأزمور للهدنة الموقعة معهما في السنة الماضية ويطلب من الملك البرتغالي انصافه وارسال قاض للتحقيق في الموضوع (ص٣٤٨ـ٣٥٠).

(١٢) رسالة من السلطان السعدي احمد الاعرج الى قبطان أسفي «غرسيا دو ميلو» بتاريخ ٣ ذي الحجة ٩٣٢ موافق ١٠/١٩/١٥٢٦ يخبره بتوقيعه على هدنة مع سابقه ويطلب منه اخباره بموقفه منها (ص٣٥٦).

(١٣) رسالة من كاتب السلطان السعدي المذكور الى القبطان المذكور حول نفس الموضوع حررها بعد اسبوع من تحرير الرسالة السلطانية السابقة (ص٥٩)

(١٤) نص معاهدة هدنة موقعة ما بين السلطان السعدى والملك البرتغالي في ٢٢ ذو الحجة ٩٣٢هـ (٢٩/٩/١٥٢٦) وهى بالصفحتين (٣٦٧ـ٣٦٨).

والملاحظ ان وثائق الجزء الاول وهذا القسم الأول من الجزء الثاني تسمح بدراسة نوع خاص من التحكم انتهجه البرتغاليون بجنوب المغرب امتاز بالاعتماد على الدبلوماسية والرشاوي وخلق عملاء وفرض نوع من الحماية على المدن اولا ثم على المناطق الداخلية بعد ذلك. ويمكن للباحث العربي ان يعتمد في دراسة خصائص هذه السياسة على الرسائل العربية السابقة الذكر وان يقارنها بما اتبع مع عدد من الثغور بالمشرق كهرمز وبعض مدن الساحل الهندي الاسلامية وذلك اعتمادا على وثائق عربية محفوظة بالارشيف الوطني البرتغالي سأعود للحديث عنها بعد قليل

ونشر القسم الثاني من الجزء الثاني بباريس سنة ١٩٤٦ على يد ناشري القسم السابق واحتوت صفحاته (٣٢٣) على ٨٥ وثيقة تغطي الحقبة ما بين ١٥/١/١٥٢٧ و٢٣/١٢/١٥٣٤. ومن هذه الوثائق سبعة بالعربية.

(١) رسالة بعث بها السلطان الاعرج الى الملك البرتغالي في ٢٢ جمادي الثانية ٩٣٣ موافق ٢٦/٣/١٥٢٧ جوابا على خطاب بعث به هذا الاخير الى اخ السلطان حول شروط الهدنة. وفي هذه الرسالة يحتج ضد عدم

احترام قبطان آسفي للهدنة ويبعث باحدى رسائل هذا الاخير لاثبات ذلك (ص٣٩٩ـ٤٠٠)

(٢) رسالة من الامير الوطاسي مسعود بن الناصر الى الكونت دو لنيارش يعبر له فيها عن صداقته ويلومه على عدم الكتابة اليه ويخبره انه اجاب الملك جوا الثالث بواسطة الحاخام ابرهم بن رميرو والرسالة مؤرخة في آواخر ذي الحجة من سنة ٩٣٣هـ (١٧ـ٢٦/٩/١٥٢٧) - ص٤١٢ـ٤١٣

(٣) رسالة من الكونت السابق الى القائد احمد العطار، مؤرخة في ٤/٢/١٥٢٨ يخبره فيها انه توصل بخطابه وبهديته وبتمسك الملك البرتغالي بشروط السنة الماضية حول السلم وبانه اذا ما قبلها السلطان فما عليه الا ارسال مفاوضين (ص٤٣٤ـ٤٣٥)

(٤) رسالة من أعراب ظهير آزمور الى الملك البرتغالي بدون تاريخ (يونيو ١٥٢٩) يحملونه فيها مسئولية المآسي التي يعانون منها بسبب الغارات التي ينظمها ضدهم كل من البرتغاليين والمغاربة ويطلبون فيها من الملك المذكور الالتزام بما تعهد لهم به من حماية اذا كان يود ان يبقوا تحت طاعته (ص٤٥٩ـ٤٦١)

(٥) رسالة من القائد احمد العطار الى احد ابناء عم السلطان بدون تاريخ يطلب فيها منه العودة الى مملكة فاس نظرا لقلق السلطان بسبب تفكيره في الالتجاء للبرتغال (ص٤٦٨ـ٤٦٩).

(٦) رسالة من السلطان احمد الاعرج الى الملك البرتغالي جوا الثالث مؤرخة في ٢٣ ربيع الاول ٩٣٦هـ (٢٥/١١/١٥٢٩) يعرض فيها حالة مغربي التحق بآسفي وتنصر هناك وتطلب منه السماح له بالعودة الى دويه ليختار بعد ذلك الدين الذي يريده واشاد السلطان في هذه الرسالة برغبة قبطان آسفي الجديد في الحفاظ على السلم (ص٤٩٥ـ٤٩٦)

(٧) رسالة من قائد مدينة سلا الى قبطان ازمور (بدون تاريخ قبل ٦/٤/١٥٣٠م) يخبره باتفاقه مع كبير يهود ازمور الذي آرسل للتفاوض معه حول هدنة لمدة ثلاثة اشهر (ص٥٠٠ـ٥٠١)

ويلاحظ ان وثائق الجزء الاول والقسم الأول من الجزء الثاني تتعلق بمرحلة سطوة البرتغاليين بالجنوب المغربي وتسلط الاضواء على مراحل تحكمهم فيه والوسائل التي سخروها لذلك وردود الفعل التي تولدت عن ذلك. اما وثائق القسم الثاني من الجزء الثاني فتسلط الاضواء على تراجع النفوذ البرتغالي بالمنطقة منذ بداية العشرينات من القرن السادس

عشر خصوصا بعد تقوية نفوذ الشرفاء السعديين ودخولهم مراكش (١٥٢٤) ولهذا تغلب على هذا المجلد الرسائل المتبادلة ما بين الملك البرتغالي والسلطان السعدي والتقارير التي تؤكد دخول برتغاليي الجنوب في مرحلة جديدة امتازت بفقدان المبادرة الشيء الذي جعل الملك البرتغالي يفكر في اخلاء بعض تلك الثغور خصوصا بعد الحصار الكبير الذي ضربه السلطان السعدي على آسفي سنة ١٥٢٤. وتوجد ضمن هذا المجلد عدة وثائق تتعلق بالحصار المذكور والمساعدات العسكرية التي توصلت بها آسفي ونص الرسالة التي بعث بها الملك البرتغالي الى بعض الشخصيات السياسية والدينية حول مشروع اخلاء آسفي وأزمور وردود بعض تلك الشخصيات.

ونشر الباحث الفرنسي ريكار الجزء الثالث سنة ١٩٤٨. وتضم صفحاته (٥٧٢) ١٤٩ وثيقة برتغالية تتعلق بأحداث عرفها المغرب ما بين اول يناير ١٥٣٥ و٢٢ ديسمبر ١٥٤٢. ويغلب على هذه الوثائق نوعان

- نوع ذو طابع دبلوماسي تم تبادله بين الملك البرتغالي وملكي المغرب أحمد الاعرج بمراكش، واحمد الوطاسي بفاس حول هدنة تمت بين البرتغال واحدى الامارتين المغربيتين، أو تم تبادلها ما بين لشبونة وفاس لتحضير حلف عسكري ضد الشرفاء السعديين. ومن هذه الوثائق الدبلوماسية رسائل بعث بها الملك البرتغالي الى كل من الامبراطور شارل الخامس والبابا يخبرهما فيها باندحار جيوشه بالمغرب وهزيمتها على يد الشرفاء السعديين الذين استطاعوا تحرير ميناء أكدير (١٥٤١) وبدأوا يزحفون نحو ثغور اخرى، وطلب منهما امداده بمساعدة حتى يتمكن من كسر شوكتهم قبل ان يستطيعوا اعادة توحيد المغرب وتهديد اسبانيا

- نوع يسلط الاضواء على الظروف الصعبة التي اصبح البرتغاليون يعانون منها داخل الثغور المحاصرة وما اصبحت تتحمله الخزانة البرتغالية من مصاريف للدفاع عنها

ويحتوي هذا الجزء بالاضافة الى الوثائق، على ثلاث دراسات قيمة، اولاها تتعلق بأسقفية آسفي ما بين ١٤٨٧ و١٥٤٢ (ص ٧٥ - ٨٢) وثانيتها عن قائد الشاون المولى ابراهيم بن علي بن راشد الذي كان ينسق ويقود عمليات الجهاد ضد البرتغاليين بشمال المغرب (ص ١٤٦ - ١٥٧). وكان موضوع الدراسة الثالثة يتعلق بسفير الملك البرتغالي وممثله التجاري بفاس وبمساعيه لعقد حلف عسكري وطاسي - برتغالي وتنظيم حملة عسكرية مشتركة ضد

الشرفاء السعديين (ص ١٧٦ ـ ١٩٢) .

ونشر نفس الباحث الجزء الرابع سنة ١٩٥١ وكان من ٤٣١ صفحة احتوت على ١١٠ وثائق تتعلق بأحداث السنوات ١٥٤٢ ـ ديسمبر ١٥٥٠ ، وعلى عدد من الدراسات . وتغلب على هذه الوثائق ما يتعلق بمملكة فاس التي كانت تلفظ انفاسها الاخيرة والتي حاولت ان تحول دون اكتساحها من طرف جيوش الشرفاء السعديين بعقد حلف عسكري مع البرتغال ويضم هذا الحزء عددا من التقارير التي بعث بها قبطان مزغان ، آخر ثغر بقي بأيدي البرتغاليين بالجنوب المغربي ، حول الحروب التي خاضها هناك ضد المغاربة

ومن مقالات ودراسات هذا الجزء اشير الى اهمها

ـ أحداث تطوان سنة ١٥٤٢ (ص ١٠٥ ـ ١٠٦)

ـ التخلي عن المدن المغربية المحتلة من طرف البرتغال (ص ٣٣٥ ـ ٣٤٩) .

ـ علاقات الجزر الخالدات مع الثغور المغربية المحتلة خلال القرن السادس عشر (ص ٤١٣ ـ ٤١٩)

ونشر الجزء الخامس والاخير على يد ريكار سنة ١٩٥٣ وضم ٣٨ وثيقة اعتبرت اضافية لكونها خارجة عن الاطار الزمني للسلسلة (١٥٥٢/٢/١٥ ـ ١٥٧٨)

وتكمن اهمية هذا الجزء في دراسة قيمة بوبه بها الناشر حول اسباب فشل الغزو البرتغالي بالمغرب وخصوصا في ببليوغرافية وفهارس جد مفصلة احتوت على كل اسماء الاعلام والقبائل والاماكن والاوزان والمكاييل والسلع والعملات وغيرها التي وردت في الاجزاء الخمسة ، مما يجعل منها اداة بحث قيمة جدا (ص ١٤٧ ـ ٢٥٣)

وتجدر الاشارة الى أن نشر هذه الاعداد المهمة من الوثائق لم يكن سهلا لأن ذلك تطلب انتقاءها من بين آلاف الوثائق المحفوظة بالارشيف الوطني البرتغالي

وتغلب على هذه الوثائق ما تم نسخه من المجموعة المسماة Corpo Cronologico التي تضم ٨٢٩٠٢ وثيقة ، أو من المسماة As Gavetas Da Torre Do Tombo اي من ادراج أرشيف حصن القبر التي تضم حوالي ٧ آلاف وثيقة . أما الوثائق العربية ، فتم نسخها من بين الوثائق المرتبة تحت اسم «دار المعاهدات» ، الوثائق العربية Casa Dos Tratados, Documentos Arabes

وبالاضافة الى سلسلة المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب اعتمدت منشورات أخرى على وثائق المجموعات الثلاث السابقة الذكر .

ففيما يخص مجموعة (corpo

cronologico) ، نشر الباحث البرتغالي (A. Baiao) المدير السابق للارشيف الوطني سنة ١٩٢٥ ، وبأمر من أكاديمية العلوم البرتغالية ، الوثائق المتعلقة بالغزو البرتغالي لسواحل المغرب . وضم مؤلفه الذي عنونه كالتالي Documentos Do Cronologico Relativos A Marrocos ٦٩ وثيقة تغطي احداثا تتعلق بالفترة الممتدة ما بين ١٤٨٨ و١٥٤١ . واذا كان الناشر قد أعطى النص الكامل للوثائق التي اعتبرها مهمة ، فإنه لم يرفقها مع الاسف ، بمقدمات ولا بهوامش ولم يورد الا ملخصات وارقام ٨٧ وثيقة اعتبرها ثانوية . كما ان الوقوف عند وثائق ١٥١٤ ليس له من مبرر سوى الاكتفاء بتسليط الاضواء على فترة سطوة البرتغاليين بالجنوب والسكوت عما عانوه من مشاكل بعد التاريخ المذكور . ومن الوثائق المنشورة بهذا الكتاب ٢٣ أعيد نشرها على يد الباحث الفرنسي سينيفال في الجزء الاول من سلسلة المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب .

وتتعلق مواضيع وثائق مؤلف (بياو A. Baiao) بمراسلات تبادلها الملوك البرتغاليون مع وكلائهم التجاريين والماليين ومع قباطنتهم بالثغور حول مراحل التحكم في الجنوب وظروفه وحول الاوضاع الاقتصادية التي كان يعرفها كما تتعلق بالمعاشات والرواتب المؤداة لمن ساهموا في المجهود العسكري وبالتحصينات المستحدثة بالثغور المحتلة وببعض السلع وأثمانها .

أما الوثائق العربية ، فلم يصلنا منها الا ملف واحد سبق لي استغلاله بلشبونة منذ ثلاث سنوات وكان الراهب لويش دو سوز (F. Luis De Sousa) اول من اهتم بهذه الوثائق العربية اذ نشر بعضها بلشبونة سنة ١٧٩٠ في مؤلف سماه «وثائق عربية تساهم في كتابة التاريخ البرتغالي» "documentos Arabicos Para Historia Portuguesa" .

والوثائق العربية التي وصلتنا - منها ما هو فارسي - عبارة عن رسائل وصلت الى الملوك البرتغاليين من سلاطين المغرب وامراء الثغور التي كانت تحت حمايتهم ومن بعض الاعيان الذين كانوا في خدمتهم .

وتسمح هذه الوثائق للباحث العربي الذي لا يفهم البرتغالية بتتبع خصائص ما سمي بالحماية البرتغالية على عدد من الثغور بالمغرب وبالساحل الهندي وبهرمز . كما تمكن من أخذ فكرة عن معاناة حكام وسكان تلك الثغور من تعسفات القباطنة البرتغاليين ومساعديهم .

واذا كان مؤلف الراهب المذكور يوفر عددا من هذه الوثائق العربية ، فإنه يحتوي مع ذلك على عيب كبير

يتمثل في كون المؤلف اعطى للوثـائق التي لم يـؤرخها محـرروها تـواريخ بعيدة عن الصواب .

أما الادراج السابقة الذكر فتتكون من ٢٣ درجا رتبت فيها بـطريقـة عشـوائية الاف الوثـائق التي تغطي الفترة الممتدة ما بين القرون الوسطى وسنة ١٩٣٤

ومن حسن حظ الباحث ان وثائق هذه الادراج نشرت على يد مجموعة من الباحثات البرتغاليات التابعات لمركز «الدراسات المتعلقة بما وراء البحار centro De Estudos Historicos Ultramarinos) اللواتي نشـرن تلك الوثائق في ١٢ مجلدا ما بين ١٩٦٠ و١٩٧٧ وبما ان مهمة هذا المركز تهتم اساسا بالمناطق التي كانت تابعة للامبراطورية البرتغالية فإن المشرفات على النشر اكتفين بـإعطاء عناوين وارقـام الوثائق المتعلقـة بـالتـاريخ الداخلي للبرتغال ، ونشرن النصوص الكاملة للوثائق المتعلقة بالامبراطورية البرتغالية وبعلاقة البرتغال مع الدول الاوربية ومع البابوية .

وهكـذا ، ومن مجموع حـوالي ٧ آلاف وثيقة نشرت ، أصبح بإمكـان البـاحث استغلال الوثـائق الموزعـة جغرافيا كالتالي

- المغرب ١٧٤ وثيقة .
- تونس وثيقتان تتعلقان بالهجـوم الاسباني البرتغالي ضد هذه المدينـة سنة ٥٢٥ .
- الخليـج العربي والبحـر الاحمـر ٢٧ ، اغلبها محور حول هرمز .
- الهند والشرق الاقصى ٢٥٢ ، منها عدد كبير من الوثائق المتعلقة بالنزاع الاسباني البرتغالي .
- شرق افريقيا ٦ وثائق

ورغم الخـدمة التي يقـدمها نشر هذه العدد الهائل من الوثـائق ، فإن الشكـل الذي تم بـه قلل كثيـرا من فوائدها ذلك انها نشرت بدون هوامش وتعـاليق وفهارس كمـا ان أكبر عيب يلاحظ على المشرفـات على النشر هـو سقوطهن في عدد كبير من الاخطاء عند تقـديرهن لتـواريخ الوثـائق التي لا تحمل تاريخا وكانت بعض الاخطاء فادحة . والغريب انه كان بامكـانهن تفادي الكثير منها بالرجـوع الى عدد مـهـم مـن الدراسـات والوثـائـق المنشـورة . (أعـطى لوثيقـة تتعلق بحصـار أسفي سنة ١٥٣٤ تـاريـخ ١٥٠١ ، (ج١ ، ص ٥١) وارجـع تاريخ وثيقة بعث بها قبطان أزمور الى الملك البرتغالي الى سنة ١٥٠٥ في حين ان المدينة لم تكن آنذاك محتلة) .

ولهـذا يتحتم عـلى البـاحث ان يحترس كثيرا من التواريخ المقترحة من طرف الناشرات ، وان يعـود الى سلسلة المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب كلما تعلق الامر بوثائق تهم هذا البلد

واحتوت الاجزاء الاثنى عشر على وثائق جد مختلفة ، وبالنسبة للمخططات السياسية البرتغالية بالخليج العربي والبحر الاحمر، يستفيد الباحث من استغلال الوثائق التالية ·

- رسالة بعث بها من مدينة (كوا) الهندية Bernandin De Sousa الى الملك البرتغالي (١٥٤٥/١١/٠٢) يخبره فيها بوصول اشاعات حول تنظيم العثمانيين لهجوم ضد هرمز انطلاقا من السويس وباسترجاعه لحصن القطيف (؟) Catifa الذي استولى عليه شيخ Mana التابع لملك الاحساء لكونه كان دوما تابعا لملك هرمز وذلك نزولا عند رغبة هذا الاخير (ج ١ ص ٩١٥ ـ ٩١٨)

- تعيين الملك البرتغالي جوا الثالث للشاه محمد ابن الملك صفاء الدين أبندار خلفا لابيه كملك على هرمز ـ والوثيقة مؤرخة في ١٥١٩/٨/٢٣ (ج ١ ـ ٩٢٣ ـ ٩٢٥) .

- قسم الولاء للملك فليب الاول (الثاني بالنسبة لاسبانيا) الذي أداه شاه هرمز فرح شاه (Farracoxa) ووزيره شرف ، وذلك في ١٥٨١/١١/١٥ (ج٣ ص ١٠٣ ـ ١٠٦) .

- رسالة من Joao De Arrias الى الملك البرتغالي جوا الثالث حول مداخيل جمارك هرمز مؤرخة في ١٥٢٨/٧/١٠. (ج٤ ص ٨٠ ـ ٨٤) . والتقرير يسلط الاضواء على الشهور التي تعرف أكبر رواج تجاري (أبريل ، مايو، يونيو) وعلى ما توفره المدينة من المداخيل ، ذكر منها الضريبة المؤداة من هرمز ومداخيل الجمارك التي قدرها بحوالي ٧٠ الفا الى ٨٠ الف شرفي (Xarafins) تؤديها عن سلعها السفن المقبلة من الهند وكنباي والقوافل التي يرسلها سنويا الشيخ اسماعيل (فارس) او تأتي من البصرة ، وكذا الضرائب المؤداة عن تجارة الخيول وكذا الغنائم البحرية التي يحصل عليها من مطاردة السفن الاسلامية اعتمادا على اسطول خاص بمراقبة الخليج مكون من ٢٢ مركبا تحمل على ظهرها ما بين ١١٠٠ و١٢٠٠ جندي . وكانت قيمة تلك الغنائم البحرية خلال السنة التي يغطيها التقرير المذكور مبلغ ٢٠ الفا أو ٢٥ الف شرفي أي ما يمثل ٢٥ في المائة من قيمة ضرائب هرمز مما يؤكد ان التجارة العربية لم تتوقف رغم المضايقات البرتغالية وبعد ان اشار محرر التقرير الى تعسفات المسئولين البرتغاليين وطغيانهم الذي عبر عنه بما أجابه به وزير ملك هرمز انه ذكر انه ليس وزيرا ولكن صبيا ينفذ ما يؤمر به . أكد على الاستفادة الكبرى التي يضمنها للبرتغال من تحكمه في هرمز (ج ص ٨٠ ـ ٨٤).

- رسالة برتغالية غير مؤرخة من

الوزيـر ركن الدين ، وزير هـرمز الى الملك شرف اطلعه فيهـا على الحـرب التي اعلنها ابن راشد Mening Ben (Rasid مـلك الاحـسـاء عـلى والي البحرين ، وذلك رغم معارضة اعيان عاصمته ، وذكر صاحب الرسالة انه بالتحاق اولئك الاعيان بالبحرين تعذر على ملك الاحساء الهجوم عليها وأغار على البصرة حيث هزمت جيوشه ولم يتمكن من الفرار والنجاة الا بصعوبة ولما علم بوفاة والي البصرة ـ وهو أحد اقـاربه ـ الذي كـان يـدين بـالولاء للعثمانيين ومبايعة ابنه الذي لم يبلغ بعد سن الرشد ، هيأ حملة جديـدة ضـد البصرة التي فتـح له اعيانهـا الابواب وبايعـوه سلطانا ـ واستغـل والي البحرين انشغال ملك الاحسـاء وأغار على ميناء القطيف catifa وأحرق له ١٥٠ مركبا استولى عليها من بين مـراكب ملك هـرمـز . ولمـا علم ملك الاحســاء بـاحـراق سفنـه ، امـر بـالاستيـلاء عـلى سفن وسلع تجـار البحرين المتواجدين بالبصرة . وسبب هذا غضب البصريـين الذين طردوه من مـدينتهم وعينوا شخصـا اخر . واشار صاحب الرسالة الى استعداد بـرتغـالي هـرمـز لمـد والي البحـرين بمسـاعـدة عسكريـة وتفكيـرهم في احتلال القطيف Catifa واشار محرر الرسالة الى اهتمامـه الكبير بـارسال جـواسيس الى السويس وعـدن والى اماكن اخرى للحصـول على معلومات عن العثمـانيـين. (ج ٤ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٩)

ـ رسالة من أفونسـو دى البوكيـرك Afonso De Albuquerque نائب الملك بـالهند الى الملك البـرتغالي امنـويـل مؤرخة في ١٥١٧/١٠/٣٠ ، يخبـره فيهـا برواج اشـاعات حـول تجهيز الاتـراك لاسطول لتحصـين مدخـل البحر الاحمر وعدن وأكد على خطورة ذلك اذا ما تم فعلا ولهذا فإنه سيكرس كل مجهوداته خلال السنـة للحيلولة دون تحكـم الاتـراك في المـوقعـين المذكورين .

واحتوت الرسالة كذلك على اخبار تتعلق بالهند والشرق الاقصى. (ج ٤، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٥) .

ـ رسالة من نائب الملك السابق بالهند الى المـلك امـنـويـل مـؤرخــة في ١٥١٢/١٢/١٦ يـطلعـه فيهـا عـلى اوضاع الهند ويخبره بوصول مبعوث امبـراطور الحبشة لعقـد حلف ضد المسلمين ، ذلك الوصول الذي اعتبره صاحب الرسالة بداية تخـريب «بيت مكة» الذي يبدو له سهل المنال لانها منطقة ضعيفة وقليلة المحاربين . (ج ٥ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٢) .

ـ رسالة من قبطان هـرمز Cristovao De Mendoca مـؤرخـة في ١٥٢٨/٧/١١ بـعث بـهـا الى الملك البرتغالي جـوا الثالث لفضـح طغيان

وتعسفات القبطان السابق التي شملت ملك الحصن ووزيره اللذين ابتز اموالهما بالاضافة الى اموال ومصالح التجار مما سبب خراب المدينة وركودها التجاري . وتحتوي الرسالة على اخبار تتعلق بالاوضاع داخل الخليج العربي: الحروب التي دارت بين الامراء والولاة ، ومحاولات والي البصرة انشاء اسطول خاص به ، وخطر ذلك على هرمز ـ وذلك رغم ان الوالي كان يدعي ولاءه للبرتغاليين والح على ضرورة الحيلولة دون تقوية نفوذ الوالي المذكور وخروج البصرة من فلك هرمز نظرا للاهمية الاقتصادية التي تكتسبها بالنسبة اليها . (تزودها بالمواد الغذائية وخصوصا بالقمح والمواد الدهنية وتوزع سلع الشرق الاقصى على الجزيرة العربية والشام) راجع ج٥ ص ١٠٨ ـ ١١٦ .

ـ رسالة من ملك هرمز ، محمد شاه (Mamaxa) الى جوا الثالث (١٣/٧/١٥٢٨) يفضح فيها طغيان القبطان السابق ويشيد بخصال خلفه . وطلب الملك من العاهل البرتغالي اعتبار تراجع مداخيل هرمز والتخفيض من الضريبة المؤداة سنويا (ج ٥ ص ١١٦ ـ ١١٨) .

ـ رسالة من قاضي هرمز الى الملك البرتغالي مؤرخة في ٢٤/١١/١٥٥٠ يخبره فيها ان نائب الملك بالهند حرم على جميع التجار ومهما كانت جنسياتهم ان يلتحقوا بالبصرة ، وهدد من فعل ذلك بعقاب شديد وبالاسر .. الشيء الذي جدد العمل به القبطان الحالي الذي اعلن حالة الحصار ضد البصرة ومقاطعتها تجاريا . ولكن هذه المقاطعة لم تعط نتائجها لاستمرار التجار في الاقبال على البصرة من البحرين وذكر صاحب التقرير ان اشاعات تروج بهرمز عن تفكير البصريين في احتلال القطيف Catifa بالبحرين ، الشيء الذي تؤكده الوثيقة التالية (ج ٥ ص ٣٨ ـ ٤٠) .

ـ خطاب من افونسو دو البكيرك (نائب الملك بالهند ، وابن الشخصية التي كانت تحمل نفس الاسم وكلفت بنفس المهمة والتي سبقت الاشارة اليها مرتين . رقم ٦ و٧) الى جوا الثالث (٢٧/١/١٥٥٢) يخبره فيها باسترجاع حصن القطيف Catifa الذي سبق ان استولى عليه الاتراك وبتحطيم الحصن الذي شيدوه بجزيرة Moizy ورد محرر الرسالة هذا المد العثماني بالخليج الى الطغيان الذي فرضه القباطنة على ملوك المنطقة الشيء الذي حدا بأشراف المنطقة الى تسليمها للاتراك كما فعلوا ويريدون فعله بالبحرين .. (ج ٥ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٨) .

ـ تقرير مهم جدا ارسله الى الملك

البرتغالي (١١/١٢/١٥٦٣) برتغالي كلف بمهمة مرافقة مبعوث باشا البصرة خلال تنقلاته بين هرمز والهند والبصرة قصد التفاوض معهم . والتقرير يتعلق بأوضاع مدينة البصرة الطبغرافية (موقعها، مصب النهر، جزيرة (Morzique) وباسوارها ومواقع ابوابها وبالقوة العسكرية المتوفرة عليها (الاسلحة ، الحامية ، الاسطول) وبأوضاعها الاقتصادية (رفاهية سكانها ورواج تجارتها) واهم ما يثير انتباه قارىء التقرير هو ان محرره ارسل خصيصا لهذه الغاية وان المعلومات التي عمل على الحصول عليها كانت تتعلق بمشروع هجوم برتغالي على المدينة ذلك انه اولى اهتماما خاصا لاماكن انزال الجنود ونقط الضعف في تحصينات ووسائل الدفاع المتوفرة (ج ٥ ١٣٧ ـ ١٤٣)

ـ تقرير بعث به قبطان هرمز الى الملك البرتغالي (١٣/٩/١٥٢٩) يتعلق بالاوضاع داخل الخليج العربي وساحل عدن . ففيما يخص المنطقة الاولى اشار الى فشل هجوم برتغالي ضد البحرين التي اعلن واليها عصيانه لملك هرمز

واعطى صاحب التقرير معلومات عن محاولات الاتراك الاستيلاء على عدن واخبر الملك باعلانه الحرب على البصريين لرفض حكامهم اعادة المراكب التابعة لهرمز التي استولوا عليها وفي نهاية التقرير أكد القبطان كثيرا على الفوائد الكبرى التي تحصل عليها البرتغال من تحكمه في هرمز وذلك لسببين تجاري (يفد عليها التجار الايطاليون ، الارمينيون ، اليهود .. فضلا عن العرب والفرس) واستراتيجي يجعلها في مرتبة جزيرة رودس بالبحر المتوسط (ج ١٠ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٨)

ـ رسالة وصلت الى الملك البرتغالي من برتغالي كان مقيما بالبندقية (مؤرخة في ٢٤/١١/١٥٣١) اخبره فيها بمحاولة العثمانيين الجادة لانشاء اسطول بالسويس وبالمشاكل التي يواجهونها في ذلك (الاشرعة والمدافع ترسل من القسطنطينية ، الاخشاب من لبنان اعتمادا على اسطول خاص ينزلها بمينائي الاسكندرية ورشيد حيث تحملها ٤٠٠٠ جمل الى السويس) وتشير الرسالة كذلك الى الحراسة البحرية البرتغالية المشددة عند مدخل البحر الاحمر والى استيلاء البرتغاليين على مركبين بميناء (Outor) وجاء في هذه الرسالة ان احد تجار مكة وصل مؤخرا الى البندقية [1] (ج ١٠ ص ٦١٧ ـ ٦٢٠) .

ـ رسالة من فرانسيشكو سلفريش الى الملك البرتغالي (١٤/١/١٥٣٥) هي عبارة عن نسخة من الرسالة التي بعث بها الى نائب الملك بالهند يخبره فيها بوفاة ملك هرمز وورد في هذه

الرسالة اشارة مهمة تتعلق باستمرار السفن العربية في التزود بالتوابل رغم مجهودات البرتغاليين للحيلولة دون ذلك . (ج ١٠ ص ٧٣ ـ ٨٩) .

ـ رسالة بعث بها الملك امنويل البرتغالي الى أسقف براغا (١٥٠٨/٨/١٦) يبشره فيها بالانتصارات والمكتسبات التي حققها البرتغاليون بشرق افريقيا والشرق العربي وحرمان التجار العرب من ارباح تجارة الهند والشرق الاقصى . وهذه الرسالة مهمة جدا بالنسبة لمتتبع اسباب ودوافع المد البرتغالي على حساب العالم العربي ، ذلك انها تغطي الاسباب الحقيقية (الربح واحتكار التجارة) وتؤكد على اولوية العامل الديني ، وتعطي للتوسع بالمشرق صبغة صليبية محضة . (ج ١٢ ص ٢٣٧ ـ ٢٤٢) .

ومن الوثائق التي يمكن للباحث الاستفادة منها وثائق التشريفات الملكية البرتغالية Livros Das Chancelarias Reais لتوفر عشرات الكتب الضخمة المتعلقة بالملوك الذين عاصروا التوسع البرتغالي من انطلاقته الناجحة الى بداية تراجعه . اي من عهد الملك جوا الاول الى دون اسبستيان(٤) وهذه الكتب مرتبة حسب اسماء الملوك ، واحيانا حسب المناطق (الجزر ، غواديانا ..) ولاستغلالها بسهولة أعدت فهارس مرتبة حسب اسماء الاعلام واخرى حسب اسماء الاماكن . ونظرا لصعوبة قراءة وثائق هذه الكتب ، أعيدت كتابة بعضها خلال القرن الماضي والحقت بكتب تسمى «القراءة الجديدة» (Leitura Nova) وتتعلق هذه الكتب بالقوانين والتعيينات والعطاءات التي خص بها الملوك بعض الافراد .

ونشر من هذه الوثائق قسم مما يتعلق بالغزو البرتغالي لسواحل المغرب الاقصى ، ففي سنة ١٩١٥ نشر الباحث البرتغالي ازفيدو بأمر من اكاديمية العلوم البرتغالية التي برمجت نشر عدد كبير من المصادر والوثائق المتعلقة بالغزو البرتغالي للمغرب وذلك بمناسبة الذكرى المئوية الخامسة لاحتلال سبتة (١٤١٥) ، نشر في مجلدين ضخمين وثائق تشريفات الملوك (جوا الاول ، ودون ادوارد ، والفونس الخامس(٥) .

وفي سنة ١٩٤٣ ، وبأمر من نفس الاكاديمية ، نشر الباحثان البرتغاليان (كويليو ولوبش) وثائق كتب تشريفات الملك (جوا السادس(٦)

وتسمح هذه الوثائق المنشورة أو التي لم تعرف النشر حتى الآن ، بدراسة الغزو البرتغالي لسواحل العالم العربي بتسليطها الاضواء على الجوانب التالية

ـ تعيينات المسئولين العسكريين

والاداريين والماليين والدينيين العاملين بالثغور المحتلة وتساهم هذه الوثائق في تتبع خصائص النظام المتبع بثغر ما (حماية ، احتلال عسكري وتسيير مباشر) وفي تحديد الفئات الاجتماعية المستفيدة من التوسع البرتغالي وتساهم ايضا في تحديد مدى استفادة البرتغال من ثغر ما وذلك بالوقوف على تلك المناصب المذكورة .

- مختلف العطاءات والاقطاعات التي اغدقتها الدولة على النبلاء لدفعهم الى المساهمة في المجهود العسكري . فاستغلال وثيقة تتعلق باقطاع منطقة او مدينة او تنازل الملك للمستفيد عن ضرائب ثغر أو منطقة يسمح بأخذ فكرة عن النظام الجبائي المستحدث هناك وربما مكن من أخذ فكرة عن معطياتها الاقتصادية أو عن مدى انتظام الاداءات بها (مما يسمح بدوره بأخذ فكرة عن مدى تحكم البرتغاليين في المنطقة)

- تنازلات قضائية لفائدة مجرمين مقابل الخدمة العسكرية بالثغور أو المساهمة في حملة من الحملات المنظمة ضد المغرب وتعلب هذه الوثائق على ما نشره أرفيدو

- ولعل أهم مساهمة تقدمها كتب التشريفات الملكية تكمن في احتوائها على وثائق جد مهمة تعرف «Cartas de Quitacao» أي الايصالات أو رسائل ابراء الذمة التي كانت تسلم لثلاثة انواع من الموظفين لوكيل الملك التجاري (الفيطور Feitor) ، للمسئول عن التموين بالمدينة (المشرف Almoxarife) ، وأخيرا للمحاسب (الكنتدور) . ولهذا تختلف هذه الوثائق من ناحية نوعية الاشياء المذكورة فيها وما اذا كان الايصال يبرىء ذمة مشرف طغت عليه المواد الغذائية والأسلحة والذخيرة أو اذا سلم لوكيل تجاري طغت عليه السلع المستوردة والمصدرة

ورغم ان هذه الايصالات تختلف من ناحية الطول ومن ناحية غزارة المادة ، فانها تخضع مع ذلك لتصميم موحد . فهي تبدأ بذكر الأمر الملكي بمراجعة حسابات المعني بالأمر ، واسم الشخص الذي كلف بذلك ، ثم تذكر نوع المهمة التي كانت منوطة به وتاريخ بدايتها ونهايتها والمكان الذى عمل به يلي هذا سرد كل السلع والاموال والاشياء الاخرى التي توصل بها خلال قيامه بمهمته وأسماء الاشخاص والمؤسسات التي سلمته شيئا ما وينتهي الايصال بتبرئة ذمة المعني بالامر وبذكر تاريخ ومكان تحرير الوثيقة . واسم الذى قام بذلك

وتسمح هذه الوثائق بأخذ فكرة عن المبادلات التجارية التي كانت تعرفها الثغور المحتلة وعن السلع المتبادلة

وتطور العرض والطلب عليها وتتبع أثمانها وبالتالى تحديد ما اذا كانت البرتغال قد استفادت من احتلال ثغر ما . ولكن هذه الايصالات لا تهتم مع الأسف الا بتجارة الملك ولا تشير قط الى أنشطة التجار الاحرار . كما ان نوعا آخر من هذه الوثائق يسلط الاضواء على المصاريف التي تتحملها البرتغال بسبب تحصين بعض الثغور أو الدفاع عنها .

وقام الباحث البرتغالي Braamcap de Freire بنشر كل ايصالات فترة حكم الملك امنويل (١٤٩٤ ـ ١٥٢١) وذلك بمجلة «Arquivo Historico Portugues» في أعدادها العشرة (١٩٠٣ ـ ١٩١٠) . وكان منها ٧٢ ايصالا تتعلق بالمغرب و١٤ بالهند ، و١٩ بغرب أفريقيا المصدرة للتبر والعبيد (مركزي أرغيس بالساحل الموريتاني ولامينا بساحل الذهب) و٦ بافريقيا الشرقية و٢٣ بمصلحتي دار غينيا ودار الهند المركزيتين . وكان من هذه الايصالات المنشورة واحد يتعلق بمصاريف الاسطول الذى وجه سنة ١٥٢٠ لمراقبة مدخل البحر الأحمر .

ونشر الباحث أزفيدو في مؤلفه السابق الذكر ١٩ ايصالا في حين أدرج (كويليو ولوبش) في مؤلفهما ايصالين متعلقين بالمغرب .

واستطعت بعد الاطلاع على كل كتب تشريفات الملك جوا الثالث (حوالى سبعين كتابا) الوقوف على ٣١ ايصالا تتعلق بالثغور المغربية .

واذا كانت هذه الوثائق تسلط الاضواء على الانشطة التجارية والمصاريف فان وثائق اخرى تكملها كمحاضر محاكم التفتيش المتعلقة بالتهريب التى سأعود اليها وكتقارير ومراسلات الوكلاء التجاريين والماليين بالثغور المرتبة بالارشيف الوطني مع مجموعة وثائق Corpo Cronologmco

وهناك وثائق اخرى مرتبة بالارشيف الوطني تحت اسم Nucleo Antigo لم تعرف حتى ساعة كتابة هذا البحث . ومن حسن حظ الباحث توفر فهارس تسهل معرفة نوعية مواضيع تلك الوثائق . هذا ، وسبق لي استغلال عدد مهم من وثائق هذه المجموعة التى تغلب عليها الوثائق ذات الطابع المالي (الرواتب والمعاشات المؤداة للجنود العاملين بالثغور المحتلة) والجبائى كما توجد من بينها سجلات قضاة الثغور سجلت فيها المنازعات والخلافات التى وقعت بين أفراد الجالية البرتغالية .

ومن أهم وثائق هذه المجموعة تلك التى تتعلق بالضرائب ففيما يخص الجمركية منها استطعت الوقوف على سجل للضرائب المؤداة عن صيد سمك الشابل بأزمور (١٥٢٦م)(٧) وقائمة الاعشار التى دخلت ميناء

أميلا بشمال المغرب ما بين ١٥١٠/١١/٧ و١٩/١٢/١٥١١م مما يعطي فكرة دقيقة عن انواع السلع المروجة هناك .[8] وكتب سلبي منذ أربع سنوات إنني أول مستغل لسجل مهم جدا يتعلق بالضرائب التي كانت قبائل دكالة والشياظمة تؤديها للملك البرتغالي ما بين ١٥١٠ و١٥١٢م وهو سجل من ٤٤ ورقة يحمل العنوان التالي «سجل الضرائب الملكية المتعلقة بأعراب وبرابرة المدينة المغربية وكل دكالة وبلاد الشياظمة مع حصونها التي كانوا يؤدونها لملوك هذه المملكة ابتداء من سنة ١٥١٠ الى ١٥١٢م»[9] ومن مزايا هذا السجل انه يسد عددا من الثغرات التي تركتها الوثائق المتوفرة لدينا خصوصا فيما يخص مراحل التوسع البرتغالي داخل دكالة ، هذا بالاضافة الى تزويدنا بأسماء القبائل وفروعها وبمعلومات قيمة عن بعض المكاييل التي لم تكن الوثائق الاخرى تسمح بتحديدها بدقة

وردت وثائق اخرى بالارشيف الوطني تحت العنوان التالي «رسائل قباطنة افريقيا (Cartas dos Governa-dores da Africa) ولم تنشر منها حتى الآن الا رسائل قليلة ضمن مجموعة «المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب» وفيما يخص رسائل نواب الملك بالهند نشرت بمبادرة من الاكاديمية الملكية للعلوم بلشبونة في نهاية القرن الماضي رسائل ثاني والٍ على الهند وأشهرهم (افونسو دو البكيرك) مع وثائق اخرى تساعد على فهمها وتم ذلك في سبعة اجزاء أعطى لها العنوان التالي «رسائل أفونسو دو البكيرك تليها وثائق تساعد على فهمها» . Cartas de Affonso de Albuquerque seguidas de documentos que as elucidam وصدر الجزء الاول سنة ١٨٨٤م

وتتعلق مواضيع هذه الرسائل التي بعث بجلها الى الملك أمنويل بمجهوداته لتحقيق المخططات البرتغالية التي كانت تهدف قبل كل شيء الى الحيلولة دون استمرار تعامل العرب مع شرق آفريقيا والهند وللحلول محلهم كمزود لأوروبا بالتوابل والعقاقير وغيرهما من سلع الشرق الاقصى وهكذا كان اغلاق الخليج العربي وخصوصا البحر الاحمر في وجه الملاحة العربية من أهم التعليمات التي أعطيت له وأهم ما حاول صاحب هذه الرسائل انجازه

وفيما يلي كمثال بعض الوثائق الواردة في الجزء الاول

- رسالة مؤرخة في ١٥٠٨/٢/٢ بعث بها الى الملك من هرمز يشتكي فيها من فرار عدد من قباطنة السفن حينما كان محاصرا هرمز الشيء الذي حال

دون اتمام التحصينات التى شرع فيها بالجزيرة المذكورة . (ص ٦) . وتجدر الاشارة الى ان (البكيرك) لم يكن آنذاك الا مجرد رئيس لأحد الاساطيل الموجهة للشرق .

ـ رسائل حررها على ظهر سفينته في ١٥٠٨/٢/٦م آخبر فيها الملك بظروف احتلال هرمز وبقبول ملكها الدخول تحت الحماية البرتغالية وأداء ضريبة سنوية .

ـ رسالة الى الملك مؤرخة في ١٥٠٨/٢/١٥م يطلعه فيها على فرار بعض المسيحيين الى هرمز وعلى استمرار هذه الأخيرة في أداء الضرائب وعلى ما تعرفه من رواج تجاري . (ص١٧) .

ـ رسالة مؤرخة في ١٥١٠/١٠/١٧م بعث بها الى الملك يخبره بعزمه على احتلال جزيرة (كوا) نظرا لاهميتها بالنسبة للمكتسبات البرتغالية بالهند وعلى عزمه على الالتحاق فور ذلك بالبحر الأحمر (ص ٢١) .

ـ رسالة بعث بها الى الملك من (كشين) بتاريخ ١٥٢١/٨/٢٠م يخبره فيها انه آرسل ثلاث سفن لتحطيم حصن «سقطري (٣) Socotora» وللتوصل بضرائب هرمز وأنها التحقت بعد ذلك بالبحر الاحمر كما كان مقررا لايقاف التجارة بزيلع وبربرة (ص ٧٥)

ـ رسالة حررها خلال رحلة الى (كوا) في ١٥١٢/١٠/٣٠ وبعث بها الى الملك يطلعه فيها على أخبار عدن وعلى الاشاعات المتعلقة بقرب تحرك أسطول المماليك نحو مدخل البحر الأحمر . (ص ٩٥) .

ـ رسالة محررة من كنكور بالهند يوم ١٥١٣/١١/٣٠ أرسلها الى الملك يخبره بعزمه على الالتحاق بالبحر الاحمر والهجوم على السويس لاحراق السفن الراسية هناك . وذلك فور الانتهاء من تشييد حصنى (ديو) و(كلكوتا) ص ١٣٥

ـ رسالة بعث بها من نفس المكان الى الملك (١٥١٣/١٢/١) يطلعه على نوع السفن الواجب استعمالها بالبحر الأحمر في حالة السيطرة عليه وجاء في الرسالة معلومات عن مناطق ساحلى البحر الاحمر (ص ١٦٧)

ـ رسالة من نفس الحصن بتاريخ ١٥١٣/١٢/٢ آخبر بواسطتها الملك عن الغنائم التي حصل عليها البرتغاليون بعد اغارتهم على السفن بالبحر الاحمر . (ص ١٨٠) .

ـ رسالة الى الملك (١٥١٣/١٢/٤) يطلعه فيها على الهجوم على عدن مرتين وعلى دخول الاسطول البرتغالي الى مضيق مكة » (ص ١٩٩)

ـ رسالة الى الملك مؤرخة في ١٥١٣/١٢/١٥ يطلب فيها منه ارسال السلع ليتمكن من آداء الرواتب ويذكره انه لا يتوفر على موارد استثنائية غير ما يحصل عليه من

غنائم نتيجة الحروب بعدن والبحر الاحمر . (ص ٢٤٣)
- رسالة مؤرخة في ١٥١٤/١٠/٢٠ يجيب فيها الملك على التوصيات التى اعطيت له لاحتلال البحرين (ص ٢٦٤)
- رسالة مؤرخة في ١٥١٤/١٠/٢٠ الى الملك تتعلق بمشاريع عسكرية بالبحر الاحمر وتعرض فى هذه الرسالة للطريقة التى يمكن بها احتلال عدن واوصى بعدم تحصين مدخل البحر الاحمر واشار الى مينانى زيلع و«بربرة» ، واعطى اخبارا عن جزر القمر وفى الأخير اوصى بالاعتماد على ميناء مصوع باثيوبيا للتمكن من مراقبة جدة ومكة (ص ٢٧٨ وما بعدها)
- رسالة مؤرخة في ١٥١٤/١٠/٢٣ بعث بها الى الملك يخبره فيها بانه أمر بصنع سفن تتلاءم وظروف الملاحة بالبحر الاحمر لاستعمالها هناك فى حالة التحكم فيه (ص ٢٩٥)
- رسالة أخرى مؤرخة في ١٥١٤/١٠/٢٥ يطلع فيها الملك على مشاريع تتعلق بالبحر الاحمر (ص ٣٢٥)
- رسالة مؤرخة في ١٥١٥/٩/٢٢ بعث بها الى الملك البرتغالي من هرمز يعرض فيها الاسباب التى كانت وراء اعطائه الاولوية لهرمز منها ما توفره من مداخيل وحمايتها للمصالح البرتغالية بالهند ، ووعد بالاهتمام بمشكلة البحر الاحمر فور إحكام السيطرة على هرمز . وأشار الى الوفود التى أرسلها ملك الاحساء واحد ولاة الشيخ اسماعيل (فارس) لتحيته ولتسليمه هدايا واعتذر عن عدم تمكنه من اعطاء معلومات عن القطيف وعن البصرة ، واكد كثيرا على الاهمية الاستراتيجية للبحرين وفى الختام ذكر ان هرمز تمكن من التحكم فى تجارة الخيول ببلاد فارس وبالجزيرة العربية وذلك قبل أن ينتقل الى وصف الحصن الذي شيد بهرمز (ص ٣٦٩ وما بعدها) .
- وفى رسالة غير مؤرخة اخبر الملك باستيلاء البرتغاليين على عدد من «مراكب القاهرة» كانت تقوم بتهريب السلع بالسواحل الهندية (ص ٣٨٦) الخ

ومن الوثائق التي يمكن للباحث أن يعتمد عليها ، محاضر محاكم التفتيش الدينية ورغم فقدان عدد كبير من تلك المحاضر ، فقد وصلنا ما يقرب من ٤٠ ألف محضر تغطى محاكمات تمت ما بين ١٥٣٦ ، سنة بداية العمل بتلك المحاكم ، و١٨٢١ ، سنة اغلاقها نهائيا وهذه المحاضر موزعة بين ٣ محاكم على الشكل التالي

- محكمة لشبونة ١٧٩٧٧ محضرا
- محكمة يابره ١١٧٤٣ محضرا .

ـ محكمة كوينبرا . ١٠٢٥٨ محضرا .

وبالاضافة الى هذه المحاضر ، وصلتنا عشرات الكتب التي حررت فيها الاعترافات أو التبليغات التي توصلت اليها المحكمة وهي مرتبة كالتالي :

ـ سجلات التبليغات (Livros das denuncias) التي تتعلق بالمحاكم الثلاث .

ـ سجلات الاعترافات (Livros das confessoes) .

ـ سجلات المحامي المراقب (وكيل النيابة) (Cadernos do Promotor fiscal) .

ـ سجلات الزيارات (livros das Visitacoes) وهي دفاتر يسجل فيها القضاة التبليغات والاعترافات التي توصلوا بها خلال زيارتهم لمنطقة معينة .

ـ سجلات خاصة بجريمة اللواط[١٠]
Livros do pexado nefan do

ولكن الباحث المهتم بالعالم العربي لا يستفيد الا من نسبة ضئيلة من وثائق ومصادر هذه المحاكم لان البرتغال لم يعرف ـ كجارته أسبانيا ـ جالية موريسكية مهمة بقيت مدة طويلة متمسكة بأرضها ، وفي نفس الوقت ، بثقافتها وعقيدتها التي استمرت ـ ولو سريا ـ في اتباعها رغم تنصرها السطحي .. ومن جهة اخرى يمتاز المشكل الموريسكي بالبرتغال بخصائص تميزه عما كان موجودا باسبانيا .

فبعد بحث بالارشيف الوطني دام ما يقرب من السنتين ، لم أعثر ، ولم أعلم ان أحدا عثر على محضر محاكمة موريسكي برتغالي الاصل منحدر من الجالية المسلمة التي أرغمها قرار الملك أمنويل على التنصر أو مغادرة البلاد (١٤٩٧) وهنا يكمن حظ المؤرخ للغزو البرتغالي للسواحل العربية الاسلامية . ذلك ان محاضر محاكمة موريسكيي البرتغال تتعلق بأفراد تم ادخالهم الى البرتغال كأسرى وعبيد إما من دول المغرب العربي أو من غرب أفريقيا أو من الهند أو من الخليج العربي أو كانوا أسرى أتراكا . وكانت المحاضر التي استطعت اكتشافها من بين تلك الاعداد الهائلة من المحاضر التي لا تتوفر على فهارس[١١] موزعة كالتالي :

ـ المغاربة . ٢٤٤
ـ الجزائريون ٦
ـ التونسيون ٥
ـ الاتراك ٢٣ منهم ٣ مصريين وبصريين وهرمزي
ـ السودانيون (غرب أفريقيا) ١٦ .
ـ الهنود المسلمون ٣٤
ـ موريسكيون لم تحدد مناطقهم الاصلية ١٥ .

وتقدم دراسة واستغلال وثائق

محاكم التفتيش خدمة كبرى لمؤرخ الغزو البرتغالي لسواحل العالم العربي والاسلامي وردود الفعل التى تولدت عنه وخصوصا بالنسبة لمؤرخ نتائجه الفكرية والدينية ذلك ان هؤلاء المسلمين الذين ادخلوا الى البرتغال وارغموا على التنصر حوكموا ليس فقط لتمسكهم بدينهم الاصلي ولكن كذلك لاستمرارهم فى العيش حسب عادات وتقاليد بلدانهم الشيء الذى يسمح بتحديد العقليات وخصائص الثقافة ـ بمفهومها الواسع ـ داخل تلك البلدان . والمحاضر المتعلقة بالعالم الاسلامي تتكون من ثلاثة انواع متميزة .

١ ـ محاضر تسلط الاضواء على محاكمة موريسكيين لتمسكهم بعقيدتهم وثقافتهم

٢ ـ محاضر محاكمة مهربين برتغاليين تم القاء القبض عليهم لاستمرارهم في التبادل التجاري مع المغاربة رغم تحريم الملك البرتغالي لذلك اثر اضطراره الى التخلي عن عدد من الثغور المغربية أو لتسهيلهم فرار الموريسكيين بجعل مراكبهم رهن إشارتهم مقابل مبالغ مالية مهمة .

ـ محاضر محاكمة بعض المجاهدين البحريين الذين تم أسرهم خلال غاراتهم على السفن والسواحل البرتغالية والذين تبين للمحكمة انهم منحدرون من أصل مسيحي (الانكشارية العثمانية) أو استمروا فى تمسكهم بدينهم رغم تنصرهم أو تأكد للمحكمة إعدادهم للفرار للالتحاق بالبلاد الاسلامية وخصوصا المغرب(١٢) .

وهذا النوع الثالث من المحاضر يسمح للمؤرخ بتتبع تصدى العالم الاسلامي للمخططات البرتغالية الرامية الى تطويقه والتقليل من موارده وذلك تحضيرا للاستيلاء عليه . ولقد سبق لى خلال مؤتمر نظم ببغداد حول تاريخ العرب العسكري (٢٢ ـ ٢٦ ايلول ١٩٨١م) التعريف ببعض مساهمات هذه المحاضر فى تحديد خصائص رد الفعل الاسلامي على تلك المخططات(١٣) .

وهكذا تتجلى بوضوح **اهمية هذه الوثائق البرتغالية ذلك** أنها توفر للباحث فرصة دراسة مرحلة من أخطر مراحل تاريخ عالمنا العربي التى لا تسمح وثائقنا ومصادرنا بدراستها كما يتجلى ذلك من خلال الوثائق الكثيرة والمهمة التى وصلتنا عن معركة وادى المخازن مثلا أو عن المخططات البرتغالية بالخليج العربي والبحر الأحمر .

وتوفر هذه الوثائق للباحث فرصة القيام بدراسة شاملة لأى موضوع يتعلق بالتوسع البرتغالى اذ تسمح في نفس الوقت بتتبع امكانات وأوضاع كل من البرتغال والعالم العربى ، وفي

نفس الوقت تمكن من ربط تلك المخططات ، ليس فقط بالطريقتين السياسية والاقتصادية للطرفين ، ولكن كذلك الدولية كالنزاع الاسباني ـ البرتغالي حول مناطق النفوذ بالمغرب العربي والشرق الاقصى مثلا ، ودور البابوية في خلق الوفاق بينهما ، أو محاولات الدول الأوروبية الأخرى كفرنسا وهولندا وانجلترا افشال نظام الاحتكار الذى فرضه البرتغاليون . الخ

ولكن كثرة ما توصلنا اليه من وثائق برتغالية لا تمنع الباحث من الأسف على ضياع عدد كبير من المراسلات والتقارير مما جعل معلوماتنا عن بعض الأحداث تبقى ناقصة كما هو الشأن مثلا بالنسبة لسنتي احتلال واخلاء آسفي المغربية . وهذا الضياع يحتم أحيانا اللجوء الى بعض المصادر التى عاين مؤلفوها الأحداث أو استغلوا بعض تلك الوثائق الضائعة . ويستفيد الباحث كثيرا من استغلال ثلاثة مصادر برتغالية متعلقة بالمغرب الاقصى ومصدرين متعلقين بالشرق العربي (١٤) .

هذا ، وتلزم هذه الوثائق الباحث ، فضلا عما هو ملزم به ازاء أية وثيقة أو مصدر . تلزمه بالتسلح بحيطة خاصة تفاديا لما وقع فيه بعض المؤرخين الأجانب من أخطاء وذلك للأسباب التالية احتواؤها على عيوب كل ما يكتبه الأجانب عن بلاد غير بلادهم خصوصا اذا كانوا يكنون لها العداء فبالاضافة الى ما تزخر به الوثائق البرتغالية من احكام القيمة التى استهدفت عقيدة ونظم البلاد الاسلامية ، لا تسجل هذه الوثائق الا ما يثير استغراب محرريها أو ما يعبر عن اهتماماتهم أو ما كانوا يعتبرونه فخرا لبلادهم كالاطناب في الحديث عن الانتصارات والسكوت عن الهزائم . وللوصول الى هذا الهدف الأخير لم يتردد بعض محرري تلك الوثائق في الكذب وتزييف الحقائق ويمكننا المثالان التاليان من أخذ فكرة عن بعض عيوب تلك الوثائق

١ ـ اذا كانت مساهمة الايصالات السابقة الذكر مهمة في التعريف بالتجارة الملكية البرتغالية في بعض الثغور ، فانها تسكت عن نشاطات التجار الأحرار الشيء الذى يحرمنا من معلومات واشارات قد تساهم في التعريف باهتمامات مخالفة لاهتمامات الملك وبالتالى الالمام بكل جوانب التجارة البرتغالية بالثغور المغربية كما ان هذه الوثائق ، وكذا تقارير الوكلاء التجاريين والماليين لا تهتم الا بالمناطق الساحلية وانواع معينة من المنتجات الشيء الذى لا يسمح بتاتا بتسليط الأضواء على أوضاع البلاد الاقتصادية كلها

٢ ـ أوقعت هذه الوثائق عددا من

المؤرخين الأجانب في أخطاء فادحة فمنهم من أخذ ما تزخر به تلك الوثائق من مشاريع ومخططات وكذب كحقيقة ونسب للتوسع البرتغالي مخططات واحيانا مكتسبات لم تكن امكانات البرتغال المالية والبشرية تسمح بها ويمكن اعطاء مقالة للباحث (سنفال) السابق الذكر كمثال على هذا (١٥)

كما ان عددا من المؤرخين الاجانب كرروا بدون تمحيص التبريرات الواردة بالوثائق البرتغالية عن أسباب تراجع النفوذ البرتغالي بالمغرب ولم يأخذوا قط بعين الاعتبار رفض المغاربة الرضوخ لمشيئة البرتغاليين وضرب حصار شبه مستمر على قلاعهم وهكذا برروا ذلك التراجع بتفضيل البرتغاليين الهند والبرازيل على المغرب الذي لم يكن - في رأيهم - يسمح بأرباح ولم يكن يتوفر على موانىء جيدة(١٦) ..

ورغم كل هذه العيوب ، يمكن لهذه الوثائق ، اذا ما استعملت مع الحيطة اللازمة ، أن تسد الكثير من الثغرات التي تركتها مصادرنا العربية ، وأن توفر المادة الضرورية لدراسة جوانب مهمة من تاريخ الغزو البرتغالي ومخططاته على حساب العالم الاسلامي ويمكن اعطاء الأمثلة التالية عن مساهمات تلك الوثائق في دراسة بعض المواضيع المهمة

١ - الدوافع التي حدت بالبرتغاليين الى اكتساح مناطق النفوذ الاسلامي وتحديد مكانة كل واحد من تلك الدوافع لفهم أسباب اصرار البرتغاليين على تنفيذ مخططاتهم .

- العوامل الدينية هل كان اكتساح البرتغاليين للأراضي الاسلامية استمرارية للحروب الصليبية ضد الاسلام بايبيريا ؟ وفي ما يلي أنواع الوثائق التي يمكن استغلالها لدراسة هذا الموضوع

القرارات البابوية (Les Bulles pontificales) التي كانت تمنح للملوك البرتغاليين امتيازات مالية وجبائية مهمة جدا قصد تشجيعهم على الاستمرار في محاربة الاسلام والمسلمين وغزو أراضيهم ويمكن للباحث الرجوع الى آخر عمل أنجز حول هذه القرارات على يد الراهب البلجيكي Ch Witte الذي جمع ودرس ٦٧ قرارا بابويا متعلقا بالحروب البرتغالية **التي دارت بالمغرب ودور البابوية** في توفير شروط النجاح لها (١٧) .

ويمكن الرجوع كذلك الى بعض المراسلات التي تبودلت ما بين الملك وبعض المسئولين السياسيين والدينيين . ويمكن أخذ فكرة عن مدى طغيان الروح الدينية على تلك المراسلات ومدى صدق محرريها بالرجوع الى رسالة الملك البرتغالي امنويل الى اسقف (براغا) السابقة

الذكر، والى الرسائل التى بعث بها الملك البرتغالى الى بعض كبار المسئولين السياسيين والدينيين سنة ١٥٢٤ حول مشروع اخلاء أسفى وأزمور وأجوبة بعضهم [١٨] .

ـ الدوافع الاقتصادية

ان الوقوف على وثائق برتغالية جديدة ، واخضاع الوثائق ذات الطابع الدينى للنقد والتحليل جعل عددا من المؤرخين يتخلون عن اعطاء الأولوية للعامل الدينى . فاذا اعترفوا بوجود هذا الدافع ، فانهم أكدوا مع ذلك طغيان العوامل الاقتصادية خصوصا بعد الوصول الى المراكز التجارية بغرب افريقيا ونجاح (دوجاما V. De Gama) في ربط لشبونة بالهند اعتمادا على طريق رأس الرجاء الصالح البحرية وذلك رغم احتفاظ الملوك البرتغاليين بشعار الحرب الصليبية لدفع البرتغاليين الى المساهمة في المجهود العسكرى وتحمل تكاليفه وتضحياته ، وللحصول على مساعدة البابوية المهمة .

وبالاضافة الى تسليطها الأضواء على دوافع الغزو ، تمكن هذه الوثائق كذلك من تتبع مدى استفادة البرتغال من تحكمه في كل منطقة ودور تلك الاستفادة في تحديد السياسة المتبعة ازاءها وبذلك يمكن تفادى تعميمات خاطئة سقطت فيها دراسات لم تعتمد على هذه الوثائق [١٩] . وسأعطى على دور العوامل الاقتصادية والبحث عن الربح في توجيه السياسة البرتغالية مثالين ، واحدا من المغرب الأقصى وآخر من الخليج العربى .

لقد اعتمد البرتغاليون بشمال المغرب على عدد كبير من الاساطيل والرجال للاستيلاء على المدن . وكانت سياسة المخططين للغزو واضحة : التخريب ومطاردة المغاربة وانتهاج سياسة الأراضى المحروقة الشيء الذى يتناسب وعقلية الفرسان والنبلاء الذين عاثوا في الأرض فسادا . أما في الجنوب المغربى ، فلقد كانت المخططات للاستيلاء عليه مخالفة وذلك لأسباب تجارية فاذا كان المسئولون البرتغاليون على علم بما كانت تعانى منه مدن تلك المناطق من فتن واضطرابات ، واذا كانوا قد زادوا تنافس الاعيان حول السلطة حدة بتدخلاتهم ورشاويهم ومختلف الضغوط التى مارسوها ، فانهم تفادوا مع ذلك التدخل العسكرى لاحتلال أهم تلك المدن وذلك رغم الفرص التى أتيحت لهم .لقد كانوا يكتفون كلما تبين لهم ان مجرى الأحداث أصبح يهدد مصالحهم بتنظيم انقلابات وبتسليم السلطة لمن كانوا يتوقعون منه حماية مصالحهم وتنميتها . ولم يقرر الملك البرتغالى احتلال أسفى سنة ١٥٠٨ إلا وهو

شبه مرغم . وتحت ضغط التجار المحليين . الذين كانوا ينتظرون من ذلك الاحتلال ارجاع الأمن الى المدينة ووضع حد للفتن التى قضت على الرواج التجارى الذى كانت تعرفه

وبعد احتلال المدينة . عمل الملك كل ما في وسعه للحيلولة دون دخول البرتغاليين في حروب ضد القبائل المجاورة ودون انتهاج سياسة الارض المحروقة المتبعة بالشمال وأوصى بالاعتماد على الرشاوى وخلق عملاء والاعتماد على الدبلوماسية اكثر من الاعتماد على الأسلحة وقام الملك بعدة تنازلات سياسية وجبائية لضمان ولاء القبائل واستمرار اقبالها على الموانىء ولضمان طاقات المنطقة الانتاجية والاستهلاكية لصالح البرتغال . وتساهم الوثائق ذات الطابع التجارى المحض في فهم هذه السياسة وتحديد أسبابها فمناطق الجنوب . وخصوصا دكالة . أصبحت منذ النصف الثانى من القرن الخامس عشر . تمثل أهمية قصوى داخل الامبراطورية التجارية البرتغالية . اذ أصبحت ضرورية لاستمرار استفادة البرتغال من تعامله التجارى مع غرب افريقيا لتوفرها على المواد الضرورية للحصول هناك على التبر والعبيد (انسجة صوفية ، نحاس ، حبوب ، خيول) ولترويج توابل وعقاقير الهند ونظرا لهذه الأهمية . عمل البرتغاليون على الاحتفاظ بدكالة وساحل غرب افريقيا داخل كتلة جغرافية لا يمكن ان تجزأ أو ان يتخلى عن قسم منها لاسبانيا التى عبرت في عدة مناسبات عن مطامعها في المنطقة (٢)

أما بالمشرق العربى ، فلقد كانت السياسة البرتغالية مرتبطة بهدف واضح القضاء على الوساطة العربية ما بين أوروبا والمناطق الآسيوية المنتجة للتوابل والعقاقير والعطور كشرط أساسى لتعويض الايطاليين كمزود ضرورى لأوروبا بتلك السلع التى كانوا يحصلون عليها من مصر أو سواحل الشام ولهذا كان اغلاق البحر الأحمر في وجه الملاحة العربية أهم ما كلف به الاسطول البرتغالى الذى أرسل الى المنطقة سنة ١٥٠٥ وهكذا ألح قائد الاسطول المذكور على الموانىء العربية بالغارات وخرب عددا منها توجد على ساحل عدن ومدخل البحر الأحمر والخليج وقام باحتلال هرمز ولكن هذا القائد سرعان ما أدخل تعديلا مهما على سياسته وذلك بعد ان عاين معطيات التجارة بالمنطقة . لقد لاحظ أن العلاقات بين آسيا والعالم العربى عريقة وأن اغلاق البحر في وجه التجارة العربية لن يؤدى في نهاية الأمر الا الى تنشيط الطرق البرية التى لا يمكن للبرتغاليين مراقبتها كما ان الهند لا يمكنها

الاستغناء عن مواد تعودت الحصول عليها من العالم العربى كالخيول والفضة . ولهذا لم يعد المسئولون البرتغاليون ينظرون الى التحكم في هرمز نظرتهم الى احتلال عدن أو جزر القمر مثلا .

وهكذا تقرر عدم اغلاق تلك المبادلات في وجه العرب وفرض الوساطة البرتغالية عليهم تفاديا لاتصالهم بالمناطق المنتجة . وكلفت هرمز بامتصاص سلع الجزيرة العربية والعراق والشام وتوزيع مواد الشرق الأقصى اعتمادا على البصرة على الخصوص . وتمكن رسائل «البكيرك» السابقة الذكر من تتبع مراحل انتهاج هذه السياسة . ففي رسالة موجهة الى الملك مؤرخة في ٤/١٠/١٥١٠ (ص٤٢٣) وأخرى تعود الى ٢٧/١٢/١٥١٤ (ص٣٤٦ ـ ٣٤٩) . تتجلى خلفيات هذا المخطط بكل وضوح . لقد أدى فتح هرمز في وجه التجار العرب الى امتصاص نسبة مهمة مما كان يرسل الى الهند من فضة وخيول . وفي رسالة اخرى ، (هرمز ، ٢٢/٩/١٤١٥ ، (ص٣٧١) أخبر الملك انه يعلم جيدا ان العالم العربى والتركى والفارسى يتزود بالتوابل من البصرة وأنه لا يرى في ذلك أى خطر على مصالح البرتغال ما دامت تلك المناطق خارجة عن النفوذ العثمانى [٢١] ، وما دامت الكميات المحصل عليها لا تسمح قط بمنافسة البرتغال بأوروبا وأكد للملك حقيقة أخرى قد تبعث على الاستغراب لقد سمح للعرب بركوب البحر بالخليج . ولكن شريطة الحصول من البرتغاليين على تصريح Cartaz ، وشريطة الاتجار مع هرمز وحدها ! [٢٢] .

وللمزيد من الايضاح حول مساهمة هذه الوثائق ذات الطابع التجارى في التعريف بالأنشطة التجارية التى كان العالم العربى يعرفها ، ومدى اهتمام البرتغاليين بالمنتجات والأثمان وأهم المراكز التجارية وانشط الطرق والمسالك أشير الى ان ايصالا متعلقا بالمتجر الملكى (فيطورية) بفلندرا (بلجيكا الحالية) مؤرخ ١/٤/١٥٤٧ اشار الى أهم الطرق التجارية بين البصرة ودمشق وباقى المدن التركية وأكد أن المدينة الثانية استطاعت بفضل البصرة تعويض القاهرة كأكبر خزان وموزع للتوابل والعقاقير وذلك نتيجة تضييق البرتغاليين الخناق على الملاحة بالبحر الأحمر [٢٣] .

٢ ـ بالاضافة الى تسليط هذه الوثائق الأضواء على الدوافع ، تسمح كذلك بدراسة الوسائل المسخرة من طرف البرتغاليين لغزو البلاد الاسلامية ..

ذلك انها توفر معلومات وأرقاما عن أعداد الجنود والأساطيل ونوعية الأسلحة المستعملة من طرف البرتغاليين للهجوم على ثغر معين او الدفاع عنه أو لخوض معركة بحرية الخ . كما تعرف هذه الوثائق بأنواع وأشكال التحصينات المستحدثة واحيانا بمصدر موادها الخام والمصاريف التي تطلبها بناؤها أو ترميمها واعتمادا على هذه الوثائق يمكن دراسة سياسة التوغل السلمي وفرض نظام الحماية على مجموعة من الثغور لأسباب سبقت الاشارة اليها

٣ ـ المراحل والمكتسبات المحققة .

بما أن مصادرنا ـ لا أتحدث عن الوثائق لانعدامها ـ تحتوي على مجموعة من العيوب سبقت الاشارة اليها وأهمها افتقارها للتواريخ الدقيقة ـ وهي أهم عنصر للتأريخ لحدث ما ـ فان مساهمة هذه الوثائق الأوروبية في كتابة تاريخ اعتداء الايبيريين على البلاد الاسلامية أساسية لتوفيرها امكانية تتبع مراحل ذلك الاعتداء بدقة كبيرة أحيانا

ومن جهة أخرى تسمح هذه الوثائق بادخال بعض الفوارق على تلك المراحل كما يتجلى ذلك مثلا من خلال مرحلتي الشمال والجنوب المغربيين اللتين سبقت الاشارة الى وجودهما لأسباب استراتيجية (الشمال) وتجارية (الجنوب) .

كما تسمح بتتبع مدى متانة تلك المكتسبات وعلى ضوء ما تزودنا به من معلومات ـ وبالرغم من سكوت المصادر البرتغالية عن الكثير من الهزائم البرتغالية ـ تسمح للمؤرخ بالخروج بنتائج مدهشة . فاذا كانت تلك المكتسبات التي استطاع البرتغال تحقيقها بالمغرب والمشرق العربيين ، سريعة ومهمة وسهلة نسبيا ، فان نسفها بسبب مختلف ردود الفعل التي تولدت على ذلك الغزو لم يكن أقل منها سرعة . وهكذا وبخلاف ما حاول بعض المؤرخين الأجانب اخفاءه ، لم تدم سطوة البرتغاليين بجنوب المغرب ـ حيث كان نجاحهم أكبر ـ أكثر من ثلاث سنوات (١٥١١ ـ ١٥١٤) لتصبح أوضاعهم بعد ذلك شبيهة بما كانوا يعانون منه بباقي الثغور ، أي العيش في حالة حصار مستمر [٢٤] واعتمادا على هذه الوثائق يمكن للباحث تتبع مختلف التنظيمات المستحدثة من طرف البرتغاليين داخل الثغور الادارية ، العسكرية ، المالية ، التجارية ، والدينية [٢٥]

٤ ـ ردود الفعل العربية الاسلامية

يجد الباحث بالوثائق البرتغالية مادة غزيرة لدراسة هذا الموضوع . ولقد بينت في محل آخر [٢٦] كيف ان محاضر محاكم التفتيش التي قد تبدو

جد بعيدة عن موضوع كهذا تساهم في دراسة ردود الفعل العربية الاسلامية التي تولدت عن محاولات البرتغاليين الحيلولة دون ركوب المسلمين البحر وفضلا عن هذه المحاضر تسلط تقارير ومراسلات كثيرة الأضواء على الحروب البرية والبحرية ، الشعبية والرسمية التي اعلنها العرب والعثمانيون على البرتغاليين بالبحر الاحمر والخليج والمحيط الهندي والسواحل المغربية والهندية وهكذا يمكننا استغلال هذه الاعداد المهمة من الوثائق من مجموعة نتائج اشير الى أهمها .

١ ـ ان ردود الفعل العربية الاسلامية كانت فورية وعنيفة واكتسبت طابعا شعبيا واضحا لتنبيه شعوب المناطق المعرضة لخطورة المخططات البرتغالية وكان هذا وراء تراجع نفوذ البرتغاليين ونسف مكتسباتهم بسرعة كبيرة ووراء تقلبات سياسية مهمة عرفها العالم العربي كتنحية الوطاسيين العاجزين عن مواجهة البرتغاليين ومبايعة الشرفاء والسعديين بالمغرب واستنجاد الجزائريين بالاتراك بعد يأسهم من دولة بني عبد الواد

٢ ـ تشهد هذه الوثائق نفسها على افتتال ردود الفعل العربية الاسلامية للمخططات البرتغالية السابقة الذكر فاذا كان الغزو البرتغالي يهدف أولا وقبل كل شيء الى حرمان العرب من دور الوساطة ما بين أوروبا والسودان الغربي من جهة ، والشرق الأقصى من جهة أخرى ، فان تعامل العرب مع هذه المناطق لم يتوقف أبدا وان تضرر من الحصار البرتغالي . فلقد استمر المغاربة في عرض التبر ببعض الموانيء التي بقيت حرة وازداد العرض مع السنوات رغم كل المحاولات البرتغالية لقطع الطريق على القوافل الى حد جعل المؤرخ البرتغالي الكبير (غوديينو) يعتبر ما عبر عنه بانتقام القوافل من الكرفيلات البرتغالية أهم أسباب انتصار المغاربة السياسي والعسكري على البرتغاليين (٢٧) ولم يستطع البرتغاليون اغلاق البحر الأحمر او الحيلولة دون وصول التجار العرب الى السواحل المنتجة للتوابل كما تشهد على ذلك اعترافات المسئولين البرتغاليين او الغنائم التي كان البرتغاليون يحصلون عليها من مطاردة السفن العربية بساحل عدن والبحر الأحمر والخليج

٣ ـ ان ردود الفعل العربية الاسلامية لم تعط نتائج فورية وسريعة نظرا لتفوق البرتغاليين في ميدان الأسلحة النارية وخصوصا لافتقار المناطق المعرضة للغزو لقوة سياسية قادرة على الرد على التحدي البرتغالي مما آخر التحرير كذلك تناحر امراء وملوك المناطق المعرضة للغزو او القريبة من

مناطق النفوذ البرتغالي . ذلك التناحر الذى زاده البرتغاليون حدة .

كما تمكن هذه الوثائق من الوقوف على سبب رئيسي حال دون احراز انتصار نهائي وسريع ضد البرتغاليين والمتمثل في عجز الدولة العربية والاسلامية على مجابهة البرتغاليين بأسطول في مستوى ما كان بأيديهم لقد حال افتقار المغاربة لاسطول قادر على منع حصول البرتغاليين على الرجال والعتاد والأقوات من البرتغال دون حصولهم على نتائج مهمة من اعلانهم حروبا برية على برتغالي الثغور المحتلة وتؤكد نفس الوثائق حقيقة أخرى مهمة لقد أدى استعمال المصريين أولا . والعثمانيين بعد ذلك لأساطيل خاصة بالبحر المتوسط في حروبهم ضد البرتغاليين بالمحيط الهندي الى حصول هؤلاء على انتصارات هائلة رغم قلة أعداد مراكبهم .

وتسمح بعض التقارير والمراسلات بأخذ فكرة عن محاولات المصريين والعثمانيين انشاء اسطول بحرى بالسويس لافشال المخططات البرتغالية ، وتطلعنا على المشاكل التى واجهتهم في ذلك التأخر التكنولوجى ، اذ كانت الأشرعة والمدفعية وغير ذلك ترسل من اسطنبول . وعدم توفر المواد الخام وعلى الخصوص الأخشاب التى كانت تجلب من لبنان الى مصر حيث كانت السفن تنزلها بميناء الاسكندرية ورشيد لتجد في انتظارها ٤٠٠٠ جمل لنقلها الى السويس [٢٨]

الهوامش

(١) محمد الكراسي - عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل . تحقيق ونشر عبدالوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٣

(١ م) ابن القاضي احمد لقط الفرائد من لقاطة الفوائد تحقيق محمد حجي ،الرباط ، ١٩٧٦ .

(٢) الناصري ، أحمد بن خالد كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ج ٥ ، ط . البيضاء ، ١٩٥٥ ، ص١٠٠ ذكر الشخص المذكور يحيى بن تافوت عوضا عن أو تاعفوفت

(٣) المدني ، أحمد توفيق حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (١٤٩٢ - ١٧٩٢) ، الجزائر ، بدون تاريخ

(٤) حكم الملوك الذين نحن بصدد الحديث عنهم البرتغال في الفترات التالية

- جوا الاول ١٣٨٣ - ١٤٣٣
- دواردو ١٤٣٣ - ١٤٣٨
- افنصو الخامس الملقب بالافريقي ١٤٣٨ - ١٤٨١
- جوا الثاني ١٤٨١ - ١٤٩٥
- امنويل الملقب بالسعيد ١٤٩٤ - ١٥٢١
- جوا الثالث ١٥٢١ - ١٥٥٧
- دون سبيستيان ١٥٥٧ - ١٥٧٨ . (وهو الذى قتل بمعركة وادى المخازن)

(٥) Documentos das Chancelarias Reais Anteriores a 1631 relatives a Marrocos. T.I (1415-1450), Lisboa 1916, T II (1450-1456) Lisboa Pedro de Azevedo. والمؤلف هو (بيدرو دو ازفيدو)

(٦) P.M. Laranjo Coelho: Documentos Ineditos de Marrocos, Chancelaria de Joao, II, Volume I. Lisboa 1943.

(٧) Nucleo Antigo, No. 575.

(٨) Nucleo Antigo No. 556.

(٩) Nucleo Antigo No. 869.

(١٠) يعتبر العمل التالى أحسن عمل للتعريف بمصادر محاكم التفتيش

البرتغالية

Charles Amiel: les archives de l'Inquisition portugaise: regards et reflexions. Paris 1979.

(١١) لا تتوفر الا محاضر محكمة يابرة على فهارس في حين بقيت محاضر محكمتي كوينبرا ولشبونة بدون ذلك

(١٢) تغلب المحاضر المتعلقة بمحاكمة الموريسكيين الذين القي القبض عليهم في حالة فرار او لتحضيرهم لذلك ضمن محاضر محكمة لشبونة الشيء الذى يسمح للمؤرخ بتتبع اسباب عدم اندماج تلك الجالية في المجتمع البرتغالي . ولاخذ فكرة عن هذه الانواع وعن ظروف المحاكمات راجع مقالتنا محضر محاكمة مغربية من لندن محكمة التفتيش الدينية البرتغالية ، مجلة المنال ، (الرباط) عدد ٢١ . يوليو ١٩٨١ . ص٢٢٤ ـ ٢٧٨

(١٣) مساهمة محاضر محاكم التفتيش الدينية في تسليط الأضواء على ردود الفعل العربية الاسلامية ضد المخططات البرتغالية بالمغرب والخليج العربي

(١٤) بالنسبة للمغرب Damiao de Gois: Cronica do Felicissimo Rei dom Manuel, Traduction de Robert Ricard: Les Portugais au Maroc, Rabat, 1937.

— F. Luis de Sousa: Anaes del Rei dom Joao Terceiro. Traduction de R. Ricard. les Portugais et l'Afrique du Nord, 1940.

— Bernardo Rodrigues: Anais de Arzila, edit. David Lopes, Lisboa 1915 (2 Vol.)

وبالنسبة للشرق Joao de Barros: Asia, primeira decada, IIa decada, IIIa, IVa decada. Lisboa 193

— Fernao Lopes de Castanheda: Historia do Descobrimento e Conquista dasIndi

(١٥) P. Cenival, in Sources Inedites ... I p396.

(١٦) R. Ricard, in Le Propleme de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord. Annales d'histoire economique et sociale. Septembre, 1936 pp 426-34.

— Durval Pires de Lima: Historia da dominacao portuguesa em cafim. Lisboa 1930. p 107.

(١٧) Witte (Ch. M.): Les Bulles pontigicales et l'Expansion portugaise au XV siecle. Revue d'Histoire eclesiastique, no. XLVIII (1953), XLIX (1954), LI (1956), LIII (1958), revenue editee a Louvain, en Belgique.

(١٨) Sources Inedites ... IIpp640-44, 652, 665, 690, 692 ... IIIpI...

(١٩) راجع دراستنا دكالة والاستعمار البرتغالي الى سنة اخلاء أسفي وازمور مكتبة كليتي الآداب بالرباط وفاس . الفصل الرابع من الباب الأول والأول من الباب الثاني وخصوصا الفصل الثاني من الباب الثالث (تحت الطبع)

(٢٠) R. Ricard: Le commerce de Berberie et l'organisation economique de l'Empire portugais aux XV° et XV° siecles. In Etudes sur l'Histoire des Portugais au Maroc. p 103.

في ديسمبر من سنة ١٥٤٦ بعد سنوات من الولاء

(٢١) ما ان احتل العثمانيون البصرة حتى قدم للادارة المركزية تقرير حول الأوضاع الجديدة التي أصبحت عليها المدينة (١٥٤٧) « وجهات نظر حول الاتراك الموجودين بالبصرة »

Pareceres sobre os Turcos que estao em Bassora !!Bibliotheque de Ajuda (Lisboa) codice 51-VIII-42 folios 293-331. cite par Vitorino M. Godinho: Os Descobrimentos e a economia mundial, T2, p161, No 186.

(٢٢) Vitorino M. Godinho: op cite p 160.

(٢٣) نقله المؤلف السابق بالمرجع السابق ص١٦٣ ـ ١٩٠

(٢٤) راجع دراستنا السابقة الذكر . الفصل الثالث من الباب الرابع

(٢٥) خصصنا لهذا الموضوع فصلا كان هو الأول من الباب الثالث الخاص بالتنظيمات المستحدثة من طرف البرتغاليين .

(٢٦) راجع ما جاء بالهامش ١٣

(٢٧) Vitorino M. Godinho: l'Economie de l'Empire portugais aux XV° et XVI° siecle, Paris 1969 pp 223-225.

(٢٨) V.M. Godinho; Os Descobrimentos ... op cite p 154.





في المؤتمر الثالث للآثار الأسيوية الذي عقد بدولة البحرين عام ١٩٧٠ قدمت بحثا استعرضت فيه ما كان مألوفا في ذلك الوقت عن ارتباط سومر بمصر القديمة عبر الخليج في الزمن القديم كما عرضت ببعض الاسهاب لامثلة مثل التشابه بين الصورة الظلية لاوزيريس وايريدو وقد قوبلت ملاحظاتي بالاستحسان مما شجعني على مواصلة الرحلة في هذا الموضوع.

بقلم مايكل رايس:

وقد اصطحبت في رحلتى هذه المرة بعض النصوص التى ارشدتني الى عدد من الاتجاهات المختلفة والشائعة لاكتشاف خلفية غامضة تقع في نقطة بين الاسطورة والحقيقة وان كان يحيط بهذا الغموض احتمال وجود اتصالات بين السومريين والمصريين في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد وكانت النصوص التى ارشدتني ثقيلة ومرهقة وتشمل نصوص الاهرامات



عند السومريين ..

أكانت دلمون هي البلاد الطاهرة وبلاد القوافين النظيفة

وكذلك نقوش معبد حورس في ادفو الذى على الرغم من انه ينتمى الى العهد البطليموسى تاريخيا الا انه يحتوى على مواد اقدم من ذلك العهد تنحدر من عصر ما قبل الأسرات كما استفدت من مجموعات النقوش في هرموبوليس .

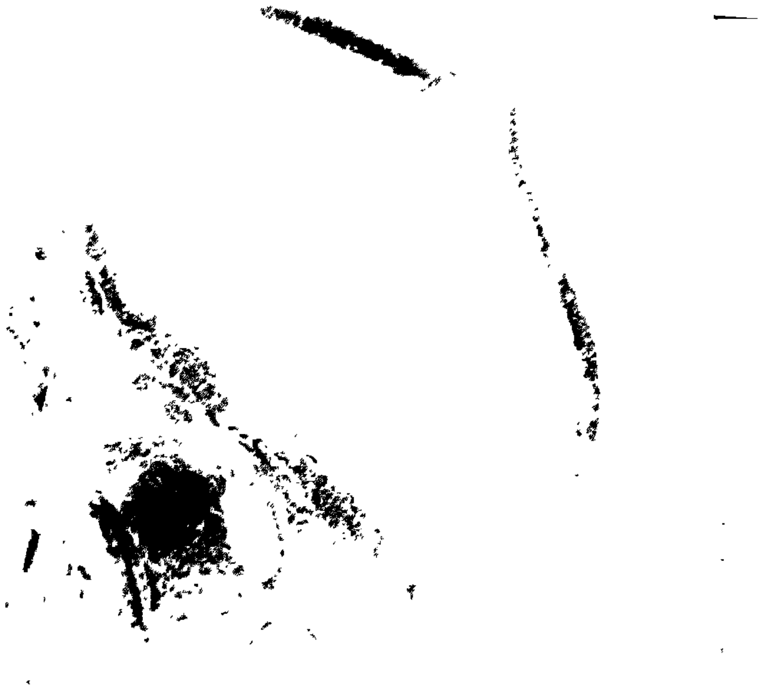
وقد لاحظت أن هذه النصوص ونصوص أخرى لا أعرفها بدون شك قد تحتوى على دليل يؤكد ان المصريين



○ راس ثـور مـن الدهـب زحـرء من الة مـوسيقيـة وتـرية عثـر عليها في أور وتعـود الى فجر السـلالات الثالث ٢٥٠٠ قدم

كان لديهم دكريات عن جزيرة تقع على مسافة بعيدة في الشرق وعـلى حافـة العالم وأن هذه الجريرة حـدثت فيها عملية الخلق الاولى وانها كانت مسكنا لآلهـة مـن الجيلين الأول والثـاني واعتقد المصريون بان هده الجزيـرة لعبت دورا كبيرا في النظرية التي قامت على اساسها الدولة الفرعونية

أما الاشارة الى الجزيرة باعتبارها موطن البدايات الاولى للانسان كما يـرى المصـريـون فـانني ارى من المنـاسب هـنـا ان نـذكـر وصف السومريين المعاصرين لديلمون وهـو الوصف الذي دار حول محور يصف



○ رأس ثور من البرونز عثر عليه في موقع معبد باربار ويرجع تاريخه الى ٢٥٠٠ قبل الميلاد ونفس المرحلة التي يعود اليها التمثال الذي عثر عليه في أور

دلمون بالجنة الأصلية والنصوص السومرية التي تشير الى دلمون تتضمن تعبيرات عديدة تصفها بالفردوس الذي تعيش فيه الآلهة والذي تحدث فيه عمليات الخلق وقد جاء في هذه التعبيرات كلمات مثل «بلاد العبور» و«البلاد التي تشرق فيها الشمس» و«لأنها تقع في البحار التي تشرق فيها الشمس» كما تركز هذه التعبيرات بصفة خاصة على وصف دلمون بالطهارة

ان بلاد دلمون محل طاهر ذلك المكان نظيف وذلك المحل لامع»

دلمون إذن عند السومريين كانت من البلاد الطاهرة بل انها قد تكون البلاد الطاهرة الوحيدة كما أنها كانت بلاد القوانين النظيفة «مسكيلاج» وكانت احدى الهاتها الحارسة هي

«ننسيكيـلا» اى سيـدة القـوانـين الطاهرة»

وكدليل على ذلك فإنني انقـل هنا ثلاث مقتطفـات من رائد المصـريات (فلندرز بترى» فقد قال في مجلة «مصر القـديمـة» التى اسسهـا لتبسيـط الدراسـات الخـاصـة بـالحضـارة الفـرعـونيـة.وذلك في مجـال شـرح التأثيرات الأجنبية في الثقافة المتأخرة لعهد ما قبل الأسرات قال

ان السمات الميزوبوتامية في البناء كما لاحظنا من قبل ليس لها مثيل في الشرق . ويبدو انها ترجع اصلا الى سكان «عيلام» أو الى مصدر مرتبط



○ الاله «انكى» السومرى اله المياه

بدجلة أو الى الافكار التي تطورت بصورة مستقلة بذاتها . وان تواجد الملاحة كعنصر هام يبطل فكرة وصولهم الى مصر عبر الصحراء العربية. وأنه من المحتمل أنهم انحدروا الى مستوطنة ما في الخليج «كجزر البحرين» او الساحل الغربي الجنوبي ومن هذا الوطن الثاني حملوا سماته وافكاره الى مصر» .

وفي مقال آخر له تحت عنوان جذاب هو «جغرافية الآلهة» ناقش فيه المصادر الجغرافية ومثلها بالآلهة المصرية الرئيسية قال بتري «إن كثرة عبادة الآلهة «حتحور» وارتباطها بآلهة كثيرة أخرى أو جنيات تشير الى انتمائها الى هذه السلالات» . ويبدو أن هجرة ابناء هذه السلالات حدثت عن طريق البحر من الخليج والبحر الاحمر الى مصر

وفي مؤلفه في وقت لاحق بعنوان «بناء مصر» يعود بترى الى نفس الفكرة ويقول عن «قبيلة الصقر» التى فتحت مصر قبل بداية الاسرة الاولى كما يعتقد»:

«نشأت قبيلة الصقر دون شك في عيلام كما يبدو من نقش يصور أحد الابطال ومجموعة من الاسود وجد على مقبض احدى السكاكين.. وقد عبروا الخليج واستوطنوا القرن الافريقي وسموه بلاد «بنت» وقد اصبحت بلاد «بنت» مقدسة عند المصريين المتأخرين باعتبارها أصلا عرقيا لهم. وقد أسس شعب «بنت» جزيرة محصنة في «حافون» وسيطر على الساحل بأكمله.. اما الذين ابحروا في البحر الأحمر فقد غزوا مصر عن طريق القصير ـ قبطوس وذهب الآخرون الى سوريا حيث أسسوا تاير وسيدون وأرادوس وقد أخذوا هذه الاسماء من اسماء الجزر في وطنهم بالخليج»

ان الفقرة الثالثة من هذه المقتبسات التى كتبها بترى كتبت بعد ٢٠ عاما من كتابة الفقرتين الاولى والثانية. وفي هذه الفترة قام «بترى» بارسال «ارنست ماكى» الى البحرين ليرى القبور المقببة الا أن التقرير الرزين الذي كتبه ماكى لا يعكس درجة اهتمام مدرسه بالمصادر السومرية ـ المصرية

ويلاحظ أن بترى يناقش تواجد التأثيرات الخليجية والعيلامية في عهد ما قبل الاسرات في مصر بدرجة تعكس يقينه الكامل بهذه النظرية. لكن الأمر الذي يحوطه الغموض هو اعتقاده بأن الجزر الخليجية كانت ذات علاقة بالأمر. ان المعلقين في بداية القرن التاسع عشر كانوا يعتقدون بصفة

اعتقد المصريون القدماء أن دلمون حافة العالم وأنها شهدت بداية خلق

عامة أن المصريين والسومريين كانوا اما من أصل واحد واما تأثروا بطرف ثالث في الدورات التكوينية ويبدو أن «بترى» يرى أن شعب جزر الخليج هو هذا الطرف الثالث

ولقد سبق بترى بقليل باحث آخر هو «سيسيل سميث» من المتحف البريطاني وهو يرى أن البحرين قد تكون مارست تأثيرا جذريا على المصريين

وخلال مناقشة دارت حول بحث تقدم به «تيودور بنيت» الى الجمعية الجغرافية الملكية عقب زيارته للبحرين عام ١٨٨٩م قال «سميث» أن



○ أهرام الجيزة بنيت ما بين ٢٧٠٠ و ١٦٠٠ قبل الميلاد

علـى الإنسان



○ معبد حورس فى إدفو ويعود الى البطالسة فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد

«نفر» كان اسما مصريا لبلاد «بنت» وأن موضعها كان يوصف في الازمنة المتأخرة بأنه محل الآلهة وأنه «جزيرة مقدسة».

وقبل هذا ورد في أول تحليل علمي في العصر الحديث عن دلمون القديمة وهو التحليل الذي قدمه «رولنسون» تعليقا على تقرير «ديوراند» حول «قدم جزر البحرين» في ١٨٨٠م أن كلمة «تلمون» قد تعني «الجزيرة

المباركة»

وتعتقد «باوم جارتل» التي قامت بتحليل دقيق لعصر ما قبل الأسرات بأن الموطن الأصلي لشعب «نقادا الثانية» لم يكن بعيدا عن موطن السومريين كما ترى بأن الملوك المتأخرين لعهد ما قبل الأسرات انحدروا من شعب «نقادة الثانية».

ويبدو ان المصريين القدماء تمسكوا منذ العصر القديم بفكرة أن معظم معتقداتهم والملامح التي تميزت بها ثقافتهم نشأت في بداياتها الأولى في جزيرة نائية. يؤكد ذلك ان الرمز الذي يستخدمونه غالبا للاشارة الى أول قطعة ارض في خلق الكون هو الجبل أو التلة وكثيرا ما يتخذ هذا الرمز شكل جزيرة وفي النص رقم ٤٨٤ من نصوص الأهرام وردت عبارة «التلة البدائية في وسط البحار» وهي تعني هنا الجزيرة المحاطة بالماء وليس جزءا من الأرض يتبدى للعيان عندما تنحسر مياه المد - كما ورد في وصف علماء الآثار المصرية عن ظهور أول قطعة أرض في خلق الكون - وكان هذا المكان البدائي هو جزيرة الراحة أو السلام وكانت جزيرة السلام مرتبطة عندهم «بالشمس المشرقة» ومن هذا المصدر نفسه جاءت عبارة «جزيرة اللهب» وهي جزيرة مقدسة ظهرت الى حيز الوجود من اعماق المياه البدائية متمثلة في شخصية «نون» وهو من اقدم الآلهة حسبما ورد في العلوم اللاهوتية.

وفي هذا السياق اطلق على التلة البدائية في بعض الاحيان اسم «تار - تانن»[١٨] وتانن كان إله التلة البدائية كما ورد في نقوش ممفيس وكان سلفا لـ «بتاح» ومن جزيرة «اللهب» أو «النار» جاء منذ البداية الأولى «هايك» الذي يمثل جوهر الخصوبة التي يعتبرها المصريون اساس الحياة. وكانت هذه الجزيرة مكانا سحريا بعيدا كل البعد في الشرق عبر حدود العالم ومكانا للنور الخالد حيث ولدت الآلهة. يقول الملك بيبي . «لقد ذهبت صاعدا الى الجانب الشرقي للسماء حيث ولد الآلهة» (ب. ت. رقم ٢٦٤) وجاء في الانشودة السامية (رقم ٤ - ٢٧٣) أن الملك المرفوع يقفز الى مرتبه إله السماء حيث يقضي على الآلهة الأخرى خلال طقوس سماوية وحشية ويصف النص الطبيعة السحرية لجزيرة النار

ان الملك ثور السماء
الذي يقهر كما يشاء
والذي يعيش على حساب حياة
كل إله آخر.
حتى أولئك الذين يأتون وقد

امتلأت اجسامهم بالسحر من جزيرة النار .

وقد قيل ان الآلهة «اعطوا جزيرة لـ «أوزيـريس» وأوردت الاسـاطير المـصريـة وصـفـا لـ «جـزيـرة وسطى» كمكان بعيد مجهول لا يمكن الوصول اليه الا بواسطة سفينة «أنتى» وهو ملاح السفينة الذي ينقل الركاب الى الجزيرة مثل «سرسنابى» وهـو ملاح «زيـوسـدرا» الذى نقـل جلجامش الى دلمون ويلعب «أنتى» هذا دورا مشبوهـا في الصراع بـين «حـورس» و«ست» وذلك لأنه عنـدما قررت المحكمة الاستمـاع الى شهادة الالهين تقرر نقل مكان الاستماع الى جزيرة بعيدة نائية وصدرت تعليمات لـ ««أنتى» الا ينقل «ايزيس» الى هذه الجزيرة. ولكن الآلهة ايزيس «تقـدم رشوة الى «أنتى» فينقلها وخلال دفاع يـرثى له تحصـل الآلهـة عـلى حكم لصالح ابنها «حـورس» ضد «ست» ومما يجدر ذكره هنا أن «ست» كان آله لـ «أسيا» ويقصد بها وقتها البلدان الواقعة شرقي مصر . لقد كان من القـاب حـورس لقب «حـورس بـلاد الشمس المشـرقة» وكـان يتلقى تحيـة تقـول «حـاراختى» ومعنـاهـا «حورس الأفق» وطبقا لما يقوله «فرانك مورت» فان كلمة «الأفق» تدل على بلاد النور والجبال الواقعة شرق مصر على الحافة الشرقية للأرض.

ويـرد ذكـر مـلاحـين كثيـرين في نصوص الاهرام ومعظمهم ينتمون الى المناطق الشرقية فقد ورد في النص رقم ٣٥٩. يا «رى» امنحنى توصيـة الى ملاح الطريق المائى الملتوى كى يأتى بسفينته التى يستخدمها في نقل الآلهة الى الجهة الشرقية للسماء»

وقد أشير الى الجزيرة اكثر من مرة كمكان للقصب وبلاد المستنقعات ومن اسمـائها كمـا ورد في «كتـاب المـوتـى» «حقـل القـصب المملوك للمباركين» الى جانب الاشارة الى انها المكان الذي يقع على الحافة الشرقية للعـالم ويبـدو أن المصـريـين والسومريين احتفظوا بذكريات عذبة عن معـابدهم القـديمة التى شيـدت بالقصب ويعلل ذلك ما نجده في معبد «ادفـو» من نمـوذج لمعبـد قصبى منقوش على الحجر في اعماق المعبـد الحجرية كما خلد السومريون في شعـرهم ما يـطلقـون عليـه الكـوخ القصبي لـ «زيـوسدرا» حيث همس بين جدرانه الآله «انكى» محذرا من الطوفان الوشيك كما يعيد أقـدم المعابد المكرسة للآلة «انكى» في منطقة «اريدو» الى اذهاننا ما يمكن أن يطابق

بتري: المصريون القدماء

جاءوا من سومر عبر البحرين

نموذجا دقيقا لمعبد مقام من القصب

وحسبما جاء في نقوش معبد «ادفو» فإن الارواح الخالقة خلقت عدة اماكن مقدسة وعلى رأس هذه الاماكن مكانان هما «قبة الآله المشرق» و«جزيرة رى» وكان من بين الاماكن الأخرى «الجبل العالي» و«شجرة الزيت» و«محل الاشباح»

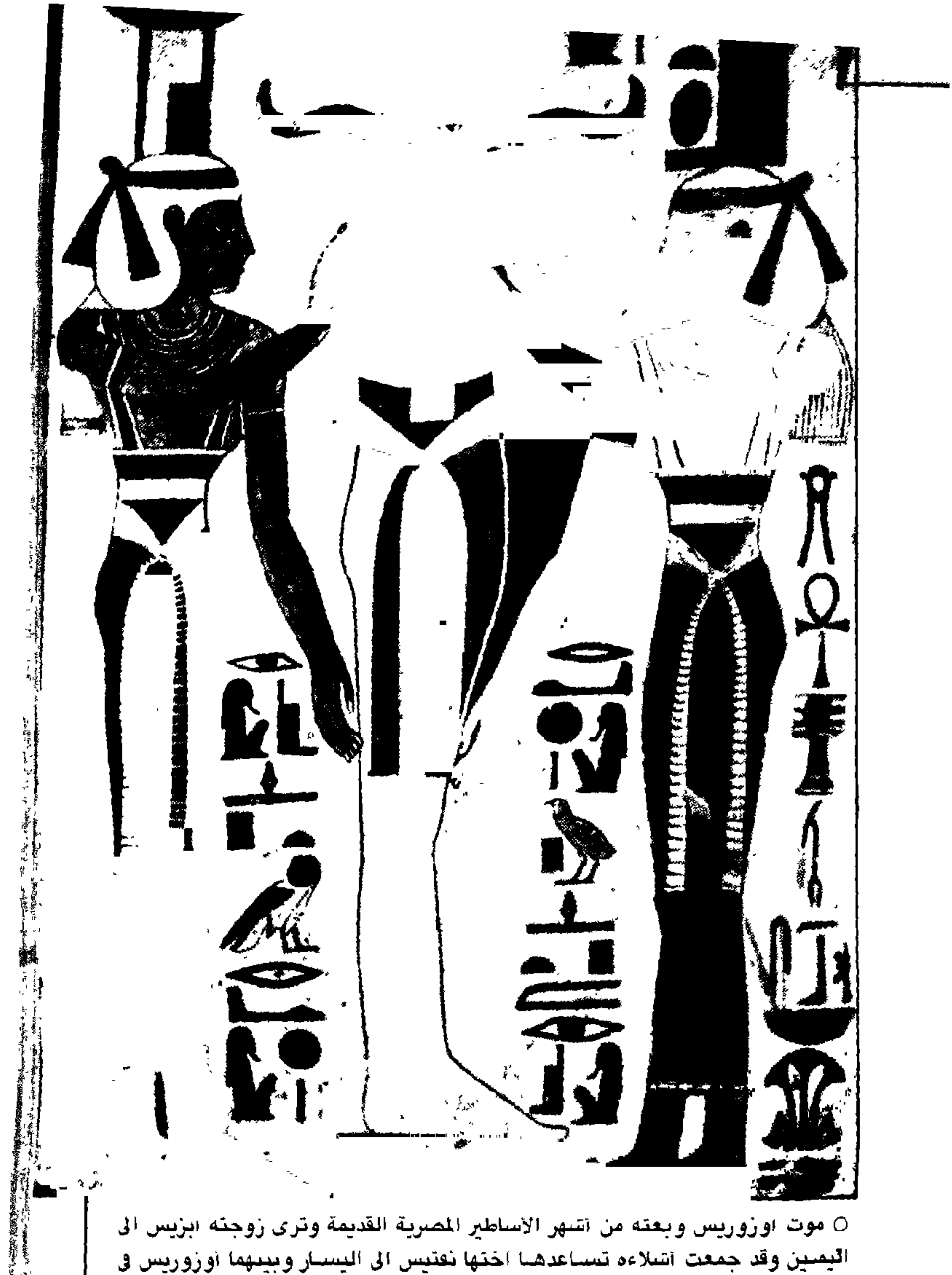
وسميت الأرض المجاورة للجزيرة الأصلية «وتجيست نيتر» وكانت الجزيرة تسمى في الأصل ـ وطبقا لهذه النقوش ـ جزيرة السلام كما كان يطلق عليها الى جانب هذا الاسم اسماء جزيرة ترامبلنج» و«جزيرة القتال» وكانت هذه الجزيرة محاطة في الاصل بالظلام والمياه الاصلية المعروفة باسم «وا ـ رت» وكان سكانها وحكامها الأصليون هم الصقور وطبعا فإن حورس هو الصقر المصري الأسمى الذي يتلقى التحية كإله بلاد الشمس المشرقة

وكان الى جوار «وا ـ رت» عدة اماكن مقدسة وهي بلاد غنية مثل جزيرة الغضب وكانت هذه الجزيرة مكانا لمعبد مماثل وتعتبر موطنا للأوائل البدائيين

وطبقا لأساطير «هرموبوليس» فإن آله الشمس نفسه ولد في بركة كانت موجودة في الجزيرة الأصلية

وتشير نصوص «ادفو» الى الجزيرة نفسها بأنها «كبركة برزت الى الوجود في البداية» وكانت الجزيرة مركز العالم كله والآلهة الذين برزوا في هذا العهد كانو شيوخا معمرين من العصور البدائية وكانت البركة على حافة الجزيرة ومحاطة بالقصب وكانت الجزيرة معروفة بـ «اقليم الصقور»

ويبدو من ذلك ان الجزيرة كانت مرتبطة بفكرة انها المكان الذى مات فيه جيل مبكر من الآلهة وان هؤلاء



○ موت اوزوريس وبعثه من اشهر الأساطير المصرية القديمة وترى زوجته ايزيس الى اليمين وقد جمعت اشلاءه تساعدها اختها نفتيس الى اليسار وبينهما اوزوريس في الوسط.

الآلهة قد لقوا مصرعهم اثر معركة من نوع ما وربما اصبحت الجزيرة مقبرتهم . وقد ارتبطت الصقور التى كانت تحكم الجزيرة في الأصل بالطقوس الجنائزية التى كانت رائجة هنا والتى كانت تستعيد ذكرى الجيل المبكر من هؤلاء الآلهة الذين لقوا مصرعهم ومن هنا فان فكرة وصف الجزيرة بالمكان المقدس تبدو فكرة قديمة .

وأما البلاد المجاورة للجزيرة والتى اشرنا من قبل الى انها كانت بلادا غنية فان الخالق خلقها بتجفيف المياه حول المكان الذى نشأ فيه وهكذا ظهرت اليابسة الى حيز الوجود ثم واصل الخالق بعد ذلك خلق العالم

ويبدو ان الخالق الذى كشف أنه كان يطلق عليه اسم « تانن » قد قام برحلة بمصاحبة الصقر عبر « وا ـ رت » التى انضمت اليها بعض الأراضى الغنية ويبدو أنهما بدآ رحلتهما من الجزيرة الجزيرة اذن هى موطن الأسلاف وحسب تقاليد ادفو فان الأسلاف جاءوا من اماكن بعيدة عن ادفو نفسها وكانت ادفو تهتم بأن تصف نفسها بأنها موطن الشعب المصرى والافتراض بأن هؤلاء الآلهة القدماء كانوا آلهتهم أيضا انما كان جزءا من حملة قامت بها ادفو للاعتراف بها كموطن أصلى للمصريين .. ويعتقد بأن المعبد الأصلى للصقر جاء من « جزيرة الطفل المباركة » وينسب المعبد نفسه الى التلة المقدسة الأولى أى الجزيرة المقدسة الناشئة . وكما لاحظنا سابقا فان التلة الأصلية مرادفة تماما للأرض الطاهرة وهو وصف ينطبق غالبا على دلمون

وهنا لا يفوتنى ان أشد الانتباه لتشابه غريب آخر أو ربما كان مجرد صدفة ـ ان شئت ان تقول ذلك ـ وهو وجود تكرار في النقوش الأيقونية لقدم أو لأثر قدم وجد على الاختام التى عثر عليها في منطقة الخليج نفس النقش وجد في الرافدين في العصور القديمة واذا قارنا هذا النقش في الرافدين والخليج مع النقوش التى تمثل القدم في مصر نجد ان نقوش مصر تظهر بالشكل الجانبى وهى تعنى مكانا أو موقعا وكذلك تمثل حرف « باء » الساكن وكانت النقوش التى عثر عليها في نصوص الأهرام لها استعمال خاص (على الرغم من ندرته كما يرى « جاردنر » فهى تظهر القدم بشكل مركب ويتكون هذا المركب من نقش للقدم مع جرة يسقط منها الماء مما يعنى (حسب قول جاردنر) النظيف أو «الطاهر» كما جاء في نص رقم ٥١٢ ·

« كن طاهرا . احتل مكانك في غشاء

شجرة رى .. وجدف عبر السماء واركب الى الأماكن البعيدة . وجدف مع النجوم الخالدة . وسير السفينة مع النجوم »

كما ورد وصف لأحد معابد « انكى » بأنه « محل نظيف » ان الارتباط بين القدم والماء ومعنى المكان والنظيف وفكرة السفر الى الأماكن البعيدة يجبر من يعى ادراك المصريين لمعنى السفر ارتباط هذه المعانى بجزيرة

ويمكن القول هنا ودون مجافاة للحقيقة أننى بالغت في صنع جبل ضخم من تلة صغيرة بدائية وان الأدلة الاثرية التى تؤيد نصوص المصادر التى نقلت عنها ضئيلة جدا ولا يسعنى اذا قيل ذلك الا ان أقبله . ولكن دراسة الثقافات الخليجية المبكرة حيث لعبت دلمون - البحرين دورا حيويا دون شك سوف تقدم الدليل فى السنوات القادمة وهو الدليل الذى يلقى الضوء على هذا الموضوع وهو ان القاسم المشترك بين السومريين والمصريين هو الشعب الذى أصبح فيما بعد الديلمونيين . وأظن أن اهتمام النصوص بما يطلق عليه البلاد الغنية وخطوات تجفيفها ورحلات « تانن » و « الصقر » وتكرر نقش القدم الذى يدل على الجزيرة كل هده قد تمثل ذكرى عهد متوتر وخطير في حياة الشعوب التى عاشت حول الربع الخالى أو فى الأنحاء المجاورة له . خاصة ونحن نعلم بأن السكان في العصر الحجرى الحديث المتأخر عاشوا في هذه المنطقة فى رخاء ونعيم وان البحيرات وجدت واستمرت حول أطراف ما نسميه اليوم بـ « الربع الخالى » حتى أواخر عصور ما قبل التاريخ واذا كان بعض الباحثين يرى بأن سلاح العصا ذات الرأس المليئة بالبروزات وهو سلاح من الرافدين ربما يكون قد لعب دورا في فتح الأرضين بواسطة الأمراء المصريين الصقور الا أنه لا يوجد أى دليل فى صعيد مصر يشير الى غزوة تمت قبل توحيد القطرين . وفى ضوء التاريخ اللاحق يبدو ان تأثير الرافدين المتواجد فى مصر وذكريات الجزيرة البدائية فى الوعى المصرى ربما يرجع ظهورهما الى جماعات صغيرة نسبيا اما من التجار واما من اللاجئين واما من الاثنين . وربما كان احدهم راويا ممتازا بارعا ومقنعا لقصص عن الحياة من بلاد الشمس المشرقة البعيدة أراد بها ان يؤثر فى سامعيه تأثيرا عميقا ودائما وخاصة اذا كان سامعه رئيسا بارعا لمجموعة من القبائل ومعه بعض زملائه

وأخيرا فان موهبة السرد تثير ذكريات الجزيرة الساحرة التى حكى عنها الملاح الذى غرقت سفينته فى حكاية مدهشة لقد كان يبحر الى



○ هاتور إلهة الحب والمرح من معبدها في دندرة بالقرب من الاقصر

المناجم (ترى أين كانت تلك المناجم يا ترى كي يصل اليها بالسفينة) وقد غرقت سفينته اثر طوفان والقى به الماء وحده على جزيرة مهجورة بعد ان غرق رفاقه وهناك لقى ترحيبا حارا من آله الجزيرة وهو تعبان برأس انسان وقلب رقيق مغطى بالذهب والأحجار الكريمة (اللازورد) وقد قدم الثعبان نفسه على انه ملك من ملوك « بنت » - وحسب معرفتي فهذه هي المرة الوحيدة التي أتشير فيها الى بلاد « بنت » على انها جزيرة - ورفض التعبان عرضا لقربان حمير من قبل الملاح - ومن المعقول آن يرفض الملك التعبان هذا العرض اذا كان موقع بلاد « بنت » في الاحساء لأن هذه المنطقة توفر فيها حيوان الحمار منذ القدم - وعندما غادر الملاح الجزيرة في النهاية أعطى له الثعبان الملك الكريم هدية ثمينة والذين يلمون بسلع دلمون التجارية القديمة سوف يشوقهم أسماء التحف والهدايا لأنها تمثل المنتجات التي اشتهرت بها تجارة دلمون في وقت لاحق وهي العطور والعاج والأخشاب النادرة - وللعجب - القرود ومن الصعب ان نفهم أهمية القرود في التصدير لأن مصر نفسها كانت غنية بهذا الحيوان . كما قدمت كلاب الصيد أيضا هدية للملاح وهذا أيضا مشوق لأن « آنوبيس » وهو كلب صيد في احد مظاهره ترأس « البلاد الطاهرة » (ب ت يو ٤٣) هو نفسه أنوبيس آله الموت لدى المصريين مما يجعل هذه الحكاية تربط بين الاله الجنائزي والبلاد الطاهرة الاسطورية وقد أعاد الثعبان الملك الملاح بأمان الى منزل ملك مصر التي وصل اليها بعد سفر بحري دام شهرين . وحتى في المملكة الوسطى التي تم فيها تدوين هذه القصة لأول مرة أحب المصريون فكرة الجزر الساحرة الواقعة في البحار البعيدة وهي الجزر الفاتنة الخلابة

وعلى الرغم من أن هذه الصورة

لا تزال غامضة الا أنه تبرز عدة نقاط بشأن ذلك الأفق الشرقى البعيد . وان مزيدا من الدراسة سوف يخرج بنتائج طيبة . وسوف يكون من الحماقة ان يدعى الانسان بأن كل اشارة الى الجزر في النصوص الدينية أو الاسطورية المصرية القديمة تشير حتما الى دلمون ولست أدعى بوجود اشارات دقيقة اليها وكذلك لا أنكر احتمال وجود الجزر في الأفكار فقط ودون أن يكون لها وجود في الواقع واقتصر على القول بأن ذكريات الجزيرة المقدسة ربما نسبت الى دلمون اما بصورة مباشرة واما نقلت الى المصريين عن طريق طرف ثالث ثم حدث اندماج بين الذكريات والميل الطبيعى لشعب في الاعتقاد بانسحاب كتلة كبيرة من الماء لتكتشف عن جزيرة كانت بداية السلسلة المتعاقبة لخلق الكون .

ربما أكون قد أضفت بعض الأوهام لكننى وجدت صعوبة في العثور على جزيرة ما ذات سمعة خاصة في القدسية وأهمية بالغة كمقبرة وتقع بعيدا كل البعد فى الشرق بالنسبة لمصر غير البحرين .

واذا كانت البحرين هى دلمون كما يعتقد الكثيرون منا وانها كانت بلادا « مقدسة نقية » كما جاء وصفها في الاساطير السومرية المتأخرة فالبحرين بهذه الصورة تكون أكثر من مجرد تخمين اسطورى فى سياق الاساطير المصرية يؤكد ذلك طبوغرافيتها ووجود جبل في وسطها وبركها وشواطئها القصبية واقترابها الى السبخة في الجزيرة العربية .

المراجع

- مايكل رايس ـ « دى وايلدر شورز أوف دلمون » ، المؤتمر الثالث حول الآثار الآسيوية ، البحرين ١٩٧٠ ، غير مطبوع
- فاولكنر آر ـ كيو ، « ذى اينشنت ايجبشيان بيراميد تكستس » اكسفورد ١٩٦٩
- ريموند ، أى ـ إيه ، « دى ميتهيكل أوريجن أوف ذى ايجبشيان تميل » ـ منجستريو ننهرستى بريس ١٩٦٩
- ريموند ، المصدر السابق
- بريتشارد جيه ـ بى « اينشنت نير ايسترن بيراميد تكستس » برنستون ، ١٩٥٥

59. Ibid.
60. Faulkner, op. cit.
61. Kramer, op. cit.
62. McClure, H.A. 'The Arabian Peninsula and Prehistoric Populations'. Filed Research Projects, Coconut Grove, Miami, Florida, 1971.
63. Cambridge Ancient History 1, Part 1 'Prolegomena and Prehistory.' Cambridge, 1970.
64. Erman, A. 'The Literature of the Ancient Egyptians' Methuen, 1927.
65. Leemans, W.F. 'Foreign Trade in the Old Babylonian Period.' Bull, Leyden 1960.
66. Faulkner, R.O. op. cit.

23. Rundle Clark, op. cit.
24. Pritchard, op. cit. 'The Epic of Gilgamesh' Old Babylonian version.
25. Te Velde, H. 'Seth, God of Confusion' Brill, Leyden, 1977.
26. Frankfort 'Kingships and the Gods' University of Chicago Press, 1948.
27. Ibid.
28. Faulkner, op. cit.
29. Rundle Clark, op. cit.
30. Kees 'Ancient Egypt A Cultural Topography'.
31. Reymond, op. cit.
32. Pritchard, op. cit. 'The Deluge.'
33. Reymond, op. cit.
34. Ibid.
35. Ibid.
36. Ibid.
37. Ibid.
38. Ibid.
39. Ibid.
40. Ibid.
41. Ibid.
42. Ibid.
43. Ibid.
44. Ibid.
45. Ibid.
46. Ibid.
47. Ibid.
48. Ibid.
49. Ibid.
50. Ibid.
51. Ibid.
52. Ibid.
53. Ibid.
54. Ibid.
55. Ibid.
56. Kramer, S.N. 'Sumerian Mythology' Harper and Broshers New York, 1961.
57. Porada, 'Remarks on seals found in the Gulf States,' Artibus Asia, Vol. XXXIII. 1971.
58. Gardiner, A. 'Egyptian Grammar' 3rd edition, Oxford.

Notes

1. Rice, Michael, 'The Wilder Shores of Dilmun' 3rd Conference in Asian Archaeology, Bahrain 1970, unpublished.
2. Faulkner, R.Q. 'The Ancient Egyptian Pyramid Texts' Oxford, 1969.
3. Reymond, E.A. 'The Mythical Origin of the Egyptian Temple' Manchester University Press 1969.
4. Reymond, op. cit.
5. Pritchard, J.B. ed. 'Ancient Near Eastern Texts' Princeton 1955. 'The Deluge.'
6. Pritchard, J.B. op. cit. 'Enki and Ninhursaq.'
7. Ibid.
8. Petrie, W.F. 'Ancient Egypt.'
9. Petrie, W.F. 'Ancient Egypt.'
10. Petrie, W.F. 'The Making of Egypt' The Sheldon Press, 1939.
11. Mackay, E. 'Bahrain and Hammamiyeh' British School of Archaeology in Egypt Vol. 47, London 1929.
12. Smith, Cecil H.
13. Rawlinson, H.C. in Durand E.L. 'Island and Antiquities of Bahrain' Journal of the Royal Asiatic Society, Vol. XII.
14. Baumgartel, E.J. 'The Cultures of Prehistoric Egypt' Vol. II Oxford, 1960.
15. Faulkner, op. cit.
16. Reymond, op. cit.
17. Ibid.
18. Rundle Clark, R.T. 'Myth and Symbol in Ancient Egypt' New York, 1959
19. Ibid.
20. Ibid.
21. Faulkner, op. cit.
22. Ibid.

the Pure Land of myth. The serpent-king returned the sailor safely to the Residence of the King of Egypt, which he reached after a sea-voyage of two months. Even in the Middle Kingdom, when this engaging story was first written down, magical islands in far-away seas still exercised a fascination for the Egyptians.

Though the picture is still as misty as ever I believe there may be some points emerging on that distant eastern horizon which may repay further consideration. It would be foolish indeed to assert that all references to islands in Egyptian religious or mythological texts must refer to Dilmun. Indeed I do not suggest that any are precise references nor that the island did not exist in the dimension of myth more often than being fixed on the earth's surface: rather I suggest that the recollection of a sacred island, which may have been Dilmun, was a direct inheritance or was handed on to the Egyptians by a third party. Then it was conflated with the natural tendency of a riverine people to think in terms of the great waters of their river withdrawing to reveal an island at the beginning of the sequence of creation.

I may be piling fantasy upon speculation but it seems to me difficult to identify any island with a reputation for special sanctity, of great significance as burial place, lying far away to the east of Egypt which so precisely matches the required topography as does Bahrain. If Bahrain is Dilmun, as most of us will recognise, the Sacred Pure Land of later Sumerian myth, then Bahrain's topography, its central mountain, pool, reed lined shores and proximity to Arabia's sabkha may, in this context, be something more than merely suggestive.

implanted by relatively small bands of men, traders perhaps or refugees from a dying environment, or, conceivably, both. It probably only needed one of them to be an exceptionally accomplished and persuasive raconteur for his stories of life in the far distant land of the sunrise to make a profound, even a lasting impression, on his hearers, particularly if his audience were the able chief of a lively congeries of tribes and his close associates.

Finally, the mention of the power of story-telling prompts the recollection of the Enchanted Island, of which the Shipwrecked Sailor told so marvellous a tale (64). He had been voyaging to the mines (where were those mines located, one would like to ask, that he had to sail to them?) when a storm destroyed his ship and, alone of his companions, he was cast up on the shores of a lonely island. There he was most graciously received by the island's divinity, a human-headed serpent of a notably kindly disposition, who was bedecked in gold and lapis lazuli. The serpent-king introduced himself as one of the rulers of Punt. This is, so far as I am aware, the only occasion when Punt is identified as an island. The serpent-king declined the offer of the sacrifice of asses, which, rather surprisingly, the sailor proposed. Well he might refuse it, if Punt proved to be located in East Arabia, for the asses of the Hasa province have long been celebrated.

When the sailor eventually left the island he was loaded with treasures by the generous serpent. To anyone familiar with Dilmun's customary merchandise the gifts make interesting reading for they are all products for which the island's trade was celebrated: (65) perfumes, ivory, rare woods and, very strikingly, baboons, though what an Egyptian was to do with such animals in which his own land abounded is not clear. The sailor was also presented with hunting dogs. This too is interesting in that Anubis, who, in certain of his manifestations was undoubtedly a hound, is proclaimed as 'Anubis who presided over the Pure Land' (PT.U 437) (66) Since anubis is a god of the dead, in several forms, this utterance seems to link a funerary divinity with

'Be pure: occupy your seat in the Bank of Re: row over the sky and mount up to the distant ones: row with the imperishable stars, navigate with the Unwearying Stars' (60) One of Enki's shrines is described as the clean place' (61).

The associations of the foot, water, the meanings 'place' and 'pure' and the idea of distant journeying (albeit to the far-off stars) is compelling, at least to one who started out on this voyage through the Egyptians' perceptions of their island connections.

It will be said, perhaps with reason, that I am making a Cosmic Mountain out of a Primaeval Molehill. The archaeological evidence to supplement my textual references is slim enough, that I readily admit.

But the study of early Gulf cultures, in which Bahrain-Dilmun plays so essential a role, will, I have no doubt, produce evidence in years to come which will bear much upon these issues. It may even be that the common denominator between the Sumerians and the Egyptians will prove to be the people who became the Dilmunites. I suspect that the texts' concern with the pay-lands, the process of their drying up, the wanderings of Tanen and the Falcon and the repetition of the island motif might represent the memory of a disturbed and precarious period in the people's history, when they were living perhaps around the perimeter of the Rub al-Khali or in its vicinity. We know that late neolithic populations flourished there and that lacustrine conditions persisted well into late prehistoric times around the edges of what is now the Empty Quarter (62).

Whilst, as several scholars have suggested, the Mesopotamian mace may have played a part in the eventual conquest of the Two Lands by the Falcon princes from This in Upper Egypt, there is no evidence for an invasion or anything like it in the period immediately before the Unification. (63) In the light of later history it seems more likely that what Mesopotamian influences there are in Egypt and, perhaps, what recollections there may be of the Primaeval Island in the Egyptian consciousness, were



★ *The death and resurrection of Osiris the most profound of ancient Egyptian myths. His wife Isis (R) and Nephtys, his wife's sister (L) with the mummy of the god reidentified with Osiris in the center*

numinous places and their funerary nature seems thus singularly ancient.

The lands in the vicinity of the island were known, as we have seen, as pay-lands. The Creator brought them into existence by drying up the water around his place of origin and so exposing the land. (50) He went on to create the world.

Then the Creator, who is now revealed as Tanen, and the Falcon seem to have made a journey through the Wa'ret which took in some of the pay-lands. (51) They appear to have set out on their journey from the island. (52)

The island is the place of the Ancestors. (53) In the Edfu tradition the Ancestors came from places far distant from Edfu itself, which is concerned to present itself as the home of the Egyptian people. (54) Indeed, the assumption of such Ancestor gods as their own was part of Edfu's campaign in asserting its claim to be recognised as the Egyptian homeland.

The original temple of the Falcon is recognised as originating in the Blessed Island of the Child. (55) The temple itself is identified with the primaeval sacred mound, the Divine Emerging Island. The Primaeval Mound is, as we have seen, identical with the Pure Land, one of the most frequently employed epithets of Dilmun. (56)

I cannot resist drawing attention to one other curious parallel, or coincidence, if you prefer. One of the most frequently repeated glyphs in the iconography of, for example, the Gulf seals is the foot or footprint, a symbol which indeed appears in Mesopotamia in the earliest times. (57) In Egypt, by contrast with Mesopotamia, the hieroglyph which represents the foot is shown in profile; it means 'place' or 'position' and also represents the consonat 'b'. (58) However there is a special usage of the hieroglyph in the Pyramid Texts, though very rarely, according to Gardiner, where it appears as a compound. (59) The compound consists of the foot with a jar from which water is pouring. The meaning here, according to Gardiner, is 'Pure', 'Clean' as in Utterance 513.

which Enki whispered the warning of the Deluge to come. (32) Enki's most ancient shrine at Eridu was, of course, a little reed structure. (33)

At the creation, according to the Edfu inscriptions, the creator spirits brought into existence a number of sacred places of which the first two were 'the Mound of the Radiant One' and 'the Island of Re'. (34) Others included the High Hill, the Oil-Tree and the Place of Ghosts. (35)

The land contiguous to the original island called Wetjeset -Neter. (36) Other names by which the island was known in the beginning, as well as the Island of Peace, were the Island of Trampling and the Island of Combat. (37) The island first lay in darkness surrounded by the primaeval waters called Wa'ret. (38) Its original inhabitants and sovereigns were Falcons. (39) Horus is, of course, the supreme Egyptian Falcon, the same Horus who was saluted as Lord of the Land of Sunrise

Adjacent to the Wa'ret were several sacred places the paylands. (40) These included the Island of Fury (41) The island was the site of the archetypal temple and is to be recognised as the Homeland of the Early Primaeval Ones (42)

According to the Hermopolitan myths the Sun-God himself was born in a pool which existed on the primaeval island. (43) In the Edfu texts the island itself is called the Pool which came into existence at the Beginning. (44) The island was the nucleus of the world The gods who emerged in this period were the most Aged Ones of the Primaeval Time. (45) The pool stood on the edge of the island: it was surrounded by reeds. (46) The island was known to be the realm of the Falcons.

It seems that the island was associated with the idea of the death of an early generation or company of the gods, the gods were killed, it appears, in some form of battle. (47) The island may have become their tomb. (48) The falcons who were the island's original rulers became associated with its funerary customs, thus recalling the early generation of gods who met their deaths there. (49) The idea of islands as

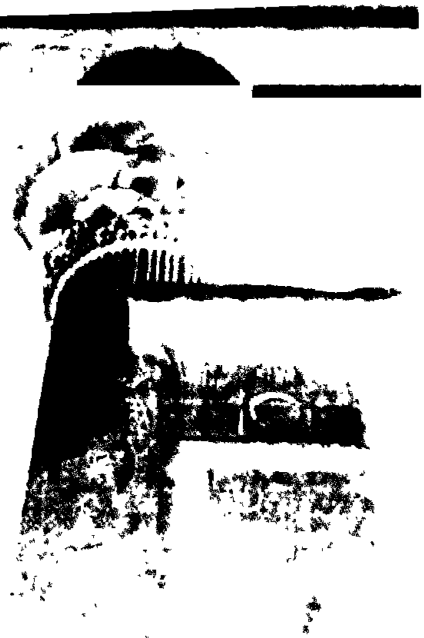
The gods are said 'to give an island' to the justified Osiris and Egyptian legend spoke of 'Middle Island' (23) an unknown, distant locality which was reached only by the boat of Anty, the Ferryman, who carried passengers to the island as did Sursunabi, Ziusudra's ferryman, who carried Gilgamesh to Dilmun. (24) Anty plays a somewhat equivocal role in the dispute of Horus and Seth for when the tribunal hearing the evidence of the two gods' contention decides to remove its hearings to a remote and distant island, Anty the ferryman is instructed not to provide Isis with a passage to the island. The goddess bribes Anty however and, by a deplorable piece of trickery secures the verdict in favour of her son, Horus, at the expense of Seth. Seth incidentally was Lord of Asia and particularly of lands to the east of Egypt. (25)

One of Horus' titles is 'Horus of the Land of Sunrise'. (26) He is often saluted as Horus of the Horizon (Harakhte) in which, according to Frankfort, the horizon signifies the land of light, the mountains to the east of Egypt at the eastern edge of the earth. (27)

There were many ferrymen who feature in the Pyramid Texts; various of them are associated with regions to the east. Thus Utterance 359 observes:

> 'O Re, commend me to the ferryman of the Winding Waterway, so that he may bring me his ferryboat ... in which he ferries the gods ... to the eastern side of the sky'. (28)

The island was repeatedly identified as a place of reeds: (29) the land there was marshy. One of its names, as we learn from the Book of the Dead, was the Field of Reeds of the Blessed. This, too, is said to be located on the eastern edge of the world (30). Both the Egyptians and the Sumerians sustained the most affectionate memories of their earliest shrines or temples, which were built of reeds. The Edfu temple, in its innermost recesses reproduces the archetypal reed shrine in stone; (31) the Sumerians immortalised in their poetry Ziusudra's reed hut, to the walls of



★ **The temple of Horus at Edfu. It was built in the third and second centuries B.C. under the Ptolemies**

leaps into Heaven and consumes the other gods in a celestial cannibal rite, the text proclaims the magical nature of the Island of Fire:

> "The King is the Bull of Sky,
> who conquers at will,
> who lives on the being of every god,
> who eats their entrails
> Even of those who come with their bodies full
> of magic
> From the Island of Fire." (22)

Antiquity of the Bahrain Islands' in 1880 observed that 'Tilmun' might convey the meaning 'The Blessed Isle' (13)

Baumgartel, who analysed the predynastic period exhaustively, believed that the 'original home of the Naqada II people' was not far distant from that of the Sumerians (14). She also suggested that the late predynastic kings were descended from the Naqada II people.

From the very earliest times the Egyptians seem to have maintained the idea that many of the beliefs and events which characterised their 'culture' — to employ a term which of course they would not have recognised — had their origins, in their pristine form, in a far distant island. One of the most frequent symbols for the first land to emerge at the creation is the Primaeval Hill or Mound. This is sometimes explicitly insular in character: thus in the Pyramid Texts Utterance 484 speaks of 'the Primaeval Hill in the midst of the sea'. (15). The land here is specifically a sea-girt island and not a hillock of mud revealed by the widthdrawal of the waters of the inundation which has so often been described by Egyptologists as the first land to appear at the Creation. The primaeval place was the Island of Rest, or Peace. (16)

The Island of Peace was associated with the Rising Sun, in which capacity it was 'the Island of Flame'. (17) It was the Divine Emerging Island which appeared from the Abyss of primaeval waters, personnified as Nun, the oldest of the gods, according to some theologies. (18) In this context the premaeval hill sometimes was called Ta-Tanen (19); Tanen was the god of the Primaeval Mound in Memphite theology and is clearly a precursor of Ptah. From the Island of Flame (or fire) came, in the very beginning, Hike (20) the personnification of the vital essence which to the Egyptians was the basis of Life. The island was a magical place, far distant to the east, beyond the limits of the world, a place of everlasting light where the gods were born. As King Pepi remarks 'I go up this eastern side of the sky where the gods were born' (PT Utterance) (21). In the great incantation which forms Utterances 273/4, in which the deified King

race. The Pun people founded the island fortress of Ha-fun which commands the whole of that coast, and hence came the Punic or Phenic peoples of classic antiquity. Those who went up to Red Sea formed the dynastic invaders of Egypt entering by the Qoceir-Koptos road. Others went on to Syria and founded Tyre, Sidon and Aradus, named after their home islands in the Persian Gulf'. (10)

The third quotation is separated from the earlier ones by some 20 odd years; in between them Petrie was responsible for sending Ernest Mackay to Bahrain, to review the grave mounds. No hint of the Master's concern for Sumero-Egyptian origins, however, appears in Mackay's rather staid report (11)

Petrie, it will be observed, speaks of the prospect of Gulf as well as Elamite influences being present in pre-dynastic Egypt with considerable assurance, which might indeed be taken for an expression of certainty. What is not clear is why he considered that the Gulf islands were involved, though earlier nineteeth century commentators seem often to have believed that the Egyptians and the Sumerians had either a common origin or were influenced in their formative periods by some other, third party. Evidently Petrie saw the people of the Gulf islands fulfilling this role.

Another scholar of a time slightly earlier than that in which Petrie was writing and who toyed with the idea that Bahrain might have had some special, insular significance to the Egyptians was Cecil H. Smith of the British Museum. In a discussion following the presentation of a paper by Theodore Bent to the Royal Geographical Society on his visit to Bahrain in 1889, he suggested that "To Nefer", the Egyptian name for the land of Punt, one of the most frequent loci cited in later times as the home of the gods, might in fact mean 'the holy island' (12) Earlier still, in the first scholarly analysis of ancient Dilmun in modern times, Rawlinson in his commentary on Durand's report 'On the

same theme. Speaking of the 'Falcon tribe' which he believed had conquered Egypt prior to the beginning of the First Dynasty, Petrie says:

> 'This falcon tribe had certainly originated in Elam, as indicated by the hero and lions on the 'Araq knife handle. They went down the Persian Gulf and settled in 'the horn of Africa'. There they named the 'Land of Punt', sacred to later Egyptians as the source of the



★ "Anki", God of Water at "Sumer"



★ A copper bull's head dating from around 2500 B.C. found at Barbar temple site

factor would be against their having come to Egypt across the Arabian desert. The probability seems that they branched off to some settlement in the Persian Gulf (such as the Bahreyn Islands) or on the South Arabian coast and from their-second home had brought its style and ideas into Egypt'. (8)

In another article, charmingly called 'The Geography of the Gods', in which he examines the geographical origins and associations of the principal divinities of Egypt, he writes:

'The general diffusion of the worship of Hathor and her identification with many other deities or genii points to her belonging to the dynastic people, as already stated The movement of the dynastic people appears to have been by sea round from the Persian Gulf and up the Red Sea into Egypt. (9)

Later, in 'The Making of Egypt', he returned to the

island, far distant towards the east, on the edge of the world, where the first and most crucial acts of creation occurred and where the first and second generations of gods had their home. This island the Egyptians believed, played a profound part in the folk-experience which contributed to the very foundations as well as to the ideology of the Pharaonic state.

But in considering the place of beginnings as the Egyptians envisioned it, it may be appropriate first to recall how the Sumerians spoke of Dilmun, the paradisial and pristine nature of which is central to what follows here.

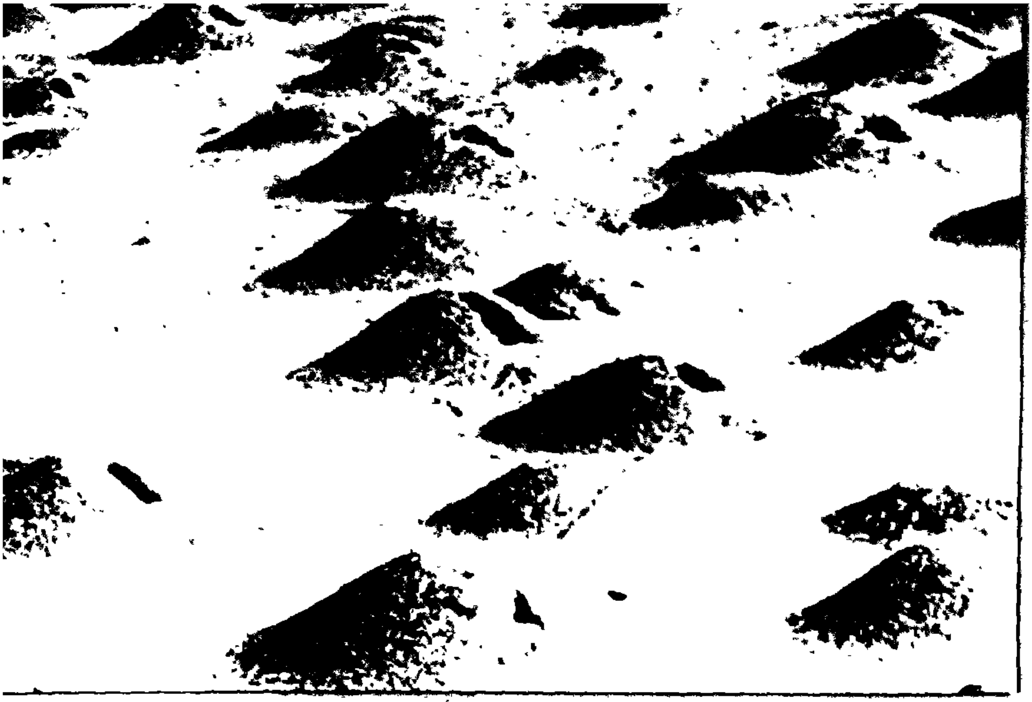
In Sumerian texts which celebrate Dilmun, several epithets are customarily attached to it, in which it is represented as a paradisial place where the gods dwell and in which various acts of creation are induced. These epithets include the Land of Crossing, the Land where the Sun Rises (5), (for the land is sited in the Sea of the Rising Sun) but throughout its literature particular emphasis is placed on Dilmun's purity:

"The Land Dilmun is a clean place,
That place is clean, that place is bright" (6)

Par excellence, Dilmun is a pure place, perhaps even the pure place. Dilmun was 'the land of pure decrees' Meskillag, and one of its tutelary goddesses was Ninsikilla, the Lady of Pure Decrees (7). I shall return to this aspect of its reputation further.

Now let me call in evidence three quotations from the Father of Egyptology himself, Flinders Petrie. Writing in the magazine 'Ancient Egypt', which he founded to popularize the study of the Pharaonic civilization, he wrote of the alien non-Egyptian influences which he, like others, felt could be detected in the late predynastic cultures.

"The strong Mesopotamian suggestions of the design have, as we noted before, no exact parallel in the East. They seem rather to belong to a people of Elamite or Tigrian origin and ideas who had progressed on their own lines. The presence of shipping as an important



directions in the exploration of that misty hinterland, lying somewhere between myth and reality, which surrounds the prospect of contacts between the Sumerians and the Egyptians at the end of the fourth millennium, a contact in which the Gulf people, specifically the Dilmunites, may have been involved. My guide books are rather cumbersome documents: they include the Pyramid Texts, (2) (which, incidentally must surely be acknowledged as the supreme literary expression of the collective unconscious) the inscriptions of the Horus Temple at Edfu, (3) which, though Ptolemaic in date probably incorporate much earlier material and, like some of the Pyramid Texts, descend from Predynastic times, together with other inscriptions at Hermopolis, (4) which may also contain early records or recollections of the Egyptian people.

I would like to suggest that these texts (and no doubt others unknown to me) may contain evidence that the Egyptians preserved, however faintly, memories of an



"THE ISLAND ON THE EDGE OF THE WORLD"



By:
Michael Rice

At the Third Conference in Asian Archaeology, held in Bahrain in 1970, I presented a paper which reviewed some of the relatively familiar, more or less archaeological, evidence for a connection between Sumer and Egypt affected through the Gulf route in high antiquity. (1) I also dilated on some less familiar material, like the curious similarity between the silhouettes of Osiris and the male Eridu figure. My observations were then quite kindly received; I have been prompted therefore to repeat the journey, but this time to take with me as my guides some texts which seem to me to point to a variety of interesting

Pollard, A.M. and F. Hojlund
1983 "High-magnesium glazed sherds from Bronze Age tells on Failaka, Kuwait" Archaeometry 25: 196-200
Potts, D.
1982 "Northeastern Arabia in the late Pre-Islamic era" paper presented at table ronde: Arabie orientale, Mesopotamie et Iran meridional de l'age du fer au debut de la periode islamique Lyon
Reuther, O.
1926 Die Innenstadt von Babylon (Merkes) WVDOG 47
Rice, M.
1972 "The grave complex at al-Hajjar, Bahrain" Proc. of the Seminar for Arabian Studies 5. 66-75
Salle, F.
1982 "Bahrain: introduction et etat des questions" paper presented at the Table ronde: Arabie orientale, Mesopotamie, et Iran meridional de l'age du fer au debut de la periode islamique Lyon
Strommenger, E.
1964 "Grabformen in Babylon" Baghdader Mitteilungen 3: 157-173

ADD:

Ferrara, A.
1977 "A Kassite cylinder seal from the Arabian Gulf" BASOR
Franke, J.
1978 "Area WB" in M. Gibson Excavations at Nippur, Twelfth Season Oriental Institute Communications 23
Frifelt, K.
1969 "Arkaeologiske undersogelser pa Oman palvoen" Kuml 1968: 159-175
1979 "Oman during the 3rd millennium B.C." South Asian Archaeology 1977 v.1

Cornwall, P.B. and A. Goetze.
1952 "Two letters from Dilmun" Journal of Cuneiform Studies 6:137-145
Edens, C.
1981 "Protohistory: excavations on Khor Ile" Rapport d' Activiate RCP 476 1981: 11-26
1982 "Protohistory: excavations on Khor Ile" Rapport d' Activite RCP 476, 1982: 17-26
Hojlund, F.
1981 "Preliminary remarks on the dating of the palace at Sa's wa-Sa'ad on Failaka (Kuwait)" Proc. of the Seminar for Arabian Studies 11: 37-42
1983 "The 2nd millennium settlements on Failaka (Kuwait) to appear in Proc of Seminar for Arabian Studies 13
Jacobs, L.
1980 "Darvazeh Tepe and the Iranian Highlands in the Second Millennium B.C. PhD dissertation University of Oregon
Kjaerum, F.
1980 "Seals of 'Dilmun-type' from Failaka, Kuwait" Proc. of the Seminar for Arabian Studies 10:45-54
Larsen, C.
1980 Holocene Land Use Variation on the Bahrain Islands PhD dissertation University of Chicago
Lombard, P.
1981 "Poignards en bronze de la peninsule d'Oman au ler millenaire" Iranica Antiqua 16: 87-93
McCown, . and . Haines
1967 Nippur I Oriental Institute Publications
Muhly, J.
1973 Copper and Tin Transactions of the Connecticut Academy of Arts and Sciences 43
Oppenheim, A. L.
1967 "Essay on overland trade in the first millennium B.C. Journal of Cuneiform Studies 21: 236-254
Pezard, M.
1914 Mission a Bender-Bouchir MDP 15

BIBLIOGRAPHY

Adams, R., P. Parr, M. Ibrahim and A. al-Mughannum
1977 "Saudi Arabian archaeological reconnaissance 1976"
Atlal 1: 21-40

Aro, J.
1970 Mittelbabylonische Kleidertexte der Hilprecht Sammlung Jena Sitzungberichte der Sachsischen Akademie der Wissenschaften zu Leipzig Phil-Hist Kl Bd 115(2)

Bibby, T. G.
1958 "Bahrains oldtidshovedstad gennem 4000 ar (the hundred meter section)" Kuml 1957: 128-163
1965 "Arabiens arkaeologi" Kuml 1964: 86-111
1966 "Arabiens arkaeologi" Kuml 1965: 133-152
1967 "Arabiens arkaeologi" Kuml 1966: 75-121
1970 Looking for Dilmun Alfred A. Knopf New York
1973 Preliminary Survey in East Arabia 1968 Jutland Archaeological Society Publication 12 Copenhagen

Brinkman, J.A.
1968 A Political History of Post-Kassite Babylonia Analecta Orientalia 43

Carter, E. and M. Stolper
1976 "Middle Elamite Malyan" Expedition :33-42

Cleuziou, S.
1981 "Oman peninsula in the early second millennium B.C."
South Asian Arachaeology 1979 pp. 279-293

Collon, D.
1977 "Ivory" Iraq: 219-222

other places and times. Indeed, the Kassite presence in Qatar seems most readily explicable as a primary extractive rather than a secondary commercial, situation. This hypothesis regarding Qatar, together with the explicit concern for dates and security from intruding pastoralist expressed in the pair of Nippur letters, suggests that the Kassites were in the Gulf to control a limited range of local, principally agricultural and maritime, production, and only secondarily if at all to control commercial links beyond the Gulf. Such a situation would comfortably account for the shell evidence linking Babylonian sites with the Gulf. This relationship of Babylonia to the Gulf effectively defines a colonialism oriented directly around land and production rather than indirectly by way of exchange over these functions.

The question of local populations is more difficult, and at the same time more important. The existence of hostile pastoralists is attested in the Nippur letters and is implied, perhaps, in the local abandonment of settlements and material traditions throughout the Gulf. A complete shift to pastoralism in the face of permanent water and a history of cultivation as was the case on Bahrain and the adjacent Saudi Arabian coast does not seem entirely plausible, however. Moreover, the continuities in glyptic tradition found on Failaka and perhaps also Bahrain urge caution in this regard. On the other hand, the absence of habitation after the Kassite episode suggests that if local populations did exist in the central Gulf they were thin and perhaps aceramic throughout the 2nd mil. This is a subject in need of a great deal of more investigation.

did not come from that direction, notably iron. In any case, one must agree with Brinkman (1968: 197-8) that, judging by the variety of the tribute, the southern tribes were in control of a large-scale and extensive trade by the end of the 9th century B.C. All of this correlates very well with the literary evidence that Dilmun was able a century later to give over to Assyria 'tribute' which included copper presumably originating in Oman, a complete return to the 3rd mil. symmetries. All of these fragments of evidence point to the conclusion, only slightly speculative, that the Gulf trade had revived considerably by the end of the 2nd mil.

Evidence, whether textual or material, for earlier in the 2nd mil. is, however, extremely limited. Indeed, apart from marine shells, one is hard pressed to find **any** evidence for a maritime Gulf trade during the late Old Babylonian through Kassite periods, particularly if one excludes Collon's (1977) highly contentious thesis concerning ivory. Given that the 3rd mil. trade was so strongly oriented around copper, the absence of any real indication of an active 2nd mil. Gulf trade is hardly surprising: Babylonian acquisition of copper shifted early in the Old Babylonian period from a southern orientation through the Gulf to a westward (Mediterranean) and northwestward (Anatolian) orientation. At the same time, the tin trade apparently also shifted northward to Assur from the Susa-Larsa axis (cf. Muhly 1973). Lapis Lazuli seemingly followed suit. Thus it seems unlikely that commerce through the Gulf, if existent, was of great importance either to Babylonia or to the Gulf itself.

This tentative conclusion may then be reflected back onto the situation in the Gulf as perceived archaeologically, i.e. the later Kassite presence. Absence or unimportance of trade through the Gulf implies that Kassite installations on Bahrain and elsewhere were not commercial establishments, nor motivated fundamentally by control over traffic coming through the Gulf, in the manner well known for

1) Kassite occupation occurs in a locally near or total occupational void;
2) Kassite occupation on Bahrian shows many of the earmarks of public function, including massive architecture and accountancy by writing and sealing;
3) The period of Kassite occupation of Bahrain coincides with the peak of Kassite power.

For the most part, then Bahrain and Malyan seem to show the results of highly similar expansions from Akkad and Elam respectively. The conclusion that the Kassite horizon in the Gulf represents an expansionary episode of the late 15th or 14th centuries B.C. needs further refinement. At issue is the nature of the Kassite presence in the central and upper Gulf, and its relation to local populations. One avenue of approah to these issues is the question of trade through the Gulf.

The well-known Gulf trade of the 3rd mil. collapsed with the urban crisis at the beginning of the 2nd mil.; indeed, both failures were different aspects in single process of retrenchment. As with many other facets of 2nd mil. history in the Gulf, the status of trade during the subsequent 'dark age' is largely unknown. Although the availble textual information is virtually silent on the issue, some hints do come through at the end of the 2nd mil. The inscription of a king of the 2nd Sealands Dynasty describes a throne made of **Mesu** wood and inlayed with gold (cf. Brinkman 1968: 153); **mesu** wood was a standard commodity of the 3rd mil. trade, and this reference may reflect a renewal of trade through the Gulf. At a slightly later date, when the Assyrian Shalmaneser III was establishing effective control over the southernmost parts of Babylonia on behalf of the new Babylonian king, the tribute extracted from the southern tribes included many items which **May** have been traded through the Gulf — irovy, elephant hides, **mesu** wood, ebony, incense, etc.; other items most certainly

this general pattern of urban or settled population is Khuzistan. As with Kassite Akkad, Middle Elamite Khuzistan formed the core of a fairly extensive, relatively centralised political entity. In both regions urbanism was, to a large degree, artificial, in that a high proportion of urban space was new foundation of a ceremonial and administrative nature (Dur-Untash and Dur-Kurigalzu). More important to the present problem, Elam and Babylonia shared the characteristic of establishing centres in outlying regions, Anshan and Liyan in the case of Elam, Dilmun in the case of Babylonia.

That Elam did indeed behave in this manner is clear from material and epigraphical finds at Malyan and Bender Bouchir. In the case of Malyan, Middle Elamite ceramics occur only at this centre and not in the environs of the Kur valley. The Middle Elamite occupation is characterized by a massive architectural complex with which are associated epigraphical and glyptic material, and apparently also storage facilities for various kinds of materials, all these elements being consistant with an administrative function for the building (cf. Carter and Stolper 1976). This occupation of Malyan occurred during a period when local painted ceramic traditions were present, but which defined low intensity and divergent occupation of the valley (Jacobs 1980). At Bouchir the nature of the Elamite occupation is less clear, as is the nature of local populations, though again the public nature of the epigraphical remains suggest the Elamite presence as a political function. In sum, the end of the 2nd mil. on the Iranian plateau saw a Middle Elamite expansion to the south and southeast, an expansion which involved the transference, indeed imposition, of the political and administrative apparatus of the Elamite kingdom, in areas which immediately prior to this expansion had been outside the sphere of Elamite materials.

The Gulf presents a number of parallels with the Elam-Malyan pattern. The points of similarity are as follows:

conventionally thought. Such a revision does not seriously alter the hypothesis of a profound economic shift to camel pastoralism, with its attendant absence of substantial architecture, during the 2nd mil. (cf. Cleuziou 1981).

DISCUSSION

The patterns of occupation reviewed above may be summarized by the following two points:

1) Chronologically and materially a well-defined late Kassite horizon occurs in the upper and central Gulf, with relative intensity of occupation decreasing with distance from Babylonia. The only other apparent occupational period is post-Kassite, known definitely only from Failaka, and Middle Elamite at Bouchir.

2) This late Kassite horizon occurs within the context of a long-term gap of local cultural tradition and documentable occupation, a gap which covers and defines the 2nd mil. as an historical unit. Some continuity may exist in the dark-faced wares of Saudi Arabia, and the Gulf stamp seal tradition of the 3rd mil. finds some continuation through the 2nd mil., particularly at Failaka. The significance of this glyptic continuity in the face of a disruption of all other cultural expressions is unclear.

These conclusions are not unexpected. The second millennium is a period of declines in urbanism, total area of settlement, or both, and of profound shifts in economic, political and military relations on an interregional scale. In Babylonia, the centre of population, urbanism and political power shifted from south to north, into Akkad; these shifts were accompanied by agrarian decline in the south and a shift of trade to a more northerly control. At the same time, Central Asia and Indus urbanism collapsed, leaving viable but presumably less 'internationally' oriented village settlement systems. On the Iranian plateau, similarly, population centres were reduced in size, as at Malyan and the entirety of the Kur valley. In addition to Akkad, the exception to

exist. Principal of these indications is a ceramic style which is usually placed in the 3rd mil., the so-called dark-faced hole-mouth material. While this style is undoubtedly a 3rd mil. product, a radiocarbon determination from a sounding in the Jabrin area indicates that the ware may extend to the end of the 2nd mil. (a date of 1100±85, though whether this date is reported corrected, or what half-life is used is unclear; Adams et al. 1977: 29). As before, a single date by itself has limited significance particularly when a clearly 1st mil. ceramic form occurred on the same site in a cist grave (Adams et al. 1977: 29; Bibby 1973: 48). Bibby also reports a socketed spear point from a tomb in the region, which he would date to the 2nd mil.; given the revised dating of Omani metal (Lombard 1981), however, and the apparent Yabrin-Oman connection at this time, this dating is extremely dubious. The subject of 2nd mil. occupation in the Eastern Province clearly needs further clarification

GREATER OMAN

As in the littoral regions to the north, occupation here is undocumented for the 2nd mil i.e. between the so-called Wadi Suq horizon and the Iron Age. The end of the Wadi Suq may be dated, somewhat conventionally, to 1800 or 1700 B.C., and the beginning of the Omani Iron Age to c 800 B.C. These chronological limits correspond perfectly with the 2nd mil. of this review — a thousand years of negative evidence. The only hint of occupation during these thousand years comes from a series of radiocarbon dates published by Frifelt for Hili, two of which pertain to surficial features which perhaps post-date the Wadi Suq horizon (Frifelt 1969: 174); determinations fall at C. 1800 and 1550 B.C. corrected. A third determination, from Bat falls at C. 1600 B.C. and may also refer to a post-Wadi Suq feature (Frifelt 1979: 584). The ceramic and other materials associated with the dated features at Hili and Bat are not described, and one cannot exclude the possibility that the Wadi Suq actually terminates further into the 2nd mil than

1970). Given this new site in the Gulf, there is no longer any reason to assume, **a priori,** that textual references to marine dyes implies relations to the west (cf. Oppenheim 1967 for just this assumption at a slightly later date, though in this case, the assumption seems justified, judging from the other materials mentioned). In sum, the archaeological and textual evidence for Babylonian involvement in the Gulf during the 2nd mil. indicates that this involvement went well beyond a simple traffic in dates.

LIYAN

Pezard's excavations at Bender Bouchir in the early part of this century indicates occupation dating to both the end of the 3rd and end of the 2nd millennia (Pezard 1914). The earlier occupation shows relations with the Gulf, Malyan and Susa, thus forming an important Elamite link into the Gulf economic system. The latter occupation is attested principally by dedicatory inscriptions which date to both the 13th and the 12th centuries, but the greater part of which belong to the middle of the latter century. This date corresponds to the period of maximum Elamite power, and falls slightly after the date proposed above for the Kassite installations in the Gulf. A correlation with the Post-Kassite occupation at Failaka, where Elamite style seals are reported (Kjaerum 1980), cannot be ruled out.

SAUDI LITTORAL

Occupation of the Eastern Province of Saudi Arabia is virtually unknown during the course of the 2nd mil.: following the Barbar II horizon on the coast, the next datable occurrence is a still somewhat nebulous horizon perhaps correlated with the Qala'at City IV or slightly earlier (cf. Potts 1982). Some indications of intervening settlement, particularly from the Jabrin area, however, do

repertoire of motifs. Such a combination of tradtions on a cylinder seal calls to mind the al-Hajjar example mentioned above. The meaning of this stylistic continuity and 'hybridization' is uncertain in the face of disruption and discontinuity of other traditions, most obviously of ceramics.

QATAR

The only site definitely assignable to the 2nd mil. in Qatar lies on a small island in the bay of Khor, excavated by the French mission in the early part of this decade (Edens 1981, 1982). The site consists of a small series of structures visible on the surface and a small shell midden, these being the only contexts which yield any depositional depth. The ceramics of the site appear to conform to the Kassite assemblage at Kailaka (Hojlund 1983) and match well certain elements of the Kassite assemblage at Babylon (Reuther 1926: 14; Abb. lc, 7, 9; cf Strommenger 1964). The Qatari assemblage also matches the City III corpus in the presence of a red ware as a minority fabric. Needless to emphasize, the same ambiguities in dating as face Bahrain and Failaka are present here as well. The single availble radiocarbon date falls at 1000 B.C. corrected, and so tends to support a slightly later date; however, a single date on shell cannot be given a great deal of credence by itself.

The content of the midden is dominated by a single species of marine gastropod which, like its near relative the Murex in the Mediterranean, produces a fast purple dye. The high relative frequency and absolute abundance of the gastropod, and the physical state of these shells in the midden all converge to suggest that the Khor site was in fact specialised in the production of purple dye. The entirely Kassite character of the ceramics of the site — both in fabric and in form — suggest further that the occupants of the site were closely associated with Babylonia of the later 2nd mil., either directly or, more likely indirectly through Bahrain. The use of purple dyed cloth in Kassite and Post-Kassite Babylonia is well known through textual evidence (cf. Aro

er, the sites, particularly F3, apparently represent classic examples of spiral stratigraphy, with sectors of the sites experiencing cyclical settlement and abandonment. This situation makes the apparent ceramic breaks of uncertain import. Nonetheless, in view of occupational history both in Bahrain and in southern Babylonia, a hiatus of settlement during the several centuries between the early Old Babylonian and the later Kassite occupations is not unreasonable. A similar gap between Kassite and Post-Kassite levels is less certain.

The sites F-3 and F-6 are fairly small (each under a hectare) and were differentiated in function throughout the 2nd mil., with F-6 containing a 'palace' complex and F-3 private architecture and various special activity areas (e.g. Barbar period kilns). While Kassite occupation of F-3 is definite, such an occupation of F-6 is less sure (cf. the contradiction on this point in Hojlund 1980, 1983); Post-Kassite levels may have the reverse distribution.

As with Bahrain, the dating of the Kassite and Post Kassite phases is far from evident. The large number of Mitanni-style seals would urge a date roughly comparable with that suggested above for the Qala'at City III, i.e. 15th-14th centuries B.C., in the present case as well. The Kassite ceramics of F-3 are not yet well enough published to enter the discussion usefully. The Post-Kassite dating of the last occupation on F-6 presumably rests again on glyptic evidence, though the published ceramics are entirely compatible with a Kassite dating as well. On the whole, the combination of available ceramic and glyptic indices fit most comfortably with a date broadly identical with the date for City III, with a somewhat later occupation also occurring on one site.

Kjaerum indicates a basic stylistic continuity from the older 3rd mil. Gulf seal tradition to major element of the later 2nd mil. corpus on Failaka, exclusive of the cylinder seals. This suggestion is expanded by the cylinder seal published by Ferrara, which presents a combination of Kassite inscription and excution with a Gulf tradition

During this period Babylonia's commercial, diplomatic and military relations were extremely far-flung and complex. The Babylonian presence on Bahrain must be a part of these multifarious relations, but it seems to have been of a different order, however, than those elsewhere; the appearance of a Kassite material and administrative configuration within the context of a total absence of a local material tradition bespeaks a condition of colonization. This theme will be further developed after the completion of the geographical review.

The date of the Qala'at City IV occupation is somewhat less obscure. Salle's review of the problem (1982) indicates a 7th-5th century B.C. date for the 'palace' and immediately subsequent vestiges. This chronology leaves yet another long gap of four centuries or more in occupation. Some of this gap will probably be filled eventually, given textual references to Dilmun during the 8th century by Assyrian kings. But however this gap is to be (partially?) filled, City IV marks a new stage for the Gulf — the re-development of local regional ceramic traditions, coeval with those of Iron Age Oman, which define new cultural distinctness from surrounding regions, even while in close interaction with them.

FAILAKA

The Danish excavations at Failaka are only now being published, with notices on the ceramics, architecture and glyptics having appeared (Kjaerum 1980, Hojlund 1981, 1983) Pollard and Hojlund 1983). Additional notes have appeared for individual items found more recently (e.g. Ferrara 1977). These notices indicate that Barbar, Kassite and Post-Kassite occupation levels occur in the two excavated 2nd mil. sites on the island. Hojlund's ceramic studies, supplemented with architectural and stratigraphic information, indicate that breaks in occupation occur between each of these major phases of habitation. Howev-

may be completely specious, given the strong probability of regional as well as temporal and functional variability in ceramic assemblages within Babylonia (e.g. contrast the Hamrin with the Ur area — while united in generalities, some specific characteristics set these areas apart from one another and from Nippur). The use of a sand temper distinguishes the Bahrain material from most of the straw tempered Babylonian ceramics. This contrast perhaps implies a local, or certainly non-Babylonian manufacture of some of the Bahrain Kassite pottery, a conclusion which should also warn against a facile comparison with Mesopotamian assemblages.

The remaining two lines of dating help to confirm a date of c. 1400-1100 B.C. and to narrow these limits somewhat. The radiocarbon determination from the central building is 1180± 110 b.c. (k—827), which calibrates to 1490 B.C. (MASCA correction) in calendrical years, with a one standard deviation ranging from 1300 B.C. to 1600 B.C. This range overlaps the range derived from the ceramic chronology during the 14th century. The two Nippur letters also fit into this narrowed range: both Cornwall and Brinkman (1972: 275) date them to the middle of the 14th century. Although there is no necessary relation between the references in the letters to individuals going to Dilmun and the archaeological evidence on the island, the two lines of evidence are entirely compatible and mutually supportive. Thus, despite the weaknesses inherent to each line of dating, all three lines do converge in suggesting a date of the 14th century for the Qala'at City III, perhaps also including portions of the 15th and 13th centuries. Certainly the titles assumed by Tukulti-Ninurta I as king of Dilmun and of Meluhha would hint at the 13th century if taken at face value (cf. Brinkman 1972: 276), while the Nuzi style seal at al-Hajjar might urge the 15th century date as well.

Such a dating for the Kassites on Bahrain has significance with regard to Kassite political history — it corresponds roughly to the period of greatest strength of Kassite Babylonia as an international power (Brinkman 1972).

Of the latter, only hints are available in the absence of further excavation — the walls of the other buildings seem quite as massive as those of the first, perhaps indicative of a public or otherwise wealthy quarter — while the former will require the skill of specialists in assessment of the evidence. While awaiting these events, Bibby's hypothesis may be broadened to a more general attribution of an administrative function of the building. In any event, the Kassite, i.e. Babylonian, nature of the City III period in Bahrain must be stressed — certainly in its ceramics and literacy, and seemingly also in its seals.

The date and duration of the Kassite occupation on Bahrain is uncertain. At present, only three lines of evidence may be brought to bear on the subject, each of which is ambiguous or otherwise limited — the ceramics from the Qala'at, the radiocarbon date from the 'warehouse', and the pair of published texts *mentioning Dilmun from Kassite Nippur.*

The Kassite ceramic assemblage from the Qala'at appears to fit best a later Kassite date, i.e. roughly 1400-1100 B.C., on the basis of comparison with Nippur and Babylon (McCown and Haines 1967, Franke 1978; Reuther 1926, Strommenger 1964), and other sites (e.g. Aqar Kuf, the recent Hamrin excavations, etc.). Although several characteristic Kassite forms continue into the Post-Kassite period, the seeming absence of the spike or stump-base cup, to which Franke refers as a characteristic "but rare" Post-Kassite form, and also the strap handles which appear as a common Post-Kassite element at Nippur, do suggest a Kassite date for the Qala'at (cf. also Strommenger 1964 for a reappraisal of the Babylon corpus). Additionally, one of the goblet forms at the Qala'at may end with the Kassite period (Nippur I Type 46). These indications must be used with extreme reservation, however; the later Kassite and Post-Kassite periods are ceramically two of the least understood in Babylonia, while earlier Kassite materials are virtually invisible. Moreover, an appeal to commonalities with Nippur and Babylon, while pragmatically intelligible,

poorly described red ware also occurs in the Kassite repertoire (Bibby 1967: 91), seemingly as a minor element.

—Glyptic:

No seals of any kind are reported as occurring in Kassite deposits at the Qala'at. However, at least three sealings do come from the Kassite building: one sealing from the fill over the primary deposit (Bibby 1965: 106) and two from the primary deposit of a single room (Bibby 1967: 91). Unfortunately these materials have not been published or otherwise assessed. One may add two cylinder seals from the al-Hajjar graves are pertinent here. Made of faience(?) and iron ore(?), they are placed by Porada with the Nuzi style (15th century) and 14-13th century respectively. The latter seal is noteworthy in its stylistic discrepancies, elements of which perhaps align the seal with the earlier Gulf seal tradition (Rice 1972: 70-71).

—Epigraphical:

Two complete tablets and at least that number of fragments are reported from the central building; Bibby, in his popular account, puts the total number at 6-7 (Bibby 1970: 347). One fragment was recovered from a secondary context while the remainder came from a primary context within a single room (Bibby 1965: 103; 1967: 91). As with the sealings, the texts have not been published. Bibby characterizes one as a school text, another as an administrative text (Bibby 1970: 347). It is appropriate to mention here the other piece of epigraphical material relevant to Kassite Bahrain. The 'shoe' found by Durand in the last century, the tantalizingly brief inscription of which refers to an individual and to a tribe.

The variety of materials contained within the structure is more than Bibby's hypothesis of a date-storing warehouse will comfortably accommodate. The key to the question of function rests in the nature of the adminsitrative apparatus found within the building (sealings and tablets) and in the character of the neighbourhood surrounding the structure.

—Organic:

These consist, in addition to bitumen, of wood impressions, woven palm mats, date pits and an unidentified grain (Bibby 1965: 102-3, 106). The first two elements presumably derive from architectural elements, whereas the remaining two are contents of a pair of rooms. In one case, the date pits are said to have formed a pile on the floor (Bibby 1965: 103).

—Metal:

Metal objects were found in at least two loci of the building. In one case both weapons (a pair of spearpoints) and tools (a hoe blade), all of copper bronze, were found in the fill directly over the primary deposit (Bibby 1965, 103). These implements are not illustrated or otherwise described.

—Stone:

Stone objects are limited to a cube of uncertain function found in the corner of a room, around which were several cobbles of a "reddish-purple" stone (Bibby 1967: 91), and a large number of 'hammerstones' in the alley just north of the building (Bibby 1965: 106).

—Ceramics:

The ceramics are described only in reference to the '100 meter section', for which the Qala'at Kassite suite of forms and wares is presented (Bibby 1958: 155, 160, fig 7, 1970: 136-138). The Kassite assemblages are dominated by a range of pedestal bases, corresponding to the Kassite goblets (Nippur I types 46A and 47), a simple bowl (Nippur I type 43C) which occurs more rarely, and lids. The Qala'at pottery thus formally resembles Babylonian Kassite assemblages very closely. The fabric of these vessels is thick and coarse, of a honey or caramel color, and either straw or sand tempered. The later feature may mark a significant variation from Babylonian wares. In addition to this fabric, a

of its contents, a description which fits neatly with expectation engendered by readings of the two known Kassite documents which refer to Dilmun (Cornwall and Goetze 1952). The reality of the building, however, seems more complicated than this.

The contents of the building have been described in an abbreviated fashion in several preliminary reports and in Bibby's popular account. These descriptions permit an outlining of the notable materials from the structure.

The depositional matrix directly on the floors of the building is described variously as being highly bituminous or as carbonized material (Bibby 1965: 103; 1970: 346) and as being several cm. thick (Bibby 1967: 90). Such deposits evidently refer to primary occupational activities within the building. Over this primary deposit is a fill sequence, some of which appears to be immediately post-occupation (e.g the putative roof-fall; Bitty 1965: 106), while other elements may post-date Kassite occupation by a considerable time (e.g the collapsed masonry in which the silver hoard was found, Bibby 1965; 102). These fill episodes contain materials which have no association whatsoever with the Kassite building (e.g. the silver hoard and a 'bathtub' burial), but also a certain amount of objects which probably or definitely do belong with the building. Unless there are adequate reasons to judge otherwise, the materials reported from the Kassite building are here considered to belong with the building. In any case, most of the objects are stated to derive either from the floor deposit or from immediately above this deposit, i.e. in all likelihood to be either genuinely associated with the floor or from an upper story of the building.

The materials may be discussed under six headings: organics, metal, stone, ceramic, glyptic, and epigraphical One feature of note: with the exception of two bones found in a jar set into the floor of a room (Bibby 1967: 91), no faunal remains are reported.

The Kassite presence on Bahrain is attested only at the Qala'at itself, from à surface scatter near Barbar village (apparently since destroyed by cultivation-, and from a relatively small number of mortuary contexts, notably at al-Hajjar and Diraz (cf. Larsen 1980 for a listing of sites on Bahrain). In terms both of number and of distribution of settlement, the Kassite period on the island marks an episode of retrenchment, a condition also reflected in amount of burials.

At the Qala'at, Kassite levels appear to be almost as widely spread through the site as are Barbar levels: Kassite repairs or rebuilding on the city wall are attested in the northern and western exposures (Bibby 1965: 103; 1966: 147; 1970 **passim**), while a Kassite construction in the southeastern part of the site seemingly represents a modest contraction of the area contained within the city walls along the southern edge of the site (Bibby 1965: 107). Occupation levels are associated only with the southern stretch of the exposed city wall (Bibby **idem.**), though Kassite debris and pits occurred near the north wall (Bibby 1958: 155-6). Unfortunately none of these Kassite loci have been reported with any detail. Indeed, the only section of the Kassite occupation at the Qala'at which has received a degree of attention has been the so-called warehouse of the central sounding.

The central sounding contains a rectangular building 21.5 x 16.5m in dimension, separated from what may be a second building by a wide street (12m. wide) and from a third by a narrow alley (cf. Bibby 1970: 344). The main building consists of a total of eight chambers arranged symetrically around a central passage, four rooms to a side, with principal entrance to the building from the west. The walls of the building are uniformly massive, the exterior walls being c. 1.5m. thick and the interior ones only slightly less massive; construction is of dressed stone, with cement floors.

Bibby has termed the building a warehouse on the basis

documented Early Bronze Age and Iron Age occupations throughout the Gulf. Indeed, one may draw fairly firm limits of periodisation at these two points, wherever one is in the Gulf. The 2nd mil. defines a social historical unity vis-a-vis preceeding and subsequent periods rather than an arbitrary slice of time.

REVIEW OF EVIDENCE:

BAHRAIN

The ceramic content and dating of the late 3rd mil. occupation of the Qala'at have been thoroughly discussed in Larsen's recent dissertation (1980). Larsen assigns an Isin-Larsa date to the City II occupation on the basis of converging lines of evidence. During the period of time represented by the Qala'at City II, settlement on the island was both extensive and urban: some 15 Barbar II sites occur, extending far down the west coast; the Qala'at was a walled town of about 18 ha.; and other large 'urban' settlements also existed, e.g at Diraz. Babylonian texts indicate that this apogee of 3rd mil. occupation on Bahrain was coeval with the peak of trading relations with Babylonia, a trade which revolved around copper transshiped from Oman.

Larsen's review indicates a probable 18th century date for the end of City II, a conclusion entirely congruent with the disappearance of direct or indirect textual references to the Gulf trade (cf. Leemans 1968). The subsequent occupation at the Qala'at, City III, is Kassite in general character, for which a probable 14th century date will be argued later. In other words, there is a gap of occupation which seems to last three or four centuries at the Qala'at, with no known assemblage available to fill the span.

BAHRAIN

AND THE ARABIAN GULF

IN THE 2nd MILLENNIUM B.C.:

A REVIEW

By:
CHRISTOPHER EDENS
HARVARD UNIVERSITY

The 2nd millennium in the Arabian Gulf constitutes an enigmatic episode in the history of the region, a virtual blank between two long periods of great vitality. This paper seeks to come to grips with this enigmatic period of Bahrain's and the Gulf's history. We will begin with a review of the pertinent archaeological evidence from around the Gulf, supplemented by textual information from Babylonia relevant to the problem. Following this review, we will examine the patterns found in the evidence and consider what these patterns may signify.

Before proceeding with the review of evidence, we must define what is meant by the 2nd millennium. Contrary to what, strictly speaking, is implied by the term, the 2nd mil. refers to the period c. 1800/1700 to 800/700 B.C., i.e. the period of time between the better

many forthcoming generations that will remember with gratitude and appreciation all endeavours exerted for the sake of achieving this noble objective. May God grant success to all noble objectives.

Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

damaged or lost, especially when the few people mastering the old Turkish language all over the world are extinguishing.

From time to time, Archives authorities express their hopes to achieve the tedious task of "Indexing" the treasurable documents of these Archives. But "Indexing" is an ambitious plan that require the staffing of a large number of interested specialists. If bridges of co-operation could be extended between Gulf Documents Centres and these Archives with the aim of preparing Indexes for the documents and manuscripts, so much will be gained by both parties.

Indexing the documents will lift a heavy burden up the shoulders of Archives' authorities. On the other hand the participating of Gulf Documents Centres in the process of carrying out this objective, and in return obtain a copy of every completed index will save both parties enormous efforts and endeavours. It will also make easy for each Centre to examine the documents it obtained and request other documents of interest to it in the first place without having to go through tens of thousands of documents in order to find what it wants. These indexes in themselves will be of great value not only to the Gulf States but also to the Arab and Islamic States.

Taking into consideration the fact that preparing or even starting the process of preparing these indexes will not cost much, we should be stirred to effectively start carrying out this general project. The objective is of course enormous, but the wished benefits are more enormous and greater than whatever efforts may exerted or money spent. These benefits will not keep within limits of Today's generations who are exerting every possible effort to circumscribe the events of their important and inveterate history but will outlast to so

During the objective, valuable and wide ranged discussions that took place in it's 9th Conference held in the United Arab Emirates last November, the secretariat general of documents and research centres in the Arab Gulf and Arabian Peninsula Countries, laid before the conference a working paper suggesting new ideas about how to put to order the use of documents related to the Gulf area in Foreign Archives. The advantages extend to include saving needless efforts and costs as well as consolidating the spirit of co-operation among member states and sharing what one member state might obtain of these documents.

The discussions which took up and engrossed almost one complete session were concentrated on the Ottoman Archives. Two important remarks were made by the speakers. First: Archives which are available to researchers and those which are still out of reach are vastly rich with documents related to the Gulf area, the Arabian Peninsula and even the Islamic area. The reason behind this is the fact that the Ottomans used to register almost everything and keep what they registered in safe places. As the Ottoman Empire was so immensely vast, reports and letters never stopped between rulers, leaders, messengers or even agents on one side and the central government on the other side. These letters and reports represent a very fertile and rich source for contemporary researchers in the history of the area. It is perhaps a source richer than the archives of Holland, Britain and Portugal.

The second remark was made by researchers frequently visited these archives in the last recent years. They briefed the conference on how these ancient documents are kept in an underdeveloped way. Some of them are not touched for more than a century now, and are thus threatened to be

and development. Throughout the last twenty-five years, and thanks to the conscious and wise policies adopted, Bahrain could lay the solid foundations for the long awaited security as well as supporting the atmosphere of stability for which it craved and longed.

Enjoying this atmosphere, it was possible for Bahrain to dart achieving the clear aspirations of progress, prosperity and catching up with the vanguard of civilization conformably with astonishing as well as admirable levels. The features of progress which extended throughout the last twenty-five years to include all aspects of human activities will remain a prominent landmark in the history of this country and will proudly chronicle the fruits of the sincere efforts extended, the wise policies adopted and the atmosphere of stability and security achieved. Long remembered will be the consuming industry, relentless and limitless endeavours to achieve great aspirations and pave the way to accomplish more and more of limitless aspirations. Doubtless, it was a great endeavour that managed and led the ship through the stormy waves of the Gulf, and led the march of progress through the clashing waves of the age until it reached the shores of progress and development.

On this auspicious occasion "Al Watheeka" extends sincere felicitations to His Highness the Amir, Shaikh Isa Bin Sulman Al Khalifa, His Excellency Shaikh Khalifa Bin Sulman Al Khalifa the prime minister, His Excellency Shaikh Hamad Bin Isa Al Khalifa the crown prince, and finally to the government and the people of Bahrain. May God the Almighty help and lead to success every sincere and good intention and every honest endeavour aiming at the prosperity and well-being of this country and its citizens.

IN THE NAME OF GOD, THE BENEFICENT, THE MERCIFUL

A WORD ABOUT THIS ISSUE

By

H.E. SHAIKH ABDULLAH BIN KHALID AL KHALIFA

Few days ago, Bahrain celebrated the dear and glorious occasion of the 15th anniversary of its National Day which coincided this year with the Silver Jubilee of the Accession to the throne of His Highness The Amir, Shaikh Isa Bin Sulman Al Khalifa. And as a matter of fact, anybody engaged in dealing with the History of Bahrain would be dazzled with the achievements of these 25 years which immeasurably excell all other achievements accomplished throughout the inveterate and deep-rooted History.

These islands witnessed the birth of History as well as the passage of so many centuries. All along these ages. Bahrain was the scene where so many events took place and consequently deprived it of any real chance to achieve growth

THE ENGLISH SECTION

CONTENTS

THE ARABIC SECTION

Magazine Committee

AL WATHEEKAH

A Half-Yearly Journal Published by

The Historical Documents Centre

The State of Bahrain

Devoted to The Heritage, Thought and History of

Bahrain And The Gulf

Editor-in-Chief

Shaikh Abdullah Bin Khalid Al-Khalifa

Issue No. 10 — Fifth Year

Jumada Al Oula 1407 A.H. January 1987 A.D.

Bahrain P.B 28882

Telephone — Historical Documents Centre — **664854**

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

IN THE NAME OF GOD,

THE BENEFICENT,

THE MERCIFUL

بسم الله الرحمن الرحيم

الوثيقة

دورية نصف سنوية

تصدر عن

مركز الوثائق التاريخية

بدولة البحرين

رئيس التحرير:

الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

العدد الحادي عشر - السنة السادسة

ذو القعدة ١٤٠٧ هـ - يوليو ١٩٨٧ م

لجنة المجلة

العنوان . مركز الوثائق التاريخية ص . ب ٢٨٨٨٢
تليفون ٦٦٤٨٥٤
جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير .

الفهرس

صورة الغلاف
للفنان السعودي
فؤاد المغربل

جميع الابحاث المنشورة في هذا العدد تمثل وجهة نظر كاتبها

(الوثيقة)

كلمة العـدد

ان المتامل لخريطة الصراع بين الشرق والغرب بصفة عامة او بين الغرب والمنطقة العربية والخليج بصفة خاصة . سوف تتأكد لديه حقيقة قد لا تكون غائبة عن البعض اليوم . ولكنها بالتأكيد تغيب عن البعض الآخر . هذه الحقيقة التى نقدمها للتاريخ فى كلمات قلائل تقول : ان الشرق يعطى والغرب ياخذ فالشرق عامة .. والشرق العربى خاصة . فى الوقت الذى حشد كل امكانياته وطاقاته وجهاده وسعيه لتقديم الحضارة والتقدم والقيم والمثل العليا والمواد الخام للغرب . فان الغرب بذل جهوده وجنوده وحشوده ، واساطيله ليسلب الشرق ثرواته وخيراته وقيمه ايضا . الشرق فى مجال العطاء الحضارى للبشرية قدم ما لديه بلا حدود . والغرب لم يكتف بما قدم له من قيم وانما انطلق الى الشرق ليأخذ ما بقى لديه من امكانيات وانحصر عطاؤه لتاريخ الانسان وتاريخ العلم فى الرعب النووى الذى يخيف الكون كله اليوم .

فى هذه الكلمات تتلخص قصة الصراع الذى دار والذى يدور ونحن فى هذه الصدد لن نوغل كثيرا فى التاريخ لنعرض مثلا لما قدمته سومر وبابل من عطاء فى الفلك او القانون . ولا لما قدمته الهند القديمة من عطاء روحى وفلسفى ولا لما قدمته مصر الفرعونية من ابتكار فى مختلف العلوم والفنون ولا لما حمله العرب مع الاسلام من تمدن وتقدم وتحضر فى مختلف نواحى الحياة . حيث اكتملت مع الاسلام كل المعطيات

الحضارية علما وفنا وأدبا ونظام دولة واقتصادا واجتماعا . لن نوغل فى التاريخ لنعرض لكل ذلك او حتى لبعضه فهو كثير تحفل به قصة الحضارة نفسها . ويسجله كتاب التاريخ وانما سنبدأ من فترة قريبة نسبيا للاذهان . فالى شمال الاندلس وصل المد الاسلامى القادم من الشرق فى وقت كان فيه الغرب ضائعا فى ظلمات القرون الوسطى وتحولت الاندلس الى نقطة اشعاع حضارى اسلامى منها تعلم الغرب الكثير فى مختلف نواحى الحياة من ابسط قواعد السلوك الى اعقد نظريات العلم لقد احيت جامعات الاندلس وعلماؤها ما كاد يغيبه التاريخ من تراث اليونان والرومان عبر جسر من التعاون الوثيق مع علماء المشرق واضافوا اليه الكثير من الانجازات والابتكارات ثم قدموا كل ذلك بسخاء لطلاب العلم الذين شدوا الرحال الى الاندلس من كل ارجاء الغرب المظلم فى كل اوروبا المتخلفة وعندما سلب الغرب كل علوم الشرق وعندما وصل المد الاسلامى الى فترة الاسترخاء بدأت الهجمة الغربية مسلحة بالعلوم الشرقية وحتى بالاسلوب نفسه . فعندما اطلت الحضارة العربية على اوروبا والعالم تقدمت تحت راية الاسلام وعندما بدأت الهجمة الغربية على الشرق فى الحروب الصليبية شرعت راية الصليب وضللت رجل الشارع الاوروبى بأنها انما تزحف لنشر المسيحية بينما الكل يعرف اليوم ان الحملات الصليبية انطلقت لسلب خيرات الشرق وان الوعود كانت تقدم للقادة والجنود بأن من اراد ان يحقق الثراء فلينخرط فى حملات الشرق .

وتقدم الزحف الصليبى الى آسيا الصغرى ثم الشام يحطم ويسحق ويبتز وينقل الى اوروبا الجائعة خيرات الشرق ثم تكسرت الموجات موجة اثر موجة وبدأت هجمات جديدة عندما جردت البرتغال اساطيلها لفتح طرق التجارة مع الشرق ولم تر شعوب المنطقة منهم علما ولا فنا وانما لاقت منهم الأمرين قتلا وتعذيبا وسلبا ونهبا وجاء الهولنديون وما كان لهم اى اهتمام الا بالتجارة سواء فى تصريف منتجاتهم فى اسواق الشرق او فى نقل ثروات الشرق الى بلادهم ثم تجمع الطامعون وتنافسوا

وبدات الهجمات وجاء الاستعمار العسكرى ومناطق النفوذ وبرز الانجليز والفرنسيون والاسلوب هو الاسلوب فاذا ما تفجر النفط جاء عصر الامريكان واخذوه بثمن بخس .

مسلسل طويل يقوم على كلمة واحدة (الأخذ) حتى عندما تفجرت الثورة العلمية والتقنية واوغل الشرق فى تخلفه قدموا له من افرازات هذه الثورة اسوا ما انتجته وسيلة واداة غير مباشرة لسلب ما بقي لديه من قيم فى الدين والاخلاق والسلوك .

هذا يحكيه التاريخ لمن يحب ان يقرا التاريخ ، هدف واحد كبير هو (الاخذ) وكان لابد لتحقيق ذلك ان تواكبه بالطبع مجموعة من الاجراءات اكملت كل ابعاد الصورة الكئيبة . فلكي يتحقق الهدف الكبير لابد ان يصبح الشرق ممزقا وان تتحارب دولة ويتقاتل ابناؤه وتتصارع زعاماته لابد ان تتواصل الحروب الاقليمية وان تغرس بذور الشقاق والبغضاء والكره لابد ان تتفرق الكلمة والا يسمح بقيام كيان واحد تحت اى ظرف من الظروف لابد ان يمنع الشرق من استعادة اعتماده على نفسه وان يظل اسير الحاجة الى الغرب ابتداء من حبة القمح الى الطائرة والصاروخ . صورة واحدة تتكرر على الساحة الفسيحة للشرق ابتداء من اقاصى الشرق الاقصى الى اقاصى المغرب العربى ونزولا الى اعماق افريقيا السوداء .

فى العصور التى سادت فيها حضارات الشرق شهد العالم ازهى عصور امنه وهنائه . وكانت ثمار كل حضارة متاحة للكون كله تدفع بالانسانية قدما للأمام . وتمنح عطاءها للجميع بلاتمييز لم تغلق حدود . ولم تقم سدود وكان العلماء يأتون من كل فج لمراكز الاشعاع يتعلمون وينقلون كل ما تعلموه الى كل ارض ووجدت حروب - والحرب سليقة فى الانسان ، ولكنها كانت حروبا تسودها روح الفروسية سيف لسيف ورمح لرمح ووجدت تجاوزات والشر طبيعة عند البعض - ولكنها تجاوزات انحصرت فى بقع محدودة هنا او هناك اما فى العصور التى سادت فيها حضارات الغرب فقد شهد العالم ويشهد فلسفة جديدة

للقهر فمن يملك العلم يتمتع بالعلم وحده وما يتوصل اليه الغرب من جديد هو سر الاسرار يحتفظ به الغرب لنفسه ولا يكشف منه الا ما اصبح غير ذى نفع والا اذا اصبح لديه ما هو اكثر منه تطورا ومن يملك الباس والقوة يملك كل شيء والقوى وحده هو من له حق السعادة وحق الحياة واسرار العلم واسرار التكنولوجيا لاصحابها فقط وللآخرين الفتات . والحرب فزع وخوف للكون كله اسلحتها سموم وجراثيم تفتك بالمدن والقرى والمزارع والبساتين والينابيع والانهار والأمن - اذا كان هناك ثمة أمن - للقوى الكبرى فقط اما الكون اما الانسانية اما العالم فله الخوف والرعب من دمار إذا وقع فلن يبقى ولن يذر ولن يدع اخضر ولا يابسا . توتر وتوجس نسف فى اعماق الانسان كل شعور بالأمن حتى على المستقبل القريب . ملايين الاطنان من الطعام تلقى فى المحيط وملايين الانفس تموت كل صباح من الجوع .

صورتان متناقضتان تمام التناقض تعكسان ما قدمه الشرق للانسان عندما سادت حضارات الشرق وما يقدمه الغرب للانسان عندما سادت حضارات الغرب عطاء من هنا واخذ من هناك اضافات من هنا وسلب من هناك .

ترى ماذا سيكتب مؤرخو الحضارات بعد الف عام وهم يقومون حضارات هذا العصر الكئيب . وكيف سيكون الحكم فى محكمة التاريخ سؤال لن تعرف اجابته الا بعد الف عام .

عبدالله بن خالد آل خليفة

صورة من الحرب الدبلوما

حول الخليج في النصف

الشيخ عبدالله بن أحمد وخورشيد باشا

دراسة تحليلية
حول العلاقات
السياسية بين
مصر والبحرين

١٨٣٩ - ١٨٤٠

بين المصريين والإنجليز

أوائل من القرن التاسع عشر

لفت انتباه الباحث من خلال الوثائق التاريخية ، ان الفترة من ١٨٣٩ الى ١٨٤٠ ، شهدت توترات بين المصريين والانجليز حول الخليج ، وكانت رغم قصر مدتها ، مليئة بالاحداث والتطورات المتلاحقة .

وقد اشارت اليها الوثائق والمراجع الاجنبية بصورة تختلف عما جاء في بطون الوثائق المصرية ، مما جعل الباحث يشعر ان هناك حقيقة تاريخية غير واضحة او مشوهة .

ومن جانب اخر ، لاحظ ان هذه القضية ، رغم اشارات الباحثين اليها بصورة او باخرى ، في حاجة الى الدراسة الاكاديمية والتحليل العلمي ، ومناقشتها بشكل متكامل في اطار منهج البحث التاريخي

وهنا برزت الصعوبة امام الباحث . فقد تطلب منه الموضوع ، ضرورة دراسة الاسباب التي ادت الى تلك التوترات ، فهل كانت تلك الاسباب تكمن في علاقات مصر مع بلاد الخليج ، ام في غيرها ، ومن ثم صار العبء مضاعفا وشاقا .

ولتعدد تلك البلاد ووجهات نظر زعمائها ، تجاه المصريين والانجليز ، رأى الباحث أن يركز في الدراسة على معالجة علاقة

بقلم : د . تمام همام تمام
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك
بجامعة القاهرة والمعار لجامعة البحرين

مصر مع البحرين حيث ابرمت اتفاقية تعاون رسمية بينهما ، كانت انطلاقة الى محاولات جادة لتكوين علاقات متميزة بين مصر وبلاد الخليج العربية الاخرى . ومعرفة الهدف من تلك العلاقات . والنظرة المستقبلية اليها من كلا الطرفين . وموقف الانجليز من ذلك التقارب بين المصريين والخليج .

ثم دراسة ما اذا كانت هناك صلة بين العلاقات المصرية الخليجية وقتذاك - وبين العلاقات الدولية عامة والمصرية العثمانية خاصة . ودور الانجليز فيها ، ومعرفة النتائج التى ترتبت على كل ذلك بالنسبة لكل الاطراف في الخليج .

ويرجو الباحث ان يكون قد وفق في معالجة الوثائق الرسمية ، وابراز الحقيقة التاريخية التى تقطع الشك باليقين منها ، حول تلك القضية . التى تعد من وجهة نظره (تجربة) في تاريخ الخليج الحديث خاصة وتاريخ العالم العربى بوجه عام ، بروح محايدة ، وعاطفة مجردة ، من كل انانية ، من منظور رؤية جديدة في معالجة الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة ، وان يكون ، ما جاء في هذا البحث تصحيحا أوردا على مغالطات الاخرين ، واضافة اخرى لاثراء المكتبة العربية

واذا كان البحث كما ذكرت يدور حول العلاقات المصرية الخليجية فلابد من الاشارة الى ان الدولة العثمانية في هذه الفترة كانت قد اصبحت مجرد سلطة اسمية ولم تكن لها سيطرة على رسم السياسة الخارجية بالنسبة لمصر بالذات .

اسقط محمد علي حاكم مصر ، الدرعية ، عاصمة ، الموحدين ، في عام ١٨١٨ ، واطلت قواته على مياه الخليج . ولكن سرعان ما انسحبت تلك القوات من شرق الجزيرة العربية ، مما اتاح الفرصة للموحدين ان يعيدوا نفوذهم من جديد في تلك الجهات

وبعد ان وقع محمد علي اتفاقية «كوتاهية» مع الدولة العثمانية في عام ١٨٣٣ ، التي اكسبته نفوذا سياسيا ، واقاليم جغرافية ، وقوة دولية ، صار يتطلع الى اتمام مشروع الدولة الحديثة ، بشكلها الجغرافي الواسع ، وذلك بضم ما يمكن ضمه من بلاد تشارك مصر في الدين

الاسلامي واللغة العربية ، وقد تطلبت الضرورة ، اعادة سيطرته على شرق شبه الجزيرة العربية ، واحتواء بلاد الخليج العربية ، بصورة او بأخرى في اطار تلك الدولة [1] فارسل قوة عسكرية ، برئاسة الامير «خالد بن سعود» و«اسماعيل اغا» الى نجد ، ولكن الامير «فيصل بن سعود» تمكن من ان يحقق عدة انتصارات على تلك القوة ، فاضطر «محمد على» ان يوجه «محمد خورشيد باشا» ليرأس القوة العسكرية بدلا من اسماعيل اغا ، وسرعان ما سيطر خورشيد ، على نجد والاحساء ، وعين «محمد افندي رفعت» حاكما على الاحساء ، لتنفيذ السياسة العامة التي رسمها حاكم مصر تجاه البلاد التي خضعت له ، وذلك بتطبيق الاساليب الحديثة ، واقرار الامن ، ونشر العدالة ، والنهوض بالمجتمعات ، الجديدة كما كان يحدث فى مصر وكانت قلعة الدمام فى ذلك الوقت تحت سيطرة الشيخ «مبارك بن عبدالله بن احمد آل خليفة» حاكم البحرين ، وكان من موقعها يسيطر على سواحل القطيف[2] .

وقد لاحظ خورشيد ، العلاقات التي تربط بين البحرين وسواحل الاحساء والقطيف ، ومن ثم رأى ، ان الوجود البحريني في الدمام وتلك السواحل ، يتطلب وجود علاقات واضحة ومحددة ، مع الادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية ، خاصة وان بعض المعارضين لتلك الادارة ، كانوا يلجأون الى تلك السواحل ، ويتجهون الى البحرين ، كما فعل «عمرو بن عفيصان» عامل الموحدين فى الاحساء .

وكان خورشيد ، قد وقف على اهمية البحرين ، وتطلع القوى المتنافسة في الخليج ، خاصة الانجليز اليها ، بسبب موقعها الاستراتيجي في قلب الخليج ، وامتلاكها اسطولا بحريا جيدا ، يشمل العديد من السفن التجارية والعسكرية بجانب مواردها الاقتصادية المتعددة ، مما يجعلها ، تفوق غيرها من حيث الرخاء المادي ، وجعلها أقرب بلاد الخليج العربية الى نظام المجتمع الحضري ، يضاف الى كل ذلك أنه ليس لها مطامع اقليمية ، بل كانت هي مطمعا لغيرها ، من القوى المحيطة بها لتلك المميزات .

والواقع ان هناك دوافع اخرى ، رأى خورشيد ، بعد تقديرها ، ضرورة ايجاد علاقات مع حاكم البحرين ، لعل اهمها ما يلي :

١ ـ الاستفادة من البحرين لتدعيم الوجود المصري في شرق الجزيرة العربية .

٢ ـ طبيعة شعبها وتراثه الحضاري المميز اللذان يجعلان من الممكن تقبلها مسألة التحديث بسهولة .

٣ ـ ان تكون البحرين فاتحة البداية ، في محاولة ، ليجعل منها ومن بلاد الخليج العربية اقليما واحدا متماسكا ، من منطلق النظرة المصرية الواحدة ، لكل تلك البلاد .

٤ ـ ان تصبح بلاد الخليج العربية الموحدة ، بمثابة الظهير ، الذي تستند عليه الدولة الحديثة ، ومن ثم يمكن حمايته من الخطر الانجليزي ، خاصة وان القوة العربية او الفارسية او حتى العثمانية ، لم تتمكن من وضع حد لتصاعد النشاط البريطاني في الخليج

٥ ـ ان يصير الخليج بحيرة عربية اسلامية خالصة ، كما صار البحر الاحمر بحيرة مصرية عربية الى حد كبير .

٦ ـ محاولة ايجاد نوع من التكامل بمعناه الواسع ، لافادة سكان البلاد جميعا ، مثل الذي كان يطبقه محمد علي في مصر والسودان ، خاصة وان مصر صارت تجني ثمار مشروعات التحديث في الزراعة والصناعة والري والتجارة والتعليم وغيرها ، مما عاد عليها بفوائد عظيمة .

ونظرا للارتباط بين قلعة الدمام والبحرين ـ كما ذكرنا ـ فضلت الادارة المصرية ، عدم محاربة الشيخ مبارك ، للاستيلاء على قلعته ، وانما اصدر خورشيد اوامره ، بان يقوم «محمد افندي رفعت» حاكم الاحساء ، بزيارة ودية للشيخ عبدالله بن احمد حاكم البحرين ، ليقف منه على مدى استعداده للتعاون او الدخول في دائرة الدولة الحديثة ، وفي الوقت نفسه ، ليعرف منه الاسباب التي دفعت الفرس والانجليز ، لاتصالاتهم معه ، وموقفه هو ـ أي حاكم البحرين ـ منهم .

وكان خورشيد يرى انه لا بأس من ان تظل قلعة الدمام في تلك الفترة ، تحت سيطرة الشيخ مبارك ، ريثما تتضح الامور ، وما تسفر عنه زيارة حاكم الاحساء لشيوخ البحرين من نتائج .

وقد قام محمد افندي رفعت بزيارة الى البحرين في ٢٦ يناير ١٨٣٩ ، وطرح وجهة النظر المصرية على شيوخها ، وخلاصتها

١ ـ ان تتعاون البحرين مع الادارة المصرية

٢ ـ عقد اتفاقية (معاهدة) بين مصر والبحرين .

٣ ـ تدفع البحرين الزكاة وهي قدر قليل من المال[٣]

٤ ـ النظر في مسألة جزيرة تاروت وقلعة الدمام[٤] .

٥ ـ تسليم عمرو بن عفيصان الذي كان قد هرب من الاحساء ولجأ الى حاكم البحرين[٥] .

وتنطق الوثائق الرسمية أن حاكم البحرين لم يستجب لوجهة النظر

المصرية بسرعة . وانما فضل كعادة حكام البحرين ، اتخاذ القرار ، بعد دراسة مستفيضة ، وبعد فترة من التأني ، خاصة ، اذا كان القرار ، يتعلق بوضع البلاد السياسي(٦) .

وفي الحقيقة كان الشيخ عبدالله بن احمد ، يتتبع اخبار التحركات المصرية في شرق الجزيرة العربية ، منذ استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية ، ولعله كان يتوقع تطلعات محمد على الى البحرين ، نظرا للارتباط بينها وبين الاحساء(٧) .

لذلك حين عادت القوات المصرية مرة ثانية الى شرق الجزيرة العربية بقيادة خورشيد ، ازداد الشيخ قلقا من ان تخضع تلك القوات البحرين بالقوة(٨) ، خاصة وان هناك شائعات ، صارت تتردد هنا وهناك ، عن فظائع ، كانت ترتكبها تلك القوات ضد السكان(٩) .

ولعل الذي كان وراء تلك الشائعات ، هم الاشخاص الذين فروا من وجه خورشيد ولجأوا الى البحرين امثال عمرو بن عفيصان ومحمد بن سيف العجاجي حاكم القطيف السابق وغيرهما ، ولا نستبعد ان يكون للانجليز في الخليج دور في ترويج تلك الشائعات ، كما يروجون امثالها في سوريا ولبنان ضد الوجود المصري هناك .

ومن ناحية اخرى كان حاكم البحرين ، يخشى حدوث تفاهم بين محمد على والسيد سعيد سلطان مسقط ، على حساب بلاده(١٠) فرأى الشيخ عبدالله بن احمد قبل ان يتخذ اي خطوة مع خورشيد ، وحتى لا يكون مردودها ضده وضد شعبه ، ان يجس نبض القوى المتنافسة المحيطة ببلاده ، فكتب الى «هينل» المقيم السياسي البريطاني في الخليج ، حول هذه القضية ، فأبلغه المقيم ، بأنه لا يستطيع ان يقدم له رأيا محددا بشأن ما يقترحه من ارسال احد اقربائه لمقابلة خورشيد في الاحساء ، واشار عليه ، انه يجب ان يتحمل المسئولية بنفسه ، وان يكون هو الفيصل في اموره(١١) ولا مانع من عقد صلح مع خورشيد باشا ، وان الانجليز سينظرون في هذه المسألة فيما بعد(١٢) .

وان كان هينل ، يرى في الوقت نفسه ، حسب رأيه المرسل للحكومة الانجليزية في بومباي ان تكون البحرين مستقلة ، حفاظا على السلام في الخليج ، وابداء النصح بطريقة أو بأخرى لخورشيد باشا ليكف عن تهديده لها وتركها وشأنها(١٣) .

وبناء على ذلك ، تمكن حاكم البحرين ان يقطع خط الرجعة على الحكومة البريطانية ، اذا اقدم على شيء مع مصر ، وان يتخذ من خطاب هينل ، سندا له في المستقبل ، وكان -

اي شيخ البحرين ـ قد كتب ايضا في ذات الوقت ، حول تلك المسألة الى الامير الحاكم في شيراز ، وقد رحب ذلك الحاكم بتلك المبادرة من جانب حاكم البحرين . وارسل اليه مبعوثا من قبله ، هو «حاجي قاسم» ليقيم في البحرين[14] .

ويبدو ان حاكم البحرين ، لم يكن يتوقع ، استجابة الحاكم الفارسي له بتلك السرعة ، وانما كان على الارجح ، يريد ان يعرف موقفه من التطلع المصري تجاه البحرين ، لانه لم يكن ـ كما جاء في الوثائق الرسمية ـ على استعداد ان تخضع بلاده للحماية الايرانية[15]

ولذا أخذ يدرس الموقف من جميع جوانبه ، ولعل النتيجة التي توصل اليها كانت كالآتي

١ ـ ان الانجليز قد تخلوا عنه او على الاقل تغاضوا عن مساعدته .

٢ ـ عدم الاطمئنان للحماية الفارسية ، لاعتقاده بعدم قدرة الفرس على مساعدته اذا لم يتوصل الى اتفاقية مع خورشيد ، وهجمت قواته على بلاده[16]

٣ ـ سمعة محمد علي في العالم الاسلامي ، وتعامله مع الدول الاوروبية بقوة ، فاقت تعامل دولة الخلافة العثمانية نفسها مع تلك الدول[17]

٤ ـ عدم صحة الاتهامات التي الصقت بالادارة المصرية في نجد والاحساء ، وتعامل الادارة والقوات المصرية مع القبائل العربية بالحسنى[18] .

٥ ـ الوصول الى قناعة ، ان التعاون مع محمد على ، يحمي البحرين من اطماع القوى المتربصة بها في الخليج[19] .

٦ ـ الاستفادة من تجربة النظم الحديثة التي يطبقها محمد على في مصر ، والتي ظهرت نتيجتها في نهضة متكاملة شملت جميع مرافق البلاد[20] .

كل ذلك بشرط ان لا يترتب على التقارب مع مصر ، خلل في استقلال البحرين وسيادة آل خليفة عليها .

وعلى ضوء ذلك ، ارسل حاكم البحرين الى خورشيد ، يعبر له عن رغبته في عقد اتفاقية تعاون ومصالحة مع محمد علي ، ولكي يذكره ، ان البحرين ، مستقلة ويجب ان تظل مستقلة ، اوضح له ، ان بلاده لم تخضع لاي من الفرس او الانجليز ، ثم اشار الى مسألة الاموال المطلوبة ، حيث طلب افادته عن مقدار الزكاة التي يجب ان تدفعها البحرين ، ونوه الى ضرورة الوقوف معه ضد تطلعات سلطان مسقط ، وان يحصل على (امان) من السلطة المصرية في المنطقة[21] .

وقد اسرع خورشيد بالرد على

حاكم البحرين ، لانه كان شديد الرغبة في ايجاد علاقات مع البحرين ، عسى ان تكون بادرة ايجابية ، يقتدى بها زعماء بلاد الخليج العربية ، فعبر في رسالته ، ان الهدف ليس الحصول على اموال ، لان المطلوب مبالغ بسيطة كرمز للمساهمة في مصروفات الجنود وموظفي الادارة ، واضاف ان مصر ، رغم علاقاتها الطيبة مع سلطان مسقط ، الا انها لن تسمح له بالهجوم على البحرين ، فهدف مصر هو التعاون مع البحرين ، خوفا من سقوطها في ايدي الانجليز او غيرهم[٢٢] .

وانتهز محمد افندي رفعت ـ حاكم الاحساء ـ هذه الفرصة ، خاصة وان الانجليز اخذوا ينشطون ضد التقارب بين مصر والبحرين ، وخوفا من ان تحدث ضغوط على الشيخ عبدالله ، فكتب الى الشيخ مبارك في قلعة الدمام ، ليطلب من والده ، تحديد موعد معه ، للنظر في امر علاقات البحرين بالادارة المصرية[٢٣] .

والواقع ان خورشيد ، كان شديد القلق على البحرين ، ولم يسترح لعدم حصول مبعوثه حين زارها في ٢٦ يناير ١٨٣٩ ، على رأي قاطع من جانب حاكمها ، وكان خورشيد ، يعزو ذلك الى ضغوط خارجية على الشيوخ ، اما من جانب والي بغداد[٢٤] ، او من جانب الانجليز ، لدرجة انه اخذ يفكر ، اذا رفض حاكم البحرين ، عقد معاهدة مع مصر ان تظل مستقلة تحت سيادة آل خليفة[٢٥] ، وان على مصر ان تتحمل مسئوليتها ، لكونها اكبر قوة عربية اسلامية ، للحفاظ على استقلال هذه الجزيرة ، بصورة أو بأخرى ، وكان في ذات الوقت يأمل ان يحدث التعاون لاسباب منها :

١ ـ يكون تدخله عسكريا في البحرين مشروعا ، طبقا للاتفاقية ، اذا حدث هجوم عليها من هنا او هناك .

٢ ـ يعني اشهار الاتفاقية ، ان ترفع كل الاطراف المتنافسة في الخليج ، يدها عن البحرين .

٣ ـ اشعار القوى المتصارعة والمتطلعة الى البحرين ، ان هجومها عليها يعني الهجوم على الوجود المصري ذاته في شرق الجزيرة العربية .

لذلك عندما وصله كتاب حاكم الاحساء ، الذي تضمن موافقة شيخ البحرين على عقد المعاهدة ، وتحديد موعد لمقابلته في «خوير حسان» بساحل قطر ، حيث كان الشيخ يقيم هناك في تلك الفترة ، عبر خورشيد عن شديد ارتياحه لهذه الخطوة من جانب حاكم البحرين[٢٦] .

وفور وصول محمد افندي رفعت الى خوير حسان ، بدأت المباحثات بينه وبين الشيخ ، وكانت على جانب كبير من الاهمية ، اذ لم يترك الشيخ احتمالا الا وطرحه امام المبعوث

المصري ، وكان ينصت باهتمام بالغ لاجاباته عليه ، ومحاولة استجلاء ما هو غامض منها ، ووضح من سير المباحثات ان الشيخ كان في غاية الحرص على وضع بلاده السياسي ، فعندما تطرق الحديث ، لمسألة الاتصالات التي جرت مؤخرا بينه وبين كل من حاكم فارس والانجليز ، تشير الوثائق الرسمية ، الى ان حاكم البحرين ، قدم لمبعوث خورشيد ، ثلاث مكاتبات وردت اليه من فارس ، وكان خطابان من الثلاثة من طرف حاكم «بوشهر» ، يتضمنان دعوة الشيخ الى ان تكون البحرين تابعة لفارس ، ويتعهد بحمايتها من القوات المصرية ، وغيرها ، اذا حدث هجوم عليها ، وكان الخطاب الثالث عبارة عن (فرمان) من طرف «محمد زاده» وكيل «محمد شاه» حاكم ايالات خراسان ، يدعي فيه ان جزيرة البحرين من الاملاك الفارسية ، ويطلب من حاكم البحرين ان يعين مندوبا عنه ، لاجراء المفاوضات مع وكيله - حاكم بوشهر - الذي لديه كل الصلاحيات لعقد معاهدة مع حاكم البحرين(٢٧) .

ولعلنا نتساءل ، ما هو السر ، وراء ارسال ذلك الفرمان لشيخ البحرين وطلب عقد معاهدة معه ، هل كان الدافع من وراء ذلك ، هو ضم البحرين لفارس ، لتجعل منها ، خطا اماميا ، تحسبا لتطلعات محمد علي الى الخليج ، ام كانت فرصة مواتية لفارس للاستيلاء على البحرين .

في الواقع ، كما تشير الوثائق الاصلية ، فان محمد علي ، لم تكن له تطلعات ضد فارس على الاطلاق ، وبالتالي لم تكن في ذهن خورشيد فكرة التقدم الى الاملاك الايرانية ، كما ان الفرس انفسهم ، كانوا يدركون ذلك جيدا ، حيث يقول حاكم خراسان كما جاء في الفرمان « .. واما من جهة الملك المفخم والدستور المعظم ، سعادة محمد على باشا ، فهو صاحب ملك عظيم وجاه جليل ، ولا يناسب مقامه التعدى على شيء من ممالكنا ..»(٢٨) .

وعلى ذلك نستطيع القول ونحن مطمئنون ، ان هدف حاكم خراسان كان ضم البحرين ، لتحقيق رغبة دفينة لدى ايران ، لذا فان شيخ البحرين حين اطمأن الى سلوك الادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية ،لم يستجب لحاكم خراسان ولم يرد حتى على خطابه(٢٩) .

ومن ناحية الانجليز ، فكما ذكرنا سابقا ، فان الشيخ ، اجرى معهم اتصالا بهدف معرفة موقفهم من الوجود المصري وتطلعه الى بلاده ، واعترف الشيخ لمبعوث خورشيد ، انه بعد تردد اخبار التعاون المنتظر بين مصر والبحرين صار الانجليز ، يلاحقونه بالمراسلات والاتصالات ،

بهدف الابتعاد عن مصر والارتباط بالسلطة الانجليزية في الخليج .

وهنا ادرك المبعوث المصري ، خطر محاصرة الانجليز لشيخ البحرين ، وخشى من زيادة ضغوطهم عليه ، فأخذ يقنع الشيخ ، ويوضح له الهدف من الوجود المصري في شرق الجزيرة ، ويطلب منه معرفة وجهة نظره ، نحو نوع العلاقة مع مصر ، حتى يمكن عرضها على خورشيد[٣٠] .

ويبدو ان الشيخ بعد تفكير ، صارح المبعوث المصري ، بانه يفضل عقد معاهدة صلح وتعاون مع مصر ، خاصة ، بعد ما ثبت حسن معاملة المصريين لاخوانهم ، وانه لا يرغب في ان يرتبط مع الانجليز ، لانهم على غير ملة الاسلام ، ولا يحمونه اذا وقع هجوم على بلاده ، ويخشى الارتباط بالعجم لأطماعهم[٣١]

وطلب حاكم البحرين من «محمد افندي رفعت» امانا مكتوبا ، من قبل خورشيد ، واثباتا بأنه ـ محمد افندي رفعت ـ مفوض من طرف خورشيد ، بعقد المعاهدة .

والواقع ان طلب الامان ، يحتاج الى وقفه ، فلماذا طلبه شيخ البحرين ، وقد ثبت له ان معاملة الادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية ، مع القبائل ، تسير على خير الوجوه ، فهل كان الشيخ ، لا يزال يرتاب في محمد علي ، ويتوجس خيفة من خورشيد ، لان لفظ «امان» في اللغة ، يعني ضد الخوف ، وبأنه عقد يفيد ترك القتل والقتال

فنعتقد ان حرص شيخ البحرين على بلاده ، جعله يتسلح بكل شيء لازم وممكن ، خاصة وان عهد الامان ، يزيد من اواصر التعاون ، ويعمق التفاهم والمودة بين الطرفين[٣٢] .

ويبدو ان خورشيد ، كان قد عمل حسابه لمثل هذه الامور ، فزود مبعوثه بكل الاوراق التي يمكن الاحتياج اليها ، لتسهيل مهمته ، اذ سرعان ما ابرز المبعوث للشيخ عبدالله ، امرا محررا من خورشيد ، موجها الى الشيخ[٣٣] ولكن الشيخ اراد ان يطمئن اكثر ، وذلك باعطائه ورقة امان بختمه ، ولم يتردد محمد افندي رفعت ، وقدم له الامان التالي

«من خورشيد باشا سر عسكر نجد الى الجناب المكرم عبدالله بن احمد آل خليفة .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد الذي نعرفك به اننا اعطيناك (امان) من طرفنا ، امان الله ، واماننا ، وامان افندينا محمد على باشا ، على اموالك وحلالك ورعيتك ، وان امر البحرين في يدك او وكيلا الذي (تحطه) ـ اي تختاره من طرفك على الاتفاق ، والعهد الذي يصير بينك وبين محمد افندي معاوننا ووكيلنا ومن حيث انه «وكيلا مفوضا»

من طرفنا في ربط الامر معك ، كما اتفقت انت وهو عليه ، وعاهدته عليه ، فهو ماشي عندنا ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه والله على ما نقول وكيل ...»[٣٤]

عندئذ ارتاح حاكم البحرين ، بعد ان تسلم ذلك الامان ، الذي ارتكز على اسس اسلامية . ولم يلبث الشيخ والمبعوث ، ان وقعا المعاهدة . وتم تبادل النسخ الموقعه[٣٥] الامر الذي اكسب المعاهدة الصفة الرسمية[٣٦]

ويعد توقيع الاتفاقية (المعاهدة) بعث الشيخ عبدالله بن احمد رسالة الى خورشيد ، جاء فيها « فقد صار الصلح بيننا وبينكم على يد محمد افندي . وعلى ان نحن نعادي من عاداكم ، ونوالي من والاكم ، وانتم كذلك ونؤدي لجنابكم الزكاة ، كما هو مذكور في الورقة التي كتبناها لجنابكم ، ولصلتكم معه ، واخذنا منه ورقة مقابلها باسمك ، وورقة اخرى من جنابه على ربط الجواب بالعهد . وصار حالنا معكم حال واحد ان شاء الله تعالى (ماتشوفون) منا الا ما يسر خاطركم ، بحول الله وقوته وانت سالم والسلام»[٣٧]

والواقع ان هذه الرسالة لها مكان من الاهمية في هذه القضية ، فهي تأكيد من احد الطرفين على توقيع الاتفاقية ، مما يقطع الشك باليقين على اتمامها[٣٨]

ويتضح من دراستها وتحليلها ، ان البحرين دخلت في اتفاقية تعاون مع مصر ، خاصة في مجال الدفاع ، وبمعنى اوسع في اتفاقية سياسية عسكرية ، «نعادي من عاداكم ، ونوالي من والاكم وانتم كذلك» ، فكان على مصر ، والحالة هذه ، ان تتحمل مسئوليتها السياسية والحربية ، ضد اي اعتداء على البحرين ، وكان على البحرين ، ان تقف ايضا بامكانياتها خاصة العسكرية ، مع مصر ، وبمعنى اخر يكون الدفاع ضد عدو احدهما مشتركا بين الطرفين .

وهنا نتساءل ، هل تعني هذه الاتفاقية ، حماية مصرية على البحرين كتلك التي استخدمتها الدول الاستعمارية في مستعمراتها في العصر الحديث ، او حتى من الممكن ان تحمل في طياتها نوعا من الحماية المستترة ، مثل معاهدات الصداقة والتحالف التي صارت تعقد بين الدول الكبرى وبين الدول الصغرى منذ الحرب العالمية الاولى .

في الواقع اذا تعمقنا في تحليل هذه الاتفاقية ، لا نستطيع القول انها كانت معاهدة حماية ، لوجود « . وانتم كذلك» فقد كان حاكم البحرين حذرا جدا ، وكان موقفه مع مصر ، مبنيا على اساس من الاقتناع التام بتلك العلاقة الجديدة ، وحمل مصر ذات المسئولية التي القيت على عاتق

الإتفاقية البحرينية المصرية توافق رغبة البلدين في مواجهة الخطر الخارجي

بلاده فاذا كانت الاتفاقية تعني حماية ـ تجاوزا ـ او حتى ما شابهها ، فان مسألتي الدفاع والشئون الخارجية تكونان من مسئولية مصر ، وتكتفى البحرين بدفع الزكاة ، وهذا لم يرد في الوثائق الرسمية المتعلقة بهذا الموضوع

كما ان مسألة الزكاة ، قد عبر عنها خورشيد ، بانها لا تشكل اهمية بالنسبة لعقد الاتفاقية ذاتها ، لانه كان يرى من تعاون البحرين معه ، ما يسهل عليه الانطلاق الى بلاد الخليج العربية ، والسيطرة على هذا الممر المائي الاستراتيجي لاتمام تكوين الركن الشرقي من الدولة الحديثة .

فقد ارسل الى حاكم البحرين يقول له « ان الدراهم ، ان كثرت او قلت ، ليس لها حساب ، وان الهدف ليس الحصول على «فلوس» وانما الهدف هو «الاصلاح وتمشية السبل»

و«المساعدة على الاشغال» «ويكون نحن وانتم حال واحد»(٣٩)

لذلك لا يجب ان نردد قول الاخرين بان دفع البحرين للزكاة كان يعني التبعية او الحماية المصرية عليها ، بمعناهما اللفظي الاستعماري ، وانما الهدف كان .

١ ـ لتوثيق العلاقة وتوطيدها مع مصر ، وحتى تتمكن الاخيرة من تصدير الانظمة الحديثة اليها ، وبالتالي يشهد المجتمع نهضة حضارية في اطار المفاهيم الاسلامية .

٢ ـ اشعار حاكم البحرين وزعماء البلاد التى ارتبطت بمصر ، بان الحكومة المصرية صارت بمثابة الحكومة العربية «الام» التي من حقها جمع الزكاة وغيرها لانفاقها على مختلف الوجوه

وكان شيخ البحرين قد تعهد بدفع ثلاثة الاف ريال سنويا للادارة المصرية في شرق الجزيرة العربية(٤٠)

وحين لاحظ خورشيد ، ان الشيخ ليس مرتاحا لمسألة الزكاة ، امر بتركها له يتصرف فيها لصالح بلاده[٤١]

شروط اتفاقية التعاون :

بعد ان تم توقيع الاتفاقية بين حاكم البحرين والمبعوث المصري ، رأى الاخير ، ان يضم اليها ملحقا ، يشمل شروطا ، لتنفيذها والعمل بها وعدم مخالفتها ، ودارت المباحثات حول هذه الشروط ، التي تمت الموافقة عليها برضا الطرفين[٤٢] . وكان منها ما يلي

اولا

ذكرنا سابقا ، ان الشيخ مبارك بن عبدالله ، كان اميرا على قلعة الدمام ، وبعد ابرام المعاهدة ، كان يهم المفاوض المصري ، ان تستقر الاوضاع في المنطقة ، ويسود الامن ، حتى تتمكن الادارة المصرية في ذات الوقت ، من النظر الى بلاد الخليج العربية

وكان عرب الهواجر[٤٣] ، وبعض عرب العماير ، لا يزالون يقيمون في القطيف ، ويدينون بالولاء للشيخ مبارك ، وكان المبعوث المصري ، على علم ، بعدم ارتياح نفر من هذه القبائل للوجود المصري في تلك الجهات ، لذلك ، لم يستبعد ان تمارس بعض هذه القبائل اعمالا تهدد الاستقرار والامن وقد يمتد اثر ذلك الى السكان ويهدد القيادة المصرية ذاتها في الاحساء[٤٤] . فرأى المفاوض المصري ، ان الحكمة تقضي بان يتكفل الشيخ مبارك ، بالمحافظة على سير الامور واقرار الامن ونشر العدالة وان يراقب سلوك هذه القبائل وان يكون له الحق في طردها من القطيف اذا خرج افرادها على قواعد النظام

ويتضح من هذا النص ، ان المبعوث المصري بجانب انه حمل الشيخ مبارك ، مسئولية اقرار النظام ، حتى ينعم الجميع بالهدوء ، كان بقاؤه ـ اي الشيخ مبارك ـ اميرا على القلعة ، في حد ذاته اعترافا به من القيادة المصرية ، الامر الذي يكسبه قوة ، يستخدمها ضد اعدائه ، ولكن يبدو ان المفاوض المصري استدرك عاقبة الامور ومن ثم لم يترك الحبل كلية على الغارب في يد الشيخ مبارك ، حتى يشعره ان الادارة المصرية حريصة ويقظه ، وحتى لا يتصرف في شيء من الامور الهامة ، التي ربما تأتي بنتائج غير محمودة ،

دون الرجوع الى تلك الادارة ، فمثلا ، شمل النص ان لا يوافق الشيخ مبارك على عودة اي شخص من عرب العماير الذين فروا الى سلطنة مسقط ، بعد ان هدمت قوات «محمد على» قلعتهم في «عنك» على ساحل الاحساء ، دون الحصول على اذن من الادارة المصرية .

ويلاحظ ان هذه الفقرة تشمل نوعا من التحذير لامير قلعة الدمام ، ولكنه تحذير مستساغ ، لانه في صالح الطرفين .

حقيقة كان حاكم البحرين وابنه يعطفان على قبائل العماير في القطيف منذ ١٨٣٤ ، عقب ثورتهم في سيهات(٤٥) ، لكن الوضع تغير بعد توقيع المعاهدة ، فصار يهم مصر والبحرين على حد سواء ، التخلص من القوى المحلية المعارضة ، والتنبه الى خطر القوى الخارجية ، التي صارت ترصد خطوات اقتراب مصر من الخليج بصفة عامة .

ثانيا :

لما كانت سياسة محمد علي ، العمل على النهوض بالبلاد ، ومن ثم ضرورة تحصيل الزكاة او الخراج او الضرائب او حتى احتكار بعض الموارد الاقتصادية ، في سبيل تنفيذ مشروعات التحديث ، كان على خورشيد ان يطبق هذا النظام في الجبهة الشرقية من الدولة ، وكان الشيخ عبدالله بن احمد يحصل على رسوم من العاملين في صيد اللؤلؤ ، في منطقة القطيف فراى مبعوث خورشيد ان الوضع لا يستقيم بعد توقيع الاتفاقية اذا استمرت الامور على حالها ، فكانت القطيف والاحساء من حيث الدفاع وحاجتها الى مشروعات التحديث ، من مسئولية الادارة المصرية ، لذلك رأى هذا المبعوث ، ان يكون مردود هذه الرسوم للنهوض بأهل القطيف ، ويكتفي الشيخ عبدالله بفرض الرسوم على سفن الغوص العاملة في البحرين(٤٦) .

ثالثا

يبدو ان حرمان البحرين من رسوم سفن الغوص في القطيف جعل الشيخ عبدالله يتشدد امام المبعوث المصري ، حين طلب الاخير ، ان يدفع اهل قطر ، من بدو وحضر ، الزكاة للادارة المصرية ، على كل ما يملكون من قطيع وماشية ، فقد

كان من الصعب على شيوخ البحرين ، ان يعترفوا بذلك ، ولكنهم وبعد دراسة رأوا من الافضل لهم ان يوافقوا على ذلك ، في مقابل ان يترك المبعوث المصري ، بعض القرى . كان اهلها يشتغلون بصيد اللؤلؤ بتشجيع من حاكم البحرين .

رابعا

اراد مبعوث خورشيد ان يضمن ويطمئن على تنفيذ المعاهدة . وذلك بوجود وكيل معتمد من طرف خورشيد في البحرين ، وحتى يكون بمثابة دليل على اقامة التعاون بين مصر والبحرين ، خاصة امام القوى المتنافسة في الخليج .

لكن سرعان ما فطن حاكم البحرين الى هذه المسألة ، فرأى ان وجود وكيل من طرف خورشيد في ظل الاتفاقية ، يورطه في مشاكل ، وربما يجر بلاده الى صراع ، يجعلها ميدانا لحروب باردة او ساخنة ، من جانب القوى الطامعة فيها ، وكان حكام البحرين ، طبقا للاحداث التي تعرضت لها ، يعملون كل ما في وسعهم ، لابعاد الخطر عنها ، وكان من الممكن ان يقبل شيخ البحرين وجود وكيل بصفته ممثلا عن مصر ، شأنه في ذلك ، شأن اي وكيل لدولة اخرى في بلاده ، اذا لم تكن هناك اتفاقية بينه وبين مصر ، ولكنه رأى ان وجود وكيل في البحرين والحالة هذه ، ربما يفسر على انه خضوع لمصر فطلب ارجاء هذه المسألة ولم يتردد المبعوث المصري ، في الموافقة .

ولعل هذه النقطة بالذات ، تنفي ما يردده البعض ، من القول ، ان الاتفاقية كانت تعني الحماية المصرية على البحرين ، او على الاقل كانت تحمل في طياتها نوعا من التبعية ، وهو ما تردده المراجع الاجنبية

فالباحث يرى اختلافا شاسعا بين هذه الاتفاقية ، وبين الاتفاقيات الاخرى التي عقدتها بعض الدول الاجنبية مع بعض البلاد العربية التي كان من اهم شروطها وجود الوكيل او المقيم او المندوب السامي لحماية اتفاقياتها وتنفيذ شروطها .

خامسا

تضمنت الشروط بندا ، يعد من اخطرها ويمثل العمود الفقري للاتفاقية ، وهو مسألة التعاون العسكري ، فحبذ خورشيد ان يستفيد من قوة البحرين ، التي كانت تتكون وقتذاك من عدد

كبير من القوارب والسفن الحربية من الطراز الاول في الخليج ، وكان عدد الرجال المقاتلين الذين يقفون مع حاكم البحرين ، ويشدون من ازره ، يزيدون على ستة الاف محارب ، يمكن جمعهم من جزيرتي البحرين والمحرق فقط بجانب ثلاثة الاف محارب كانوا رهن الاشارة ممن ينتمون الى العتوب أو حلفائهم ، وكان الجميع يتصفون بالشجاعة والقدرة القتالية ، ولديهم خبرة فائقة في فن المعارك برا وبحرا(٤٧) .

فكانت هذه القوة في نظر خورشيد في غاية الاهمية بالنسبة لمشروعات مصر في الخليج لعدة اسباب منها :

١ ـ انها تكسب القوات المصرية سرعة الانتشار العسكري في مياه الخليج .

٢ ـ عدم الاعتماد كلية على الامدادات العسكرية من مصر ، بسبب طول الطريق البري عبر شبه الجزيرة العربية من ناحية ، ومن ناحية اخرى بسبب الوجود البريطاني في المداخل الجنوبية للبحر الاحمر ، بعد احتلال انجلترا لعدن بالقوة العسكرية في يناير ١٨٣٩ ، والذي صار يقطع حبل الاتصال بين ذلك البحر والخليج .

٣ ـ الاستفادة ايضا من مراكب البحرين التجارية ، في نقل الغلال والمواد التموينية من الموانيء المختلفة في الخليج ، لحساب القوات المصرية في تلك الجهات .

ويبدو ان حاكم البحرين ، قد فطن ، لحاجة خورشيد العسكرية ، فوافق على ان يقدم له المساعدات الممكنة من مراكب ورجاجيل (رجال) في حالة ما اذا اراد خورشيد ان يتجه الى بلاد الخليج الاخرى ماعدا الكويت ، فقد اشترط الشيخ ، عدم السير اليها بمظاهرة عسكرية لكون شيوخها «آل صباح» من ابناء عمومتهم .

واذا حللنا هذه المسألة تاريخيا ، يتضح لنا منها ما يلي :

١ ـ يرى حاكم البحرين ، انه اذا ارادت مصر ، ان تتقارب مع الكويت ، فلا بأس ان يحدث ذلك ، عن طريق اتفاقية ، مثل تلك الاتفاقية المبرمة بينه وبين خورشيد .

٢ ـ لا يمانع حاكم البحرين في المشاركة في فتح مسقط والبصرة ، خاصة بعد ان اقتنع ، ان الوجود المصري في

الخليج ، هدفه حماية البلاد من خطر الاعداء ، واستتباب الامن ، وتطبيق تجارب التحديث ، بعد ان نجحت في مصر نفسها .

٣ ـ اذا شارك حاكم البحرين ، بصورة او بأخرى ، من خلال الاتفاقية ، في محاولة تجميع بلاد الخليج العربية في اقليم واحد ، بمعناه الواسع تكون البحرين اول بلد خليجي تعرب عن استعدادها للمساهمة في هذا المشروع العربي الوحدوي .

سادسا

التزم طرفا المعاهدة ، ان يسلم كل منهما للاخر ، اي شخص ، يشكل خطورة ، وهرب الى الطرف الثاني ، لمحاكمته ، وكان الهدف من ذلك الشرط ، العمل على انتشار الامن وتوطيد العدالة ، وكان في ذات الوقت لصالح الطرفين على حد سواء[٤٨]

وبعد ان تمت الاتفاقية على هذا الشكل ، اراد «محمد افندي رفعت» مبعوث خورشيد ، ان يكسبها بجانب الطابع الرسمي ، طابع الموافقة الشعبية من اهل البحرين انفسهم[٤٩] ، فسافر من خوير حسان على ساحل قطر ، حيث كان الشيخ يقيم هناك وقتذاك الى البحرين ، بصحبة نفر من عليه القوم ، وبعض اولاد الشيخ ، وفي البحرين ، اعلن عن المعاهدة ، ليكون الجميع على علم بها .

كانت السلطات الانجليزية في الخليج ، ترصد التحركات المصرية تجاه البحرين قبل توقيع الاتفاقية ، ورغم قلق انجلترا ، وخوفها الشديد ، من حدوث تقارب بين مصر والبحرين ، واحتمال ، ان يمتد الى بلاد اخرى في الخليج ، فانها لم تستطع ان تتخذ اجراء عسكريا مضادا لاسباب لعل من اهمها :

١ ـ زيادة التوتر بين السلطان العثماني ومحمد علي في جبهة الشام ، تطلب من الحكومة البريطانية ، اعطاءه الاولوية في الاهتمام .

٢ ـ تكثيف الرقابة في البحر المتوسط ، حفاظا على مبدأ التوازن الدولي .

٣ ـ ترتب على استغلال روسيا ، للتوتر ، الذي كان بين ايران والانجليز حول مسألة «هيرات» وتحفزها للوصول الى الخليج ، وضرب المصالح البريطانية في الشرق ، ان جعل انجلترا تركز نشاطها ، لابعاد الروس من التقارب مع ايران ، حتى تطمئن على مصالحها بل ووجودها في تلك

الجهات [٥٠] .

لكن ليس معنى ذلك ، ان انجلترا ، رفعت يدها امام المشروعات المصرية في الخليج ، فقد سارعت واحتلت جزيرة (خرج) [٥١] في ١٩ يونيو ١٨٣٨ تحسبا لتطلعات محمد على الى البصرة ، بعد ان وضحت اهدافه ، عقب اتفاقية (كوتاهية) في محاولاته الرامية ، الى تجميع البلاد العربية في دولة واحدة تكون له ولذريته من بعده .

لذلك بعد ان حقق خورشيد انتصاراته في الاحساء ، واخذ يتطلع الى البحرين ، نظرا لاهميتها في الخليج[٥٢] ، صار المسئولون الانجليز ، يمطرون حكوماتهم في الهند ولندن ، بوابل من المكاتبات والتقارير حول النشاط المصرى المتزايد ، مما جعل الحكومة البريطانية ، تفكر في احتلال البحرين ، لتمنع مساعدتها لقوات خورشيد ، فطلب «بالمرستون» وزير الخارجية البريطانية في نهاية يناير ١٨٣٩ ، رغم مشاغل وزارته بقضايا اخرى ، الى حكومة بومباى افادته عن موارد هذه الجزيرة ـ البحرين[٥٣] ـ والدفاع عنها ، حتى صدور اوامر اخرى من حكومة صاحبة الجلالة[٥٤] .

ولما ازدادت نوايا خورشيد وضوحا تجاه البحرين ، وجدت حكومة الهند نفسها مضطرة ، حفاظا على مصالح الشركة الانجليزية في الخليج ، أن تسبق تعليمات حكومة لندن ، بشأن السياسة التي يجب اتباعها في الخليج .

ويبدو ان حكومة الهند ، كانت معذورة في ذلك ، لانها كانت تنظر الى المسألة من زاوية معينة تتركز في مصالح الشركة ، عكس حكومة لندن ، التي كانت تنظر الى المسألة من جميع زواياها ، وتتحسب النتائج التي من الممكن ان تترتب على اتخاذ كل خطوة تقدم عليها ، فمثلا ، بعد ان اختفى خوفها من المطامع الفرنسية ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، حيال الهند والخليج ، حل محله الخوف من المطامع الروسية ، حيال الحدود الشمالية الغربية لشمال شبه القارة الهندية ومنطقة الخليج ، واذا كانت الحكومة البريطانية ، تحاول جاهدة بصورة او بأخرى ، صد خطر الروس ومنع اقترابهم من الخليج[٥٥] فان تصاعد قوة مصر وتوسع مشروعاتها في البلاد العربية ، زاد من ارتباك سياسة لندن الخارجية .

على اية حال ، ترتب على حرص حكومة الهند على مصالح الشركة ، ان انتهزت فرصة وجود اسطول بريطاني في مياه الخليج ، وفوضت قائده «سير فردريك ميتلاند» ، بان يستخدم كل امكانياته وبقوة ، لمنع قائد القوات

المصرية من التقدم صوب الخليج[٥٦] وخاصة اذا توجه لغزو البحرين[٥٧]

وفوضت الامبرالية البريطانية هذا القائد ، بان يقدم لشيخ البحرين كل المساعدات الممكنة ، لمقاومة ومنع خورشيد من تنفيذ مشروعه ، لكن دون التورط في حرب فعلية ، واعتبرت حكومة الهند ، هذه التعليمات كافية لمواجهة الموقف والمحافظة على الوضع القائم كما هو لأنها - أى حكومة الهند - لم تكن مستعدة في ذلك الوقت ، لأكثر من ذلك مثل عقد اتفاقية جديدة مثلا مع شيخ البحرين[٥٨]

كما ان (ميتلاند) من جانبه ، رأى عدم التورط عسكريا في هذه المسألة ، ونصح بأن يعالجها «هينل» المقيم البريطاني في الخليج بالوسائل الدبلوماسية[٥٩]

وقد اصدرت حكومة بومباي اوامرها الى (هينل) بان يقدم احتجاجا لقائد القوات المصرية ، بصدد خططه نحو البحرين ، وغيرها من بلاد الخليج العربية ، ويحذره من ان ما يقوم به يتعارض مع التفاهم القائم بين حكومة لندن وحكومة القاهرة ، وقد يترتب عليه افساد العلاقات الودية بينهما[٦٠] .

والواقع ان العلاقات بين مصر وبريطانيا في تلك الفترة ، لم تكن ودية على الاطلاق ، ولعل خورشيد ، لم تغب عنه هذه المسألة ، فكان يعرف جيدا ، موقف لندن المعادي لمحمد علي ، حول نزاعه مع السلطان العثماني ، وعدم اكتراثها لمحاولات حاكم مصر ، ان ينال ضمان الدول الاوروبية لمعاهدة كوتاهية ، ومعاونتها له للمفاوضة مع الباب العالي ، لتسوية ذلك النزاع .

لذلك نرى ان الحكومة البريطانية ، كانت لا تزال حتى ذلك الوقت تستخدم مع حاكم مصر ، الدبلوماسية المغلفة بالضغط مع استمرارية تتبع ودراسة الموقف من جميع زواياه ، ففي الوقت الذي طلبت فيه حكومة الهند من (ميتلاند) عدم التورط في حرب مع قوات خورشيد ، بسبب علاقاته مع البحرين ، طلبت منه ايضا ، ان يعرف القوة المادية لمختلف الاطراف في المنطقة ، خاصة قوة شيخ البحرين[٦١] حتى تأخذ ذلك في الاعتبار ، اذا حدث تصادم وتدخل مباشر من جانب الانجليز ، ضد القوات المصرية في الخليج

وكان خورشيد من جانبه ، يعمل لكل خطوة حسابها ، فاراد ان يجس نبض السلطة الانجليزية ، وموقفها في حالة مواصلة تقاربه مع بلاد الخليج فكتب الى المقيم البريطاني في ٣ ابريل ١٨٣٩ حول ذلك الشأن[٦٢] .

فرد المقيم البريطاني عليه ، طالبا منه عدم اتخاذ أى اجراء تجاه بلاد

الخليج العربية خاصة البحرين قبل توجيه انذار لرعايا الحكومة البريطانية المقيمين في الجزيرة بمدة كافية[٦٣] وقد ايدت حكومة الهند، هذا الطلب من جانبه، واعتبرت وقت صدوره مناسبا، لاسيما وانه يتيح الفرصة لتأجيل الازمة المحتملة[٦٤].

ولكن يبدو ان اخبار تزايد العلاقات بين مصر والبحرين، ازعج حكومة الهند، وخشيت من اتساعها في الخليج، لذلك لم تكتف بالتحذيرات وخولت قائد الاسطول البحري في رسالة بتاريخ ١٨ ابريل ١٨٣٩، الصلاحية في مفاوضة شيخ البحرين، وان يؤكد له في حالة طلبه، التدخل ووضع بلاده، تحت الحماية، فان الحكومة لا تمانع في ذلك، لكن عليه ان يفيده ان حماية الاسطول البريطاني له ستكون مؤقتة[٦٥].

ويلاحظ من هذه التعليمات - اذا كانت صحيحة - ان حكومة الهند، باتت في ورطه. فكانت ترى ان علاقات مصر مع البحرين، تشكل خطورة ضد مصالحها في الخليج وانها قد تكون بداية لايجاد علاقات لمصر مع بلاد الخليج العربية.

ولعلها كانت تضع في حساباتها، عامل الدين. الذي يجمع بين البلاد العربية، وان محمد علي، صار بطلا في نظر العالم الاسلامي وقتذاك.

وبينما كانت حكومة الهند، تتخبط في تفكيرها، حول ما يسفر عنه الغد من احداث في الخليج، وتقييدها بتعليمات حكومة صاحبة الجلالة، خاصة فيما يتعلق بالنواحي العسكرية، كان «محمد افندي رفعت» وكيل خورشيد، يقوم بجولة في الخليج حاملا معه صورة الاتفاقية الموقعة مع حاكم البحرين، فبعد ان زار الجزيرة، عرج الى جزيرة «خرج» في ٢ يونيو ١٨٣٩، لمقابلة المقيم البريطاني «هينل» ليبلغه مضمون تلك الاتفاقية[٦٦]، حتى تكف السلطة الانجليزية، وترفع يدها عن مسألة البحرين، التي فضلت بارادتها التعاون والتحالف مع مصر دون غيرها.

فقد سبق وطلبت حكومة الهند من قائد الاسطول البريطاني في الخليج في ١٨ ابريل ١٨٣٩، ان يبلغ قائد القوات المصرية، بان الاسطول سيقوم بحماية البحرين - بصفة مؤقتة[٦٧]، وبمعنى أخر، ان الانجليز، لا ينوون فرض حمايتهم على البحرين.

ورغم ان انجلترا، لم يكن في استطاعتها في تلك الفترة - فرض الحماية - خوفا من موقف فرنسا المؤيد لمشاريع محمد علي، والتي كان الخليج العربي - ككل - داخلا في اطارها، وحتى لا تثير عليها روسيا

التي كانت تحقد على السلطة الانجليزية في العراق ، التي ربما تتخذ منه قاعدة لمقاومة التوسع الروسي في جنوب غرب اسيا[٦٨] ، فان تعبير «حماية مؤقته» كان له مغزاه في مخطط السياسة الانجليزية ، فهو يعني تحذيرا لخورشيد من غزو البحرين ، واشعاره بان السلطة الانجليزية ـ هي وحدها التي لها الحق في حماية البحرين وغيرها من بلاد الخليج ، ضد اي قوة اجنبية ، وقد اشار (لوريمر) الى ان شيخ البحرين ، تعهد للكابتن (ادموندز) مساعد المقيم السياسي البريطاني ، بألا يضع نفسه تحت سلطة او حماية دولة (اجنبية) قبل استشارة المقيم البريطاني[٦٩]

ويبدو ان هذه الاشارة غير حقيقية ، ومن ثم يجب التحفظ عليها ، استنتاجا من سير الاحداث نفسها ، حيث ان الاتفاقية تمت وصارت نافذة المفعول منذ ابرامها على الارجح في نهايات شهر مارس ١٨٣٩ ، كما سبق ذكره .

وقد ارسل خورشيد من جانبه الى المقيم البريطاني في ٢٩ يوليو ١٨٣٩ ، بأن الاتفاق مع شيوخ البحرين ، صار على «قدر القانون» وان الشيخ عبدالله آل خليفة ، هو الامين على البحرين ، وليس القصد هو مهاجمة تلك الجزيرة ، وانما الهدف اولا واخيرا هو العمل على راحة العباد واصلاح البلاد[٧٠] .

وعلى ضوء تلك التطورات ، اخذ (هينل) يعيد حساباته في اطار السياسة البريطانية العامة تجاه الخليج ، والتي كانت تهدف الى تمزيق المنطقة الى كيانات سياسية صغيرة ومتنافره ، حتى يسهل وضعها في فلك النفوذ الانجليزي ، دون التدخل عسكريا ، الا في الحالات التي تستوجب ذلك ، والدليل على هذا انها كثيرا ما كانت تثير العداء بين مشيخات الخليج ، مثل ما كانت تبارك في بعض الاحيان ، احتلال سلطان مسقط للبحرين[٧١] ، او اعتداء فارس عليها[٧٢]

ولعله رأى في روح المعاهدة ، خاصة وانها ترتكز على اركان اسلامية ، وتوافرت لها جميع الشروط الصحيحة ، التي تبرم على اساسها المعاهدات الدولية الرسمية[٧٣] وانتشار اخبارها في بلاد الخليج العربية ، ما يشجع المشايخ على التقارب مع مصر ، فأرسل على وجه السرعة ، مبعوثا من قبله الى شيخ البحرين في خوير حسان بساحل قطر ، ليتأكد من صحة المعاهدة[٧٤]

وقد قدم هذا المبعوث رسالة للشيخ من قبل (هينل) ، وابلغه ان السلطة الانجليزية في الخليج ، علمت بالاتفاقية التي ابرمها مع مصر ، والتي تتضمن ان «الصديق واحد والعدو واحد» وهذا يتعارض مع ما تم التفاهم عليه بينه وبين السلطة

الانجليزية من قبل[٧٥] .

ولما لم يجد المبعوث الانجليزي ، اذانا صاغية من شيخ البحرين ، وتأكد من صدق توقيع الاتفاقية ، اضطر (هينل) ازاء هذه القضية ، التي تشكل الكثير من العقبات في برنامج السياسة البريطانية تجاه الخليج والهند ، ان يذهب بنفسه لمقابلة الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة ، وقد دار حوار شديد بين الطرفين ، اشار اليه كل من هينل ومحمد افندي رفعت ، خلاصته ، انه عندما اخذ هينل يستفسر عن مسألة الاتفاقية ، وعن الاسباب التي ادت الى ابرامها ، كان رد الشيخ عليه بما يعني :

اولا

ان خورشيد سيطر على ساحل الاحساء ، وهذه الجهات لها اهمية كبيرة بالنسبة للبحرين ، لتبادل التجارة معها ومع العرب .

ثانيا :

الاستفادة من مغاصات اللؤلؤ الواقعة بين البحرين والساحل الشرقي لشبه الجزيرة ، وكذلك الاستفادة من عرب المنطقة الذين لهم خبرة في الغوص لصيد اللؤلؤ .

ثالثا :

ان مصر لديها قوة عسكرية ، ليس في استطاعة البحرين مواجهتها .

رابعا .

سياسة محمد علي ، وسلوك الادارة المصرية في البلاد التي ارتبطت بمصر ، سياسة عادلة ، ولم يترتب عليها اي اثار ضارة بالاهالي .

خامسا

ردد الشيخ عبدالله ، على مسامع (هينل) عدم استجابة الانجليز لمطالبه ، او حتى تقديم النصح اليه ، حين اخذ خورشيد يتطلع الى البحرين ، بعد سيطرته على الاحساء .

سادسا

استخدم حاكم البحرين ، دبلوماسية ماهرة ، مع المقيم البريطاني ، تدل على حنكته السياسية ، وبعد نظره ، وتمسكه بوعده ، ومحافظته على العهد والميثاق ، كما ورد في المعاهدة ، فقال «ان صار محمد علي والانجليز اصدقاء فبجانب علاقته مع مصر ، طبقا للاتفاقية ، فان ذلك لا يمنع ان يكون صديقا للانجليز ، لكن اذا حدث عداء بينكم وبينهم - اي بين الانجليز وبين المصريين ، فانتم وهم ملوك[٧٦]

وهنا نتساءل ، ما هو المغزى من

وراء » .. فانتم وهم ملوك» ، فهل هذا يعني ، انه اذا دخلت مصر حربا مع الانجليز في الخليج ، يقف حاكم البحرين على الحياد . الامر الذي يتعارض تماما مع ما جاء في خطاب الشيخ عبدالله الى خورشيد - السابق ذكره - ويتضمن « . على ان نحن نعادي من عاداكم ونوالي من والاكم وانتم كذلك(٧٧) . ام ان الشيخ كان يقصر - من وجهة نظره - (الاعداء) على ابناء الخليج فقط ، وهذا يخالف معنى النص كذلك ، لانه تعبير عام ، يشمل كل الاعداء ، سواء كانوا على المستوى المحلي او الاقليمي او الدولي في منطقة الخليج ، لكلا الطرفين اي لمصر والبحرين

ونعتقد من مفهوم الاحداث وتحليلها ، ان شيوخ البحرين لم تغب عنهم هذه المسألة ، خاصة وان ظروفهم ، جعلتهم اكثر من غيرهم يقظة ، في ضرورة وضع حسابات للمستقبل ، كفيلة بالمحافظة على بلادهم

وعلى ذلك يبدو ان الشيخ استخدم تعبير «.. فانتم وهم ملوك» في مواجهة هينل ، ليذكره ان مصر قوية مثل الانجليز ، وفي امكانها مواجهتهم بمفردها ، حتى يكف عن المناقشة ، ويتركه وشأنه ، لانه - اي الشيخ - كان مصرا ومحافظا على الاتفاقية مع مصر(٧٨) .

ولكن «هينل» لم يترك الشيخ ، واخذ يحاصره بالدبلوماسية الانجليزية المعروفة ، وعاد فقدم اليه رسالة مكتوبة ، تتضمن ان ارتباطه مع مصر يخالف ما صرح به (محمد علي) نفسه ، للقنصل البريطاني ، بأنه لن يتدخل في شئون بلاد العرب في الخليج ، ومن ناحية اخرى فان مسألة الاتفاقية في حد ذاتها تتعارض مع المعاهدة التي تمت بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية في ١٨٢٤(٧٩)

ولما لاحظ المقيم البريطاني ، ان النقاش مع الشيخ ، زادت حدته ولم يتوصل منه الى الهدف المطلوب ، اخذ يجرب معه اسلوب الترغيب ، لعله يقتنع ويرفع يده عن التعاون مع مصر ، ويمزق المعاهدة المعقودة معها ، فعرض عليه ، ان يقدم له بعض الجنود ، كحرس خاص - للشيخ - يقيمون في قلعة البحرين ، وان ترابط سفينتان انجليزيتان امام الجزيرة ، للدفاع عنها ، ويقدم له حاكم عام الهند ، الحماية الكافية ، ولن يطلب منه اتاوة ولا رسوما جمركية لمدة خمسة وعشرين سنة ، ثم اشار «هينل» من خلال اسلوبه الناعم ، الى ضرورة فسخ الاتفاقية ، وتوسل الى الشيخ ان يمزقها ويتخلص منها(٨٠)

فرد الشيخ عبدالله آل خليفة ، عليه بأسلوب ، يدل على عمق فهمه لما

يهدف اليه الانجليز ، فأعلن امامه ودون توقع من جانب المقيم ، اعترافه بصداقته وتعاونه مع مصر ، وفقا لشروط الاتفاقية[٨١] ، ورفضه التام لتمزيقها وقال له ، حقيقة ، انه سبق وطلب الحماية من الانجليز ، وكان يعني بذلك ، مساعدته عسكريا لمواجهة اعدائه ، دون التدخل في شئونه ، ولعل الشيخ ، كان يستند الى مضمون معاهدة السلام العامة في الخليج (١٨٢٠)

ورغم ان شيخ البحرين لم يطلب من الانجليز ، ان يكون من رعاياهم ، فان الحكومة البريطانية ، على ما يبدو ، فسرت الطلب ، على انه نوع من الحماية الاستعمارية ، كما كانت تطبقها الدول الاوروبية ، على مستعمراتها في افريقيا واسيا ، ولما كانت انجلترا ، وقت ذلك الطلب ، على غير استعداد لتنفيذه ـ كما سبق ذكره ـ فان تصاعد القوة العربية الممثلة في الوجود المصري في شرق الجزيرة ، جعلها تتحرك بفاعلية ، وتنشط لوأد المعاهدة بين مصر والبحرين ، وتقطع خط الرجعة على خورشيد تجاه بلاد الخليج العربية الاخرى .

وقد اعاد حاكم البحرين القول للمقيم البريطاني ، انه وافق على الاتفاقية وشروطها ، عن اقتناع تام ، وبعد ان اطمأن على مصالح بلاده المشتركة مع بعض مناطق الاحساء ونجد ، حيث وجود قلعة ابنه الشيخ (مبارك) في الدمام ، فضلا عن اهمية موانىء القطيف والعقير للبحرين[٨٢] ، واخذ يوضح للمقيم ، انه رغم ان الاتفاقية ، ابرمت مؤخرا مع خورشيد ، الا ان الاتفاق عليها ، تم منذ وقت طويل ، تم اعاد على مسامعه ، رفض السلطة الانجليزية ، ان تقدم له اي مساعدة ، او حتى نصيحة ، منذ ثلاثة شهور سابقة ، وكيف انه نجح في ان يجنب المنطقة اي اضطرابات ، بفضل حنكته السياسية ، وما كان يقدمه من تضحيات مالية ، الامر الذي انعكست آثاره الطيبة على مصالح الانجليز في الخليج[٨٣] .

وقد ترتب على اصرار الشيخ عبدالله على رفض فسخ الاتفاقية ، ان استفزه المقيم البريطاني ، وهدده بانه سيبلغ حكومة الهند بمضمون ذلك الحوار ، وعبر له ، بان تلك الحكومة لن تتحمل اي مسئولية ، اذا وقع ضرر عليه وعلى بلاده ، مما جعل الشيخ ، تأخذه حميته العربية وينفجر في وجه هينل ، قائلا :

« . ان البحرين ملكنا ورثناه عن اجدادنا ، وليس بيننا شروط لان نكون رعية للسركار (الحاكم العام) ولم اظهر اي سبب لذلك غير الصداقة ، وليس للسركار ان يتعدى

الشيخ عبدالله بن أحمد يرفض وجود وكيل مصري فيستجيب خورشيد باشا

عليا ، فاما اذا كنتم تشرعون في الحرب قوة واقتدارا ، فاننا سنبذل كل وسعنا في سبيل حماية ملكنا واهلنا وعيالنا ودينا . وليحصل بعد ذلك ما يحصل[٨٤]

وازاء موقف الشيخ عبدالله الصلب ، سلمه المقيم البريطاني ، احتجاجا كتابيا ، على هذه الاتفاقية ، باعتبارها عملا معاديا لبريطانيا العظمى ، وارسلت نسخة ، تتضمن ذات الاحتجاج تقريبا الى خورشيد[٨٥] .

وقد صور (هينل) في تقريره الذي ارسله الى حكومة بومباي ، الموقف مع شيخ البحرين ، بان الشيخ ، استجاب للظروف الضاغطة عليه ، نظرا لعدائه مع «عيسى بن طريف» وتقدم القوات المصرية . فكان والحالة هذه على استعداد أن يتصل بأي قوة اجنبية لمساعدته[٨٦]

ثم اشار الى انطباعه الشخصي ـ اي هينل ـ قائلا ، انه اوضح للشيخ ان حكومة لندن ، ربما تعتبره ، يقوم بعمل عدائي ضد بريطانيا العظمى ، نتيجة علاقته مع مصر ، بجانب ان هذه العلاقة تتعارض مع روح المادة الاولى من معاهدة السلام العامة ، فاحتج حاكم البحرين عليه ، وقال انه لن يضع نفسه ابدا ضد مصالح الحكومة البريطانية ، حتى لو طلبت منه القوات المصرية ذلك[٨٧]

ورغم ان هذا الرد ، يدل على ان حاكم البحرين ، كان يعتبر بلاده ، مع وجود الاتفاقية ، مستقلة تماما ، ويرفض ان تكون تحت وصاية اخرين ، فيشير هذا المقيم ، الى ان الشيخ عرض ان ينقض الاتفاقية مع مصر ، اذا قدمت اليه السلطات الانجليزية وعدا صريحا واضحا بحمايته ، وبان يصبح تابعا للحكومة البريطانية ، ويضيف «هينل» على لسان الشيخ ، انه ينتظر نتائج

الاشتباكات الدائرة بين قوات محمد علي والسلطان العثماني في الشام ، فاذا حدث وانهارت القوات المصرية هناك ، فانه سيقف هو وغيره من المشايخ العرب ضد خورشيد باشا ، لان القوات المصرية في شرق الجزيرة العربية ، تفتقر الى العاطفة الشعبية من جانب القبائل(٨٨) .

والواقع ان ما جاء في تقرير «هينل» يحتاج الى وقفة ، لانه يتناقض مع موقف الشيخ المتشدد ، ورفضه الغاء الاتفاقية ، كما ذكره «هينل» نفسه ، وما اوردته الوثائق الرسمية المصرية ، يتعارض مع وجهة نظره ، وما اشار اليه على لسان الشيخ ، ولا ندرى لماذا هذا التضارب في اقوال المقيم البريطاني ، ولعله كان يريد اشباع حاجة في نفس يعقوب» .

فاذا تعمقنا في تحليل الوثائق المصرية ، نرى ان حاكم البحرين ، لم يكن على استعداد ، مهما كانت الظروف ـ وقتذاك ـ ان تصير بلاده تابعة للحكومة البريطانية ، لأنه لم ينس صداقتها لسلطان مسقط وشيخ ابوظبي اللذين كانت لهما تطلعات نحو البحرين(٨٩) كما ان الشيخ كان لايزال يرى ان الوجود المصري صامد وقوي في الخليج ، وان علاقته مع خورشيد ، لم تشبها اية شائبة(٩٠) ، ولعله ـ اي الشيخ ـ كان يتطلع الى أن تكون هناك صداقة ـ لا اكثر ـ بينه وبين الانجليز ، لا تتعارض مع استقلال بلاده ، ومن ثم تستفيد البحرين من كلا الطرفين» .

ويبدو ان الذي دفع (هينل) الى ذكر تلك المعلومات ، هو شعوره بفشل مهمته والتي تنحصر ـ اساسا ـ في تمزيق الاتفاقية مع مصر ، فصار يتخبط في ارائه التي ضمنها تقاريره من ناحية ، وصار يحقد بمرارة على الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة من ناحية اخرى

فمثلا حين عاد من البحرين ، انتهز فرصة لقائه مع السلطان سعيد ، لعقد معاهدة بين مسقط وبين الحكومة الانجليزية (٣١ مايو ١٨٣٩) فأراد ان يشفي غليله من حاكم البحرين ، فأخذ يشجع سلطان مسقط ، على غزو البحرين ، وضمها الى سلطنته ، وعندما وصلت تلك الاخبار الى حكومة لندن ، خشيت من تطور الامور في الخليج ، فأنذرت السلطان بعدم اتخاذ اي اجراء قبل ان توافق عليه في الوقت المناسب(٩١) .

ثم اخذ يثير حكومة الهند ، ويحملها المسئولية ، لتقاعسها ، حين طلب شيخ البحرين منها المساعدة ، مما جعله يتقرب الى المصرين ، ويرى انه كان في الامكان ضمها الى دائرة النفوذ البريطاني ، اذا قدمت المساعدات والحماية الكافية لها(٩٢) ، دون ان يقوم الشيخ ببذل اي

مجهود ، نظرا لكبر سنه ، وعدم توافر الظروف التي تساعد على راحته الشخصية[٩٣] .

ومما يدل ايضا على عدم صدق اراء المقيم البريطاني ، او على الاقل بعدها عن الحقيقة ، ان حاكم البحرين ، ارسل عقب زيارة هذا المقيم ، الى خورشيد ليبلغه بما دار من حوار بينهما .

على اية حال، صارت انجلترا، بعد عقد الاتفاقية، وفشل المقيم البريطانى فى الضغط على حاكم البحرين، لالغائها، تشدد من موقفها فى الخليج، فقد خشيت، ان تشكل مصر قوة بحرية عربية فى مياه الخليج، واخذت تتحسب من ان تتوسع، وتصير قوة عربية اسلامية، بانضمام قوة الفرس اليها، بصورة او بأخرى، خاصة وان محمد على، كان فى كثير من الاحيان، يدعو فى خطاباته الى الوحدة الاخوية بين المسلمين، كما حدث، حين القى خطابه فى ٧ يوليو ١٨٣٩، عندما ابحر الاسطول العثمانى، بقيادة احمد باشا فوزى، من البسفور الى الاسكندرية، ليضع نفسه تحت تصرف محمد على [٩٤].

فرات انجلترا، انه اذا حدث وسيطرت مصر على مياه الخليج اضافة الى انها كانت فى ذلك الوقت تشرف على البحر الاحمر فسوف تصبح المصالح الانجليزية فى الخليج، بل وفى الهند، تحت رحمة هذه القوة الجديدة، لوقوع طرق المواصلات، الى الشرق تحت سيطرتها، ومن الممكن ان يؤدى ذلك الى قلب ميزان القوى فى المشرق العربى [٩٥].

وقد اجرت دوائر الحكومة البريطانية، دراسات دقيقة، حول هذه القضية، انتهت الى توصية، وهى ضرورة ان تضغط انجلترا، على مصر محمد على، وان تتخذ من مسألة نزاعه مع السلطان العثمانى، اداة، لتحجيمه وتحجيمها، وابعادها عن عالمها العربى، فكان اقتراب مصر من الخليج، وعقدها الاتفاقية مع البحرين، وتطلعها الى البصرة هى ساعة الصفر، للتحرك بفاعلية قوية، ومحاصرة حاكم مصر، واعلان الحرب الباردة عليه بشكل سافر.

فرأى محمد على، امام هذه الظروف، ان يزيد من اقترابه الى فرنسا، ويشجعها على تردد السفن الفرنسية باستمرار على منطقة البحر الاحمر، خاصة بعد انشاء الخط الملاحى المنتظم للسفن التجارية من مرسيليا الى الاسكندرية، وكان يهدف من وراء ذلك، الى ان تقف ـ فرنسا ـ معه ضد مشروعات انجلترا المعادية له.

وكان فى ذات الوقت يدرك، ان منطقة الخليج لها من الحساسية والاهمية بمكان، بالنسبة لانجلترا،

وطرق مواصلات الامبراطورية الى الهند، (٩٦). اكثر من غيرها من البلاد، التي انضوت تحت حكمه، من برقه في الغرب الى العراق، ومن سوريا في الشمال، الى غندوكرو شمال خط الاستواء في السودان. فبات الرجل في ورطة بسبب عداء انجلترا لمشروعاته العربية الوحدوية.

ورأى ان الحكمة تقضي عليه، والحالة هذه، ان يجمد علاقات مصر مع البحرين، حتى لا يتيح الفرصة لانجلترا، لأن تحتلها، كما حدث واحتلت عدن بالقوة العسكرية، وارسلت سفنها الحربية الى البصرة، لاشعار مصر بالقوة الانجليزية في الخليج، خاصة وان لغة القنصل البريطاني في الاسكندرية صار يغلب عليها، طابع الضغط المغلف بالتهديد، ففي مقابلة معه، اكد له، بان الحكومة البريطانية، لن تسمح له بان يسيطر علي البحرين، بحجة انها لا تكون جزءا من شبة الجزيرة العربية (٩٧).

فارسل محمد علي، الى خورشيد، يأمره بوقف الاتفاقية، وان يتصرف الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة في شئون بلاده بنفسه، ويبدو، ان صورة من هذه التعليمات، ارسلت الى الحكومة الانجليزية، التي ارسلت نسخة منها الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج.

حدث ذلك في وقت كان فيه (محمد افندي رفعت) حاكم الاحساء يقوم برحلة في الخليج، ونزل الى البحرين، وتقابل مع شيخها، الذي شرح له الحوار الذي دار بينه وبين المقيم البريطاني (هينل) - وعبر عن تأكيده له بثباته على العهد، ومحافظته على الاتفاقية، وقد كتب حاكم الاحساء الى خورشيد باشا، بمضمون هذا الحوار.

وقام خورشيد بدوره بالكتابة الى حكومة القاهرة، موضحا موقف الانجليز تجاه القوات المصرية، وكيف انهم يسعون للسيطرة على الموانيء العربية في الخليج، بعد ان فشلوا في السيطرة على الموانيء الفارسية، ونوه خورشيد الى موقف روسيا المؤيد للفرس ضد الانجليز، ثم ضغط على مسألة البحرين، فقال ان هذه الجزيرة مهمة جدا للوجود المصري على ساحل الاحساء، وان انجلترا اذا استولت عليها، فسوف تتحول الى قاعدة انجليزية، لخدمة قواتها في الخليج، وهذا الامر له خطورته، فقد تصير قاعدة البحرين، مشابهة لقاعدة مالطة الانجليزية في البحر المتوسط (٩٨).

والواقع ان تقرير خورشيد، رسم صورة واضحة وصادقة، للموقف بالنسبة للبحرين، حيث ضمنه التحذيرات الكافية، وكان تشبيه البحرين بجزيرة مالطة، على غاية من دقة التصوير، فالمعروف ان مالطة، بسبب موقعها الاستراتيجي في الجزء

الشرقي من حوض البحر المتوسط كانت محطة انطلاق هامة للقوات البريطانية، تجاه أعداء الانجليز في المنطقة. (٩٩) وان البحرين اذا تحولت الى قاعدة عسكرية، من الممكن ان تصير مركزا للانتشار العسكرى السريع الى كل بلاد الخليج، بحكم موقعها في قلبه.

على اية حال، كانت صورة تعليمات محمد على الى خورشيد، التى ارسلتها الحكومة البريطانية الى المقيم السياسى العام في الخليج، فرصة استغلتها السلطة الانجليزية في المنطقة.فقد اعلن (هينل)، ان مصر الغت الاتفاقية المبرمة مع الشيخ عبدالله بن احمد، وان البحرين اصبحت تابعة لانجلترا.

وعندما سمع حاكم البحرين بهذه الاخبار، سيطرت عليه موجة من الغضب، ولكنه قبل ان يتخذ اى موقف مضاد، رأى ان يتأكد اولا من الحقيقة، فارسل الى خورشيد يستوضح منه المسألة ومدى صحتها (١٠٠)

ويبدو ان تعليمات محمد على الى خورشيد، وصلت الى (هينل) عن طريق حكومته، قبل ان تصل الى خورشيد في شرق الجزيرة العربية من القاهرة، فأوفد هو الاخر من جانبه، الشيخ (شافعى) شيخ قبيلة (بنى هاجر) الى البحرين، للتحقق من تلك الاخبار، ومعرفة موقف الشيخ عبدالله، وعاد الشيخ شافعى الى خورشيد، حيث نقل له عن لسان حاكم البحرين قوله، (... ما دمت على قيد الحياة، فانى لا استسلم للانجليز، وانهم منذ ثلاثين سنة، وهم يحتالون علينا، وسأبذل جميع مالى وقوتى، وقد بلغت اخر العمر، فلان نموت جميعا اولى من ان نكون رعية للكفار، وافضل شيء واشرفه ان لا نرى ذلك اليوم.. (١٠١)

وعندما وصلت تعليمات محمد على الى خورشيد، صار يقارن بينها وبين موقف الشيخ عبدالله ، وموقف القوى المتنافسة في الخليج، خاصة انجلترا، تجاه البحرين، اذا رفعت مصر يدها، والغت المعاهدة من جانبها فقط، فضغط في تقريره، على انه اذا كانت حكومة القاهرة ترى ابطال الاتفاقية، فيجب على حكومة محمد على، ان تمنع وقوع البحرين تحت سيطرة الانجليز (١٠٢)

ويبدو ان زهوة النصر، الذى حققه خورشيد في الجزيرة العربية، وتدخله في الخليج دون صعوبة كبيرة، من القوى المتنافسة في المنطقة، جعله لا ينظر الى قضية محمد على - ككل - وانما نظر وركز جهوده في الزاوية التى كلف بها، واعنى بذلك، شرق الجزيرة وبلاد الخليج العربية.

فخشى خورشيد من ضياع ثمرة انتصاراته بهذه السرعة وبتلك البساطة، وربما جال بفكره، ان العاء

علاقات مصر مع البحرين، من المحتمل ان يؤدى الى فشل مشروع محاولة تكوين الوحدة الاقليمية العربية فى الخليج، خاصة وان حكومة القاهرة، صارت تتراخى فى امداده بالمساعدات المطلوبة».

فى الواقع لا نستبعد ان يكون خورشيد، فكر فى تلك المسألة، بعد تلك التطورات، بسبب مشاكل محمد على مع حكومة الباب العالى، وبسبب تشدد الحكومة البريطانية وضغوطها ضد حاكم مصر، وقد شعر هو شخصيا - خورشيد - باثار تلك الضغوط فى الخليج.

والواقع ان الحكومة البريطانية، رأت ان نجاح مشروعاتها فى الخليج، والمحافظة على نفوذها وتأمين طرق مواصلاتها الى الهند، يتطلب منها على الاقل، إبعاد مصر من الخليج، فلما صارت الدولة العثمانية مكشوفة امام محمد على، وبعد ان سلم اسطولها نفسه له فى الاسكندرية، بحجة ان استانبول اصبحت فى ركاب دولة مسيحية وهى روسيا، وكان السلطان محمود الثانى، قد توفاه الله فى ٢٩ يونيو ١٨٣٩، وحل محله السلطان عبدالمجيد، وقد قررت حكومة السلطان الجديد، ان تحسم الموقف مع حاكم مصر، حقنا لدماء المسلمين ومنعا للتدخل الاجنبي، وابدى خسرو باشا، الصدر الاعظم، استعداده لاجابة مطالبه، غضبت انجلترا، ورأت ان هذا الاجراء يزيد من قوة محمد على، وتطلبت سياستها ان تضرب مصر العربية الصاعدة فى شخصه، تضربه بالسلطان العثمانى نفسه، وبمعنى اخر، تضرب العرب بالأتراك، او المسلمين بالمسلمين، حتى تقضى على اخطر قوة عربية اسلامية وقتذاك، وليكون ذلك عبرة لمن يفكر من العرب او المسلمين فى محاولة تكوين دولة متحدة ذات قوة، كما نعالجه بعد قليل.

اهتمامات مصر ببلاد الخليج العربية الاخرى:

أ ـ جنوب البحرين:

لم تقتصر اهتمامات خورشيد على البحرين فقط، وانما نظر منها الى البلاد العربية التى تقع الى جنوبها وشمالها فى ان واحد، بهدف ان يدمجها مع سواحل الاحساء، ويشكل منها اقليما سياسيا واحدا، يرتبط مع الدولة الحديثة بصورة او بأخرى

فبعد ان استقرت الاحوال للادارة المصرية فى نجد والاحساء، التحق (سعد بن مطلق المطيرى) بخدمة خورشيد، وكان قد عزله الامير (فيصل آل سعود) عن البريمى قبل نهاية حكمه، وبعد ان استأنس به خورشيد وعرف ان لديه خبرة واسعة بهذه الجهات، زوده بالكتب اللازمة، وفوضه بان يسير الى امارات الساحل العمانى،

لكي ينشيء علاقات مع شيوخها.(١٠٣)
وقد وصل سعد بن مطلق الى الشارقة في مارس ١٨٣٩، واستقبله الشيخ (سلطان بن صقر) القاسمي، استقبالا طيبا، وانزله في منزل خاص يستريح فيه، وقد تمكن ابن مطلق، ان يقنع الشيخ سلطان، بأن يتعاون معه في اطار دولة مصر محمد علي الحديثة.. (١٠٤)

من ذلك المنزل، اخذ سعد بن مطلق، يرسل كتبه الى شيوخ الساحل، بصفته مبعوثا من خورشيد، لتكوين علاقات، مع الادارة المصرية في الاحساء، وفي ذلك الوقت ارسل مبعوثا من طرفه الى (بني نعيم) الذين كانوا يحتلون واحة البريمي بعد ان حاربوا (احمد بن يحيى) عامل الامير فيصل. (١٠٥) وكانوا يجدون التأييد من (حمود بن عزان) حاكم صحار، وقد طلب منهم ابن مطلق، تسليم الواحة له، وهذا يعني، سلبهم سلطتهم على الواحة، فعبروا، لمبعوث ابن مطلق، عن رفضهم التام، بسبب بغضهم الشديد لسعد نفسه، لانه كان قد اساء في السابق معاملة اهل البريمي والظاهرة، وحملهم مسئولية مقتل أبيه في عهد الدولة السعودية الاولى. (١٠٦)
وقال (بنو نعيم) لمبعوث ابن مطلق، انهم يؤثرون ان يدفنوا احياء تحت انقاض بيوتهم، على تسليم الواحة له، واخذو يتطلعون الى المساعدة من بعض القبائل المناوئة لمبعوث خورشيد.. (١٠٧)

ورغم المضايقات من جانب (بني نعيم) وبعض القبائل الاخرى، فقد تمكن سعد بن مطلق، بعد ان اعلن انه وكيل خورشيد باشا، ان ينجح في كسب الشيخ (خليفة بن شخبوط) شيخ ابوظبي، الذي عبر له عن تأييده ومساعدته ماديا (١٠٨).

ولكن يبدو ان سعد بن مطلق، لم يعتمد عليه كثيرا، لاعتقاده، انه لن يستطيع ان يلعب الدور المطلوب في مد جسور التعاون مع بقية الشيوخ، او ان يفرض الامر بالقوة، خاصة على بني نعيم في البريمي.

وكان قد حدث في ذلك الوقت، ان الاسطول البريطاني، بقيادة الاميرال (ميتلاند) يقوم بجولة امام الساحل العماني، وكانت فرصة لتشويه حقيقة الوجود المصري في الخليج، فنزل احد المسئولين الانجليز الى الساحل، وصار يحرض الشيوخ ضد وكيل خورشيد، ويعدهم بالمساعدات، وقد وعده الشيوخ بمقاومة سعد بن مطلق، ولكن بمجرد رحيل الاسطول البريطاني من مياه الساحل، كان شيوخ الشارقة وابوظبي، يتسابقون في التقرب الى وكيل خورشيد، ويعبرون عن رغبتهم في ايجاد علاقات وتعاون مع الادارة المصرية (١٠٩).

هذا التصرف من قبل الشيوخ، يدل

على ان بلاد الخليج العربية، كانت مغلوبة على امرها ـ وقتذاك ـ بسبب القوة الانجليزية، التى كانت تعربد فى تلك البلاد، وفى قرارة نفسها، تتطلع الى وجود قوة عربية، تخلصها من التدخل الانجليزى فى شئونها.

والمدهش حقا، ان ميتلاند، يضمن تقريره الى حكومة بومباى قوله (انه لما يحز فى النفس، ان ارى زعماء القبائل غير مدركين (للخطر) الذى يداهمهم، وانهم رغم المخاطر، التى يتعرضون لها، فانهم لم يتخذوا اية خطوة لمواجهتها. (١١٠).

عمان:

بعد ان شعر ابن مطلق، بتأييد معظم الشيوخ له فى الساحل العمانى، اخبر خورشيد بذلك، الذى رأى ان الوقت قد حان، بغض النظر، عن مسألة واحة البريمى، لتنضم عمان الى دولة محمد على،

وكانت العلاقات بين حاكم مصر وسلطان مسقط ودية، وان كان مشروع تكوين الدولة الحديثة، يحتاج ان تكون عمان، ضمن هذه الدولة، التى بدون شك، تستفيد من موانيها، خاصة ميناء مسقط الذى يتحكم فى مداخل الخليج.

وكان هذا الامر يتعارض على طول الخط، مع طموح السلطان سعيد، الذى كان يتوسع فى الجناح الاخر من سلطنته فى شرق افريقيا. (١١١).

ويبدو ان خورشيد تصور ان السلطان يضع ثقله فى زنجبار (١١٢). وان حالة عمان بوضعها الراهن ـ وقتذاك ـ من المستطاع ضمها الى دولة مصر الحديثة، وقد كتب خورشيد الى القاهرة، بان عمان تنقسم الى ثلاثة اقسام، احدها يخضع للسلطان سعيد، والثانى يخضع لحمود بن عزان، والثالث من الظاهرة يتبع الموحدين (١١٣).

وعلى ضوء ذلك ارسل سعد بن مطلق، مبعوثا من طرفه فى الاسبوع الاول من يونيو ١٨٣٩، حاملا رسائله ورسائل من خورشيد، موجهة الى (هلال وثوينى) ولدى السلطان سعيد، الذى كان فى زنجبار فى تلك الفترة، تتضمن طلب تقديم العون والمساعدة للقوات المصرية، ودفع الزكاة، وكان من بين تلك الرسائل، رسالة من طرف الامير (خالد بن سعود) يطلب من الاخوين، السمع والطاعة لسعد بن مطلق، والاستجابة لمطالبة، واعادة دفع الزكاة، التى كانت تدفع للموحدين سابقا (١١٤).

وحين علم السلطان سعيد بكتاب خالد بن سعود، المرسل الى ولديه، ارسل الى محمد على بالقاهرة، بما يتضمن نوعا من العتاب الاخوى، ويفيده انه سيذهب الى مسقط بعد شهر رمضان، وانه على استعداد

لتلبية احتياجات محمد على من تلك الجهات [١١٥].

وان كان السيد سعيد، حين عاد من زنجبار، ووقف على تلك التطورات التى ترتبت على وجود سعد بن مطلق المطيرى بصفة اساسية، اخذ يشجع بنى نعيم فى واحة البريمى، ويحثهم على عدم الخضوع لابن المطيرى، وان يتمسكوا باستقلالهم، [١١٦] رغم العداء الذى كان بينه وبينهم، لوقوفهم مع الشيخ حمود بن عزان حاكم صحار، اثناء نزاعه معه [١١٧]

ويبدو ان السيد سعيد، رغم حرصه الشديد، على استمرارية العلاقات الودية مع محمد على، الا انه كان فى ذات الوقت، يحرص ايضا، على هوية سلطنته كدولة مستقلة من ناحية، بل وتطلعه الى توسيع رقعتها فى الخليج وشرق افريقيا من ناحية اخرى [١١٨].

ب ـ شمال البحرين:

لم يقتصر النشاط المصرى على البلاد العربية التى تقع الى الجنوب من البحرين، وانما شمل البلاد التى تقع الى الشمال منها، واقصد بذلك الكويت والبصرة، لشراء الغلال ومواد التموين والحصول على تأييد شيوخها ومساعدتهم للقوات المصرية فى شرق الجزيرة العربية[١١٩]

الكويت:

يلاحظ ان سمة نشاط خورشيد فى الخليج العربى كانت تختلف من بلد الى اخر، فمثلا كانت بالنسبة للبحرين، تنحصر فى المراسلات والمباحثات، والتى انتهت بالاتفاقية، وبالنسبة لامارات الساحل المهادن، وسلطنة عمان، انحصرت فى المراسلات مع وجود القوة العسكرية، الممثلة فى سعد بن مطلق، اما بالنسبة للكويت، فقد اختلفت سمة العلاقات بينها وبين خورشيد عن البلاد العربية السابق ذكرها

فقد كان اتصال خورشيد بشيخ الكويت فى بداية الامر، يدور حول المساعدة فى الحصول على الغلال من شط العرب وفارس، لحاجة القوات المصرية اليها، ولكن يبدو ان الشيخ (جابر آل صباح) كان يتتبع نشاطات محمد على فى الجزيرة العربية وسوريا وغيرها من البلاد التى صارت فى حوزته، وكان الشيخ فى الوقت نفسه لا يرتاح للدولة العثمانية المتهالكه ولا لسياستها فى شرق الجزيرة العربية ومن ثم كان يلقى مبعوث خورشيد، كل الترحيب من جانب حاكم الكويت، وصارت مكانته تفوق مكانة اى شخص اخر فى المجلس الاميرى فى الكويت

ولعل خورشيد، رأى والحالة هذه، انه لا داعى لابرام اتفاقية رسمية مع

الشيخ، طالما انه من تلقاء نفسه، لا يدخر وسعا فى تقديم المساعدات الممكنة للقوات المصرية، وان كان الدكتور احمد مصطفى ابو حاكمه يشير فى هذه المسألة، الى أن الكويت كانت مستقلة، ولم تكن لديها موارد اقتصادية غنية، مثل غيرها، ولم تدفع الزكاة للموحدين، ومن ثم لم يكن فى استطاعة محمد على المطالبة بها (١٢٠)

ورغم ان التفسير منطقى ومعقول، الا اننا نرى ان الاهم من ذلك هو سياسة محمد على، التى كانت تسير على ضم البلاد العربية وتوحيدها فى دولة حديثة، بالحسنى والتفاهم، او اخضاعها بالقوة، اذا تطلبت الضرورة، والدليل على ذلك

١ ـ حين تطلع خورشيد الى البحرين، لايجاد علاقات معها، لم يستجب حاكمها فى بداية الامر بسرعة، فاستخدم خورشيد معه أسلوب الحوار والمناقشات، ومن ثم كانت الاتفاقية السابق ذكرها

٢ ـ عبر حاكم الكويت عن تعاونه منذ البداية، ودون ضغط عليه، فمثلا حين هربت كتيبة عثمانية من البصرة الى الكويت فى طريقها للانضمام الى قوات خورشيد، وطلب والى العراق من شيخ الكويت، القبض عليها، واعادتها الى البصرة بالقوة، لم يهتم الشيخ جابر آل صباح، بطلب والى العراق، وسهل امر وصولها الى الاحساء، وذلك بصحبة قافلة الغلال المرسلة من الكويت الى خورشيد (١٢١) ومن ناحية اخرى، كانت تطلعات الانجليز فى الخليج، الى الكويت، اقل من تطلعاتهم بكثير بالنسبة للبحرين، وعلى ضوء ذلك، لم يجد خورشيد ما يتطلب ابرام معاهدة رسمية بين الطرفين.

٣ ـ رفض حاكم الكويت نفسه، ان تصير بلاده تحت سيطرة الانجليز، حين ارادوا ان يتخذوا منها، مركزا عسكريا وبحريا فى الخليج (١٢٢) وقد ترتب علي تلك المسألة بالذات، ارتياح لدى الدوائر المصرية وتقدير لشيخ الكويت

٤ ـ لا نستبعد ان يكون خورشيد الذى صار يتطلع الى البصرة قد جال بفكره، انه اذا تمكن وحقق هدفه فى البصرة، فتصبح الكويت بينها وبين الاحساء، ومن ثم ترتبط تلك المشيخة، برغبة حاكمها، بصورة او بأخرى بالدولة الحديثة.

البصرة

كانت ظروف العراق تمر بتطورات لصالح محمد على، فبعد موقعة (نزيب) (يونيو ١٨٣٩) صارت حدود العراق مفتوحة امام القوات المصرية، بقيادة ابراهيم باشا فى الجبهة السورية، كما صارت الجهات الجنوبية فى متناول قوات خورشيد فى شرق الجزيرة العربية، فقد كانت تلك الجهات، تشهد

حركة تذمر ضد الحكومة العثمانية، شملت العسكريين والمدنيين على حد سواء، فقد سبق واشرنا الى ان كتيبة عثمانية من جيش الدولة، هربت واستقلت سفنا كويتية لتنضم الى القوات المصرية، الامر الذى شجع خورشيد، ورأى ان الفرصة مواتية لدخول البصرة، خاصة وانه كان على علاقة طيبة مع حاكم الكويت، ويبدو ان خورشيد، كان يتطلع الى مزيد من التعاون من جانب الكويت، وذلك بان يمده حاكم الكويت، بقوات من جانبه، لمساعدة القوات المصرية، فى انتزاع البصرة من الدولة العثمانية وضمها الى الدولة الحديثة (١٢٣)

والاهم من كل ذلك، هو تعاطف سكان جنوب العراق امثال عشائر المنتفك واهل البصرة والزبير، وتقبلهم لحكومة محمد على، (١٢٤) **وعجز الباب العالى عن ارسال قوات نظامية لمؤازرة (على رضا) والى العراق، ولتتمركز تلك القوات فى جنوب العراق، لتثبيت الوجود العثمانى فى البصرة وما حولها** (١٢٥).

وقد كتب خورشيد الى حكومة القاهرة، لافادتها عن الموقف فى جنوب العراق، وانه ينتظر التعليمات لتوجيه القوات الى تلك الجهات، ويقول (.. ان هذا ملكا عظيما، يضاهى ملك مصر، وهو الان كالحسام الجوهر، الذى سقط فى (جفين)، فبحسب ظنى ان اخذه واجب، ويطلب امداده بالاموال (كم الف كيس) من المحروسة، والفين من الخياله، وبعض عساكر الجهادية (١٢٦).

موقف ايران:

نعتقد ان ايران كانت لا تمانع فى ذلك الوقت فى ان تسيطر مصر على البصرة لاسباب منها:

١ ـ الانتقام من (على رضا) والى العراق، الذى استولى على المحمرة فى عام ١٨٣٧، على اثر الاشتباك الذى وقع بين الايرانيين والانجليز فى افغانستان (١٢٧).

٢ ـ ترتب على رفع محمد على لشعار الوحدة الاخوية بين المسلمين ـ فى بعض الاحيان ـ ان اطمأن شاه ايران الى جانبه (١٢٨).

٣ ـ العداء المشترك بين مصر وايران ضد بريطانيا والدولة العثمانية.

٤ ـ لم تغب عن شاه ايران، ان القوة الاسلامية الكبرى فى تلك الفترة، كانت تتمثل فى مصر، التى صار لها وجود فعلى وفعال فى الخليج.

٥ ـ كان الشاه يرى انه اذا تحقق تحالف اسلامى مع مصر، من الممكن ان يتخلص الخليج من النفوذ الانجليزى، فأرسل الى محمد على، يقول له (... وانه اذا اقتضت المصلحة بمطالبتنا باى تعضيد، ومظاهرة فاننا

مستعدون لادائها (١٢٩).

خروج انجلترا عن سياستها التقليدية:

ترتب على امتداد علاقات مصر ببلاد الخليج العربية - بصورة او باخرى - ان خرجت انجلترا عن سياستها التقليدية، كما فعلت بالنسبة لاتفاقية التعاون بين مصر والبحرين، فاخذت تزيد من ضغوطها ضد محمد على في داخل بلاد الخليج وخارجها، فقد وصل بها الامر الى الاقتناع، بأن نفوذها. سيعانى من ضربة قوية، اذا اقام المصريون لهم قاعدة دائمة في شرق الجزيرة العربية (١٣٠)

وقد لعب (هينل) المقيم العام البريطانى في الخليج، دورا كانت له تأثيراته الفعالة في المنطقة ضد الوجود المصرى.

فكان على اثر سماعه بذهاب (سعد بن مطلق المطيرى) الى الشارقة، أن قام بنفسه برحلة الى موانىء الخليج العربية، خلال الاسبوع الاول من يوليو ١٨٣٩، وصار يستخدم سياسة التفرقة والتحريض ضده، فتقابل مع الشيخ (سلطان بن صقر القاسمى) الذى كان يؤيد ويستضيف ابن مطلق، واخذ يهدده تارة ويغريه تارة اخرى بامداده بالمال والسلاح، اذا رفع يده عن وكيل خورشيد، (١٣١) وانذره بان كل واحد من شيوخ الساحل الذين وقعوا على اتفاقية عام ١٨٢٠، ينشىء علاقات مع خورشيد، لن يلوم الا نفسه (١٣٢) وأمام ضغط وتهديد المقيم البريطانى، اخذ كل واحد من هؤلاء الشيوخ، يلقى تهمة التعاون مع سعد بن مطلق، على غيره، واخيرا نجح (هينل) في عمل معاهدة سلام بينهم، بعد مناقشات حادة وعنيفة (١٣٣) وفي ذات الوقت حصل - اى هينل - على تعهدات مكتوبة من شيوخ ابو ظبى ودبى وعجمان، بقطع اى علاقات مع خورشيد، والتعاون مع الانجليز، في صد ومقاومة القوات المصرية ضد بلادهم، كما تعهد الشيخ سلطان بن صقر، بانه لن يتصل بمحمد على او احد معاونيه، او باى قوة اجنبية، بدون علم واذن الحكومة الانجليزية، ويعتبر اعداءها، أعداءه في مقابل مساعدته بالسلاح والذخيرة، اذا هو هوجم من اى عدو له (١٣٤)

ثم ارسل هينل الى (بنى نعيم) في البريمى ، يحثهم على الصمود في موقفهم ضد السياسة المصرية، (١٣٥) ويعدهم بالمساعدة بالسلاح في حالة الضرورة (١٣٦)

وكانت السلطات الانجليزية، تعول كثيرا على صداقتها مع سلطان مسقط، ومن ثم اخذت تحثه على ان يكون على استعداد لصد القوات المصرية في الخليج (١٣٧)، خاصة بعد ان علمت برسائل خورشيد وسعد بن مطلق

المرسلة الى ولديه (هلال وثوينى) - السابق ذكرها - ورات -

١ - ان الضرورة تحتم عليها الاستمرار فى التفرقة بين سلطان مسقط وبين محمد على. حتى لا يتم تقارب بين مسقط والقاهرة (١٣٨)

٢ - ان تصلح ما بين السلطان سعيد والشيخ حمود بن عران حاكم صحار. للوقوف معا. لمواجهة القوات المصرية، خاصة فيما يتعلق بواحة البريمى (١٣٩)

٣ - ان يرسل (هينل) رسالة الى خورشيد يحتج فيها. على تطلع (سعد بن مطلق) الى واحة البريمى، حتى لا يتعكر جو الصداقة بين مصر وبريطانيا.

٤ - ان يطلب (هينل) من خورشيد، استدعاء، سعد بن مطلق. حيث نهب جزيرة (قيس) واستولى من سكانها على اربعمائة رأس من الغنم وبعض الاموال، وتحميد نشاط المصريين فى تلك الجهات، انتظارا لوصول تعليمات من حكومات لندن والقاهرة حول تلك الامور (١٤٠)

٥ - افادة خورشيد، ان طلب (بنى نعيم) بخصوص وضع انفسهم تحت الحماية الانجليزية، قد حظى بالقبول من جانب حكومة لندن، (١٤١) ومن ثم صاروا فى ظل الحماية البريطانية (١٤٢)

ويتساءل الباحث، لماذا هذا التحول المفاجىء من جانب هؤلاء الشيوخ وموافقتهم على الارتباط مع السلطة الانجليزية، ضد الوجود المصرى فى الخليج هل السبب فى شخص (سعد بن مطلق) كوكيل لخورشيد فى تلك الجهات، كما يقال لتمتعه برصيد كبير من الكراهية، لقسوته مع القبائل حين كان نائبا عن الموحدين فى تلك الجهات، (١٤٣) ام ان هناك سببا او اسبابا اخرى

المعروف تاريخيا، ان انجلترا صارت منذ بداية القرن العشرين، تهتم بمنطقة الخليج سياسيا، بجانب اهتمامها الاقتصادى الذى كان فى المحل الاول، وكانت تنظر الى اى تقارب عربى فى المنطقة، يتم بدون رغبتها، على انه عمل موجه ضد مصالحها، ومن ثم لم تدخر وسعا فى تحطيم وتفتيت مثل هذا التقارب.

وكان عرب القواسم بصفة خاصة بمثابة غصة فى حلق الوجود الانجليزى وكانوا يتوقون الى تجديد واحياء قوتهم البحرية، ويبدو انهم رأوا فى القوات المصرية، خير ما يساعدهم على تحقيق رغبتهم، بعد غياب قوة الموحدين، ليثأروا من الوجود الانجليزى

وعندما حدث تقارب بين شيخ الشارقة ووكيل خورشيد، الامر الذى يدل على ان محاولات تجميع البلاد العربية فى الخليج، كانت تسير فى طريق

الوحدة الاقليمية، في اطار الدولة الحديثة، اسرع الانجليز لاجهاض هذه المحاولات، وقد ساعد انجلترا في ذلك عدة عوامل ، لعل اهمها ما يلي.

١ ـ عدم وجود قوة مصرية كافية تساند مشايخ الامارات العربية.

٢ ـ لم يكن المشايخ على استعداد عسكرى، لمواجهة الانجليز، خاصة بعد تدمير قوة العرب البحرية الممثلة في اسطول القواسم عام ١٨١٩

٣ ـ عدم اطمئنان المشايخ بعضهم لبعض، وقد استثمر المقيم العام البريطاني هذه المسألة بالذات لصالح الوجود الانجليزي (١٤٤).

٤ ـ تلويح انجلترا باستخدام القوة العسكرية تارة، وبتقديم وعودها بالمساعدة اللازمة لصد القوات المصرية تارة اخرى، كما كان يحدث مع سلطان مسقط على سبيل المثال (١٤٥).

٥ ـ تحذيرات السلطة البريطانية في الخليج، من اى توسع مصرى، على حساب عمان او ما جاورها وانه، سيواجه بالقوة العسكرية (١٤٦)

٦ ـ ترتب على هذه التحذيرات المتكررة، ان صار بعض المشايخ الذين كانت تسيطر عليهم الرغبة في التعاون مع مصر، يعيدون حساباتهم حتى لا يتعرضوا لانتقام القوة الانجليزية.

٧ ـ لم يهتم المشايخ انفسهم في ذلك الوقت بتشكيل وحدة اقليمية، وفضل كل واحد منهم الاستقلال ببلاده، وهذا ما كانت ترمي اليه انجلترا، حتى يسهل عليها التعامل مع كل شيخ على انفراد وبأسلوبها الخاص

إذن فمسألة سعد بن مطلق، او حتى عدم ارتياح بعض المشايخ العرب من الوجود المصرى في الخليج كانت عوامل ثانوية والايام كانت كفيلة بتقوية الروابط والعلاقات بين عرب الخليج والمصريين، اذا عاب الوجود الانجليزي من المنطقة

لذلك نؤكد ونحن مطمئنون تماما، ان انجلترا هى السبب الاول والرئيسى في ابعاد هؤلاء المشايخ عن التقارب مع الوجود المصرى، وقتل اى علاقة بينهم وبين مصر، حتى لا يزداد وجود مصر قوة، خاصة بعد ان صار له مؤيدون، يرون ان مصر العربية الاسلامية، تمتاز بقوة برية تفوق اى قوة غيرها، (١٤٧) بل وكانوا يتفاخرون بوجود هذه القوة في الخليج (١٤٨)

ولكن اذا كانت انجلترا عن طريق سلطتها في الخليج، نجحت في زعزعة العلاقات بين شيوخ الساحل المهادن وبين مصر، فانها لم تتمكن من ضربها ـ اى العلاقات ـ التى كانت بين مصر والبحرين ـ كما سبق ذكره، وبينها وبين مسقط والكويت

فبالنسبة لمسقط، نلاحظ من الوثائق الرسمية، انه رغم الضغوط الانجليزية على السلطان سعيد، فان

العلاقات بينه وبين محمد على ظلت قوية، بدليل استمرار تصدير الغلال من عمان الى جدة، (١٤٩) ومساعدة ضباط الجيش المصرى فى تدريب قوات السلطان. كما حدث على سبيل المثال، عندما طلب السلطان من محافظ الحجاز، ان يرسل اليه (مدفعجى) لحاجته اليه (١٥٠) وقد امر محمد على ان يجاب السلطان الى طلبه فورا (١٥١) تعريرا للروابط والعلاقات الطيبة بين البلدين

وبالنسبة للكويت، فقد نطقت الوثائق المصرية والانجليزية على حد سواء بقوة العلاقة التى كانت بين مصر والكويت، لدرجة افزعت السلطة الانجليزية فى الخليج، واضطرت ان ترسل المقيم السياسي المساعد فى بوشهر الملازم (ادموندز) لمقابلة الشيخ (جابر ال صباح) للوقوف على النشاط المصرى فى بلاده

وعندما وصل (ادموندز) الى ميناء الكويت فى ٣٠ اكتوبر ١٨٣٩، اطلقت السفينة الحربية البريطانية التى كان يقلها، مدافعها، بالتحية، لشيخ الكويت، كالمعتاد، الا ان السفن الكويتية لم ترد عليها بالمثل. كما ان شيخ الكويت لم يبعث احدا من مجلسه او اقاربه الى ظهر السفينة البريطانية، للترحيب به، وظل (ادموندز) حبيس السفينة لمدة ثلاثة ايام، حتى سمح له الشيخ بمقابلته، وعندما وصل الى المجلس الاميرى، كان الشيخ جابر، محاطا بقوم كثيرين، وحاول ببطء شديد، القيام من مقعده، وفى فمه الغليون الذى كان يدخنه، للسلام عليه، وقد بدا واضحا ان الشيخ لم يهتم به كثيرا خلال تلك الزيارة (١٥٢)

ويعزو (ادموندز) هذه الاهانة كممثل لبريطانيا العظمى، الى الصداقة الوطيده التى تربط بين الشيخ وبين محمد على، واعجابه الشديد، بالنجاح والانتصارات المتوالية التى حققها (١٥٣).

ويشير لوريمر، الى ان ادموندز وهينل، اتفقا على ان هذا المسلك الغريب من جانب الشيخ جابر، لم يكن صادرا عن نوايا سيئة نحو السلطات البريطانية، لكنه كان يهدف لخداع الوكيل المصرى عن حقيقة العلاقة القائمة بينه وبين الانجليز، واخذت حكومة الهند الانجليزية بوجهة نظرهما، فقررت عدم ارسال انذارات للشيخ بصدد هذه الحادثة(١٥٤)

والواقع ان وجهة النظر هذه، تحتاج الى تصحيح، فتشير الوثائق المصرية الى ان حاكم الكويت لم تكن لديه ثمة مخاوف من خورشيد، وانما على العكس. كان هناك اعجاب وتقدير منه لحاكم مصر، واعتزاز بوجود قوة عربية في الخليج، وأن تصرف الشيخ بتلك الطريقة

كان اشارة الى تأييد محمد على فى عدائه للانجليز، وتجنيد امكانيات الكويت لمساعدة القوات المصرية ضد الوجود الانجليزى فى الخليج.

والدليل على ذلك، كما يشير اليه (كامبل) نفسه، بان هناك سفينة كويتية (جونشا ـ Gooncha وصلت الى ميناء القطيف فى نوفمبر ١٨٣٩، قادمة من ميناء الحديده فى البحر الاحمر، محملة بالسلاح والذخيرة لصالح القوات المصرية فى نجد [١٥٥].

فاذا صحت هذه الرواية فانها تعتبر خير برهان، على قوة العلاقات بين الكويت ومصر، وزيادة على ذلك، فان السفن الكويتية ظلت فى تعاون مستمر مع القوات المصرية فى شرق الجزيرة، فكانت تقوم بنقل الغلال من الكويت وشط العرب وبوشهر اليها [١٥٦].

وعلى ضوء ما سبق، نرى ان تصور هينل وادموندز، كان تغطية لفشل الاخير، الذى نعتقد انه كان يريد من زيارته

١ ـ ابعاد الوكيل المصرى من الكويت، وضرب التعاون مع خورشيد، وبمعنى اخر، ضرب العلاقات المصرية الكويتية، كما حدث ونجح هينل مع بعض مشايخ الخليج..

٢ ـ مشاهدة موقع الكويت على الطبيعة، ومعرفة امكانياتها ومدى صلاحيتها اذا ما فكرت السلطات الانجليزية، فى اتخاذها مقرا للمقيم العام البريطانى بدلا من جزيرة (خرج)[١٥٧]، التى احتلتها بريطانيا فى عام ١٨٣٨، خلال التوسع الايرانى صوب هيرات [١٥٨].

تجميد العلاقات بين مصر وبلاد الخليج العربية:.

حين لاحت فى الأفق بوادر لتسوية الازمة بين محمد على وحكومة الباب العالى، صارت انجلترا، تضغط بكل قوة على الدول الاوروبية، المهتمة بمسألة الدولة العثمانية، بصورة او باخرى، لتقف معها ـ انجلترا ـ ، وتشاركها الرأى فى ان الامر اشد خطورة من ان يفصل فيه الباب العالى وحده.

وكانت قد كتبت اليه تخبره ان لا يتفاوض مع محمد على، ولا يتفق معه، الا عن طريق الدول، وأصدرت الدول الخمس (بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا وفرنسا) فى ٢٨ يوليو ١٨٣٩، مذكرة مشتركة، بعثت بها الى السلطان عبدالمجيد، حتى لا يبرم صلحا مع محمد على من غير موافقة تلك الدول الموقعة على تلك المذكرة.

ولعل الذى دفع انجلترا لهذه الحركة السياسية ما يلى

١ ـ رأت ان انتصار القوات المصرية على قوات الدولة العثمانية فى معركة نزيب، يجعل محمد على يتشدد على مائدة المفاوضات، مع حكومة السلطان

العثمانى، ليحقق اهدافا، ربما تتعارض مع السياسة الانجليزية ومخططاتها فى المشرق العربى.

٢ ـ توريط هذه الدول فى القضية، ومن ثم مشاركتها فى عمل ضد مصر، اذا رفض محمد على، الشروط التى تعرضها تلك الدول عليه، والتى لابد ان تكون فى صالح السياسة البريطانية.

امام تلك التطورات التى نتجت عن موقف انجلترا المتشدد، رآى محمد على . ان الضرورة، تتطلب منه، ان يعلق مهمة خورشيد فى شرق الجزيرة العربية، ويغلق باب المصروفات المخصص للحملة. بل ويطلب اليه، تجميد العلاقات مع بلاد الخليج العربية، والعودة الى القاهرة، [١٥٩]

وعلى ذلك نرى ان ظروف محمد على الصعبة، التى كانت وراءها الحكومة البريطانية هى السبب الرئيسى، الذى اجبره على اتخاذ هذا الاجراء الذى يعتبر (ردة) فى تاريخ سياسته الخارجية، لاننا نلاحظ انه لم يحدث ان ترك محمد على بلادا او الغى اتفاقية مفيدة مع غيره، من تلقاء نفسه

ونعتقد ان هذا التصرف من جانب مصر، رغم ما يحمله من اتهامات ضدها، كانت وراءه حكمة، لا تصدر الا من رجل داهية، كمحمد على، خبر الاساليب الاوروبية الاستعمارية، وعرف كيف يتعامل معها، فبعد شعوره بالموقف الاوروبى المضاد لمشروعاته الوحدوية فى البلاد العربية، اضطر الى ان يعيد النظر فى سياسته الخارجية ـ ككل ـ من منطلق ذلك الموقف، فلم يستبعد ان تتحالف الدول الاوروبية وتدخل معه معركة، تحت ستار مساعدة السلطان العثماني[١٦٠]، فراى والحالة هذه، آن يسرع بتجميع أكبر عدد من قواته الموزعة على أطراف شبه الجزيرة العربية، ويستفيد من خبرة قواده العسكريين آمثال خورشيد، في مواجهة ما يسفر عنه الغد من احتمالات خاصة بالنسبة لسوريا ومصر[١٦١]

وكان يدرك ان منطقة الخليج بالذات، منذ وجود ابراهيم باشا فى شرق الجزيرة عام ١٨١٨، تشكل اهمية خاصة لانجلترا، وقد تزايد اهتمامها بها، عندما عادت القوات المصرية بقيادة خورشيد، ونشاطه السياسى فى المنطقة، بدليل ملاحقتها ـ لمحمد على ـ بالاستفسارات عن مشروعاته المستقبلية فى الخليج تارة، وبالتلويح باستخدامها القوة اذا لزم الامر تارة اخرى

على اية حال، نزل قرار القاهرة بالعودة، كالصاعقة على خورشيد، فهو لم يستطع ان يخالف اوامر الحكومة المصرية [١٦٢]، ومن ثم صار ينعى حظه بعد ذلك المجهود فى شرق الجزيرة

والخليج العربى والذى رأه، يتبدد بتلك السرعة، دون ان يكتمل مشروع توحيد البلاد التى تقع على الساحل الغربى للخليج العربى، فى اقليم سياسى واحد.

وتشير الوثائق الرسمية فى اكثر من موضع، الى خوفه من خطر الوجود الانجليزى فى الخليج، وفراغ المنطقة وقتذاك من وجود قوة عربية او اسلامية ، لها القدرة الكافية على التصدى لهذا الخطر، ويستشف من دراسة هذه الوثائق، انه كان يدرك ان المنطقة ان عاجلا او اجلا لابد ان تتعرض للاحتلال البريطانى بصورة او باخرى، وكان اخشى ما يخشاه، هو سقوط البحرين بالذات فى قبضة الانجليز، لعداء شيوخها للسلطات البريطانية فى الخليج، ولموقف الجفاء من جانب تلك السلطات لهؤلاء الشيوخ (١٦٣)، بسبب ابرامهم المعاهدة مع مصر وتمسكهم بشروطها، لذلك كان خبر سياسة القاهرة الرامى الى الانسحاب من الخليج، اشد وقعا على حاكم البحرين من غيره، ومن ثم داخله الخوف، من ان يحتل الانجليز بلاده بالقوة، فاخذ يعد الجنود من بدو الاحساء وبادية العراق، ويضمهم الى جيش البحرين، استعدادا وتحسبا لاى مخاطر قد تسفر عنها الايام (١٦٤).

وهكذا نجحت انجلترا فى ان تبدد العلاقات بين مصر محمد على وبلاد الخليج العربية، دون ان تصطدم به عسكريا فى تلك الجهات، فقد اكتفت بان تكتل معها بعض الدول الاوروبية امثال النمسا وبروسيا تحت ستار المحافظة على كيان الدولة العثمانية، وحتى لا يحدث خلل فى توازن القوى الدولية فى البحر المتوسط، وتضغط عليه عسكريا فى جبهة الشام، ليرفع يده عن الجبهة الشرقية فى الخليج نهائيا.

ولكن اذا كانت انجلترا حققت هدفها فى الخليج عن طريق الدبلوماسية او التهديد ليصير واقعا تحت نفوذها، ثم بسط حمايتها على بلاده العربية فانها لم تتمكن من قطع العلاقات الاخوية بين المصريين وعرب الخليج لانها تشكل جزءا من حياتهم ووجودهم وظل كل طرف يعيش مع الاخر ويشاركه افراحه وآلامه وآماله ومن جانب آخر فان الزعماء العرب كانوا يزدادون مع الايام وعيا وقوة، ومن ثم لم يهدأوا حتى حصلوا على استقلال بلادهم.

الهوامش ومكتبة البحث

١ - للمزيد انظر للباحث
التطور التاريخي لسياسة محمد على تجاه الخليج العربى - ص - ٤٠ وما بعدها، الوثيقة، العدد العاشر - السنة الخامسة، جمادى الاولى ١٤٠٧ هـ يناير ١٩٨٧ (مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين)

٢ - انظر للباحث
خلفية البحرين التاريخية قبيل وجود محمد على في الخليج العربى ص ١٤ وما بعدها - الوثيقة - العدد التاسع - السنة الخامسة، شوال ١٤٠٦هـ يوليو ١٩٨٦م - (مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين)

٣ - Kelly,J.B.: Britain and the Persian Gulf,PP.300 - 301 (London 1968)

٤ - لوريمر، ج ج دليل الخليج - القسم التاريخى، جـ ٣، ص ١٣٠٤، طبعة جديدة معدلة ومنقحة، اعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر

٥ - يبدو ان مسألة ابن عفيصان، كانت تشكل عقبة في طريق التقارب بين مصر والبحرين ، وذلك بسبب تمسك شيخ البحرين بوعده له، وقبوله في بلاده كلاجيء سياسى، وقد طرح محمد أفندى رفعت بعد عودته من هذه الزيارة، المسألة على خورشيد باشا، وانتهى الرأي الى ان وافق خورشيد ، على العفو عن ابن عفيصان
محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧)، صورة الجرنال المحضر، من طرف محمد أفندى - شروط المعاهدة، (دار الوثائق القومية بالقاهرة)

٦ - للمزيد انظر للباحث خلفية البحرين التاريخية، مرجع سابق

٧ - د محمد عرابى نخلة تاريخ الاحساء السياسى (١٨١٨ - ١٩١٣) ص ٤٩ وما بعدها (الكويت ١٩٨٠)

٨ ـ Arabian Gulf Intelligence, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV, 1856. Historical sketch of the Wahabee Tribe of Arabs; P. 445

٩ ـ محفظة رقم (٢٦٦) عابدين، وثيقة رقم (٤) اصلى ـ ٨٩ حمراء، بتاريخ صفر ١٢٥٥ (ابريل ١٨٣٩) دار الوثائق القومية بالقاهرة

١٠ ـ F.O. 78-371, Extracts of Taylor's Private letters, 31-3-1839

١١ ـ لوريمز مرجع سابق. جـ ٣ ص ١٣٠٤

١٢ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، وثيقة رقم (٤٠) اصلية، ١٠ حمراء بتاريخ ٣ شعبان ١٢٥٥ هـ (١٢ اكتوبر ١٨٣٩م)

١٣ ـ Kelly, J. B.: Op. Cit.: pp. 303-304

١٤ ـ Arabian Gulf Intelligence, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV, 1856. Historical Sketch of the Uttoobee Tribe of Arabs; "Bahrain", P. 389 وكان (حاجى قاسم) من قبل مسئولا عن شحن السفن التجارية، لكنه اصبح وقتذاك يحمل لقبا وثوبا شرفيا من شيخ البحرين، وتحرسه فرقة من عشرة جنود ايرانيين، وكان ارساله فشلا محققا من كل ناحية، خاصة بالنسبة لما كانت الحكومة الايرانية، تفترضه من ان شيخ البحرين سيدفع مبلغا من المال سنويا، مقابل تأييدها وحمايتها، انظر
لوريمر. جـ ٣، ص ١٣٠٥ وما بعدها

١٥ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) صورة الجرنال المحضر، البند الرابع، مصدر سابق

١٦ ـ Historical sketch... Uttobees-op-Cit.P.389.

١٧ ـ Toynbee,A.:Astudy of History, Vol.111(1951),P.P 247-248

١٨ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) صورة الجرنال المحضر، البند الرابع.

١٩ ـ من ذات البند الرابع

٢٠ ـ د. محمد فؤاد شكرى واخرون بناء دولة مصر محمد على ـ القاهرة ١٩٤٨

٢١ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) ـ البند الرابع.

٢٢ ـ ذات المحفظة والوثيقة، صورة المكاتبه المرسلة الى الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة بتاريخ ٢٠ ذى الحجة هـ ـ (٦ مارس ١٨٣٩م)

٢٣ ـ د. محمد عرابى نخله· مرجع سابق . ص ٧٧
٢٤ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين . وثيقة رقم (٧) اصلية ـ ٥٠ حمراء بتاريخ ٢١ محرم ١٢٥٥ هـ (٧ ابريل ١٨٣٩م)
٢٥ ـ ذات المحفظة، وثيقة رقم (٤٠) اصلية ـ ١٠ حمراء بتاريخ ١٩ رمضان ١٢٥٥هـ (٢٧ فبراير ١٨٣٩)، من خورشيد الى صاحب الدولة.
٢٦ ـ ذات المحفظة، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧)، صورة الجرنال المحضر، البند الاول
٢٧ ـ ذات المحفظة والوثيقة، البند الثانى.
٢٨ ـ ذات المحفظة والوثيقة والبند
٢٩ ـ ذات المحفظة والوثيقة، البند الرابع.
٣٠ ـ ذات المحفظة والوثيقة، البند الثالث
٣١ ـ ذات المحفظة والوثيقة، البند الرابع
٣٢ ـ عن تعريف الامان وحكمه انظر
د. الشيخ عبدالوهاب القاضى موقف الاسلام من المعاهدات الدولية (دراسة مقارنة) ص ١٨٩ وما بعدها ـ (البحرين ١٩٨٤)
٣٣ ـ محفظة رقم (٢٦٧) ـ المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) البند الخامس.
٣٤ ـ ذات المحفظة والوثيقة، صورة الامان للشيخ عبدالله بن احمد
٣٥ ـ ذات المحفظة، صورة المرفق العربى للوثيقة (١٣٧) حمراء، رسالة من الشيخ عبدالله بن احمد الى خورشيد بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٥٥ هـ (٧ مايو ١٨٣٩)
٣٦ ـ Uttobees,op.cit.p.489 Historical Sketetch. وللأسف لم نعثر على نص الاتفاقية فى دار الوثائق القومية بالقاهرة، ولا بين الوثائق البريطانية المتاحة امامنا، ولكن لا يعنى ذلك، انه لم تكن هناك معاهدة بين مصر والبحرين، فتتفق الوثائق المصرية والانجليزية على وجودها، وتبرز كل منهما روحها والشروط التى تضمنتها، وانحصرت الصعوبة امام الباحثين فى معرفة تاريخ اليوم الذى وقعت فيه تلك المعاهدة، والتى من المرجح طبقا للاحداث التاريخية، ان تكون تمت فى العشرينات من شهر مارس ١٨٣٩، اللهم الا اذا ظهر النص الاصلى فى احد الايام، واعفى الباحثين من الاستنتاج التاريخى.
٣٧ ـ محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربى للوثيقة (١٣٧) حمراء،

رسالة من الشيخ عبدالله بن احمد الى خورشيد.

٣٨ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit.P.446

٣٩ - محفظة رقم (٢٦٧)، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) حمراء، مكاتبه من خورشيد الى الشيخ عبدالله بتاريخ ١٠ ذى الحجة ١٢٥٤ هـ (١٤ فبراير ١٨٣٩)

٤٠ - جاء تقديرها فى لوريمر بحوالى ٢٠٠٠ روبية، جـ ٣. ص ١٣٠٨

٤١ - محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربى للوثيقة (١٣٩) اصلية، ٦ حمراء بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٥٥ هـ (١٠ سبتمبر ١٨٣٩)م

٤٢ - محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربى للوثيقة (١٣٧) حمراء، شروط الاتفاقية

٤٣ - كان الشيخ مبارك متزوجا من بنت (شافير بن شعبان) شيخ الهواجر

٤٤ - محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٦٤) حمراء بتاريخ ٢٥ ذى الحجة ١٢٥٤ هـ (٩ فبراير ١٨٣٩)

٤٥ - محمد بن خليفة النبهانى التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٥٤ وما بعدها (ط ٢ القاهرة ١٣٤٢هـ)

٤٦ - هذا دليل اخر، على عدم تدخل الادارة المصرية فى شئون البحرين

٤٧ - لوريمر. جـ ٣ ص. ١٣٠٧

٤٨ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوتيقة رقم (١٣٧، شروط الاتفاقية

٤٩ - د محمد عرابى نخله مرجع سابق ص ٨٢ - ٨٣

٥٠ - د عبدالعزيز نوار تاريخ العراق الحديث ص ٣٩٧ (القاهرة ١٩٦٨

٥١ - ويلسون، سيرارنولد تاريخ الخليج، ترجمة محمد امين عبدالله، ص ١٨٢ (سلطنة عمان ١٩٨١)

٥٢ - Historical Sketch..Wahabees.op.cit p.445

٥٣ - Kelly,J.B.:op cit,P.P 337-338

٥٤ - لوريمر: مرجع سابق، جـ ٣ ص ١٣٠٦

٥٥ - مولى ايزارد الخليج - محاولات الغرب للتقرب الى شبة الجزيرة العربية ص ١٥٨ (الهيئة المصرية للاستعلامات - القاهرة ١٩٨٠)

٥٦ - عرض حكومة المملكة العربية السعودية فى التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بين مسقط وابوظبى وبين المملكة العربية السعودية، جـ ١ ص.١٧٢ (القاهرة ١٩٥٥)

٥٧ - Kelly, J.B.:Eastern Arabian Frontiers,P.48,(london 1964)

٥٨ - لوريمر مرجع سابق، جـ ٣، ص ١٣٠٥
٥٩ - د. جمال زكريا الخليج العربي - (١٨٤٠ - ١٩١٤) ص ٦٧ (القاهرة ١٩٦٦)
٦٠ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربي للوثيقة رقم (١٣٧) حمراء بتاريخ ١٨ جمادى الاولى ١٢٥٥ هـ (٣٠ يوليو ١٨٣٩)
٦١ - لوريمر مرجع سابق. جـ ٣. ص ١٣٠٦
٦٢ - Kelly,J.B.:Britain and the persian Gulf, P.319
٦٣ - د جمال زكريا مرجع سابق ص ٦٧ وما بعدها
٦٤ - لوريمر، جـ ٣ ص ١٣٠٦
٦٥ - لوريمر، جـ ٣ ص ١٣٠٦
٦٦ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربي للوثيقة رقم (١٣٧) البند الخامس والسادس
٦٧ - لوريمر، جـ ٣ ص ١٣٠٦
ويلاحظ ان تعبير الحماية المؤقتة او الاحتلال المؤقت، استخدمته الدول الاستعمارية، مثل ما حدث بالنسبة لمصر في عام ١٨٨٢، وتونس في ١٨٨١ والمغرب الاقصى في ١٩١٢ بهدف التهدئة، ريثما تثبت كل منها اقدامها في تلك البلاد العربية
٦٨ - د عبدالعزيز نوار مرجع سابق ص ٢٤٧
٦٩ - لوريمر، جـ ٣، ص ١٣٠٧
٧٠ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربي للوثيقة رقم (١٣٧) حمراء، بتاريخ ١٨ جمادى الاولى ١٢٥٥ هـ (٣٠ يوليو ١٨٣٩)
٧١ - Historical sketeh.. Uttobees, op.cit.PP.366-382
٧٢ - محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (١٣٩) اصلية - ٦ حمراء، بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٨٣٩، من خورشيد الى الباشمعاون الخديوى
٧٣ - من المعاهدات ومشروعيتها وانواعها انظر
د الشيخ عمر عبدالوهاب القاضي مرجع سابق ص ٨٥ وما بعدها
٧٤ - محفظة رقم ٢٦٧) صورة المرفق العربي للوثيقة رقم (١٣٧) حمراء، تقرير محمد افندى لخورشيد عن زيارته لبلاد الخليج.
٧٥ - من ذات التقرير السابق ذكره
٧٦ - من ذات التقرير السابق ذكره
٧٧ - من ذات المحفظة والوثيقة، رسالة من الشيخ عبدالله بن احمد الى خورشيد باشا بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٥٥ هـ (٧ مايو ١٨٣٩)

٧٨ ـ من ذات المحفظة والوثيقة من طرف محمد افندى

٧٩ ـ د. جمال زكريا. دولة بوسعيد فى عمان وشرق افريقيا (١٧٤١ ـ ١٨٥٦) ص ١٨٠ وما بعدها (القاهرة ١٩٦٧)

٨٠ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، تقرير خورشيد الى سنى الهمم صاحب الدولة والعطوفه الباشمعاون الخديوى، من ثرمده فى ٣ شعبان ١٢٥٥ هـ (١١ اكتوبر ١٨٣٩)

٨١ ـ لوريمر، حـ ٣ . ص ١٣٠٨

٨٢ ـ من تقرير خورشيد السابق ذكره

٨٣ ـ لوريمر. جـ٣ ص ١٣٠٨

٨٤ ـ من تقرير خورشيد السابق ذكره

٨٥ ـ لوريمر، حـ ٣ ص ١٣٠٨ ـ ١٣٠٩

٨٦ ـ Historical sketeh.. Uttobees, op.cit.P.389

٨٧ ـ د. جمال زكريا مرجع سابق ص ١٨١ وكذلك لوريمر، حـ٣ ١٣٠٩

٨٨ ـ Historical sketeh.. Uttobees, op.cit.P.389

٨٩ ـ Ibid.PP. 377-378

٩٠ ـ محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) البند الرابع.

٩١ ـ Kelly,J.B.:Op.Cit.PP.322-340

٩٢ ـ Historical sketeh.. Uttobees, op.cit.P.389

٩٣ ـ لوريمر، حـ ٣ ص ١٣٠٩

٩٤ ـ انظر عبدالرحمن الرافعى عصر محمد على (القاهرة ١٩٥١)

٩٥ ـ د احمد عزت عبدالكريم دراسات فى تاريخ العرب الحديث ص ٢٧٢ وما بعدها (بيروت ١٩٧٠)

٩٦ ـ د محمد رشيد الفيل الاهمية الاستراتيجية للخليج العربى ص ٤٨ ـ الخليج العربى فى مواجهة التحديات ـ محاضرات الموسمين الثقافيين السابع والثامن ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ (الكويت ١٩٧٥)

٩٧ ـ محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (١٣٩) اصلية، ٦ حمراء، من خورشيد الى الباشمعاون الخديوى فى ١٣ اكتوبر ١٨٣٩، والغريب حقا ان انجلترا كانت فى تلك الفترة تبنى احتجاجاتها، على تلك الصلات الجديدة التى نشأت بين مصر والبحرين، على اساس ان تلك الجزيرة تابعة لفارس، ولكننا نرى فيما بعد، كيف انها فى مناسبات اخرى عديدة، عارضت ادعاءات فارس على البحرين، مما يدل على ان

انجلترا، لم تتخذ مبدأ ثابتا في سياستها، وانما كانت مصالحها هي الى تملي عليها السياسة المطلوبة، وبمعنى اخر، كانت سياستها هي مصالحها.

٩٨ - من تقرير خورشيد بتاريخ ٣ شعبان ١٢٥٥ هـ السابق ذكره

٩٩ - لا تزال جزيرة مالطة تلعب دورا هاما في حوض البحر المتوسط وقت الحرب

١٠٠ - محفظة رقم (٢٦٧) صورة المرفق العربي للوثيقة رقم (١٣٩) اصلية، ٦ حمراء بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٥٥ هـ (٩ - اكتوبر ١٨٣٩)

١٠١ - من تقرير خورشيد في ٣ شعبان ١٢٥٥هـ السابق ذكره

١٠٢ - من ذات التقرير

١٠٣ - عرض الحكومة السعودية مرجع سابق. ص ١٧٣ وما بعدها

١٠٤ - Historical sketeh.. Wahabees, op.cit.P.446

١٠٥ - محفظة رقم (٢٧٠) عابدين، وثيقة رقم (١٩٤) حمراء، بتاريخ ١٢ جمادى الاخر ١٢٥٥ هـ (٢٣ اغسطس ١٨٣٩)

١٠٦ - د صلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٣٨ (القاهرة ١٩٧٤)
ويقول السالمي انه بعد مقتل مطلق، جاء ولده سعد في طلب ثار ابيه، في ركب قوم من البريمي، وجنبوا الخيل واغاروا على بديه، صبيحة العيد، وهو يوم الزينة، فقتل منهم رجالا، وقتلوا منه رجالا، ثم عطف راجعا، فلم يعاود منهم احد بعد ذلك، انظر السالمي تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان حـ ٢ ص ١٥٨ (مطبعة الامام بالقلعة بمصر)

١٠٧ - Historical sketch..Wahabees.op.Cit.P.446 ويعزو خورشيد عداء بني نعيم وعدم التعاون معه، الى الفتن والدعايات المضادة التي يبثها الانجليز ضد الوجود المصري في الخليج

١٠٨ - Historical sketch..Wahabees.op.Cit.P.p.446-447

١٠٩ - لوريمر. حـ ٣. ص ١٦٤٣

١١٠ - جون كيلي: بريطانيا والخليج حـ ١. ص ٥٤٥، الترجمة العربية، (سلطنة عمان ١٩٧٩)

١١١ - السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان، سلطان مسقط وزنجبار مذكرات اميره عربية، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي. (سلطنة عمان ١٩٨٥)

١١٢ - انظر د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا: زنجبار (القاهرة ١٩٥٩)

١١٣ - محفظة رقم (٢٧٠) وثيقة رقم (١٩٤) حمراء بتاريخ ١٢ جمادى الاخرة (٢٣ اغسطس ١٨٣٩) رسالة من خورشيد الى الباشمعاون الخديوى

١١٤ - محفظة رقم (٢٦٦) وثيقة رقم (٤٣) اصلية (١٨١) حمراء رسالة من خالد بن سعود الى ابناء سلطان عمان، بدون تاريخ

١١٥ - محفظة رقم (٢٦٦) عابدين، وثيقة رقم (٤٣) اصلية، بتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٢٥٤ هـ ٥ اغسطس ١٨٣٩)

١١٦ - د. جمال زكريا دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ص ١٧٨ وما بعدها، (القاهرة ١٩٦٧)

١١٧ - Kelly,J.B.:Britain...op Cit.P.P.323-324

١١٨ - نرى انه لو حدث تعاون بين محمد علي والسلطان سعيد وقتذاك في فتوحات افريقية، لكان في الامكان تحقيق نجاح مؤكد في تلك القارة

١١٩ - Historical sketch..Wahabees.op.Cit.P.p.446-447

١٢٠ - د. احمد مصطفى ابو حاكمه. تاريخ الكويت، الجزء الثاني، القسم الاول، ص. ١٨٤ وما بعدها، (الكويت ١٩٧٠)

١٢١ - محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٧) بتاريخ ٣ ربيع الاخر (١٦ يونيو ١٨٣٩)

١٢٢ - د ـ جاكلين اسماعيل سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر، ص ١٩. (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ العدد السادس عشر ـ السنة الرابعة ـ الكويت ١٩٧٨)

١٢٣ - د. جمال زكريا موقف الكويت من التوسع السعودي في نجد وسواحل الاحساء. ص ٩٩ ومابعدها (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ١٧)

١٢٤ - محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٤) حمراء. بتاريخ غره جمادى الثانية ١٢٥٥ (١٢ اغسطس ١٨٣٩)

١٢٥ - د. مهدى جواد حبيب الصراع العثماني الفارسي واثره على العراق حتى اواخر القرن التاسع عشر، ص ١١٢ ـ ١١٣ ـ الحدود الشرقية للوطن العربي، دراسة تاريخية ـ مجموعة ابحاث اصدرتها جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق، (بغداد ١٩٨١)

١٢٦ - محفظة رقم (٢٦٧) وثيقة رقم (٤) حمراء، بتاريخ غره جمادى الثانية ١٢٥٥ هـ (١٢ اغسطس ١٨٣٩)

١٢٧ - للمزيد انظر:

د. ياسين عبدالكريم اتفاقيات الحدود الشرقية الى نهاية القرن

التاسع عشر. ص ٢١٠ وما بعدها - مجموعة ابحاث في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي، دراسة تاريخية (بغداد ١٩٨١)

١٢٨ - يتخبط المؤرخون حول هذه المسألة، فتارة يجدون ان محمد على يرفع الشعار الاسلامي، وتارة يرفع الشعار العربي، ومن ثم لم يحدد بالضبط هوية سياسته، ونحن نقول ان سياسته جمعت بين العربية والاسلامية، وكان يستخدم كل منهما وقت اللزوم

١٢٩ - محفظة رقم (٢٥٨) عابدين - وثيقة رقم (١٨٣) بتاريخ رمضان ١٢٥٥ هـ نوفمبر ١٨٣٩، نقلا عن د. عبدالعزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث ص ٢٢٨ (القاهرة ١٩٦٨)

١٣٠ - لوريمر، حـ ٣ ص ١٦٣٩ - ١٦٤٠

١٣١ - ترتب على الضغوط الانجليزية، بجانب عدم ارتياح بعض القبائل العربية، ان عاد سعد بن مطلق المطيري الى الاحساء، بعد ان قضى في تلك البلاد التي تقع الى الجنوب من البحرين فترة سبعة شهور، بحجة ان ما لديه من قوات لن يكفي لتحقيق مهمته بسبب النشاط الانجليزي محفظة رقم (٢٧٠) وثيقة عربية رقم (١٩٤) حمراء، وصورة المرفق العربي رقم (١) بتاريخ ١٢ جمادى الاخرة ١٢٥٥ هـ (٢٣ اغسطس ١٨٣٩)

١٣٢ - محفظة رقم (٢٧٠) وثيقة عربية رقم (١٩٤) حمراء، وصورة المرفق العربي رقم (٣) بتاريخ ٢١ ربيع الاخر ١٢٥٥ (٣ يوليو ١٨٣٩)

١٣٣ - Arabain Gulf Intelligence, Selections from the Records of the Bombay Government, New series,No XXIv,1856. Historical Sketch of Rise and Progress of the Government of Muskat,P.211

١٣٤ - Historical sketch..Wahabees.op.Cit.P.447

١٣٥ - د. صلاح العقاد مرجع سابق. ص ١٣٨
وكذلك لوريمر حـ ٣ ص ١٦٤٣

١٣٦ - Historical sketch..Wahabees,op.P.447

١٣٧ - Coupland,R: East Africa and its Invaders,P.470 (London 1938)

١٣٨ - د صلاح العقاد مرجع سابق ص ١٢١

١٣٩ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.447

١٤٠ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ١٣٩) أصلية، (٦ حمراء، بتاريخ ١٧ جمادى الاخرة ١٢٥٥ هـ (٢٨

اغسطس ١٨٣٩

١٤١ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.447

١٤٢ - لوريمر حـ ٣، ص ١٦٤٣ - ١٦٤٤

ويلاحظ ان حكومة بومباى الانجليزية، اوقفت المساعدة المالية والعسكرية عن (بنى نعيم) على اثر انسحاب قوات خورشيد من شرق الجزيرة العربية، انظر Kelly,J.B: Britain.. Op. Cit.P.340

١٤٣ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.447

١٤٤ - Ibid.P.447

١٤٥ - Coupland,R.: Op Cit.P.470

١٤٦ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.447

١٤٧ - Kelly,J.B.: Britain. Op Cit.PP322-329

١٤٨ - F.O. 78-386,No.140, Political Department, from Abdullah Bin Khalifa to the Resident in Persian Gulf,26-1-1839

١٤٩ - دفتر رقم (٦٧)معيه تركى، وثيقة رقم (٦٤) ورقة (١٢) بتاريخ ١٠ رجب ١٢٥٥ هـ ١٩ سبتمبر ١٨٣٩، نقلا عن د عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على، المجلد الاول. ص ٧٢٤ - ٧٢٥ (الدوحة ١٨٩٢)

١٥٠ - محفظة رقم (٢٦٩) المرفق العربى للوثيقة رقم (٢٨) اصلية، (٦٧) حمراء، بتاريخ ١١ ذى القعدة ١٢٥٥ هـ (١٦ يناير ١٨٤٠)

١٥١ - ذات المحفظة السابقة، افادة رقم (١٧) بتاريخ ١٧ جمادى الاخرة ١٢٥٦ هـ (١٦ اغسطس ١٨٤٠)

١٥٢ - لوريمر، حـ ٣، ص ١٥١٤

١٥٣ - India office Records, F.R.P. P.G.Vol 68, Edmonds Report on his mission to Koweit, 5-11-1939

١٥٤ - لوريمر، حـ ٣، ص ١٥١٥

١٥٥ - Historical sketch..Wahabees,op.Cit P.448

١٥٦ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم (١٣٧) صورة الجورنال المحضر

١٥٧ - تنطق فى العراق (خرج) و فى ايران (خرك) وهى غير (خرج) التى تقع فى منطقة الرياض باقليم نجد.

١٥٨ - بعد ان تخلصت انجلترا من الوجود المصرى فى الخليج فى عام ١٨٤٠، قررت حكومة بومباى الانسحاب من هذه الجزيرة الذى تم

في عام ١٨٤٢، وللمزيد انظر:
د. جمال زكريا، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوروبي الاول، ص٤٤٦ وما بعدها (القاهرة ١٩٨٥)

١٥٩ - محفظة رقم (٢٦٧) عابدين، وثيقة رقم (١٣٧) ارادة رقم (٢١) بتاريخ ٢ رجب ١٢٥٥هـ

١٦٠ - وفعلا، بعد ان رفض محمد على معاهدة لندن في ١٥ يوليو ١٨٤٠، اخذ الاسطول البريطاني يحاصر الاسكندرية، وقطع خط الاتصال البحرى بين مصر وسوريا، وصارت قوات الدول المشتركة (النمسا وتركيا وبريطانيا) تضرب بيروت، وتحرز الانتصار على القوات المصرية هناك، مما اضطره الى الانسحاب من الشام، وعادت مصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية، بمقتضى الفرمان الصادر في فبراير ١٨٤١

١٦١ - Kelly,J.B.: Britain.. OP. Cit.PP.34o-42

١٦٢ - يعزو المسئولون الانجليز، انسحاب خورشيد، الى حقد محمد على عليه، نتيجة الانتصارات التى حققها، وخوفه من ان ينفصل بها عن حكومة القاهرة، وهذا هراء من جانب هؤلاء المسئولين، فقد رفض هذا القائد ان يتخلى عن تلك الحكومة، رغم اغراء (على رضا) والى العراق له، ليستفيد منه في ادارة شرق الجزيرة العربية

١٦٣ - لوريمر جـ ٣، ص ١٣١٠ وما بعدها

١٦٤ - د محمد عرابى نخله مرجع سابق. ص ٩٣



البحرين وعمان

بقلم :

جيه . سي . ولكنسون (جامعة اكسفورد)

طبقا للمصادر الكلاسيكية العربية تقسم الجغرافية التقليدية الساحل الشرقي للجزيرة العربية بين البحرين وعمان.

وهذه الفكرة القديمة بالنسبة للبحرين تتطابق الى حد ما مع فكرة دلمون كما تتطابق عمان على وجه التقريب مع ماجان. وهذا التقسيم اساسا يقوم على فكرة جغرافية. وترتكز الحياة الاقتصادية في منطقة عمان على سلسلة من الجبال التي تمتد لمسافة ٦٥٠ كم وتشكل ميزة طبيعية بارزة لجنوب شرقي الجزيرة العربية. وتقع البحرين فوق منطقة تتكون من كتلتين من الماء اي



الكمية التي يجذبها السطح الصحراوي (الاحساء) والتي تشكل طبقة صخرية مائية محددة تنحدر تدريجا نحو الخليج من المنحدرات (اليمامة) حول اطراف نجد (العروض) بالاضافة الى ان النقاط الطبيعية من الطبقات السطحية تخلق تحت الضغط جوا ملائما لظهور العيون التي تزود الواحات الرئيسية للاحساء بالماء من حدود الكويت (كاظمة) الى قطر وعلى ارض جزيرة البحرين نفسها.. وكان الغواصون يملأون قربهم بالماء بعيدا عن الشواطيء من نقاط التفريغ الطبيعية في البحرين.

وقد اطلق على المساحة الحدودية بين هاتين المنطقتين اسم «البينونة» لانها تفصل بينهما حسب ما ذكر «العوتبي» وهو مصدر عماني لأوائل القرن الثاني عشر الميلادي ويتطابق مع ما يقوله ياقوت في موسوعته الجغرافية. واليوم لا تشكل البينونة الا شريطا ساحليا صغيرا في غرب ابي ظبي ولم يعد الاسم الا اسما اثريا ينتشر فقط في جزء من المساحة الاصلية.

والبحرين نفسها نموذج رائع لهذه العملية (بوتس ١٩٨٣) اذ يمكن العثور على استخدام قديم لهذا الاسم في القرن التاسع عشر فالكابتن سادلير وهو اول اوروبي يعبر الجزيرة العربية (١٨١٩) يشير الى اسم (البحرين) لكنه يطلق على البر الرئيسي (البحران) «بالرفع» (سادلير ١٩٧٢، طبع جديد ص ٥٢) في حين يقول لوريمر بان الاسم القديم للجزيرة اي اوال كان مفهوما حتى في بداية هذا القرن

وقد تعرض شمال عمان كذلك لتغييرات مماثلة ومن منتصف القرن الثامن عشر نلاحظ اختفاء الاسماء القديمة للمنطقة والتي ترجع الى بداية العصر الاسلامي وقبله وتشير الى المركز الرئيسي ومنطقته. وتشمل جلفار (جلافار او جرفار او جرافار) اصلا ساحل عمان بالكامل، ربما من مستوى دبي (السبخة) الى شبه جزيرة مسندم مع ان الميناء الذي عرف بهذا الاسم اطلق عليه خور رأس الخيمة الحديثة. ويختفي اسم جلفار بظهور دولة القواسم. كذلك تختفي اسماء المنطقتين الرئيسيتين الداخليتين المتتاليتين في نفس هذه الفترة. فتوام (الاصح توام) تصبح البريمي وتسمى المنطقة المجاورة (الجوّ) مع ان الاسم القديم لا يزال يستخدم كلقب (تيما) (العين) (اي عين الظواهر - انظر فيما بعد للتفاصيل عن المجموعات القبلية في المنطقة). وفي الداخل يختفي اسم (سر) ويشتهر المركز الرئيسي باسم (عبري). ويصبح كل من البريمي وعبري اسمين للواحتين الرئيسيتين وتعطى المنطقة التي تضم الاثنتين اسما جديدا هو (الظاهرة) مقابل (الباطنة) اي الجانب الداخلي لسلسلة الجبال ويلاحظ ان هذا الاصطلاح (بدوي) الى حد ما ويستخدم لمقارنة جانبين لمظهر جغرافي واحد (راجع ايضا «الظاهر» اللقب البدوي لابي ظبي الذي يقع على ظهر «الخور» والذي هو المستوطن الداخلي للباطن) و«الظاهرة» دون شك اسم حديث نسبيا ويظهر لاول مرة في المصادر العمانية المتأخرة من بداية القرن الثامن عشر والتي تستخدم الاسماء الجديدة للمراكز في شمال عمان. ورغم

ذلك تبقى آثار الاسماء القديمة حتى اليوم بشكل مخلوط بحيث يقسم المحليون الظاهرة الى ظاهرة السر وظاهرة الجو. وترتبط هذه التغييرات في اسماء المواقع الجغرافية بالمفاهيم الجغرافية لدى السلالات الجديدة والمجموعات القبلية. كما نرى فيما بعد اذ تغيرت المنطقة كلها كثيرا بسبب الهجرات التي سبقت تغييرات رئيسية بين الاسر الحاكمة في القرن الثامن عشر وهي الفترة التي برزت فيها ملامح السلالات الحاكمة الحالية الى حد ما في تلك الفترة حل آل سعود في البحرين القديمة محل بني خالد وكذلك بدأ العتوب وآل ثاني فيما بعد يحققون شهرة كبيرة. وانتهت سلالة اليعاربة في عمان نتيجة الحرب الاهلية وحلت محلها سلالة البوسعيد وفي الواحات الشمالية بدأ البوفلاح والقواسم في اقامة دول مشابهة كما اتبع البوخريبان من النعيم نفس الخطوة على مستوى اقل.

وفي نفس الفترة تقلصت منطقة (البينونة) التي كانت تضم مساحة واسعة حسب المصادر القديمة ربما شملت كافة ابوظبي الغربية وشاع استخدام الاسماء المحلية كالظفرة والبوا وسمجان وسبخت مطي والبينونة الجديدة. وعلى الرغم من التغيير في الاسماء الا ان المفهوم الجغرافي القديم عن الحدود ظل كما هو. «فسبخت مطي» «حسب الشهادات المعاصرة لجميع الشيوخ وحسب الاشخاص الذين لديهم معلومات عن الموضوع والذين التقيت بهم، هي الخط الفاصل بين نجد (اي الدولة السعودية الجديدة) وعمان وكان يعتبر هكذا منذ القدم» (مايلز ١٨٧٧). وتظهر «سبخت مطي» بالضبط على الحدود بين البحرين وعمان على خريطة ف - وستنفلد (البحرين واليمامة لدى الجغرافيين العرب) التي اعدت في نفس الوقت وتم فيها تحديد الاماكن على الجانب العماني بوضوح فهم يشيرون الى القبائل البحرينية/ السعودية كـ (أهل) الغرب ولا يوافقون على نظرية التقسيم التي ترجع الى الانطلاق من المنطقة الجبلية الداخلية اي الفصل بين الهناوي والغافري هذه الصيغة العمانية معترف بها من الجانب الآخر ايضا من حيث انه يمكن لمواطن قطري ان يشير الى أبوظبي كعمان. وفي داخل عمان نفسها يطلق هذا الاسم على قلب المنطقة بحيث يميل السكان الى تسمية المساحة المتاخمة للجبل بعمان

ورغم ذلك هناك ارتباطات مشوقة بين البحرين وعمان مما يلقي الضوء على الوضع القبلي في شمال عمان (اي من السر الى ابوظبي) وعلى التاريخ السياسي في تلك المنطقة. ومن ناحية

يمكن تتبعه الى تاريخ الهجرات بين المنطقتين ومن ناحية اخرى الى التحالفات واحيانا الى التأثير الديني الذي يربط بينهم

العلاقات المبكرة

● العلاقات القبلية:

ان عمان شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاثة جوانب ويمتد «الربع الخالي» في الجانب الرابع. ويقتصر الوصول اليها على ممرين ضيقين احدهما على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية ويؤدي الى جنوب شرق عمان عن طريق جعلان وثانيهما عبر ساحل الهدنة الى توام

ويبدو ان اول هجرة سجلت في تاريخ القبائل العربية جاءت من جنوب غربي الجزيرة العربية وهي هجرة (مالك بن فهم الأزدي) واتخذت طريق الممر الاول لكن الهجرة التي اتخذت الطريق الثاني ذات اهمية اكثر لان الموجتين الرئيسيتين المتتاليتين لكل من ازد (عمان) وعمران (الأزد وهجر) وشنوءه (يحمد وأولاد شمس) اتبعتا طريق وسط الجزيرة العربية (العروض) الى اليمامة والبحرين قبل استيطان عمان كذلك اتبعت ابن سامة ومجموعات عبدالقيس ويحتمل كنده ايضا نفس الطريق

كان عمران من اول المهاجرين الذين وصلوا الى عمان بهذا الطريق وطبقا للعوتبي (وهو المصدر الرئيسي العماني حول ما ذكر في هذا البحث عن القبائل) فان عاصمة اليمامة القديمة وهي حجر اتخذت اسمها من حجر بن عمران. واستقر عمران على طول طريق الهجرة حتى الظاهرة الحديثة والشرقية وهكذا امتزج مع مالك بن فهم الذين كانوا من البدو وبالتعاون مع جماعات قضاعة (خاصة الراسب) هاجروا عبر جنوب الجزيرة العربية الى مجمع في جعلان ومن هناك انتشروا داخل الجبال بتسكل تيار معكوس في اتجاه البحرين وفي البحرين تحالفت جماعات مالك بن فهم وقضاعة بدورها مع عبدالقيس الذين استوطنوا ضواحي الواحات الرئيسية وانتشروا شرقا نحو عمان وشمالا الى العراق مما ادى الى وقوع تصادم بينهم وبين بني سعد من تميم وكانوا آنذاك هم البدو الصحراويون من شرق الجزيرة العربية. لقد كان تحرك كل من مالك بن فهم أزد وقضاعة وعبدالقيس شمالا هو مصدر الاساطير التي صاحبت هجرة تنوخ ومحاولات ابن الكلبي غير المعقولة لفهم اصول السلالات القبلية العربية (خاصة ما ذكره عن اندماج الازد وقضاعة عن طريق مالك بن فهم وجذيمة الابرش) واختلاطهم مع الجاليات المتمدنة على الحدود الصحراوية في الجزيرة العربية. لكن

لا عبد القيس ولا مالك بن فهم نجحا في التعايش مع الجماعة القبلية الجديدة التي دخلت الى عمان عن طريق بوابة توام وهي بنونجو او ناجية والجماعات الاخرى من بني سامة الشهيرة (اصل من لؤي).. ويذكر التاريخ القبلي حول السلالات الشخصية ان عمران تحالف مع لؤي بواسطة زواج ابنه ازد من هند بنت سامة بن لؤي وقد نشأت من هذا الزواج عشيرة عتيك وهو اسم قبلي لعشيرة من اصل النباهنة الطليعية كما انحدر منهم المحلبيون ايضا (طبقا للاسلوب الذي يستهدف اكتشاف بدايات مشرفة للعائلات).

لكن المركز الرئيسي في التحالفات العربية بالمنطقة قبل الاسلام احتلته جماعات شنوءه التي هاجرت الى عمان عن طريق وسط الجزيرة العربية وربما ارتبطت هجرتهم بالاوضاع العامة لقوة العرب في الجزيرة العربية خلال القرن الرابع وهناك دلائل تشير الى ارتباطهم بكنده التي استوطنت جماعات هامة منها عمان. وبعد المرور من العروض الى اليمامة يبدو ان عشائر شنوءه سيطرت على بني حنيفة لكن جماعات من عامر بن صعصعة التي سكنت المنطقة تصدت لها فاندفعت الى الامام وتقدمت نحو البحرين حيث يقال انها غزت سكان الارض البحرية (اهل العباب) وفي النهاية بدأت تستوطن عمان ويحتمل حدوث ذلك خلال ضعف الحكم الايراني وقبل توطيد سلطة كسرى انوشروان، لكنهم حافظوا على بعض السلطة في الاماكن التي هاجروا منها اخيرا فنجد ان شيخ المعوالي (اولاد شمس شنوءه) عين رجلا اسمه باقل بن ساري (يقرأ «شاري») بن يحمد وهو اخ لخروص الشهير (بن شاري بن يحمد) من عشائر عمان، صاحب العروض في احد المناصب (ابن قتيبة طبع ١٩٦٠، ١٠٨، العوتبي، جونستون، مخطوطة ٢١٢ ص ٥ ابن دريد، الاشتقاق، ٥٠٨).

ويبدو أن هذه الجماعة من شنوءه اصبحت اهم تحالف في تحالفات جنوب شرقي الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت الاسلام وان هذا الوضع نال الاعتراف به عندما عين شيخهم "جلندي" على القبائل العربية في مزون (عمان) حسب الاتفاقية التي تمت مع الايرانيين عقب تنفيذ اصلاحات انوشروان. وقد تمت ترتيبات مماثلة مع العرب في كل من البحرين وجنوب غرب الجزيرة العربية حيث تم تعيين شيوخهم اسباض (اسباباض) وابنا (ولكنسون ١٩٧٣).

● عبدالقيس

لقد تحقق التحالف بالبحرين عن طريق علاقات عبدالقيس بعشائر مالك

بن فهم وترجع هذه العلاقات الى قصة مكافأة القائد العبدي الذي عين وزيرا لقائد «الأزد» مكافأة له على قصيدته في مدح مالك بن فهم كما سمح له بحق الاستيطان.

ونظرا لاهمية التحالف القديم بين عبد القيس والأزد فقد تكون بعض التفاصيل عن جماعات العبدي التي اوردها العوتبي مشوقة الى حد ما وتضيف هذه التفاصيل شيئا الى النصوص الكلاسيكية (على سبيل المثال ابن قتيبة ٤ ـ ٩٣ والهمداني ـ صفحة ١٣٦ وانظر أيضا أكاسكل في اي ٢ و١، عبد القيس وبكر بن وائل وفي طبعة للكتاب عن ابن الكلبي) فبصفة عامة انتشرت الجماعات حسب السلالات وفي طليعتها (لكيز بن افصي بن عبد القيس) في المراكز الرئيسية بالبحرين ونقل اخوة (شن) شمالا الى حدود العراق وكان وراءهم لبوع (عبد القيس) وهكذا كانت الاتصالات العمانية غالبا بفروع لكيز خاصة مع نقرة وديل وعواقة/ عيوق وعمور وعمار (انمار). وانتشرت الاخيرة في منطقة عمان وكان من فروعها جماعة بني الحارث بن عمار وخاصة عامر بن الحارث وعوف بن عمار وتفرعت الى جذيمة وعمرو.

عاش بنو عمرو بن عوف بن عمار بصفة عامة في البحرين نفسها وفرضوا مراقبتهم على المستوطنات الرئيسية في الاحساء بالتعاون مع حلفائهم بني الحارث وعواقة ويبدو ان القطيف كانت آنذاك تحت سيطرة نقرة وتواجد عامر بن الحارث في اتجاه عمان مع ان فرعا منهم عاش في هجر عاصمة البحرين. كان عامر بن الحارث من جماعة بدوية وهكذا اختلطوا مع البدو الصحراويين من بني سعد الذين كانوا يسكنون جانبي الدهناء وانتشروا الى كل من قطر ويبرين وبينونة (البكري ١٢,٥٧، وياقوت ـ المعجم ـ مقال عن بينونة) اما المستوطنتان الرئيسيتان لهذه الجماعة من عبدي فكانتا في مكانين مجهولين (الشفار والطروان ؟) لكن مساكنهم كانت في رمال كل من هجر وقطر وبينونة وقد شكلوا ركنا في التحالف المسمى «الخارجية» (نص العوتبي غير دقيق ومن المحتمل انه يقصد الخوارج) والذي ضم على الاقل قبيلة عمار، اي عامر بن مالك ويحكى العوتبي حكاية غريبة حول العشيرة الاخيرة فيقول عن شخص اسمه معاوية بن يحى انه ترك ديار القبيلة ومعه ٢٠٠ من اقاربه وبني عمومته واستوطن جلفار. ثم احتلت الجماعة اوال (جزيرة البحرين) وقسمت اراضيها بينها وبين سكانها من المجوس وكان عددهم قليلا.

وكانت جذيمة (بن عوف بن عمار) تسكن الساحل الذي يشتهر حاليا

(وقت كتابة البحث) بساحل عمان المتصالح وفي المناطق الداخلية على الحدود الصحراوية بشمال عمان حتى السر على الاقل وكانت تحالفات عبدالقيس معقدة وسيطرت عليها «الديل» وكانت اثنتان منها هما بنو عامر (بنو الديل) وآل عوف (بن عوف بن عامر بن الديل) من البدو الرئيسيين في منطقة توام (على الاقل في الدور الاسلامي المبكر) في حين ان بني الحارث (عمار) وكانوا محور التحالف المسمى «براجم» في المنطقة الجنوبية يسيطرون على المناطق الحدودية الصحراوية وكانوا اعداء بني جذيمة وهم اقاربهم وفضلا عن هذه التحالفات البدوية سكن بعض المتحضرين من عبدالقيس في قرى عمان نفسها ولكن هذا لا يهمنا هنا. والامر الجدير بالملاحظة هو انه منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى اواخر القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي - على الاقل كانت عبدالقيس ابرز الجماعات البدوية في شمال عمان وعمان المهادنة.

العلاقات العمانية / البحرينية: المشاعر الخليجية في العصر الاسلامي المبكر:

سيطرت الروابط الوطنية على تاريخ القبائل في الفتوحات الاسلامية (اطروحة ولكنسون ١٩٦٩ الفصل الثالث. وفي طبعة جين بول ١٩٨٣) فنجد جيش عثمان بن ابي العاص يقوم بغزوات في فارس وكانت سراياه مكونة من شنوءه ومالك بن فهم وعمران آزد وبني راسب وبني ناجية من عمان وعبدالقيس والأزد من البحرين. وقد اتخذوا من التواج مركزهم الرئيسي لكن الاوضاع الحسنة التي وجدوها هناك اثارت حسد القبائل العربية الاخرى التي امرت بتمصير البصرة وهذه المشاعر التي كانت معادية للمشاعر الخليجية خاصة بين قبائل الحجاز اصبحت عنصرا هاما في تطوير سياسة البصرة فلم يتعرض آزد المزون فقط للكراهية بل كذلك جميع القبائل التي خضعت للفرس قبل الاسلام. ولولا الاسلام لبقيت القبائل الحجازية خاضعة للذين حكموهم ولظلت تعيش عيشة الذل على السواحل منعزلة عن الاراضي الخصبة ولبقيت تكسب رزقها بصعوبة من البحر او الصحراء، كما قال معاوية (الطبري (١) ٢-٢٩١١). وقد تعرضت العلاقات التجارية القديمة مع الهند وهي العلاقات التي نشأت قبل الاسلام للهجوم من قبل عشائر الحجاز الحاكمة فعانى التجار العمانيون والبحرينيون من القانون الذي فرض عليهم بعدم بيع المنتجات الزراعية حتى بعد الوفاء بضريبة الحكومة

ولقد لعبت مثل هذه المشاعر دورا في تفسير لماذا ظلت علاقة عبدالقيس قوية مع الازد عندما قام مسعود بن عمرو بن معان مالك بن فهم (المشهور باسم قمر، قائد الهجرة الرئيسية للأزد شبه البدويين الذين دخلوا البصرة منذ حوالي ٥٩ هـ وبعدها) بزحفه الطانش في ٦٤ هـ. كما تلعب دورا في تفسير حساسية كل من البحرين ـ اليمامة وعمان للمذاهب الثورية اجتماعيا مثل الحركة الخارجية (النجدات) والاباضية والشيعية والقرمطية. ولقد نسبت هذه الحركات في بدايتها الى الجماعات المنعزلة كبني ناجية وهم اتباع خريب بن راشد الناجي في ٣٨ هـ او المستغلين مثل الطالوت في اليمامة. لقد كان كل واحد يحاول الى حد ما ان يأتي بتغيير اساسي. وقد مثلت حركة نجدة بن عامر الحنفي في البداية مجرد مذهب لبني حنيفة في الايديولوجية الخارجية يبرر انشقاقه عن الازارقة ونجاحه في اليمامة ومحاولته الاستيلاء على البحرين وعمان (البلادري الانساب، ٩، ١٢٥ ـ ١٤٧) هذا المذهب اعتمد على بعض الافكار عن الحاكمية وهو يرفض التحكيم وعلى الرغم من أن دولة النجدات دامت حوالي ٥ سنوات الا ان البحرين ظلت في يد الخوارج لمدة ٣٠ سنة فيما بعد. (انظر ابن الاثير ٥، ٩ ـ ٨٨ للتفاصيل التي لا ترد في اي مصدر آخر) كذلك لعبت هذه الحركات المبكرة دورا في تمهيد الطريق لتثبيت الاباضية.

ومع ذلك كان النظام القديم يتغير فلم يدم التحالف بين عبدالقيس والازد في مواجهة العداء بين نزار ويمن الذي بلغ ذروته في العصر العباسي (المسعودي، مروج الذهب ٦، ٦ ـ ٤٥). وفي البحرين حل النفوذ الشيعي والقرمطي محل الخوارج (مع ان الفرق بين الاثنين اقل مما تعكسه المصطلحات الاسلامية). وفي نفس الوقت كانت قوة عبدالقيس تضعف هناك وتحل القبائل الجديدة محلها هذه التغييرات التي حدثت في البحرين تزامنت مع بروز ازمة رئيسية في الامامة العمانية ادت في النهاية الى الحرب الاهلية وابعاد الاباضية عن شمال عمان بصورة دائمة. من هنا ظل سكان شمال عمان عمانيين في صلاتهم الجغرافية والاقتصادية والقبلية ولكن اصبحت المنطقة (الشمالية) غير متجانسة سياسيا ومتنافرة في الغالب مع السلطة العمانية المركزية مهما كان نوعها. وأدى هذا التطوير في ميزات الارض الى بروز بعض العلاقات الجديدة مع البحرين المجاورة

عزل عمان الشمالية وتطويرها كمنطقة حدودية

الحرب الأهلية العمانية

من الناحية الجغرافية بقي هناك فاصل جزئي بين شمال عمان ووسطها لان شمال عمان كان منسجما مع الخليج اقتصاديا ومهتما بالسياسة التي تركز على مراقبة مدخل الخليج. لكن الخلاف السياسي برز في الافق بسبب انهيار الامامة الاولى عندما عزل موسى بن موسى وهو قائد بني سامي الخروصي اليحمدي امام الصلت بن مالك في ٢٧٢ هـ/ ٨٨٦ م ولا يتناول هذا المقال الاسباب التي ادت الى الحرب الاهلية. وكل ما يهمنا هنا هو ان ما حدث كان بسبب احتكار السلطة في المركز وتكديس الاموال التي جاءت من التجارة الخارجية في يد تحالف الازد، وقد تكون هذا التحالف من قبائل وسط عمان من يحمد وسيطر على اقليم الرستاق ووسط الباطنة. وكانوا في موقف يسمح لهم بتعيين الموظفين في المناصب العليا في سائر انحاء عمان بواسطة الامام خاصة في صحار وجلفار وهما مركزان هامان للتجارة الخارجية. وتزايد ابتعاد القبائل التي كانت تعيش وراء الجبال الى المناطق الحدودية واكثرهم عددا جماعات نزاري بن سامة ومعهم عنصر يمني رئيسي في حدان (اولاد شمس شنوءه الأزد) ومما ساعد في هذه العملية الشيخوخة المتزايدة لامام الصلت الذي كان رجلا غير فعال مع انه كان رجلا طيبا

لقد افسد تصرفهم بعزله كلية الميزان السياسي القديم الذي تطور عبر عصر الامامة المبكرة مما جعل القتال القبلي الداخلي امرا شائعا وضعفت مكانة بني سامة وحلفائهم الحداني في منطقة الجوف. فانصرفوا شمالا وانتخبوا العالم الحداني البارز في ينقول اماما لهم وقاموا بتعبئة الافراد للانضمام الى قبائلهم في (السر) وامتدت عملية التعبئة الى الافراد من كل من عبدالقيس بن عامر في توام والواشحين (مالك بن فهم) في وسط الظاهرة وبين الحارث مالك بن فهم من الباطنة. وواصلوا التقدم واحتلوا صحار ولكن انشىء جيش من قبل التحالف العماني المركزي آنذاك وحدثت مجابهة بينهما في ضواحي مدينة قاع (٢٧٨ هـ/ ٨٩٢ م) وانهزم المتمردون تماما وقتل العالم السامي و٦٠٠ من المساعدين النزاريين الى جانب الامام الحداني و ٨٥ من مساعديه اليمانيين. ولاذ اثنان من الزعماء الساميين الناجين بالفرار الى توام ومن هناك توجها الى البحرين طالبين عون والي الخليفة المعتضد على اساس ان الحرب كانت بين النزارية واليمانية ولما كان الخليفة يريد استئصال عش الثورات هذا (تشير

المصادر المعاصرة الى الاباضيين بهذا الاسم) ولما كان يهدف الى سيطرته على ميناء صحار المزدهر فقد امر واليه بتعبئة جيش قوي معزز بأعداء الازد القدماء (من ايام البصرة) حتى من الأماكن البعيدة كسوريا وقد نزلوا فى جلفار وانضم الى صفوفهم القبليون الذين أيدوهم وزحفوا الى الجبال وفتحوا نزوى وقتلوا الأمام فى معركة دارت بسمد فى الشرقية وفرضوا الهزيمة على الجيش العمانى الرئيسى فى (دما) (السيب حاليا) على الساحل ثم انغمسوا فى نشر الرعب والدمار.

القرامطة

تأتى بعد ذلك فترة غموض فى التاريخ فيما يتعلق بعمان والبحرين من حيث دور القرامطة

متى فتح القرامطة عمان بالظبط ؟ هذا أمر غير واضح يحسبه ابن خلدون (العبر (٤) ٩٣) ٣١٧ هـ/ ٩٢٩-٣٠م (يوجد تباين فى نفس المصدر، ص ٨٩ ـ ٣١٥هـ) نقل القرامطة الحجر الاسود من مكة المكرمة فى تلك السنة وأرجح الروايات ٣١٧هـ يضيف ابن خلدون قائلا بأن القرامطة جاءوا بناء على دعوة من جماعة من بني سامة الذين كانوا يقاتلون بعضهم البعض. هذا التاريخ غير صحيح بالمرة واذا كان صحيحا فإنما يشير الى *اعادة* فتح صحار او وهو الاكثر احتمالا فتح حصل سنة ٣١٨هـ على يد ابو طاهر وحسبما اورده المسعودي (التنبيه ٥٠٠) فقد احتل ابو سعيد الجنابي الميناء الكبير بعد غزوات عديدة.

ولكن اذا اعتبرنا، قوله من ناحية اخرى بأن ابو سعيد الجنابى قتل فى ٣٠٠ هـ/٩١٣م صحيحا يكون رأيه الآخر مشكوكا فيه. لأنه يدلى بشهادة (وفى «مروج الذهب» (١) ٤ ـ ٢٣٣) أن احمد بن هلال (السامى ؟) كان فى منصبه فى ٣٠٤ هـ (من قبل العباسيين) فى حين أن (الطبرى ٦٨) يعتبره متواجدا هناك فى ٣٠٥ هـ. وفى الحقيقة فإنه فى تلك السنة او السنة التى تلتها ربما استولى القرامطة على صحار.

واذا نظرنا الى الشهادة التى يدلى بها كل من المسعودى وابن خلدون مع ما أورده المؤرخون الذين نقل عنهم «دى كوجى» (١٨٨٦ و ١٩٨٥) واضفنا الى كل ذلك ما هو جديد فى المصادر العمانية، فيبدو بأن ابا سعيد الجنابى نجح بصورة متزايدة فى جلب القبليين من حدود عمان الشمالية.

وقد حصلت الحركة القرمطية على مساندة «ملموسة» من أحد رؤساء الحدانى وهو عبدالله بن محمد الحدانى الذى انتخب اماما من قبل اتباعه والذى بدأ فى نشر دعوتهم ويسمى فى تاريخ عمان باسم «ابو سعيد القرمطى»

وفي حوالى ٣٠٦ هـ سقط وسط عمان ايضا في ايدى القرامطة وكل ما نعرفه هو ان ذلك حدث اثناء أمامة حدانى آخر هو عمر بن محمد مطراف الذى استقال من منصبه نتيجة لذلك (انظر سيرة محمد بن روح القرن ٤/١٠) وورد في التحفة (١)، (٢٦٥) انه ما كان بالامكان الا ان يكون احتلالا قصيرا لان الشخص الذي اصدر الحكم بخصوص املاكهم بعد ان طردوا ثانية كان ابو المؤثر الصلت بين خميس الخروسي الذي اعيد انتخابه كرئيس لقبيلته في ٢٣٧هـ ولكن يبقى من الصعب علينا ان نحدد تاريخ انتهاء احتلالهم بعيدا عن العقد الاول للقرن ٤هـ/١٠م وقد يكون حكمهم قد امتد على الساحل لفترة اطول او ربما عاودوا احتلالهم في عصر ابن خلدون. وعلى كل حال فان من العبث تحديد تاريخ انتهاء حكمهم بـ٣٧٥هـ/ ٩٨٥ ـ ٩٨٦م. فبالامكان ان تكون السلالة الجديدة للوجيهيين التي حكمت على الساحل خاضعة للقرامطة وبناء على اشارتهم هاجم يوسف بن وجيه البريديين في البصرة في ٩٤٣/٣٣١ (الصولي (٢) ٧٩).

وكان دائما يتصدى للأمام الرحيلي ابو قاسم سعيد بن عبد الله (بن محمد بن محبوب) الذى انتخبه الأباضيون المعتدلون في حوالى ٣٢٠ هـ/٩٣٢م والذى كان يهدف لاعادة توحيد الصفوف في المنطقة الداخلية وقد قتل نتيجة اضطرابات قبلية في ٣٢٨ هـ/٩٣٩م ـ ٤٠م. فحل محله اباضى معتدل آخر أسمه راشد بن وليد صمد نزوى (الكندي).

ولكن استقلال المنطقة الداخلية لعمان ومركز الوجيهيين انتهيا فجأة اثر الاحتلال البويهى. والمصادر الكلاسيكية متضاربة الى حد كبير حول تاريخ هذا الحدث كما تقول (فاسمر ١٩٢٧) وتذكر المصادر العمانية («بيان الشرع» انظر التحفة (١) ٢٨٢ ـ ٢٨٤) صراحة بان راشد بن وليد اضطر الى التنازل عن سلطته للغزاة في ٢٠ ربيع الثانى ٣٤٢ هـ/٩٥٣م وهذا التاريخ يتطابق مع البراهين الاخرى لتلك الفترة. وان الغزاة الجدد مارسوا السلطة على الساحل لحوالى قرن وعقب احتلالهم انتهت آثار الحكم القرمطى في عمان.

وبكلمات اخرى لم يكن القرامطة في عمان الا بمثابة فترة فاصلة، فقد احتل الساحل بواسطة تابعيهم على الاغلب لـ ٣٥ سنة بصورة متقطعة، في حين كانت فترة حكمهم في المنطقة الداخلية قصيرة جدا وربما لم يكن الحكم حكما مباشرا. مع ان نفوذهم دام مع القبائل الشمالية طوال بقائهم لاننا نجدهم يستجيبون بالتطوع بالرجال والاموال في ٤٥٩ هـ/١٠٦٦ ـ ١٠٦٧ عقب النداء الذى وجهه ابن

ابو عبدالله بن سمبر في زمن لم يكن الحاكم القرمطي قادرا على دعم سلطته. (دى جوجى ١٨٩٥) وتمتعت الإمامة بسلطة كاملة على وسط عمان مرة أخرى.

نمط جديد للعلاقات البحرينية العمانية

مهما قصرت مدة النفوذ القرمطي ومداه الا ان الأمر الذى يشوقنا هو العلاقة الجديدة بين البحرين وعمان وميزتها المظاهرة البحرينية في عمان التى استمرت حتى القرن الحالى بشكل الغارات الوهابية والصورة الاساسية كانت تقوم على أن البحرينيين عندما كانت تتوافر لديهم زعامة قوية كانوا يقوّضون الحكومة العمانية المركزية بتشجيع ميول الحرية السائدة بين القبائل الحدودية بواسطة تأييدهم للسلالة الحاكمة المنافسة في الشمال ولم يكن ذلك بهدف احتلال عمان بل لاخضاعها وكان دفع الخراج رمزا للخضوع. لذلك نجد نفورا في اوساط الحكومة العمانية المركزية نحو مركزة القوة ممثلا في البحرين. وقد ابدى العمانيون من المنطقة الواقعة في شمال السر نحو البحرينيين مشاعر معادية

ولكن المغايرة بين العمانيين الشماليين والسلطة المركزية الحكومية وصلت الى اقصى ابعادها اثر استعادة الامامة في المنطقة الداخلية في النصف الاول من القرن ٥ هـ/١١م وبطرد تابعي البويهيين في منتصف ذلك القرن. فبدا لبرهة فقط انه سوف تأتى امامة جديدة هامة. وكان دور الاباضيين العمانيين هذه المرة ان يقوموا بالهجوم تحت قيادة الامام راشد بن سعيد اليحمدى ثم ابنه حفص فنجد لأول مرة ولآخر مرة في التاريخ اتحاد الاباضيين الحضرميين تحت راية الامامة العمانية واعلنوا جهادا عدوانيا ضد اليمن تحت قيادة الامام ابو اسحق ابراهيم بن قيس وفتح العمانيون الجبهة البحرينية ومع ان القرامطة كانوا ينسحبون بعد سقوط جزيرة أوال في ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م - ١٠٥٩م الا ان البر الرئيسى لم يكن قد تم فتحه حتى ٤٦٩ هـ/١٠٧٦م - ١٠٧٧م من قبل عبدالله بن علي مؤسس سلالة العيونيين (انظر المقالات أي ١ - ٢ «عبدالقيس والبحرين» - الاحسائى - ١٩٦٠، ص ٩٨) وكان ذلك التوسع قصير الامد لأن المطالب السلالية لقبيلة يحمد في الامامة اصبحت واضحة جدا عندما ورثها (حفص) دون تعب وحتى دون عملية انتخاب رمزية وقد اعلن عن «احقيتهم» التاريخية رسميا بصدور مرسوم من قبل مذهب رستاق في ١٠٥٢/٤٤٣ هذا التصرف كان بمثابة رفض تام

للموقف المعتدل لمدرسة نزوى التى سبق لها ان حاولت تسوية الاحقاد القديمة الناجمة عن الحرب الاهلية ونتائجها السيئة عن طريق التراضى حول اسباب تلك الحرب. ولكن الاعلان بأن الذين ايدوا موسى بن موسى السامى فى عزل الصلت بن مالك الخروصى فى ٢٧٢/٨٨٦ قد اخرجوا لم يثر فقط سخط الحضرميين بل جعل الشماليين خارج نطاق الحظيرة ولم يتم التوفيق بينهم وبين الاباضية فيما بعد على الاطلاق ومنذ ذلك الحين نراهم اما اعتنقوا السنة واما اتخذوا بدعا متطرفة (ويلكنسون «الدراسات العربية ٣و٤).

ولكن التطرف الذى كان تميز به مذهب رستاق والطموحات المتزايدة ليحمد من رستاق للوراثة أديا الى الخلافات الداخلية حتى فى نهاية القرن ٥ هـ/١١ م وأسقط ملوك «يحمد» بعض اصول الاسلام الشرعية ولم تبق الامامة الا فى (جوف) وذلك بصورة متقطعة وفى وجه المنافسة وبدأت تظهر الى حيز الوجود فى البلاد قوة جديدة وهى النباهنة وهم اصلا من صحار ويمثلون القوى الخارجة المتفرقة المسيطرة على السواحل. وهكذا اصبحت السياسة الداخلية فى وسط عمان صراعا ثلاثيا بين اليحمد والاسر النبهانية المختلفة التى كان مركز قوتها فى قاعدتها القبلية فى الشمال (عتيق وعمران وأزد) وبعضها فى المنطقة الداخلية وكان على هامش هذه الرؤية السياسية (الحدان) الذين خاصموا بشدة اية سلطة عمانية مركزية. وتطلعت جميع الجماعات المتنافسة الى البحرين لتزويدها بالتأييد وبالمرتزقة لان هذه الفترة كانت فترة توسع العيونيين بشكل ملحوظ اذ اعترفت جميع القبائل العربية فى الصحراء من الشام الى عمان بسلطة محمد بن ابو الحسين احمد (الاحسانى ١٩٦٠، ١٠٧)

ظهور (آل عامر)

لم يدم حكم العيونيين طويلا وحصلت بالفعل تغييرات رئيسية فى التشكيلات القبلية فى البحرين حيث بدأت كل من قبائل عامر من الجزيرة العربية تظهر منذ القرن التاسع وكذلك تميم. (الهمدانى، صفحة ١٣٦ ـ ١٣٧) ويرجع تاريخ المنافسة بين عبدالقيس وآل عامر (ربيعة بن صعصعة) الى عصر ماقبل الاسلام وسبق لنا استعراض العداوة بين شنوءه أزد وآل عامر كان آل عامر اساسا مقتصرين على اليمامة حتى عهد القرامطة وهكذا اقتصرت المنافسة داخل حدود اقليمية ولم يكن العمانيون متورطين مع قبائل وسط الجزيرة العربية بصورة مباشرة. ولكن تغيرت هذه الظروف بنهوض

القرامطة حيث تم كبح قوة عبد القيس وبرز آل عامر بشكل ملموس في شئون البحرين وعقب اعادة فتح العيونيين استعادت عشيرة عبد القيس السيطرة على المنطقة لكن آل عامر بقوا قوة نشيطة على المسرح

وفى النهاية سقطت بقايا سلالات عبدالقيس فى عقود ٦٤٠ هـ/١٢٤٠ امام ال عامر واثناء فترة امتدت حوالي ٣٠٠ سنة فيما بعد مارست كل من اسر العقيليين وبني عصفور وبني جروان والجبور السلطة هناك. (الاحسائى ١٩٦٠، ١١٨)

وقد وقع زحف آل عامر نحو عمان حوالى اواخر القرن ٥ هـ/١١ م حين اسس عبدالله بن علي سلطة العيونيين على البحرين وفرض الهزيمة على زعماء آل عامر وطرد القبليين في اتجاه عمان (الاحسائى، ١٩٦٠، ١٠١) ونصادف أول برهان قاطع لتورط جماعات آل عامر في شئون عمان عندما انهزم امام نزوى على يد محمد بن مالك الرستاق فى معركة طوّ (٥٧٩ هـ/١١٨٣م م ؟) وكانت معه قوة من القبليين من يحمد مدعمة بالجنود الاضافية من عامر ربيعة من الشمال ومن الاحساء. وكان هذا الدعم مبنيا على الارتزاق والدليل على ذلك بأنهم قاتلوا بجانب الامام موسى بن ابو المعلى ايضا (التحفة ،ص، ٣٤٢) وبعد ذلك بقليل نجد الاحسائيين بدورهم كاعضاء فى الجيش النظامى لسلطان صحار-النبهانى-وبمساعدة قوة اضافية مكونة من القبليين من باطنة غزوا محمد بن غسان بن عبدالله الخروصى لكنهم انهزموا فى (الخوض) فى مكان لم يكن بعيدا عن (طوّ) عند المدخل الى سمائل الغربى (بهجة الابصار) حيث كان قد سقط سلف له. هذا الامام الذى ازدهر فى العقدين الاخيرين للقرن ٦ هـ/١٢ م (انظر البرهان فى استرن ١٩٥١) كان آخر امام قوى على مدى ٥٠٠ سنة وقد واصل هجماته فى الاحساء ووراءها فى نجد. وقد حدث ذلك على الارجح حين ضعفت الزعامة البحرينية لانه حدث تغيير أنذاك من عشيرة بني عقيل بن عامر الى بني جروان (الاحسائي ١٩٦٠، ١١٩)

واثناء العصر النبهانى اى «العصور المظلمة» التى لا نعرف عنها شيئا، اسرعت هجرة جماعات آل عامر وطوال ٥٠٠ سنة هى فترة حكمهم تسربت القبائل مثل النعيم وبنى كعب وجماعات كثيرة من العوامر من عمان نفسها الى المنطقة وربما بدأت بعض العشائر من وائل التحرك الى الداخل عن طريق شمال عدن. (وفى عصر العوتبي يبدو ان مازن بن شيبان) كانوا متواجدين هناك. انظر ايضا ابن دريد ـ الاشتقاق (٣٥١) وأصبح بعضهم بارزين حتى أوقفهم فى ذلك رد الفعل فى عصر اليعاربة. ان القبيلتين

«الشقيقتين» الحبس والسيابيين ربما كانتا المهاجرين المبكرين الى المنطقة الشـرقيـة لكن الاسر التـى بـدأت التسرب الى عمان الداخلية من (السر) الى غدف (منطقة رستاق) ربما كانت جماعات احتلت مناصب هامة فى حين كان المستوطنون العمانيون ينقصهم التنظيم السياسى ونـذكر عـلى سبيل المثـال (انـظر سيـابى ـ ١٩٦٥ عن سلسلة النسب وتاريخ العبريين عن السياسة) بني حبس (منطقة حمرا) وذهول (عوابى) الذين انضمـوا الى العبـديين وبنى عـوف نـوادى فـرع وقسم للشيـوخ قام بتعـزيز عشـائر متباينة فى منطقة (جاما) ليشكل بنى حـراص وبنى جسـاس أيضـا من السليف وعبرى، وجماعات مكونة من طوائف متبقية كا (الشكور) فى رستاق وحمـرا وذنـك ومن بنى شيبـان فى الظاهرة وباطنة. لكن تم تمركز العامر بصـورة رئيسيـة فى الشمـال فنجـد المستـوطنـين العمـانيـين القـدمـاء يحاولون تشكيل جماعات قبلية دفاعية جديدة ويتجلى هذا من مجرد تسمية الظواهـر وقد اشتهـرت بهذا الاسم بعض العشـائر (الدرامكـة وكنـود) ومقابيل، فى منطقة (توام) مشيرا الى العمليـة التى كـانت تجـرى آنـذاك وتشبه تلك العملية نفس العملية التى ادت الى تسميـة شعب وبلد «ويـلز» «فاليز» اى «الاجانب» فى بلدهم نفسه.

ولم يكن البحرينيون فقط هم الذين حلوا محـل المستوطنـين العمـانيـين الاصليين او سيطروا عليهم فى شمال عمان بل الجماعات الايرانية ايضـا. فان تاريخ هجرة العرب الى الساحـل المقابل فى الخليج وعلاقـات القبائـل العمانية والسـلالات مع من كـان فى الساحل الموازى، يمتد الى نفس الفترة التى تغـطى تاريـخ البحرين. هنـاك ايضـا حـدثت تغييـرات جـذريـة فى تشكيلات سياسيـة وقبلية فى القـرن ٤/١٠ هـ ـ ١١/٥ م وخاصة فيمـا يتعلق بـانهيار عـلاقات جلنـدا التى توقفت على تحـالف بنى سليمة اثـر بروز النباهنة الشماليين اكثر العشائر نفوذا فى عمان عقب انهيار تحالفـات يحمـد القـديمـة ووجـد (الحـدّان) انفسهم مشتتين ومحرومين من تأييد البحـرين. فتـطلعـوا الى السـاحـل الايرانى بحثا عن حلفاء جدد. وهكذا سـاعـدوا الشـيـرازيـين فى ٦٤٢ هـ/١٢٤٤ م ـ ١٢٤٥ م فى محاولتهم غزو عمان الذى وصل الى (بهلا) ثم فى ٦٧٥ هـ /١٢٧٧ م شـاركـوا الايرانيين من «اولاد رئيس» فى غارتهم الهدامة على نزوى فى وقت كان (الملك) النبهانيون، وهم اكثرية القبليـين من نزوى، بعيدين عن الساحل وتبع ذلك عقـوبة صـارمـة وانهـزم التحـالف (التحفـة (١) ٣٥٣ ـ ٣٥٤). وذلك، لحد ما، يـرمز الى نهـاية (الحـدّان)

الذين غابوا عن المسرح السياسى العمانى كلية وليس الامر هكذا بالنسبة الى «اولاد رئيس» (او الريائسة) الذين استوطنوا شمال عمان وأصبحوا من اقوى مؤيدي النباهنة والذين صاهروهم عندما وجد النباهنة المتأخرون موقفهم فى وسط عمان يصعب الدفاع عنه فى القرن السادس عشر. من هم «الريائسة» هذا امر غامض. ويحتمل انهم جاءوا من ساحل (مكران) وهو المكان الذى نشأ منه البلوش.. والبلوش من (ظاهرة)

الجبور

احتلت البحرين أهمية فى سياسات شمال عمان وعمان الداخلية اكثر من كرمان وكان نفود كرمان غالبا مقتصرا على الساحل. كان هذا هو الحال الى حد كبير بخصوص نهوض الجبور وهم اسرة (عقيل) من اصل نجدي هزموا (ابن جروان) حاكم البحرين خلال القرن ٨ هـ/ ١٤ م

وبسط الجبور نفوذهم على طول الساحل تحت حكم أجود بن زامل الجبرى) (ولد ق ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) أخو سيف «مؤسس السلالة الحاكمة» وطردوا الهرمزيين من البحرين. وعندما جاء البوكرك الى الخليج ق بداية القرن السادس عشر سيطروا على شرق الجزيرة العربية كلها من البحرين الى حضرموت مع انهم وصلوا الى تفاهم مع الهرمزيين حول تقسيم السلطة على البحر والبر بينهما.

ونعرف كذلك مما أورده (دى باروس) بأن سكان وسط عمان حافظوا على انفسهم بدفع الخراج لهم وهنا تجدر الملاحظة ان المذهب المالكى ازدهر فى شمال عمان تحت نفوذهم.

وحدث تغيير جذرى فى موقفهم بعد قليل بسبب اعادة البحرين الى الهرمزيين بواسطة البرتغاليين ونتيجة للنزاعات الداخلية فى صفوفهم بعد ان قتل مقرن بن اجود فى ٩٢٧ / ١٥٢١م. وبعد قليل سقطت كل من الاحساء والقطيف فى يد اسرة من البصرة، (المغامس) مما مهد الطريق فيما بعد للاحتلال العثمانى للبحرين (الاحسائى ١٩٦٠ ـ ١١٩ ـ ١٢١. دى باروس دا آسيا، ديسمبر ٢ (٣) ٢ والبوكرك (١) ٦٦، ٧٥، ٨٤ ـ ٨٣، ٨٧، ٢ ـ ٩١ والتحفة النبهانية (الطبعة الثانية) ، ١٠٨، كاسكيل ١٩٤٩).

من هنا أصبحت القوة الجبورية فى البحرين أثرية فقط (انضم المتبقون منهم الى بنى خالد) وتركزت سياستهم على عمان. وكان لهم مجال واسع للتلاعب هناك لان الأسر العمانية القديمة من وسط عمان حاولت استعادة الامامة وطرد النباهنة من المنطقة الداخلية فى حين جاهد البرتغاليون والهرمزيون للاستيلاء

على الساحل. كذلك ساعد الشيخ الجبرى الهرمزيين فى الدفاع عن مصالحهم فى الموانىء العمانية وعندما جاء البرتغاليون لأول مرة نرى الحاكم الجبورى المحلى فى شمال عمان يتصرف فى حماية مصالح نفسه ويمد يد المساعدة الى البرتغاليين عندما تمرد الهرمزيون فى ١٥٢٢م.

وقد حصد ثمار (هذه المساعدة) عندما عينه البرتغاليون مندوبا لهم هناك. وقد أدت الظروف غير المستقرة للغاية فى المنطقة الداخلية لتعريض المنطقة للاستغلال من قبل القبائل البحرينية بحيث أصبح التاريخ المحلى متهما بنشاطات الجماعات الجبورية المشتتة كـ (قطن بن قطن) و(قطن بن علي بن هلال بن زامل الجبري) وحلفائهم السابقين كـ(الاغبرة) أو (لغبرة) و(العوامر) و(بنو هلال).

والوضع الذى نجم عن هذه الظروف يعكسه تاريخ قصر بهلا. خلال ثلاث سنوات بين ٩٦٤ هـ و ٩٦٧ هـ (١٥٥٦ م ـ ١٥٥٩ م) فيبدو ان القصر، امتلكه السلطان النبهانى بن محسن بن سليمان امام بركات بن محمد الذى سبق له ان طرد من نزوى من قبل علماء ابن مداد عندما عينوا اماما منافسا وباعه الجبور الشماليون الى حلفائهم من العمير من منطقة فجوة سمايل ثم فقدوه بدورهم لصالح امام منفصل فى (منح) وبعد بضع سنوات استعاده النباهنة مرة أخرى (امام. التحفة (١)، ٣٨٦ ـ ٣٨٧) وبعد ان استرد النباهنة (بهلا) وهم الأسر الخروصية القديمة من هناك (اسرة سليمان بن سليمان) ومنذ ذلك الوقت اتخذ الصراع فى المنطقة الداخلية صبغة الشمال ضد الوسط وبدأ السلاطين النباهنة المتأخرون تحصين مراكزهم فى كل من (ينقل) ومقنيات وتطلعوا الى نيل التأييد من الجبور الشماليين و (أولاد رئيسى). وفى أواخر القرن السادس عشر استولى (سليمان بن المظفر) على عمان كلها وهو الامر الذى ادى الى الشقاق بينه وبين حلفائه السابقين بما فيهم الشيخ الجبورى الذى انضم الى صفوف النزويين المتمردين لكن الاسرة التى كسرت اخيرا ظهر النباهنة كانت (عمير من منطقة سمايل) وهى أسرة بحرينية سابقا فبالتحالف مع الملك طردت السلطان النبهانى من صحار بمشاركة (بنى هنا) من (بهلا) وبن علي من معقلهم الاخير في (مقنيات) و(ينقل).

وقد أدى سقوط الحكم النبهانى الى فراغ فى السلطة الحكومية المركزية فى عمان ويظهر ان الرئيس العميرى تخلى بسرعة عن أية محاولة لينظم حكومة «بديلة» فاستفادت نتيجة ذلك العشائر البحرينية القديمة من اسر الشيوخ التى أصبحت عمانية غالبا

بتوطيد دعائمها فى البلاد التى احتلتها. ومن البريمى و (لوا) (فوق صحار) في الشمال و(مقنيات) و (ينقل) و (بات) فى (السر) ومن (منح) فى (الجوف) الى (سمبر الشأن) و (ابرى) فى الشرقية احتل كل من الجبور وبنى هلال و (الأغبرة) القلاع الرئيسية. وعلى الساحل كذلك دعم البرتغاليون احتلالهم فى آخر محاولة لهم للحفاظ على كيانهم فى منطقة الخليج. اثر هذا الحصار تشتت العمانيون انفسهم بين الملك المحليين وكانت بقية آثار الاباضية بل النظم القبلية القديمة نفسها محكومة بالاضمحلال بصورة نهائية.

ونتيجة رد فعل استثنائى تم انتخاب عضو من اسرة ملك المحلية من رستاق ذلك عندما انتخب (ناصر بن مرشد اليعربى) اماما فى ١٦٢٤م و قصة طرد او اخضاع الاجنبى سواء على الساحل او فى الداخل فى ربع القرن التالى لا تخصنا هنا كما لا يخصنا تاريخ التطورات التالية فى القوة البحرية او الازدهار الذى تمتعت به عمان نتيجة تطور القوة البحرية. ولكن يجب علينا ان نلاحظ هنا ان عمان توحدت مرة اخرى وجرت فى اطارها القبلى تغييرات جذرية وفى هذه العملية انضمت الجماعات البحرينية القديمة الى البنيان الاجتماعى والاقتصادى للمنطقة وهكذا تم امتصاص الموجة الرئيسية البحرينية الاخيرة لكن المنطقة الشمالية كالعادة ظلت منطقة حدودية وفى (السر) وفوقها فان العلاقات بين القبائل والامراء وبين الحكام العمانيين المركزيين فى احسن الاحوال، كانت قلقة. وهكذا فإن اكثرية زعماء القبائل ناصروا قضية المتمرد محمد بن ناصر الغافرى الذى اعلن امامته فى نزوى فى ١٧٢٤م وحتى عقب هزيمته فى ١٧٢٨م ظلت المنطقة تحت نفوذ الغافرى الى حد ملحوظ. اما موقفهم تجاه سلطة الحكومة المركزية فقد ورد تلخيصه فى «سيرة الأمام محمد بن ناصر» وتم تدوينه *للشيخ الغافرى* فى ١٨٧٧ م حسبما يلى:

« تغيرت الدولة ونشبت حرب أهلية. ثم قتل (بالعرب بن سلطان) (اليعربى) على يد احمد بن سعيد (اول حاكم بو سعيدى).

وقد أخذ الله كلا منهما»

ومرة اخرى اكدت القبائل الشمالية شبه استقلالها وبرز الى حيز الوجود بعض زعماء المهاجرين البحرينيين القدماء باحتلالهم مكانة الامراء المحليين كـ البوفلاح (بنى هلال) و(البوخريبان) و(آل حموده) (النعيم) على الجانب الصحراوي في الحدود الشمالية، فى حين تنعكس الصلة الايرانية فى نهوض القواسم

الذين سيطروا على (الهولة) على مدخل الخليج وهم من السكان الايرانيين والعرب المخلوطين. وبسبب الشقاق الذى حدث فى صفوف عائلات البوسعيد المنافسة أصبح الموقف ملائما جدا للتدخل البحريني. ولم يمض وقت طويل حتى سنحت الفرصة. ولكن قصة نهوض الدولة السعودية والزحف فى اتجاه عمان تشكل تاريخا موثقا ولا تحتاج الى سردها مرة ثانية هنا. الا انها تتميز بميزة تورط اليمامة والبحرين فى عمان وحتى سنة ١٩٥٥م ظلت خطوط التداخل كما كانت.

وعندما كتب الكولونيل بيلى فى ١٨٦٦ :

« ان الميزة الاساسية لهذا التسرب هى ان عدد الوهابيين النجديين الاصليين من بين الغزاة كان قليلا نسبيا. بالعكس كان قادة القبائل الحدودية على حدود عمان نفسها »

فكأنه كان يكتب عن تاريخ الجبور والقرامطة والخوارج (النجدات). ان تحليل تطور النزاع حول البريمي يشير الى استنتاج ان سياسة الترهيب والترغيب، التى تميز بها تورط اليمامة / البحرين / نجد الاحساء فى شئون المقاطعة العمانية الشمالية لم تختلف

سطور من تاريخ البحرين والخليج
اعتماداً على الوثائق الهولندية

التواجد الهولندي في
يعمل على ابتزاز ثروات

يحوط الغموض كثيرا من الاحداث في الخليج في القرن السابع عشر والنصف الاول من القرن الثامن عشر.. ورغم تعدد المصادر التي يتشكل اغلبها من تقارير المقيمين الاجانب او التجار الا انها تتضارب تضاربا شديدا بل ويناقض بعضها بعضا في كثير من الاحيان. وقد حرصت الوثيقة منذ العدد الاول على ان تحشد اكبر عدد من الابحاث حول هذه الفترة حتى يمكن في النهاية ومن خلال المقارنة والتحليل الوصول الى الحقائق. وعلى هذه الصفحات نقدم صورة من هذه الأحداث اعتمادا على الوثائق الهولندية كتبها احد الخبراء في هذه الوثائق.

(الوثيقة)

بقلم: البروفيسور:
ب. جيه سلوت

من الارشيفات الهولندية


لخليج
لنطقة

تأسسس المكتب الرئيسي لشركة الهند الشرقية الهولندية في الخليج بين ١٦٢٣م و ١٧٤٧م في وسط مدينة جمبرون وفي مبنى من طراز الباروكي تظهر صورته المنقوشة في كتاب السائح الهولندي سترايس وكان يطلق عليه اسم (المصنع) (١) نظرا لان المبنى تأثر بسبب تعرضه للزلازل لدرجة انه اصبح مدمرا جزئيا في اواخر العهد الصفوي ولما كانت الحاجة ماسة لتوفير امان اكثر ضد الاضطرابات فقد تم بناء مبنى آخر من طراز قليعة خارج المدينة وتوجد صورة له في الأرشيفات العامة في لاهاى (٢) وكانت لشركة الهند الشرقية الهولندية مكاتب في اماكن اخرى فكان لها تمثيل في البلاط الملكى الايراني في اصفهان ومصيف في الجبال فوق جمبرون ومندوبون في كل من كنغ ولار وشيراز (حيث كان للشركة صانع للنبيذ) وكرمان وبوشهر. وبعثت الشركة أيضا بحملات تجارية الى كل من بندريق والبحرين والبصرة ومسقط داخل حدود ايران وخارجها وقد ظلت مكاتب الشركة في البصرة ومسقط لفترات قصيرة او طويلة من حين لآخر وغادر الهولنديون جمبرون في ١٧٦١م واحتل شيخ محلى مبنى مكتبهم (٣) وعقب مغادرتهم جمبرون ركز الهولنديون نشاطاتهم حول البصرة في منطقة الخليج حتى اضطروا الى الخروج منها نتيجة الصراع الذي وقع بينهم وبين المحافظ العثماني المحلى وحصل الهولنديون بعد ذلك على جزيرة خرج من مير ناصر (٤) وكانت هذه الجزيرة هي المؤسسة الوحيدة للهولنديين في الخليج حتى احتلها مير مهنا وهو ابن مير ناصر في عام ١٧٦٥م.

وحتى عام ١٧٤٩ تمتعت المؤسسة الهولندية في بندر عباس بدرجة مديرية وبعد سقوط الحكم الصفوي لم يعد رئيس المكتب الهولندي يتمتع بمنصب المدير وحمل لقب «هوفد» أو «خزاخ هبر» اى رئيس المكتب وكان يساعده مجلس يضم عدة اعضاء منهم نائب الرئيس والضباط المسئولون عن التجارة وكبير المحاسبين وأمين المستودعات وقائد حامية صغيرة للجنود الأوربيين وشكل مجلس قضائي من بين اعضاء المجلس السياسى ومارس سلطته القضائية بشأن المواطنين الهولنديين وكذلك كان هناك عدد من صغار الموظفين مثل الكتاب والحرفيين والعساكر وعدد كبير من الخدم المحليين وبعض المسئولين المحليين كالسماسرة (خاصة البانيان والأرمن) والمترجمين من الأرمن وفي بعض الأحيان بعض العثمانيين المسيحيين من حلب (٥) وكان يحدث أحيانا تعيين المدير مؤقتا في منصب اعلى وذلك بترقيته الى رتبة سفير في البلاط الفارسى وأرسل احيانا مفوض

برتبة مفتش ودرجته اعلى من درجة المدير وخول صلاحيات القيام بمفاوضات مع السلطات الايرانية.

أما المكاتب الفرعية فكان برأسها المقيمون الهولنديون وقد خصص اثنان منهم لكل مكتب وان كان عدد الهولنديين من بين هيئة الموظفين كبيرا مثلما كان عليه الأمر في اصفهان وفي بعض الاحيان في البصرة وقد شكل الاعضاء الكبار منهم مجلسين لهم.

أما بوشهر فلم يكن فيها اي مقيم بل كان فيها موظف أقل رتبة من المدير [٦] كما لم يكن هناك أي ممثل هولندي في بعض المكاتب وكان المسئول عنها سمسارا ارمينيا او بانيان او رئيسا للمكتب مثلما كان الأمر في كرمان وفي بعض الاحيان في مسقط.

وكان المدير يحصل على تعليماته من حكومة باتافيا العليا وهي السلطة الحاكمة للجزر الهندية الشرقية الهولندية بمقرها في باتافيا (جاكارتا) وتكونت من الحاكم العام ومستشاريه وكان أهمهم المدير العام الذي ترأس العمليات التجارية في آسيا. ونظرا لقصر المسافة بين ايران وأوربا كان المدير في ايران يراسل مباشرة لجنة المدراء في هولندا (السادة ١٧) ولم يكن الهدف من ذلك الا اشعار المدراء بالاوضاع. وكان السادة ١٧ قد خول حكومة باتافيا العليا سلطة إدارة شئون آسيا وكثيرا ما ارسلت التعليمات الى ايران عبر باتافيا.

وبعد ان تدهورت المصالح الهولندية في ايران (عندما انتشرت الفوضى في أواخر عهد الحكم الصفوي) مالت السلطات الى خفض درجة تمثيلها في ايران ولم يحتفظ رئيس المكتب في ايران برتبة «المدير» بل كان يدعي رئيس الادارة فقط

وفي عام ١٧٤٩م فقدت جمبرون مكانتها وأصبحت مجرد مقيمية متواضعة كما لم يخضع مدراء الشركة في البصرة منذ ١٧٤٧م لسلطة جمبرون وظلوا مسئولين أمام سلطة باتافيا[٧] بصورة مباشرة وفي نفس الوقت وضعت المؤسسة في بوشهر تحت سلطة المقيمين في البصرة وكل هذه الاجراءات أدت الى رفع مكانة البصرة من ذلك الوقت. وحتى نهاية تواجد المؤسسات الهولندية في الخليج حمل ممثلو الشركة لقب «المقيمين» فقط وكان هناك مقيمان عامة احدهما رئيس المؤسسة والثاني نائب له. ويرجع سبب ذلك الى عدم تواجد مجلس سياسى مكون من ضباط كبار في المكاتب ليحمل مسئولية الادارة.

وفي النهاية تخلت الشركة الهندية الهولندية عن البصرة عقب نزاع برز بين المقيم الهولندي ومحافظ البصرة وبعد قليل اغلقت الشركة مؤسستها في بوشهر أيضا وفتحت مكتبا جديدا في جزيرة خرج. وقد اختلف هذا المكتب



٩٠ - الوثيقة

○ مدينة جمبرون ويظهر في وسط الصورة مبنى الشركة ا



الوثيقة ـ ٩١

ذا المبنى وانشىء مبنى ثان ـ لوحة رسمت عام ١٦٦٦م

عندما كسدت التجارة في جمبرون ..

تطلع الهولنديون الى لؤلؤ البحرين

عن المكاتب الاخرى في المنطقة لان الشركة ادعت سيادتها على جزيرة خرج بموجب تعهد كتابي لـ مير ناصر حاكم بندريق (٨) وكانت للهولنديين في خرج قلعة صغيرة وفيها حامية مكونة من الزنوج الافريقيين ولديهم اسطول صغير عبارة عن عدد من السفن المحلية معدلة لتحمل المدافع الافرنجية وكان البحارة من جزيرة بالى (في اندونيسيا) (٩).

وعندما اغتيل مير ناصر ورفض خلفه ان يفي بتعهد أبيه دارت في السنوات التالية عدة صراعات متقطعة بين مير مهنا والهولنديين حتى انتهى تواجد الهولنديين في منطقة الخليج نهائيا في عام ١٧٦٥م.

واحيانا طرح اقتراح عودة الشركة الهندية الشرقية الهولندية الى البصرة وكان الاقتراح مدار بحث للمرة الاخيرة عندما وجه والي البصرة دعوة للهولنديين في عام ١٧٩٣ ليعودوا اليها (١٠) ولكن لما كان حجم التجارة الهولندية بين الجزر الشرقية الهولندية ومسقط لم يزد فان الشركة لم تعد للخليج.

وعندما فتح الهولنديون مؤسستهم في جمبرون في عام ١٦٢٣م لم يوسعوا أنشطتهم فورا الى الأماكن الأخرى من الخليج وفي البداية لم يكن مثل هذا التوسع دون اخطار. وكان البرتغاليون في مسقط يسيطرون على مدخل الخليج من رأس الخيمة وخصب (في عمان) ولم تكن الأماكن الصغيرة في الخليج آمنة الا في سفن كبيرة ولم تكن السفن الكبيرة ملائمة لزيارة الأماكن الصغيرة إقتصاديا وفي البداية كانت الأسفار في الخليج ضرورة ملحة واصبحت جمبرون مركزا تجاريا هاما في الخليج بسرعة حيث وجدت بضائع تجارية متنوعة معروضة للبيع وبعد ان ازدهرت التجارة هناك لعشر سنوات بدأت الأرباح تقل وفكر الهولنديون في طريقة أخرى لكسب الأموال (١١) وكانت تجارة اللؤلؤ احد هذه البدائل



اتصل نيكولاس اوفرسخى مديـر المؤسسة الهولندية بـ «انطونيو دور» أحد تجار البندقية يسأله النصح حول اهمية اللؤلؤ ورواج تجارته [١٢] وهنا لابد ان نذكر ان البندقيين لعبوا دورا نشيطا في تجارة البحرين في القرن السابع عشر ويذكر مصدر هولندي اخر لأواخر القرن السابع عشر بأن البندقيين اليهود كانـوا في طليعة مجموعات التجار في البحرين وفي عام ١٦٣٤م اشترى أوفرسخي كميـة صغيرة من اللؤلؤ على سبيل الاختبار وأرسلها الى هولندا ولكن تبين في هولندا بان هذه اللآلىء غالية جدا وثمنها ليس متاحا للكثيرين [١٣]

ومن هنا اهتم الهولنديون بالبحرين ابتداء من عام ١٦٤٠ بصورة مباشرة وكان هذا الاهتمام مرتبطا بكساد

تجارتها مع ايران. لقد فكر كل من الهولنديين والانجليز في أساليب تنشيط التجارة وتطويرها في وقت ازدادت فيه منافسة البرتغاليين واتجه الانجليز والهولنديون للبحث عن مواقع تجارية اخرى في الخليج. قدم البعض اقتراحات لاختيار البصرة وبندر كنغ. ولكن يبدو ان الانجليز الذين بادروا بالبحث عن الأماكن المناسبة وجدوا ان كلا من البصرة وبندر كنغ غير مشجعة فبعث الهولنديون باحد البانيان الى البصرة لدراسة السوق هناك ولكنهم لم يتخذوا اية خطوات جدية ودار البحث عن القيام بزيارة البحرين لشراء اللؤلؤ لكن الهولنديين ترددوا في تنفيذ هذه الفكرة لان المشتريات السابقة من اللآلىء التى قام بها أوفرسخى قبل عدة سنوات كانت لا تزال متبقية في هولندا (١٤).

ورغم ذلك أرسلت حكومة باتافيا العليا في ديسمبر ١٦٤٢م رسالة للمدير الهولندي في ايران وافقت فيه على قراره بعدم شراء اللآلىء لكنها في نفس الوقت طلبت منه دراسة تجارة اللؤلؤ كى يعرف «اسرارها» وتم تنفيذ هذا الامر على الفور. ففي مايو ١٦٤٣م أرسل كارل كونستانت مدير المؤسسة الهولندية في جمبرون، كوبمان هندريك والخرت وهو من الأعضاء البارزين في هيئة الموظفين الى البحرين وبندر كنغ للبحث عن الامكانات التجارية هناك وأيضا لمعرفة اسرار تجارة اللؤلؤ. وتتضمن الأرشيفات الهولندية التعليمات التى اصدرها كونستانت الى والخرت بهذا الصدد. وكان على والخرت ان يسافر مع نائب له هو اوندر كوبمان هوبرتس كوسترس ومعهما البانيان شكبت إلى بندر كنغ لشراء اللؤلؤ. وكان الهولنديان على المام باللغة العربية نطقا وكان عليهما ان يتوجها الى البحرين من بندر كنغ ويستأجرا بيتا فيها ويحاولا بيع بعض المنتجات الهولندية ومعرفة اسرار تجارة اللؤلؤ. وكان (على والخرت) ان يستفيد من خبرة البانيان شكبت ولكن بحذر فقد تضمنت تعليماته الا يعتمد عليه كلية. وكان على هذه المجموعة ان تبقى في البحرين طوال موسم صيد اللؤلؤ الذي يمتد من يوليو الى اكتوبر. ويبدو ان كونستانت قد الم فعلا بتجارة اللؤلؤ لان التعليمات المفصلة التى أصدرها (الى والخرت) تتضمن بعض التفاصيل المشوقة عن هذه التجارة. (١٥)

ولكن هذه المهمة لم يقدر لها الكثير من النجاح فقد توفي (والخرت) في جمبرون بعد أن اصيب بالحمى قبل موعد مغادرته لها وواصل كوسترس سفره من بندر كنغ الى البحرين في سفينة محلية ولكنه صادف شخصا من حاصلون (ابو ظلوف في قطر)

جرده من مبلغ ٢٥٠٠٠ جلدر كان يحمله معه لشراء اللآلىء وكان هذا الحارس العربي رجلا طيبا لانه عندما عرف بان كوسترس هولندي وليس برتغاليا، أعاد له الأموال التى اخذها منه وكان يريد اعادة المبلغ كله ولكنه كان قد وزع بعضه على رجاله ومن «حاصلون» تـوجه كـوسترس الى البحرين حيث مكث عدة شهور وخلال هذه الفترة تمكن من بيع كمية صغيرة من البضائع الهولندية التى كانت معه باسعار معقولة لكنه وجد أن البحرين سوق صغير للتجارة الهولندية لان النفقات غير المباشرة التى كان يكلفها نقل البضائع عن طريق البحر من هولندا كانت كبيرة وكانت التعليمات التى اصدرها كونستانت تتضمن شرحا مفصلا عن انواع مختلفة من اللآلىء والحد الاعلى لأسعارها والكميات التى يسمح بشرائها.

ولكن كوسترس لم يستطع ان ينفذ هذه التعليمات لأن اللآلىء التى طرحت للبيع في البحرين كانت من فئات مخلوطة منها الجيد ومنها الردىء بينما كانت هولندا ترغب في شراء نوع جيد فقط من اللآلىء. ولما طلب (الممثل الهولندي) النوع الجيد فقط من اللآلىء ارتفعت الأسعار الى درجة أصبحت غير مربحة تجاريا. ولم يرض كونستانت بالتقرير الذي قدمه كوسترس عقب عودته من البحرين وللأسف لم يعثر على هذا التقرير الذي تضمن أيضا «مذكرة» ووصفا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية التى كانت سائدة في البحرين (١٦).

وعقب فشل مهمة كوسترس ظلت الأمور على منوالها لمدة طويلة قبل ان يهتم الهولنديون بممارسة ضغط على ايران من أجل تخفيض الرسوم على التجارة الهولندية وعدم التعامل مع البرتغاليين. وكان أحد المقترحات المطروحة للدراسة هو محاصرة الخليج كله لعرقلة البرتغاليين الذين كانوا لا يزالون يحصلون على نصف العائدات الجمركية من موانىء كل من البحرين وبندر كنغ والقطيف ومن الايرانيين وفرض مراقبة خاصة على البحرين (١٧) وكانت العلاقات بين هولندا وايران قد تدهورت في عام ١٦٤٤م الى درجة ان الحكومة العليا في باتافيا قررت اغلاق مكتب الشركة في جمبرون في نفس العام كما قررت احتلال جزيرة قشم كي تكون قاعدة آمنة لاعمالها التجارية في الخليج دون ان تعرض نفسها لابتزازات واعتداءات الايرانيين وفي نفس الوقت قررت إرسال حملة تجارية الى البصرة (١٨).

ولم تنجح العمليات العسكرية الهولندية الا في نطاق محدود ولكنها كانت قوية التأثير على الايرانيين لان سفيرا هولنديا إستطاع ان يبرم اتفاقا مرضيا معهم (١٩).

وشهدت اوائل الخمسينات من القرن السابع عشر محاولات جادة من شركة الهند الشرقية الهولندية لتوسيع مصالحها في آسيا وفي نفس الوقت كان الهولنديون يحاربون كلا من الانجليز والبرتغاليين وناقش الهولنديون عدة اقتراحات جديدة ومنها اقتراح إرسال ممثلي الشركة الى البحرين ورأس الخيمة لشراء اللآلىء لكنها لم تنفذ. (٢٠).

وكان من المتوقع ان الهولنديين، بعد انتزاعهم سيلان من البرتغاليين وفرض سيطرتهم على مغاصات اللؤلؤ في مياهها وفي مياه الجنوب الشرقي لشبه القارة الهندية سيفقدون إهتمامهم باللآلىء الخليجية لان المراسلات الادارية ذكرت عدة مرات بان اللآلىء الخليجية تنقصها جودة لآلىء سيلان ولكن كان الطلب على اللؤلؤ في غرب أوروبا ملحوظا مما دفع الهولنديين الى شراء لؤلؤ الخليج وسبق لهولندا طلب اللآلىء الخليجية في عام ١٦٣٣م [٢١] ودعى خبير هولندى في اللؤلؤ من سيلان الى ايران ولكن كان الحصاد في موسم صيد اللؤلؤ لعام ١٦٦٣م بالبحرين غير مثمر وقيل ان خبيرا سيرسل الى بندر كنغ في نهاية الموسم لعام ١٦٦٤م. لشراء اللآلىء وان الاهتمام بـ كنغ لم يكن لمجرد اللؤلؤ بل لان كنغ كانت قد اصبحت مركزا تجاريا هاما بين الهند والخليج ورغب الهولنديون ان يكون لهم نصيب في السيطرة عليه [٢٢].

ولم يكن ميناء جمبرون قد ازدهر آنذاك ورغب الهولنديون في إعادة النظر في تنظيم مكاتبهم في الخليج من جديد وتمثيل هولندا في كل من بندر كنغ ومسقط[٢٣]. وفي ١٦٦٣م أرسل احد البانيان من موظفي شركة الهند الشرقية الهولندية الى البحرين ليدرس ظروف تجارة اللؤلؤ ويشتري بعض اللآلىء[٢٤]، لكن العملية لم تكلل بالنجاح وفي العام التالي ارسل وليام بوزيم وهو خبير هولندي في اللؤلؤ الى بندر كنغ لدراسة الاتجار في اللؤلؤ ولكن دون جدوى. وخطط الهولنديون لصرف ٥٠,٠٠٠ جلدر لشراء اللؤلؤ لكنهم لم يستطيعوا صرف اكثر من ٩٠١ جلدر لهذا الغرض وحسب قول هذا الخبير لم تكن لآلىء البحرين ذات جودة عالية وعلى الرغم من ان لمعانها يدوم اطول من لآلىء سيلان الا انها كانت أقل بياضا. وقد تبين انه يمكن شراء لآلىء أقل جودة وارسالها الى روسيا مما يعود بارباح كما نوقش امكان ارسال بعثة الى البحرين في العام التالي كي تقوم بتقييم تجارة اللؤلؤ فيها بالمقارنة مع بندر كنغ[٢٥]. ولكن في عام ١٦٦٦م قام بوزيم بزيارة بندر كنغ فقط وحده ولم يستطع كذلك شراء اللآلىء الا بكمية قليلة[٢٦]. وانصرف الهولنديون بعد ذلك عن

اهتمامهم باللؤلؤ ولفترة طويلة.

وفي أواخر الثمانينات من القرن السابع عشر وأوائل التسعينات تجدد اهتمام الهولنديين بتجارة اللؤلؤ وكان هذا الاهتمام مرتبطا بالازمة المالية التي واجهتها الامبراطورية الايرانية. وكانت الامبراطورية تواجه تدهورا اقتصاديا حادا منذ فترة طويلة مما أدى الى خفض قيمة العملة. ولم تكن عملية بيع المنتجات الهولندية لايران مقابل عملة خليجية ضعيفة عملية مربحة (٢٧)، فبحث الهولنديون عن البضائع الثمينة الاخرى وعثروا على اللؤلؤ كبديل طبيعي وسرعان ما تحولت كل من البصرة وبندر كنغ الى مركزين هامين لشراء اللؤلؤ. وسبق للهولنديين ان كان لهم في البصرة مكتب دائم او شبه دائم وقد فتح مكتب لهم في ١٦٩٠ في بندر كنغ(٢٨) وحقق الهولنديون لاول مرة ارباحا من تجارة اللؤلؤ واشتروا كميات كبيرة منه من الخليج(٢٩). وبحث الهولنديون ثانية امكان شراء اللؤلؤ من مكان اقرب الى مصدره او تشغيل مغاصات خاصة بهم في الخليج واستغلالها على طراز مغاصات سيلان وجنوب الهند. فارسل الخبراء إلى الخليج من كل من سيلان وهولندا وكان من بينهم جاكوبس هوجكامير الذي ارسل للبحرين ليجرب صيد اللؤلؤ بنفسه ولكن آراء هوجكامير بهذا الخصوص لم تكن مشجعة فقد قضى هوجكامير بعض الوقت في المياه حول البحرين ووصل الى نتيجة مؤداها ان العملية غير مربحة. ويبدو أن اللآلىء التي كانت تباع آنذاك في كل من كنغ والبصرة كانت من الفئات الممتازة وهو ما كانت ترغب فيه هولندا بينما اتبعت البحرين التقليد السابق في بيع الفئات المخلوطة التي تضم اللآلىء الممتازة والرديئة وكانت عملية صيد اللؤلؤ نفسها مخاطرة مشوقة للمغامرين ولكنها لم تكن شيئا توصى الشركة بتبنيه وتضمن تقرير «هوجكامير» بعض التفاصيل الشائقة عن انواع واسعار اللؤلؤ ولكن من سوء الحظ ضاعت المذكرة التي احتفظ بها «هوجكامير»(٣٠). اثناء رحلته.

ولم يدم نشاط الهولنديين في تجارة اللؤلؤ طويلا. اذ وقع حادث في بندر كنغ فقد انزلت السلطات الايرانية علم الشركة الهولندية من على سارية مكتبها بناء على تحريض البرتغاليين الذين ادعوا احتكارهم للتجاة في ذلك المكان(٣١). واضطر الهولنديون إلى اغلاق مكتبهم في البصرة بعد قليل لان الصراعات بين العرب والاتراك تفاقت لدرجة استحالت معها ممارسة التجارة هناك وقد اوقف الهولنديون كل نشاطاتهم في شمال الخليج تماما ولسنوات عديدة.

تتوفر وثائق كثيرة عن البحرين

الهولنديون في الخليج ينقلون مدنا

للسنوات من ١٧١٥م الى ١٧٢١م وتتعلق كافة هذه الوثائق بهجمات من مسقط على البحرين واحتلال قوات مسقط المؤقت للبحرين فيما بعد. لقد جاءت هذه الهجمات في اطار حرب طويلة دارت بين مسقط وايران في الخليج ومنذ تحرير مسقط من الاحتلال البرتغالي كانت السفن العربية من مسقط تهاجم السفن المعادية في الخليج. في البداية كانت هذه السفن برتغالية تم من سورت وفي النهاية كانت المصالح الايرانية ايضا معرضة للهجمات لان التجارة البرتغالية في بندر كنغ كان لها سهم متزايد في التجارة الخارجية لايران وفي الحقيقة فإن تطور الخصومات في الخليج وفي مداخله لم يكن الا محاولة من مسقط لاحتكار التجارة الخارجية في الخليج[٣٢] وانطلاقا من هذا الهدف كان عليهم ان يهاجموا اولا السفن البرتغالية (معظمها كانت سفنا من غرب الهند) ثم سفن رعايا امبراطورية المغول في الخليج اذ كانت ذات اهمية بالغة ويمكن اعتبار هجماتهم على بندركنغ والمكتب البرتغالي فيها من هذا النوع واخيرا بدا واضحا لماذا خسرت السفن البريطانية من عمليات مسقط اكثر من السفن الهولندية فقد اذنت السلطات البريطانية للسفن المحلية مقابل دفع الرسوم، ان ترفع العلم البريطاني عليها وان يحمل افراد طاقمها جوازات سفر بريطانية بينما لم يسمح الهولنديون برفع العلم الهولندي الا للرعايا الهولنديين فقط[٣٣] واقتصرت الحرب لمدة طويلة على هجمات فردية ضد السفن البرتغالية وسفن سورت والرعايا العرب من ايران ثم دخلت الحرب مرحلة «جديدة» عندما هاجمت مسقط بندركنغ مباشرة وهددت جمبرون[٣٤] وشعرت شركتا الهند الشرقية البريطانية والهولندية بخطورة هجمات العرب ضد مصالحهما



..هم حيث توجد الارباح

المباشرة وطرح للبحث اقتراح تشكيل حلف ثلاثي بين كل من الشركتين وايران ضد مسقط. وكانت سياسة هولندا في الخليج في التسعينات من القرن السابع عشر مترددة ومما لا شك فيه ان الهولنديين لم يكونوا قادرين على معالجة الموقف غير المستقر في الخليج. ففي البداية كان الهولنديون في صراع مكشوف مع ايران وانفجر الصراع بينهما بوقوع حادث سارية العلم في بندركنغ وكان هذا الحادث بمثابة الشرارة التي فجرت الموقف وكان السبب الحقيقي هو مطالبة ايران بالاموال والهدايا الثمينة مما خفض معدل الارباح الهولندية الى حد ملموس[٣٥].



وعقب تطبيع العلاقات بين الهولنديين والايرانيين لجأ الشاه الى كل من الانجليز والهولنديين للمساعدة في تنظيم حملة مشتركة لفتح مسقط لكن المشكلة آنذاك كانت في استحالة الوصول الى اتفاقيات صريحة مع الحكومة الصفوية بسبب تفككها وكان الهولنديون في ذلك الوقت يميلون لتقديم المساعدة لايران ذلك لاملهم في وعود ايران بمكاسب في الاراضي العمانية. وتم بعض الاستعداد فعلا لتقديم المساعدة المطلوبة للشاه ولكن هذا الاستعداد لم يؤد الى اية نتيجة بسبب تورط الايرانيين في اخماد التمرد في بعض الاماكن وعدم توفر قوات لديهم للهجوم على مسقط(٣٦).

لقد فات الاوان على الايرانيين الذين فقدوا فرصا «قيمة» واستعاد الاوروبيون توازنهم بسرعة بعد هجمات مسقط ضد بندركنغ ووجدوا بان المصالح الهولندية والبريطانية لم تتأثر بموقف العرب مادام هذان الشعبان محافظان على حيادهما. وخسرت التجارة الاوروبية كثيرا بسبب الحرب بصورة غير مباشرة فقد تعرضت السفن المحلية التي كانت تجوب المياه بين الموانىء الصغيرة في الخليج لكثير من الصعوبات او لوقف الحركة كليا مما كان له اثر سلبي للغاية على الوضع الاقتصادي ككل في المنطقة

وفي الحقيقة لم تبق ادنى رغبة لدى الهولنديين لمد يد المساعدة للايرانيين ضد مسقط لكنه يبدو ان الانجليز بدأوا يميلون نحو مساعدة ايران في عام ١٧٠٥م بدورهم(٣٧) لكن هذه الرغبة لم تتحقق وفي عام ١٧٠٩م بدأت مفاوضات السلام بين ايران والعرب ودامت لمدة طويلة دون جدوى(٣٨) لان ايران لم تعامل المفاوضين العرب معاملة «حسنة» وفشلت المحادثات نهائيا في عام ١٧١١م. وبدأت مسقط سلسلة «جديدة» من الهجمات ضد الموانىء الايرانية والسفن التي يمتلكها الرعايا الايرانيون في الخليج. وفي هذه الاثناء طلبت ايران من هولندا ان تحالفهم ضد المساقطة وفي نفس الوقت ضد البرتغاليين ووعدتهم بنفس الامتيازات التي تمتع بها البرتغاليون في بندركنغ حتى ذلك الوقت(٣٩). ولكن رفض الهولنديون هذا الطلب وبدأت هجمات المساقطة ضد الايرانيين تزداد شدة وفي عام ١٧١٥م قام المساقطة بتوسيع انشطتهم في الخليج ومقابل بندر عباس نفسها وفي عام ١٧١٥م حجزوا سفينة برتغالية في مرساها في بندر عباس ودمروا بندر كنغ(٤٠) وفي عام ١٧١٥م ايضا شنوا هجومين ضد البحرين وتبعتهما هجمات متتالية أولاها بـ ١٥ او ١٦ سفينة والثانية بـ ١٠ او ١٢ سفينة كبيرة وعدد من

المراكب الصغيرة وبالمرة وصلت الانباء بان المساقطة استطاعوا احتلال الجزيرة لبعض الوقت في أواخر الخريف في عام ١٧١٥ لكنهم طردوا في النهاية منها بعد ان تكبدوا خسائر فادحة في الارواح اذ بلغ عدد القتلى حوالي ١٠٠٠ نسمة (٤١)

وعقب تلك الهجمات عين صفي قلي خان قائدا للقوات الايرانية ضد مسقط وخاف الهولنديون من ان تطلب ايران منهم المساعدة ولكن ذلك لم يحدث(٤٢). وعن عام ١٧١٦م لا توجد معلومات عن البحرين في المصادر الهولندية. وفي عام ١٧١٧م بدا واضحا بان عرب مسقط كانوا جادين في محاصرتهم لقلعة البحرين التي احتلوها في نهاية ذلك العام (٤٣). وكان هناك رجال بارزون من صفوف الايرانيين رغبوا في طلب مساعدة الهولنديين لانهم رأوا ان ذلك لابد منه اذا ارادوا الاستيلاء على البحرين(٤٤) وحاولت ايران كل جهدها الحصول على مساعدة الهولنديين لكن الهولنديين رفضوا ذلك صراحة. ولم تكن لدى الهولنديين اية رغبة لتقديم اية مساعدة لايران لاستعادة الحكم على البحرين وهذا هو ما صرح به سفير هولندى اسمه جون جوسوا كتيلار **JOAN JESUA KETELAAR** أرسلته حكومة باتافيا العليا مديرا الى اصفهان ليناقش اتفاقا تجاريا جديدا مع الايرانيين. وكانت قد وصلت للتو ثلاث سفن هولندية تجارية من باتافيا الى بندر عباس وحذر نائب بندر عباس الهولنديين بان نبأ وصول السفن بلغ إمام مسقط وانه اقتنع بان هذه السفن جاءت لمساعدة الايرانيين ضد العرب.. وانه أمر باعداد السفن لمهاجمة السفن الهولندية فاتخذ الهولنديون بعض الاجراءات في جمبرون لحماية سفنهم لكنهم لم ينساقوا وراء الايرانيين لدرجة اتخاذ اجراءات ضد مسقط بل منعوا كتيلار من ذلك صراحة (٤٥).

استولى عرب مسقط ليس فقط على البحرين بل على جزر قشم ولاراك في مضيق هرمز(٤٦) ويئس الايرانيون لان ذلك اوقف تجارتهم الخارجية مع الشرق فحاولوا استعادة البحرين في ١٧١٨م. وفي نفس الوقت مارس اعتماد الدولة الضغط على كتيلار ليسمح للايرانيين باستخدام سفنهم لحمل التعزيزات الى قلعة البحرين (٤٧) ولكن كتيلار كان يعلم بتطورات الموقف وكان قد تلقى تقريرا يفيد ان الهجوم ضد البحرين باء بالفشل وان القوات الايرانية منيت بخسائر فادحة في الارواح اذ بلغ عدد القتلى ٨٠٠٠(٤٨) وشعر ايضا بالخطر المحدق بالسفن الهولندية الكبيرة التي كانت قد جهزت للتجارة وليس للحرب

في المياه الضحلة حول البحرين. وفي نفس الوقت كان حريصا على الا تفشل مهمته في ابرام اتفاقية تجارية جديدة مع ايران فيما لو رفض طلباتهم الملحة للمساعدة وتعطى لنا تقاريره رؤية واضحة عن موقفه الصعب ازاء المحادثات المعقدة التي كان عليه ان يجريها فقد ادعى كتيلار بانه غير مخول لاعطاء الايرانيين حق استخدام السفن الهولندية بحجة ان مثل هذه القرارات تتخذ من قبل حكومة باتافيا العليا فقط فلجأ الايرانيون الى حيلة اخرى واخبروا كتيلار بانهم كانوا يبحثون عن امكان ابرام تعاقد مع البرتغاليين على اساس منحهم جميع الامتيازات التي كان الهولنديون يطلبونها مقابل مساعدة السفن البرتغالية لهم ضد العرب ووعدوا الهولنديين باعطائهم امتيازات كثيرة اخرى اذا وافقوا على مساعدتهم بدلا من البرتغاليين لكن كتيلار ظل مصرا على رفضه لهذا الطلب ولكنه استجاب لطلب ايراني واحد فقط وهو نقل سفيرهم الى جوا على متن سفينة هولندية(٤٩)

وتوفي كتيلار عقب عودته الى بندر عباس وأصبح قبره المخروطي الشكل من المعالم البارزة لضواحي مدينة بندر عباس لعدة سنوات. ولم ينس الايرانيون رفض الهولنديين مساعدتهم ضد العرب فوضعوا العوائق امام مغادرة سفينة هولندية وذلك بحجز المركب الشراعي المرافق لها واحتج الهولنديون احتجاجا شديدا وأوضحوا للسلطات الايرانية بانهم لا يستطيعون ارسال رسائل كل من الشاه واعتماد الدولة الى الحاكم العام الا اذا كانت سفينتهم حرة للمغادرة فأطلقها الايرانيون وغني عن البيان ان الحاكم العام رفض الطلب الايراني بحجة انه في حاجة الى السفن والجنود لمهام قتالية في مالابار وجافا(٥٠)

وكان البرتغاليون اكثر رغبة في تقديم المساعدة وكانوا يتطلعون للحصول على نصيبهم من العوائد الجمركية من بندر كنغ ويبدو انهم تظاهروا بالصداقة نحو الايرانيين الى حد ما حرصا على استعادة أموالهم وفضلا عن ذلك كان البرتغاليون في حرب مع مسقط من زمن طويل مما جعلهم أقل ترددا في هذا الامر من الهولنديين. وفي الحقيقة وصلت أربع سفن برتغالية الى بندر كنغ ولكن قبل اتخاذ قرار حاسم في هذا الشأن رغب البرتغاليون في ابرام اتفاقية حول مطالبهم القديمة عن الضرائب الجمركية والامتيازات الجديدة الموعودة. وبعد ان وصلت السفن فعلا تجاهل الايرانيون معظم وعودهم مما جعل الهولنديين يحسون بالشماتة في البرتغاليين ولم يتخذ البرتغاليون اية

خطوات حاسمة حتى استفزهم تحرش السفن العربية بهم فلم يرض البرتغاليون بهذا التصرف وغادر اسطولهم بندر كنغ واشتبك مع اسطول العرب على سواحل رأس الخيمة في معركتين. ويختلف وصف هاتين المعركتين في المصادر الهولندية الى حد ما عن تفاصيلهما في التقارير الانجليزية حسبما يرويها لوريمر فيرى لوريمر ان البرتغاليين كانوا اقوى لكن التقارير الهولندية تقول بان القوات البرتغالية لم تستطع طرد الاسطول العربي وانسحبت الى بندر كنغ وكانت نتيجة هذا الانسحاب حسب التقارير الهولندية ان القوات البرتغالية لم تكن قوية لتغطي الهجوم الايراني ضد البحرين كما لم تتوفر لدى الايرانيين القوة العسكرية لاستعادة البحرين(٥١). وانسحب البرتغاليون بعدقليل من الخليج وكانت المعركة الاخيرة هي اخر معركة لهم فيه. اما بالنسبة لايران فلم يبق امامهم سوى طريق التفاوض من اجل السلام. وضعفت كل من ايران وعمان بسبب الاضطراب الداخلي وهذا فتح المجال لنجاح المفاوضات وقد افادت المفاوضات ايران بأكثر مما تحقق لهم في ساحة القتال.

فعمان كانت مستعدة لاعادة جزيرتي قشم ولاراك بشرط الحصول على مرسى في القشم لترسو فيه مراكبهم والحصول على نصيب من الضرائب الجمركية لهرمز وبندر كنغ ونفس الامتيازات التجارية التى تمتع بها الاوربيون واعادة البحرين الى ايران مقابل دفع مبلغ ضخم من الاموال.(٥٢)

ان تتبع تاريخ البحرين في الفترة بين ١٧٢١ و ١٧٥١ ليس سهلا إذ تغير الحكام مرات عديدة ولا نعرف كيف تم ذلك او متى تم وهناك عدة مصادر تنقل احداث هذه الفترة لكنها غير دقيقة.

والمصادر الرئيسية هي تقارير مندوبي هولندا في بندر عباس وملحقاتها وتقارير المقيمين الهولنديين في خرج في الفترة بين ١٧٥٤م و ١٧٥٦م عندما اقترحوا خطة لفتح البحرين والتقارير الاخرى للوكلاء الانجليز في الخليج والمذكرة التى احتفظ بها المقيم البريطاني في بندر عباس ولكن كل هذه المصادر تأتي بقصة غامضة ومن الصعب علينا ان نحصل على الصورة الحقيقية.

وفي وقت ما عقب عام ١٧٢١ استولى الشيخ جبر وهو شيخ قبيلة النصور وهي من فرع الهولة، استوطنت (طاهري) على الساحل الجنوبي لايران. استولى على البحرين ولا نعرف كيف. ويذكر لوكهارت بصورة عابرة بان الشيخ جبر احتل البحرين من الايرانيين بعد ان اعادتها مسقط الى ايران (٥٣) ولكن الهوامش

في كتاب لوكهارت لا تؤكد ما اذا كان لدى الكاتب اي دليل لتأييد هذا القول. (٥٤).

ونحن نشك فيه لأن يوميات المكتب البريطاني لـ بندر عباس الهامة (المعروفة باسم يوميات جمبرون) عن السنوات الهامة التي تلت اعادة البحرين الى ايران في ١٧٢١م مفقودة في سلسلة يوميات جمبرون المهم لقد أصبح الشيخ جبر، بصورة ما، مسيطرا على البحرين.

هذا ما تؤكده المصادر الهولندية لكن اقدم اشارة الى الشيخ جبر ترد في المواد الهولندية في ١٧٣٠م غير انها لا تأتي بمعلومات صريحة عن كيفية استيلائه عليها. (٥٥)

وحتى يتم اجراء دراسة جادة لمذكرات جمبرون البريطانية تأتي بمعلومات مؤكدة يجب ان تكون أذهاننا مفتوحة بخصوص احتمال آخر تشير اليه وثيقة هولندية لعام ١٧٣٠م بصورة غير واضحة وهو عبارة عن مصادقة السلطات الايرانية أنذاك على منصب الشيخ جبر كوال ايراني على البحرين فقد تكون المعلومات التي أوردها لوكهارت غير دقيقة او قد يكون الشيخ جبر قد شغل منصب والي البحرين من قبل الصفويين فور اعادة الجزيرة من قبل مسقط او انه حصل على الجزيرة من احد حكام ايران المدعين بحقهم في الحكم على ايران عقب انقراض السلالة الصفوية وفي الفترة المضطربة التي تلت ذلك على أي حال فإن الدراسة العميقة ليوميات جمبرون يمكن ان تلقى مزيدا من الضوء على هذا الموضوع وهو امر ضروري أيضا لسبب آخر اذ يتكرر اسم أحد الشيوخ في الوثائق الهولندية وهو الشيخ جبارنا او جبنا Jabarna or Jabanna ونظرا لان الوثائق الهولندية منسوخة من الاصول فقد يكون قد وقع خطأ في نقل الكلمة أو قد تكون الكلمة «جبرا» لان الحرف «ر» يشبه الحرف «ن» في الكتابة (باللغة الهولندية) وتخبرنا احدى هذه الاشارات الى جبارنا بأنه حجز على عدة سفن إنجليزية وذلك يجعل من السهل علينا ان نحقق فيما اذا كان هذا الجبرنا، هو جبر المشار اليه وان صح هذا فسوف يتوافر لدينا معلومات اكثر عنه (٥٦).

ويجدر بنا ان نذكر هنا وضع شيوخ القبائل العربية في الساحل الجنوبي لـ ايران آنذاك ونلاحظ أن وثائق القرن السابع عشر لا تذكر أي منها اسماء الشيوخ العرب في المنطقة وقد تغير هذا الوضع بعد عام ١٧٢١م ويبدو أن الشيوخ العرب الذين كانوا شيوخ القبائل فقط منحوا بعد ذلك العام مكانة رسمية من قبل السلطات الايرانية.

ويرجع السبب في هذا التطور الى

منصب «شاه بندر» الذي كان يستأجر حق جمع الضرائب الجمركية من ميناء ما وتمتع في اطار هذه المهمة ببعض السلطات الادارية والتجارية. ويبدو أن الايرانيين شغلوا هذا المنصب اولا لكن بعد عام ١٧٢١م نصادف أحد العرب في منصب «شاه بندر» أو نائبه وحتى في مناصب اعلى منه (٥٧).

وتوجد عدة مراجع عن «جبر» بعد عام ١٧٣٠م ويبدو أن هذا الشيخ تعاون مع شيخ عربي آخر تعاونا وثيقا وهو زعيم (باسيدو)، واسمه راشد بن مطر. واستأجر الاثنان لمدة محددة، حق جمع الضرائب الجمركية في موانيء السواحل الايرانية الجنوبية (٥٨) وقد أمرهما تهماس قلى خان المعروف باسم نادر شاه لاحقا وكان يحتل منصب القائد العام للجيش الايراني بمعاقبة شيخ آخر اسمه احمد مدنى كان قد احتل جنوب شرق ايران. (٥٩) ثم فرضت إدارة نادر شاه عليهما غرامة ضخمة عندما رفضا تنفيذ هذا الأمر (٦٠) وعندما بدأ كل من نادر شاه وحاكم فارس تقي خان اعادة فرض السيطرة الايرانية على المنطقة هاجما الاثنين فبدأ براشد (٦١) مما أدى الى اول حركة تمرد للقبائل العربية في الخليج الأدنى. ولا يبدو ان الشيخ جبر شارك في حركة التمرد إذ كانت البحرين هي الهدف الثاني في حملة اعادة السلطة الايرانية على الخليج.

لقد أعدت البحرية الايرانية في سرية لتقوم بعمليات في الخليج ولكن قائد الاسطول لطيف على خان افشى السر للهولنديين وأخبرهم بان الخطة الايرانية تستهدف غزو البحرين وطلب منهم اعادة سفنهم للمشاركة في العمليات ورفض الهولنديون الطلب ولكن تم تنفيذ الخطة واحتلت ايران البحـرين ثم غضبت ايـران من الهولنديين بعد ذلك بسبب رفضهم المساعدة في الغزو واتهمتهم بافشاء اسرار الخطة للعرب. (٦٢)

ولا يتضح لنا دور الشيخ جبر في هذه الاحداث. وحسب أقوال المؤرخين العرب فقد غزا الايرانيون البحرين عندما كان الشيخ جبر يقوم بأداء فريضة الحج في مكة المكرمة (٦٣) ومشكلتنا هي أن هذا السرد للأحداث مبنى على التقاليد فحسب ولا توجد مصادر لاثباته. ومن ناحية اخرى فإن هذا التفسير يبدو غير محتمل لان وثيقة هولندية تذكر بان الشيخ جبر كان حاكما على اغلب الموانيء في الساحل الجنوبي لايران حتى بعد عام من احتلال ايران للبحرين وشوهد بمعية بغلربك الايراني (٦٤) وهذ لا يتطابق مع قصة الحج في مكة. وكذلك نجد في وثيقة بريطانية متأخرة أن ابن الشيخ جبر كان حاكما ايرانيا على البحرين منذ مدة (٦٥) فيبقى الاحتمال

بان العمليات الايرانية كانت موجهة ضد الثائرين العرب على الجزيرة وليس ضد الشيخ جبر شخصيا.

وعلى كل حال تغيرت الظروف فيما بعد. وفي نفس العام اي ١٧٣٧م هاجم الايرانيون مسقط. ولم يكن الهجوم الأول ناجحا بل منى بفشل كبير (٦٦) ولما اتضح موقف الايرانيين الخطير أخذت ثورة العرب في السواحل الجنوبية الايرانية تشتد ثانية وفي ١٧٣٨م انضم الشيخ جبر الى صفوف المتمردين وتوجه الى البحرين ونهب منطقة القطيف وحاصر قلعة البحرين (٦٧) وكان الايرانيون في موقف صعب بسبب حربهم ضد عمان وعدم قدرتهم على جلب النجدة للبحرين. ولم يستطع حاكمهم الجديد محمد قلي خان ان يصل الى الجزيرة عقب تعيينه بسبب سيطرة السفن العربية على البحر حولها. (٦٨) ورغم ذلك، وحسب معرفتنا، يبدو ان البحرين ظلت تحت السلطة الايرانية حتى عندما تمردت قبيلتا بنى معين وعلى اللتين شكلتا اغلب بحارة الاسطول الايراني وقامتا بالاستيلاء على الاسطول الايراني باكمله تقريبا، ويظهر ان البحرين بقيت تحت سيطرة ايران. (٦٩).

ولكن بسبب ما أدت اليه وفاة نادر شاه من فوضى في ايران استحال عليها ان تحافظ على سيطرتها على البحرين وأصبح الشيوخ العرب في الموانىء الجنوبية الايرانية حكاما مستقلين في الواقع على مناطقهم وفي مرحلة ما لا يمكن تحديدها بالضبط كانت البحرين تحت سيطرة قبيلة الحرم وهي قبيلة تمارس صيد اللؤلؤ استوطنت منطقة عسيلوه في الساحل الجنوبي لايران. وتوجد إشارة غامضة في احدى الوثائق الهولندية الى انه من المرجح ان قبيلة الحرم استولت على البحرين لمدة قصيرة فقط اثناء الاضطرابات التى تلت وفاة نادر شاه (٧) ويمكن أيضا ان الحرم احتلوا البحرين قبل ذلك الوقت بموافقة الايرانيين لكن ذلك لا يمكن إثباته.

ويبدو ان عدد الحرم لم يكن كبيرا (٧١) وكان هذا سببا في زوالهم لان جزيرة البحرين الغنية كانت تجذب انظار المغامرين ففي البداية ساهم شيخان من المنطقة في تجريد قبيلة الحرم (من السيطرة على الجزيرة) وهما مير ناصر من بندريق والشيخ نصر بن مذكور من بوشهر (٧٢) ولا نعرف شيئا عن خلفية مير ناصر ولكن ورد ذكر الشيخ نصر في المصادر الاوروبية لان الاوروبيين استوطنوا بوشهر من حين لآخر وقد دعى الهولنديون لانشاء مكتب لهم في بوشهر عام ١٧٣٧م. ولكن هذه المهمة لم تفلح. اذ كان الهولنديون قد تلقوا الدعوة الى بوشهر من السلطات الايرانية العليا ودون موافقة شاه بندر

المدينة اي الشيخ مذكور والد نصر الذي ربما شعر بتهديد لدخله من الرسوم الجمركية في بوشهر اذا جاء الهولنديون الذين يتمتعون بحقوق وامتيازات خاصة (٧٣).

ولم يكن نصر حاكم بوشهر مقبولا لدى القبائل العربية الاخرى لأنه كان قد اعتنق مذهب الشيعة لارضاء الايرانيين واقناعهم بولائه لهم. وفي وقت ما قيل بان المكان الوحيد الآمن من خطر تمرد العرب ضد الايرانيين هو بوشهر لان حاكمها انعزل تماما عن صفوف العرب الآخرين. (٧٤) وفي الحقيقة في عام ١٧٤٤ وأبوه ما يزال على قيد الحياة، كان نصر يخدم في الاسطول البحري الايراني عندما نشب التمرد العظيم. وقد قتل احد ابناء عمه ولقى هو نفسه معاملة سيئة على يد العرب الآخرين. (٧٥).

واستمر الاحتكاك مع الهولنديين حتى بعد ان تولى نصر الحكم خلفا لأبيه. وبعد وفاة نادر شاه عين شاه بندر السابق لـ بوشهر «وصيا» من قبل الهولنديين اي حاكما من ابناء البلد (٧٦) وفي غياب المراقبة الايرانية على تصرفاته تزايدت الصراعات بينه وبين الهولنديين واعتبر الهولنديون حاكم بوشهر عدوا من اعدائهم الرئيسيين في المنطقة.

وبعد هذا السرد السريع لتاريخ حكام بوشهر المبكر نرجع الآن الى تصرفاتهم في البحرين فقد تكللت عمليات الشيخ نصر ومير ناصر من بندريق ضد البحرين بالنجاح فاستوليا عليها بسهولة ثم احتال مير ناصر وهو الأقوى بين الاثنين على الشيخ نصر واقنعه بالعودة اولا. وعقب مغادرته أبقى حاكم بندريق قواته على الجزيرة ورفض ان يسلم أي جزء من عوائد البحرين إلى الشيخ نصر ومنذ ذلك الحين أصبح الحليفان عدوين ولكن كان هناك حاكم آخر هو حاكم جنورا Jinora بالقرب من بندريق اسمه قائد حيدر رأى بأن بندريق مجردة عن أية قوة عسكرية فقرر غزوها. فأضطر مير ناصر لمغادرة البحرين على عجل مما أتاح الفرصة لقبيلة الحرم ان ترجع الى الجزيرة، وبناء على وثيقة هولندية يمكن لنا ان نحدد تاريخ عودة الحرم بحوالى عام ١٧٥١م. ولما كانت البحرين تلفت انظار الطامعين بسبب ثروتها الزراعية واراضيها الخصبة ومغاصاتها. رغب الشيخ نصر في احتلالها رغبة شديدة غير انه لم تكن لديه قوة كافية فحاول اقامة تحالف جديد وفي هذه المرة استعان بالعتوب. وكان العتوب اكثر عدداً من بين القبائل العربية التى كانت تجوب البحار ولكنهم كانوا بعيدين عن لعبة الصراع في الخليج.

فقد كانوا صيادي لؤلؤ محبين للسلام ويملكون قوارب صغيرة غير

مسلحة الا بأسلحة خفيفة لذلك كان العرض المقدم لهم بصيد اللؤلؤ بالمجان في مغاصات البحرين الغنية مغريا جدا لكن الغزو الاول اسفر عن هزيمة كبيرة لقوات الشيخ نصر التى واجهت ليس فقط مقاومة الحرم بل مقاومة قبائل الهولة الاخرى ايضا التى ساعدت الحرم.[٧٧]

ونظرا لنقص قواته بحث الشيخ نصر عن حلفاء جدد ونجح في الحصول على مساعدة فرع قوي من قبيلة الهولة هم النصور، في الطاهرى وهو الفرع الذي ينتمى اليه الشيخ جبر الراحل ووعدهم بدفع نصيب كبير من عائدات البحرين سنويا. وقد راحت المقاومة الشديدة التى أبداها الحرم سدى وفي حوالي ١٧٥٣م انسحب الحرم الى منطقة عسيلوه. وترك الشيخ نصر أخاه حاكما على البحرين ومعه مفرزة صغيرة وسفينة حربية صغيرة. ويبدو ان نصر اختفى فيما بعد بضع سنوات من فتح البحرين. وفي عام ١٧٦١م ذكر اسم سعدون كحاكم على البحرين وبوشهر.[٧٨]

كان موقف المطاريش في بوشهر ضعيفا فمن حيث العدد كانت القبيلة ضعيفة جدا ولم يكن لديهم الا عدد قليل من السفن. وترسم الوثائق الهولندية صورة قاتمة لوضع البحرين، فقد استمر الشيخ نصر في تمسكه بالجزيرة لكن عائداتها تدهورت بصورة حادة. فحليفهم في الغزو اي العتوب كانوا يشكلون جماعة رئيسية للغواصين ولم يكن عليهم ان يدفعوا أية رسوم وكذلك لم تدفع قبيلة الهولة أية ضرائب لانها اعتبرت البحرين ملكا لها كما كان الوضع في عهد الشيخ جبر. ولم يكن نصر قادرا على مجابهة الهولة بقواته الضعيفة. وكان نظام الأمن ناقصا لدرجة ان الملاحين عند مرورهم بالجزيرة وكذلك الغواصين كانوا يسرقون حوائجهم من الجزيرة خاصة الخشب وهو عتاد غال وقطعوا النخيل وسببوا دمارا مستمرا لاقتصاد البلاد. فغادر السكان لاماكن اخرى وواجه نصر نقصا في الدخل وكان عليه ان يدفع خراجاً ضخما لشيخ (الطاهري) من دخله المتواضع، سنويا إذ لم يكن في وضع يسمح له باغضاب هذا الشيخ الجبار[٧٩]

وفي الحقيقة يبدو ان البحرين كانت لقمة سائغة لمن اراد ان يبتلعها. وكانت لدى الانجليز خطة فعلا لاحتلال الجزيرة في ١٧٥٢م[٨٠] وواجه الهولة شقاقا داخليا وكان على القواسم ان يركزوا قوتهم لحماية استقلالهم في وجه عمان وبالنسبة للعتوب كانت صفوفهم تضم عددا كبيرا من الافراد بدون ان يكون لهم قوة عسكرية وكانوا يعرفون الجزيرة جيدا. وكان الهولنديون قوة أخرى في الخليج

وابدوا بعض الاهتمام..

بعد وفاة نادرشاه أخذ الاهتمام الهولندى بشئون ايران يتلاشى وأدت حالة الفوضى المستمرة فى منطقة جمبرون الى ركود التجارة لعدة سنوات . وعانى الهولنديون من سوء الطقس صحيا ولقى كثير من رؤساء مؤسسة جمبرون حتفهم فور توليهم مناصبهم . وأصبح جليا أن جمبرون لن تستعيد مكانتها ثانية ومنذ ذلك الوقت ركز الهولنديون اهتمامهم على البصرة (٨١) . التى شهدت زيادة «مؤقتة» فى حجم التجارة . فالمنتجات الأوروبية التى كانت تصدرها شركة الهند الشرقية عن طريق حلب أرسلت عن طريق البصرة أيضا . (٨٢)

وفى ١٧٤٧ م أصبحت المؤسسة الهولندية فى البصرة مستقلة بذاتها بدلا من أن تكون فرعا لجمبرون (٨٣) كما كان الوضع حتى ذلك الحين . وتركز التقارير التى صدرت من مكتب البصرة على الأوضاع التجارية والسياسية فى العراق .. وكانت لهم علاقات مع القبائل العربية بالخليج جنوب البصرة لكن الوثائق الهولندية لا تتضمن أية تفاصيل عنها . وفى البصرة حاول الهولنديون اختبار تجارة اللؤلؤ مرة أخرى . والوثيقة الهولندية الوحيدة من البصرة التى تشير الى البحرين تذكر شيئا جديدا عنها(٨٤) فهي تشير الى تجار البحرين والقطيف الذين يجيئون الى البصرة باللؤلؤ . وهذا أمر مشوق لأن الوثائق القديمة تشير الى البانيان أو اليهود أو البرتغاليين أو التجار الاجانب فقط الذين زاروا البحرين لشراء اللؤلؤ ولكن يبدو أن العرب من البحرين أنفسهم وسعوا نشاطهم وأخذوا ينقلون منتجاتهم الى الاسواق التجارية الرئيسية بأنفسهم.

ونجد أيضا فى وثيقة هولندية للبصرة اشارة الى الكويت (القرين) وهذا نادر . ففى ١٧٤٩ م فر المقيم الهولندى فى البصرة من مقره الى حلب عن طريق الكويت (يبدو بأنه أخذ معه أموال الشركة) (٨٥) . هذا يثبت بأن القوافل كانت تمر بين الكويت والغرب آنذاك والا لما كان له ان يذهب الى الكويت . وتتكرر نفس الاشارة فى مرجع شهير آخر للسائح البريطانى الدكتور أنفس الذى ذكر فى كتابه خطة للسفر الى سوريا عن طريق الكويت . ثم عين رجل بارز هو تيدو فريدريك فان نيفهاوسن مقيما هولنديا فى البصرة واجتذبت شخصيته اهتمام مؤرخى الخليج لأنه قام بعدة خطوات فى فترة هامة من تاريخ الخليج . وجاء شرح لنشاطات نيفهاوسن فى الخليج فى مؤلفات نيبور وأنفس ونقلها المؤرخون الآخرون فيما بعد . واعتمد بعض الكتاب (مثل أمين الريحانى) على الوثائق البريطانية أيضا (٨٦) وتوجد

وثائق هولندية كثيرة عن شخصية نيفهاوسن المشوقة لكنها لم تستخدم [٨٧]

ولا يمكن لنا أن نذكر تفاصيل حياة نيفهاوسن لأن هذا البحث ليس تاريخا عاما للخليج وانما نكتفي هنا بتقديم نبذة قصيرة عن الأحداث التى حدثت بعد سنة ١٧٥٤ م .

فى سنة ١٧٥٤ م تشاجر نيفهاوسن مع المحافظ العثمانى للبصرة وأدت حدة الصراع بينهما بالأخير الى اعتقال نيفهاوسن ولم يفرج عنه الا بعد دفع مبلغ ضخم . وعقب ذلك غادر نيفهاوسن البصرة ورجع الى باتافيا بعد أن قام بمحادثات مع حاكم بندريق مير ناصر . وقدم مير ناصر وثيقة الى نيفهاوسن دعا فيها الشركة الى تأسيس مؤسسة لها فى جزيرة خرج [٨٨] وبعد زيارة قصيرة لباتافيا رجع نيفهاوسن الى الخليج بسفينتين قويتين وحاصر بهما شط العرب مما أدى الى ركود تجارة البصرة وانخفاض دخل المحافظ وفى نفس الوقت مارس السفير الهولندى فى القسطنطينية البرت دى هوشبيد ضغطا دبلوماسيا على محافظ البصرة واستعاد أموال نيفهاوسن ولكن لم يسمح للهولنديين بفتح مكتبهم فى البصرة رغم أنه كانت على متن السفن الهولندية مواد البناء التى نقلت الى خرج حيث بدأ الهولنديون بناء قلعة صغيرة باسم موزلستاين على اسم الحاكم العام جيكوب موزل وكان حرس القلعة مكونا من العساكر الأوربيين والعساكر السود من رأس الرجاء الصالح . بينما كانت اطقم السفن من البحارة من جزيرة بالى وكان قد تم تعديل هذه السفن تلبية لمتطلبات نيفهاوسن وزودت بمدافع افرنجية .

كان موقف الهولنديين قويا فى الخليج وكانت لديهم مراكب قادرة على الدخول فى المياه الضحلة على السواحل العربية ومزودة بالمدافع الأوربية . وأصبحت خرج ميناء حرا وكان عدد السفن المارة ملحوظا للغاية كما يبدو من قائمة اسمائها والملحقة مع تقارير مقيمى هولندا فى الجزيرة [٨٩] . وبعد تثبيت تواجده فى خرج اتبع نيفهاوسن سياسة « هولندية » جديدة فى الخليج وعارض بعض اعضاء حكومة باتافيا العليا هذه السياسة لانهم لم يوافقوا على توسع مستعمراتهم خارج نطاق المصالح الهولندية فى جنوب شرقى آسيا لأن المستعمرات الجديدة تطلب توزيع الحرس فى تلك الأماكن وكانت هذه العملية مكلفة جدا . فأوصوا بالحد من نشاطات الشركة فى الاماكن الهامشية حيث يسمح للتجار من القطاع الخاص [٩٠] ان يتصرفوا كما شاءوا ولكن هذه المرة نجح نيفهاوسن

اذ حصل على تأييد الحاكم العام موزل ولكن معارضة سياسته برزت بوضوح عندما قدم هو ونائبه جان فان ديرهلست مشروعا طموحا لغزو البحرين . وقد قدم هذا المشروع فور استقرار الهولنديين فى جزيرة خرج .

وقدم المقيمون الهولنديون فى هذا المشروع سردا ناقصا لتاريخ البحرين ويتضمن هذا البيان التاريخى اخطاء كثيرة لكنه يعتبر رغم ذلك وثيقة هامة لأنها تتضمن تفاصيل الاحداث التى حدثت حوالى ١٧٥٠ ثم تناقش الفوائد الاستراتيجية والاقتصادية التى تنجم عن احتلال البحرين والاساليب التى يجب استخدامها لهذا الغرض . فيقول المقيمون ان غزو البحرين أمر سهل بسبب ضعف الشيخ نصر . وأن خطة العملية المقترحة بسيطة للغاية (٩١) .

أما المبررات الرئيسية التى قدمها المقيمون فى خرج لغزو البحرين فهى ثروتها النسبية وموقعها كمركز تجارى وقلعتها ذات الأهمية الاستراتيجية خاصة اذا تم تجهيزها بالمعدات اللازمة ويذكر المقيمون الحاكم العام بأن ايران مدينة للشركة بمبالغ ضخمة ونظرا للفوضى التى تسودها فمن غير المحتمل أن تدفع هذه الديون لذا فيمكن لهولندا استخدام البحرين كرهن مقابل مستحقاتها الضخمة من الضرائب (٢٤٠,٠٠٠ روبية) فاذا خرجت ايران من مأزقها يمكن للهولنديين ان يتفاوضوا معهم من موقع القوة اذا امتلكوا البحرين . وكانت قلعة البحرين تحتاج الى اصلاحات بسيطة فقط .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو هل كان هذا الاقتراح عمليا ولماذا اقترحه المقيمون .

وللاجابة عنه نقول يبدو أنه لم يكن صعبا لقوة صغيرة ان تحتل الجزيرة ولكن لم يكن مؤكدا أن بامكان ١٠٠ جندى أوربى و ٥٠ ملاحا أوربيا أن يدافعوا عنها وان كان هذا يبدو محتملا لأن الهولنديين دافعوا عن قلعة خرج لعشر سنوات بـ ٧٠ جنديا أوربيا فقط فى حين كانت قلعتها اضعف (من قلعة البحرين) . ومما لا شك فيه أن المقيمين اعتبروا مسألة فتح البحرين أمرا سهلا ويبدو هذا جليا من الهجمات التى قام بها كل من مير ناصر والشيخ نصر والخطة التى وضعها الانجليز لغزوها (٩٢) ولكن من المشكوك فيه ما اذا كان الهدف من غزو البحرين هو مجرد تحصيل الضرائب تعويضا للديون المتبقية القديمة . والمرجح أنه كانت هناك أهداف أخرى لقد امتنع ممثلو شركة الهند الشرقية رسميا عن ممارسة التجارة على المستوى الرسمى ورغم ذلك فان معظمهم مارسوا التجارة

الخاصة وكان حجمها يفوق حجم تجارة الشركة . ومن الممكن بأن مقيمي خرج شعروا بأن البحرين تفتح أمامهم امكانيات واسعة للثراء الشخصي .

واذا كان انشاء مؤسسة هولندية في خرج لم يكن متمشيا مع سياسة هولندا في غرب آسيا التي تجنبت التورط في أي نشاط سياسي أو عسكري واقتصرت على ممارسة التجارة فقط الا أن الهولنديين حصلوا على خرج من مالكها بصورة سلمية . ولكن مسألة غزو البحرين كانت ذات صبغة أخرى . وكانت المعارضة تؤيد الانسحاب الهولندي الكلي من الخليج وافساح المجال للتجارة الخاصة فقط وكان هذا الموقف موقف المعارضة قائما حتى عندما نوقشت مسألة انشاء مؤسسة خرج . ولكن المعارضة حصلت الآن على تأييد لموقفها من جميع اعضاء مجلس الجزر الشرقية الهولندية في باتافيا . وحصل المشروع على التأييد الكامل من الحاكم العام وتأييدا مشروطا من بعض الاعضاء (٩٣) كان زعيم المعارضة هو المدير العام والرجل الثاني بين أولياء الأمور في باتافيا وكان مسئولا للحاكم العام عن أمور التجارة والمالية وقدم اعضاء المجلس أدلة كثيرة ضد المشروع واضطر الحاكم العام الى الاعتراف بأن أكثرية الاصوات كانت ضد المشروع ولكن في نفس الوقت . لم يقبل رأي المجلس على الفور ورفض تحمل المسئولية في رفض المشروع الذي اعتبره مشروعا هاما في تقديره . ويبدو أنه كتب رسالة « سرية » الى المقيم نيفهاوسن ليبعث بالمشروع رأسا الى المدراء في هولندا كما طلب من زعيم المعارضين للمشروع «فان دير بارا» . أن يشرح كتابيا اسباب معارضته له (٩٤)

لم يكن فان ديربارا الذي اصبح الحاكم العام فيما بعد يتمتع بسمعة طيبة في شركة الهند الشرقية وكان معروفا كبيروقراطي فاسد تنقصه الرؤية الى المستقبل (٩٥) والقدرة على المبادرة ورغم ذلك فان الدلائل التي أوردها ضد المشروع تضمنت عدة نقاط شيقة . أولا يقول ان البحرين مكان غير صحي وحتى السكان المحليين ينتقلون الى القطيف في موسم الصيف وقدرة الأوربيين على تحمل قوة الطقس أقل من المحليين مما سوف يسبب ضحايا في الأرواح والتكاليف المالية المتزايدة . ثانيا يقول بأن الجزيرة مأهولة بالسكان واحتلها العرب لأكثر من قرن بعد طرد البرتغاليين منها وهم لن يسمحوا باحتلال الهولنديين لها بسهولة .

وتساءل لماذا لم تحتلها الدول الأوروبية التوسعية الأخرى قبل الهولنديين . ويلاحظ فان دير بارا بأن

الهولنديين يتمتعون بشعبية عند العرب على اساس انهم ساعدوا العرب فى طرد البرتغاليين واذا سلك الهولنديون مسلك البرتغاليين فمن المحتمل ان يطردهم العرب كما فعلوا مع البرتغاليين. كما يلاحظ فان ديربارا أيضا بأن التخمينات حول المدخول من جزيرة البحرين فيها مبالغة ويرى ان الجزيرة أصبحت فقيرة نتيجة الفوضى التى سادت عقب حكم نادر شاه . ولما كان الحكم الهولندى فى حالة احتلالها لن يكون قاسيا مثل حكم نادر شاه الظالم لذلك لن يمكن لهم ان يكسبوا الضرائب التى كان يحصل عليها نادر شاه . والملاحظة الأخرى هي أن استغلال مصائد اللؤلؤ غير متاح كل سنة (٩٦)

بعد عرض هذه الأدلة المعقولة يستمر فان ديربارا فى تقديم حجج لا مبرر لها وطبقا لما يقوله فان القلعة القديمة قد انهدمت بعد هذه السنوات الطويلة . وانه لا يأخذ بعين الاعتبار امكان صيانة واصلاح القلعة على أيدى حكام الجزيرة المتتابعين ويلاحظ أيضا بأن القوات البحرية التى اقترحها المقيمون غير كافية نظرا لكبر حجم السفن الهولندية ويفترض فان ديربارا أيضا بان العرب والايرانيين لن يقبلوا بصمت احتلال الهولنديين لأغنى ثمرة فى الخليج ويغالى فان دير بارا فى تقديره للقوة العسكرية الايرانية فى ذلك الوقت . وقال ان موقف العرب أقل وضوحا لكنه ليس مؤكدا بأن العرب سوف يردون على الفور على الغزو الهولندى لانهم كرهوا الشيخ نصر . أما الشكوك التى اعرب عنها فان ديربارا حول أهمية البحرين فلم تكن فى محلها تماما . اذ يسأل لماذا لم يحتل الآخرون البحرين ان كانت هامة فنحن نعرف الآن بأن الانجليز كان عندهم مشروع لاحتلال البحرين وكان العرب يصارعون بعضهم البعض حول موضوع امتلاك الجزيرة . أما الدليل النهائى والذى يقدمه فان ديربارا فيبدو مغلوطا عندما يقول بأن البحرين بعيدة جدا عن هولندا مما يجعل من الصعب ارسال المساعدة والتعزيزات لأن الرياح الموسمية تسمح للسفن ان تبحر الى الخليج مرتين فقط فى السنة . اذ يمكن لنا ان نطبق نفس الحجة على بندر عباس أو خرج .

وكان هناك سبب سرى آخر لمعارضة فان ديربارا للخطة اذ تزعم فان ديربارا فريقا رغب فى انسحاب الشركة من الخليج كلية اذ كان الخليج سوقا رابحة للسكر الاندونيسى وكان هذا الفريق يتطلع الى كسب الأرباح لنفسه عن طريق التجارة الحرة فى السكر .

وكتب المقيمون الهولنديون فى خرج الى الضباط الاداريين الكبار للشركة

فى هولندا وهم ايزاك سويرس محامى غرفة أمستردام وأحد المدراء الكبار من بين ١٧ مديرا ولكن دون جدوى . وأيد المدراء وجهة نظر الاغلبية فى المجلس فى باتافيا [٩٧]

فى هذه الاثناء دون المقيمون فى خرج وثيقة هامة أخرى ربما كانت ردا على ملاحظات بارا فى الحكومة العليا التى تقول بأن المشروع لم يتضمن تفاصيل كافية فعلى سبيل المثال ليس من الواضح من هو نصر وما هى الأوضاع السياسية والعسكرية فى الخليج خاصة بالنسبة للقبائل العربية وجاء تقرير المقيمين الى الحاكم العام ردا على ذلك متضمنا التفاصيل الشيقة عن الأوضاع السكانية والاقتصادية والعسكرية فى الخليج والبيانات المشوقة عن القبائل العربية التى استقرت على السواحل وعددها وعدد سفنها واسماء شيوخها . ويشمل التقرير بيانات هامة حول تاريخ البحرين ونبذة عن قبيلة العتوب والكويت . وفى الحقيقة هى الوثيقة الغربية الأولى التى تذكر اسماء الاسر الحاكمة للكويت ، من آل صباح وآل خليفة [٩٨]

تعرض الموقع الهولندى فى خرج لبعض المخاطر بصورة مفاجئة عندما قتل مير ناصر (شيخ بندريق) على يد ابنه مير مهنا وسبق لمير ناصر أن اهدى الى الهولنديين جزيرة خرج . [٩٩]

ولكن مير مهنا رفض بعد توليه الحكم ان يعترف باهداء أبيه جزيرة خرج للهولنديين وأدرك الهولنديون أن تملكهم خرج لم يكن دون تحد . رغم ذلك استمر الهولنديون فى خرج لعدة سنوات أخرى عقب رفض مشروع احتلال البحرين وفكر الهولنديون فى كسب الأرباح من مصالحهم الأخرى فى الخليج . ولكن فكرة جعل الجزيرة منطقة تجارية حرة لم تكن دون فائدة لأنها جذبت كثيرا من التجار اليها مما ساعد فى توسعة تجارة الشركة . ويرجح أن نيفهاوسن قد مارس تجارة خاصة بجانب مهامه الرسمية قبل عودته الى أوروبا نهائيا وقد أصبح بذلك رجلا غنيا . [١٠٠] وأخذ زمام المبادرة فى بعض الأمور مما يشد انتباه المؤرخين العرب مثل قيامه بتجربة صيد اللؤلؤ فى شواطىء خرج وتجارة مادة الكبريت بالكويت [١٠١].

ولم تكن المؤسسة الهولندية فى خرج رابحة ولذلك لم يعلق أولياء الأمور فى شركة الهند الشرقية الهولندية أية أهمية عليها وكانت الحكومة العليا قد اتخذت قرارا حاسما فى ١٧٥٥ م . فعلى الرغم من انها صادقت على اجراءات المقيمين بصفة عامة فى تشكيل تحالف عربى ضد مير مهنا الا أنها لم ترغب فى توريط الشركة فيما بعد فى الشئون العربية ومنعت المقيمين صراحة من

تـدخلهم فى السيـاسـات القبليـة فى الخليـج فى المستقبـل . (١٠٢) وكـان العرب آنذاك متورطين فى الاقتتال فيما بينهم وكـان الخليج متـوترا جـدا . وكـانت البحـرين أيضـا متـورطة فى التوتر عندما قام شيخ قبيلة كعب من العراق بغزوها . ولم تنفذ خطة الغزو بكفاءة فلم يؤد الغزو الى نتائج ايجابية لكنه اثبت الى حد ما ادعاء المقيمـين بأن البحرين جائزة ثمينـة يجدر أن يناضل من أجلها فى ١٧٥٤ م (١٠٣).

ازدهرت خرج كمركز تجارى خلال الحكم الهولندى لكن الشركة نفسها لم تكسب اربـاحـا ملحـوظة ورغبت الحكومة العليا فى باتافيا فى ١٧٦٢ فى اغلاق مؤسستها نهائيا . لكنها قررت احالة الأمر أولا الى المدراء فى هولندا . وترك المدراء اتخاذ القرار فى الأمر الى الحكومة العليا فأصـدرت الحكومـة العليـا بعد تـردد الأوامر الى مـديـر المـؤسسة الهـولنديـة فى سـورت فى اغسطس ١٧٦٥ ليرسـل سفينة الى خـرج لاخـلاء رجـال المـؤسسـة الهـولنـديـين وأمـتعـتهـم (١٠٤) . والتفاصيل الأخـرى للفترة المتبقيـة لهـذا الجزء من التـاريخ معـروفة . فعندما وصلت السفينة من سورت الى خـرج كانت الجـزيرة قـد سقطت فى أيدى ميرمهنا (١٠٥) ونظرا لعدم رغبة الحكومة العليـا فى التورط فى شئـون الخليج فلم تتخذ أية اجراءات أخرى هناك(١٠٦) .

هكذا انتهى الوجود الهـولندى فى الخليج وبدأ دور الاستعمار التوسعى الاقليمى حيث أصبـح للمبـادرات العسكرية والسياسية أسبقية مقابل المـشـاريـع التجـاريـة الرابـحـة اقتصـاديا . وتلقت الشـركـة دعـوة لتعود الى الخليج مـرات عديـدة لكن دون جـدوى . مـع ذلك استمـرت التجـارة بين الخليـج والمستعمـرات الهـولنديـة فى آسيا وشـاركت فيهـا السفن الهـولنديـة الخاصـة وبحارة مسقط . ولم يعد الممثلون الهولنديون الرسميـون الى الخليج حتى القـرن التالى (١٠٧) .

«الهوامش»

(١) Drie aanmerkelijke en seer 'J.J. Struys ramspoedige reysen ...
(امستردام ١٦٧٦م)
قام سترايس بزيارة الخليج في عام ١٦٧١ وترجم كتابه من الفرنسية الى الانجليزية والالمانية)

(٢) Reizen Over Moskovie Perzie en India.. C. de Bruin (امستــردام ١٧١١م)
قام دي براون باسفار في الخليج في عامي ١٧٠٣ و١٧٠٧ وترجم كتابه الى اللغتين الفرنسية والانجليزية) وتوجد الصورة الاصلية مرسومة بالالوان المائية في الارشيفات العامة في لاهاي.
ويجب ملاحظة ان بعض الكتاب الانجليز يخـطئون في ادعـائهم بأن الهولنديين لم يحصلوا على موافقة الايرانيين لتشييد قلعة في جمبرون وفي الحقيقة بنيت هذه القلعة في عام ١٧٠٦

(٣) لوريمر، دليل الخليج، الجزء الثاني (الف)، ص ٨، ٩ حول «كلاه فرنجي» اي مقر المؤسسة الهولندية السابق في بندر عباس، وكان مكونا من مبنى ظل في حالة جيدة حتى بداية هذا القرن.

(٤) ايه ـ أر ـ ايه، في اوسي ٢٨٤٣ الجزء عن ايران، ص ٤٦ ـ ٥٣.

(٥) ان قائمة اسماء اعضاء الهيئة الهولندية في منطقة الخليج توجد في قائمة الرواتب في ايه أر ايه في اوسي

(٦) توجد اسماء الموظفين في تلك الاماكن في قائمة الرواتب المذكورة.

(٧) ريس، ايتش آر، ٦ ابريل ١٧٤٧

(٨) انظر المصدر المذكور اعلاه، الهامش (٤)

(٩) Voyage 'Ives ص ٢٠٦ ـ ٢٢٦، نيبور «بشرى بنج» Beschreibung

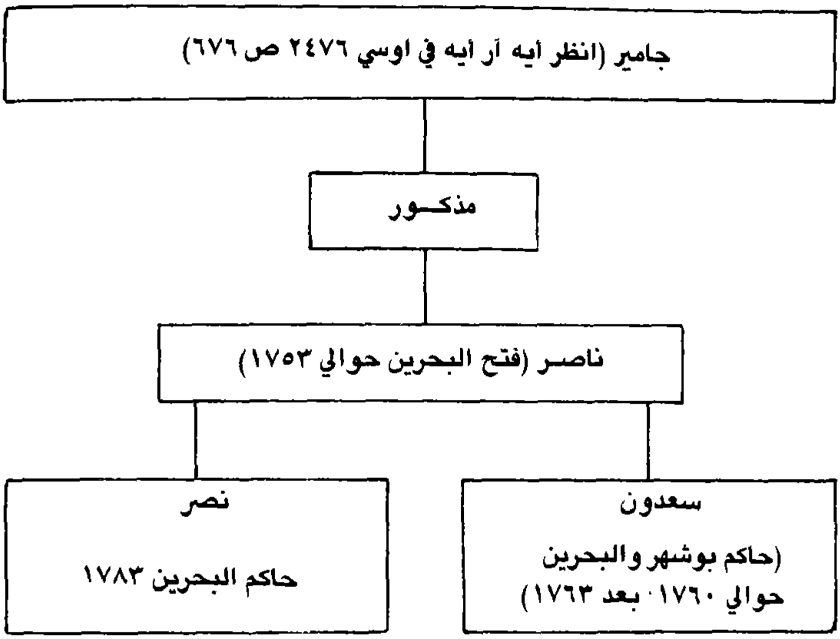
(١٠) ايه آر ايه، ارشيفات السفارة الهولندية في تركيا للفترة قبل ١٨١١م، رقم ٧٨٤ (الدعوة الى العودة الى البصرة وجهت في عام ١٧٨٠)، ريس، ايتش آر، ٨ نوفمبر ١٧٩٣، الدعوة من والي البصرة في عام ١٧٩٣.

(١١) جي. ام
(١٢) دنلوب، Bronnen ، ص ٤٠٦
(١٣) دنلوب Bronnen7/8 ، ص ٥٠٢، ٥٥٤، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٥٩ ـ ٥٥٩، ٦٠٧
(١٤) اس ٣ واس ٤ انظر المصدر الانجليزي
(١٥) الوثيقة اس ٥
(١٦) الوثيقة اس ٦ الى اس ١١
(١٧) الوثائق اس ١٢ ـ اس ١٣، جي ام
(١٨) ريس ايتش آر، اول اغسطس ١٦٤٤، انظر HOTZ بخصوص السفر الى البصرة و«ريس» وايه آر ايه، والارشيف الخاص بـ Geleynssen de jovgh.
(١٩) ريس ايتش آر ١٣ اغسطس ١٦٤٦، «اسفار السفير» انظر سبيلمان، ريس Speelman, Reis
(٢٠) الوثائق اس ١٦ الى اس ١٨.
(٢١) انظر أيه آر أيه، في اوسي (محضر جلسة السادة ١٧)
(٢٢) جي ـ ام
(٢٣) جي ـ ام انظر وثيقة اس ٢٩ من تقرير حول الوضع الاقتصادي في مسقط وتجارتها مع البحرين.
(٢٤) وثيقة اس ١٩
(٢٥) وثيقة اس ٢٣
(٢٦) وثيقة اس ٢٤ ـ اس ٢٨
(٢٧) جي ـ ام
(٢٨) جي ـ ام
(٢٩) جي ـ ام
(٣٠) وثيقة اس. ٣ وانظر اس ٣١
(٣١) جي ـ ام.
(٣٢) جي ـ ام
(٣٣) جي ـ ام
(٣٤) جي ـ ام
(٣٥) جي ـ ام
(٣٦)جي ـ ام، ريس ايتش آر، ١٤ يوليو ١٦٩٧ و٨ يوليو ١٦٩٨.
(٣٧) لوريمر، دليل الخليج، مجلد ١ (أ)، ٤٠٥

(٣٨) ايه آر ايه، في اوسي
(٣٩) ريس ايتش آر، ٢١ (٧) ١٧٠٤
(٤٠) ايه آر ايه، في اوسي، جي ام
(٤١) الوثائق اس ٣٤، اس ٣٥، اس ٣٨
(٤٢) الوثائق اس ٣٦، اس ٣٧
(٤٣) الوثائق اس ٤٢، اس ٤٣
(٤٤) الوثائق اس ٣٩، اس ٤٠
(٤٥) الوثائق اس ٥٢، اس ٥٣، اس ٥٤
(٤٦) لوكهارت، Fall of Safavi - dynasty، ص ١١٥
(٤٧) الوثيقة اس ٤٠
(٤٨) الوثيقة اس ٤٤
(٤٩) الوثيقة اس ٤٠
(٥٠) لوكهارت Fall of the Safavi - dynasty والوثائق اس ٤٨، واس ٥٦ حول الضغوط الايرانية انظر الوثيقة اس ٤٧ عن رفض الحاكم العام طلبات ايران الجديدة - انظر الوثائق اس ٥٠ واس ٥١
(٥١) الوثيقة اس ٥٧ - بخصوص نتائج العمليات التي قام بها البرتغاليون ضد العرب في راس الخيمة فإن موقف الكتاب الانجليز اكثر ايجابية من الآخرين على الرغم من انه لا مبرر له لوريمر - دليل الخليج - مجلد ١ (أ) ص ٤٠٤ - يقول لوريمر بأن «البرتغاليين انتصروا تماما» وليس هذا الا تفاؤلا يفوق حدود المعقولية
مايلز - «البلدان والقبائل» ص ١٩٩
لوكهارت «سقوط السلالة الصفوية»
(٥٢) الوثائق اس ٦٠، اس ٦٣، اس ٦٤
(٥٣) لوكهارت، نادرشاه، ص ٦، لوكهارت «سقوط السلالة الصفوية» ص ١١٦، هامش ٤
(٥٤) لا تشير الصفحات المذكورة في مؤلفات لوكهارت الى ان جبر فتح البحرين
(٥٥) الوثيقة بي ١٠
(٥٦) ايه آر ايه، في اوسي
(٥٧) ايه - آر - ايه في اوسي.. يظهر اسم الشيخ مذكور بصفته شاه بندر في مراسلات المؤسسة الهولندية في بوشهر ومثال ذلك ايه آر ايه، في أوسي ٢٤٤٨، ص ١٥٣٤ - ٣٥.

(٥٨) أيه ـ آر ـ أيه، في أوسي..
(٥٩) أيه ـ آر ـ أيه؛ لوكهارت، نادرشاه ص ٧٨ ـ ٧٩
(٦٠) أيه ـ آر ـ أيه، في اوسي؛ لوكهارت، نادر شاه ص ٧٩ ـ ان سرد الاحداث، كما يبدو، ليس بصحيح.
(٦١) أيه ـ أر ـ أيه في اوسي
(٦٢) الوثائق بي ٣٩، بي ٤٦، بي ٣٦، بي ٤٠، بي ٤١، بي ٣٨
(٦٣) لوكهارت، نادرشاه، ص ١٠٨، نقلا عن كتاب عربي
(٦٤) أيه آر أيه في اوسي ٢٤٤٨، ص ٨٨٤ ـ ٨٨٥
(٦٥) سجلات المكتب في ايران، المجلد ١٦، رسالة من فرانسيس وود في ٢٧ اكتوبر ١٧٥٣ تقول «الشيخ محمد بن جبر الذي كان حاكم البحرين سابقا».
(٦٦) لوكهارت، نادرشاه؛ أيه آر أيه، في اوسي ٢٤٧٦، ص ٨٧ ـ ٩٠
(٦٧) الوثائق بي ٥٠، بي ٩٤، بي ٩٠، بي ٤٩، بي ١١
(٦٨) الوثائق بي ٩٥، بي ٥١
(٦٩) تورد بي ٩١ خطة الاسطول الايراني ليتقدم الى البحرين في نوفمبر ١٧٤١ لتجنب العدو اي العرب. وهذا يبدو غير منطقي إذ كانت البحرين آنذاك في ايدي العرب
(٧٠) الوثيقة بي ١٢٩ (ص ٤ للمخطوط) ورد هنا الجزء من الوثيقة الذي يتعلق بتاريخ البحرين مع ترجمته الى الانجليزية. وقد نشر دبليو ـ ام فلور ترجمة انجليزية كاملة للوثيقة تحت عنوان «وصف للخليج الفارسي وسكانه في ١٧٥٦» برسيكا ٨، (١٩٧٩)، ١٦٣ ـ ١٨٥
(٧١) بي ١٢٩ (ص ٤ للمخطوطة)
(٧٢) بي ١٢٩ (ص ٦ للمخطوطة)
(٧٣) أيه آر أيه، في اوسي
(٧٤) أيه آر أيه، في اوسي ٢٤٧٦، ص ٦٧٦، في اوسي ٢٥١١م ص ١٣٣٧ ـ ١٣٤٢
(٧٥) أيه . آر . ايه في أوسي ٢٤٧٦ من ٦٧٦ في اوسي ٢٥٤٦ ص ١٢٧٢ ـ ١٢٧٣
(٧٦) تشير كلمة «الوصي» في سياق شركة الهند الشرقية الى الشيوخ المحليين و في حالة نادرة الى الحاكم او المحافظ ويخطىء فلور في ترجمة الكلمة بـ «الحاكم» في ترجمته للتقرير الهولندي حول القبائل العربية لعام ١٧٥٦. انظر فلور الوصف في سائر الكتيب.
(٧٧) الوثيقة بي ١٢٩ (المخطوطة)

(٧٨) بي - ٤٤، لقد ورد ذكر سعدون في المصادر البريطانية ايضا وانه كان شيخ بوشهر، واتفق معه الانجليز في ١٧٦٣ على فتح مكتب لهم في بوشهر. انظر لوريمر، دليل الخليج - القسم التاريخي ١٧٧٩ - ١٧٨٠ حيث تـرد سلالة المطاريش لبوشهر كالآتي



يبدو ان هناك تشوشا في معظم تواريخ الخليج بخصوص اسماء نصر وناصر، انظر على سبيل المثال، ابو حاكمة - تاريخ شرق الجزيرة العربية.

(٧٩) الوثائق بي ١٢٠ بي ١٢٩، بي ١٣٠

(٨٠) أمين، السياسة البريطانية ص. ٣٠ - ٣١ لوريمر، دليل الخليج الجزء الاول ١ (ب) ص ٨٣٨

(٨١) أيه - آر - أيه، في اوسي

(٨٢) أيه آر أيه، في اوسي

(٨٣) ريس ايتش آر، ٦ ابريل ١٧٤٧

(٨٤) بي ٥٢

(٨٥) بي ٩

(٨٦) نيبور، بشرى بنج، نيبور، رايسي أنفس، فوياج، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٦، ام ايه بي مايلنك رولوفس، آين نيدر لاندس فستنجح ان دي برزيش جولف، سبيكال هستوريال (٢) ١٩٦٧ ص ٤٨٠ ـ ٤٨٨، جيه آر بيري، ميرمهنا والهولنديون: اشكال القرصنة في الخليج الفارسي، ستوديا ايرانيكا (٢) ١٩٧٣ ص ٧٩ ـ ٩٥، أمين، المصالح البريطانية، ص ١٤٢ ـ ١٥٠، ابو حاكمة تاريخ الجزيرة العربية الشرقية، لوريمر، دليل الخليج الجزء الاول (أ) ص ١٢٩ ـ ١٣٢

(٨٧) توجد هذه الوثائق بصفة عامة في أيه آر أيه، في اوسي.

(٨٨) أيه آر أيه، في اوسي..

(٨٩) أيه آر أيه، في اوسي .

(٩٠) انظر بعض الملاحظات حول هذه السياسة في أيه آر أيه في اوسي..

(٩١) بي ١٢٠ وبي ٣٢

(٩٢) لوريمر، دليل الخليج، الجزء الاول ب، ص ٨٣٨، امين السياسة البريطانية ص ٣٠ ـ ٣١

(٩٣) بي ٥٤

(٩٤) بي ١٣٠، انظر الكلمات الاخيرة في بي ٥٤، تتضمن بي ٥٥ ملاحظات الحاكم العام.

(٩٥) ان ان بي دبليو.

(٩٦) بي ٦٧

(٩٧) بي ١٣٠

(٩٨) بي ١٢٩، انظر ايضا الفصل الرابع المرجع ٢٤

(٩٩) آية آر أيه، في اوسى

(١٠٠) مائلنك رولوفس، اين نيدرلاندس فستجنج.

(١٠١) فلور، مصائد اللؤلؤ في الخليج الفارسي، انظر ايضا بي ٤٣، تشير بي ٥٣ الى مادة الكبريت في الكويت.

(١٠٢) بي، ٥٥، انظر ريس ايتش، آر ٧ جولدى ١٧٥٥

(١٠٣) بي ٤٤

(١٠٤) ريس ايتش آر ١٥ اغسطس ١٧٦٥.

(١٠٥) تفاصيل الاحداث فى المطبوعات المذكورة في رقم (٦) انظر ايضا ايه آر ايه، في اوسي...

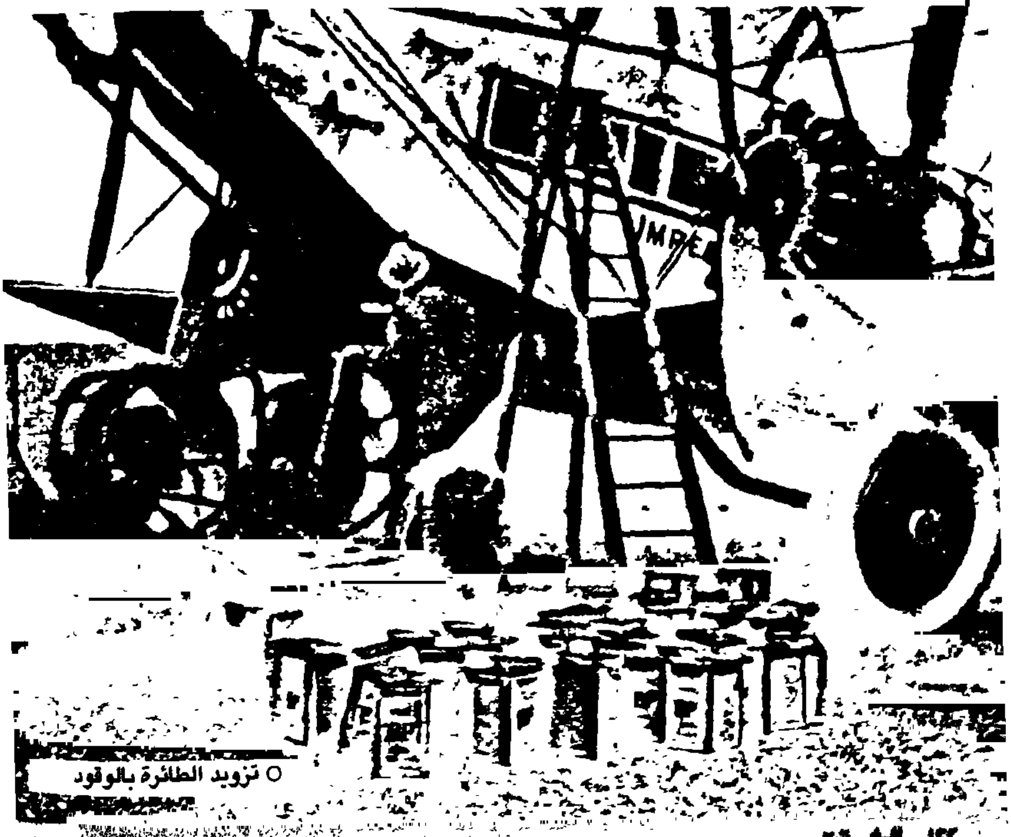
(١٠٦) ريس آر، ٢٤ يوليو ١٧٦٧

(١٠٧) أيه آر في اوسي، أيه آر أيه، ان ايتش ام.

من تاريخ

الخدمات الجويّة

في البحرين



○ تزويد الطائرة بالوقود

ترجمة وإعداد : ب.ك. ناراين
مراجعة وتحقيق : د. علي أبا حسين

لا شك ان للبحرين اهميـة كبيرة بحكم مـوقعهـا الجغـرافي المتوسط بين الشرق والغرب فهي همزة وصل بين اوربا والهند وشرق آسيا. وقد ازدادت تلك الاهمية في العقد الثاني من القرن العشرين سواء في المواصلات البحرية او الجوية خـاصة إبـان الحرب العالمية الأولى لكونها اتخذت منطقة تحشد للقوات التي قامت بالتعرض للجبهة العثمانية في اطراف الخليج العربي. هذا بالاضافة الى الاهمية الاقتصادية والتي ادركتهـا الامبراطوريـة البريطانية فأقـامت مواصـلات جويـة تربـط بين مستعمـراتها المختلفة منذ بداية القرن العشرين وكانت البداية في عام ١٩١٦م حين قامت طائرات القوات الجـوية الملكيـة برحـلات الى كل من الكويت والبحرين ومسقط وبوشهر واستمرت طوال العشرينات من القرن الحالي وفي عام ١٩١٧م شكلت بريطانيا لجنة باسم لجنة المواصلات الجوية المدنية وأوصت هذه اللجنة بـاقامـة شبكة واسعة للمواصلات الجوية المدنية لتصبح نواة للتوسع السريع في المستقبل اذا اقتضى الامر واندمجت عدة خطوط جوية مكونة ما يدعى (بالخطوط الجوية الامبريالية) وكـان ذلك في عام ١٩٢٣م وقد حدث ذلك بدعم مالي من الحكومة البريطانية على شـرط أن تـوضع طائـراتها تحت تصـرف الحكومـة في حالة نشـوب أي حرب[١].

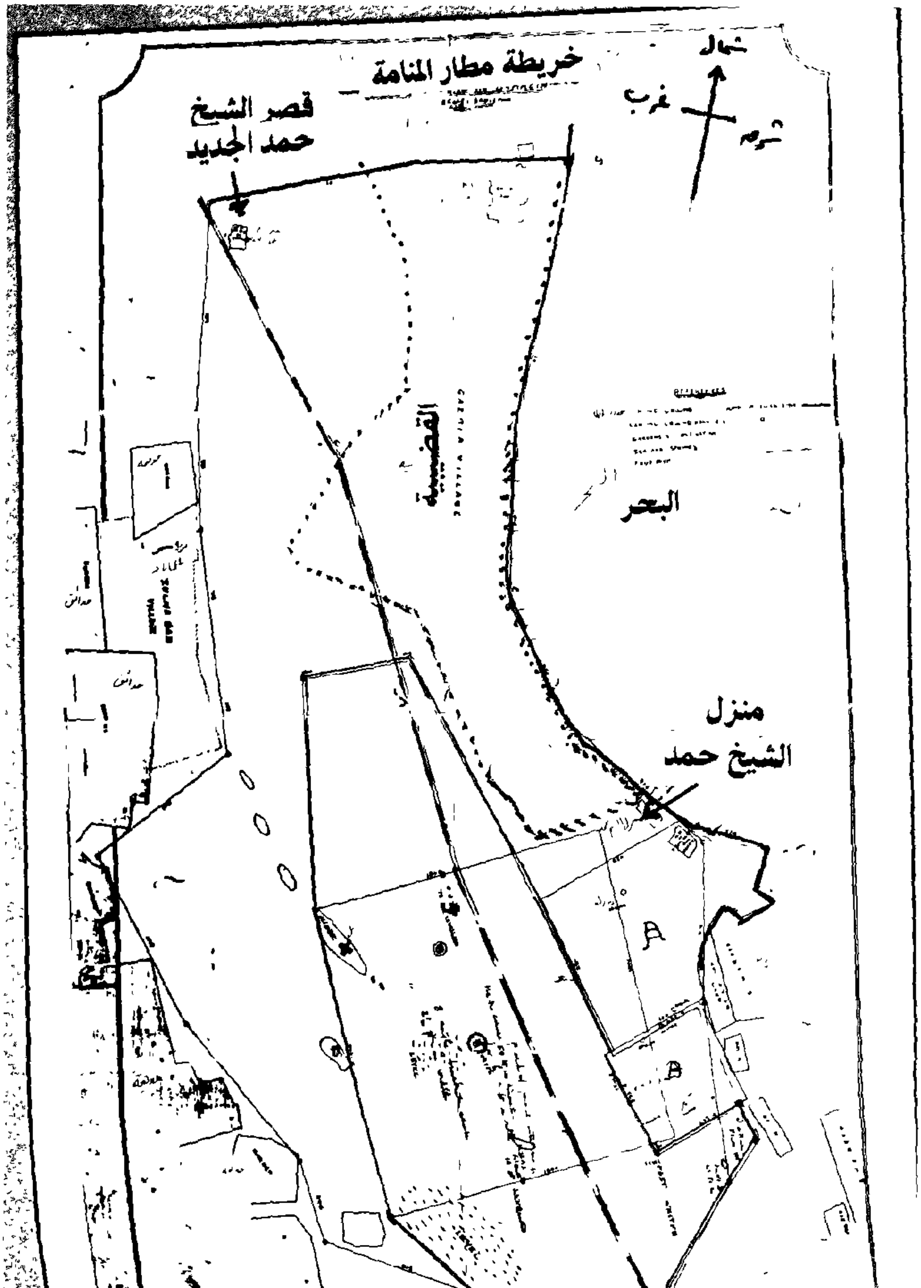
وواصلت القوات الجوية الملكية رحلاتها الجوية بين العراق والهند في ديسمبر ١٩١٨م عبر الساحل الايراني من الخليج العربي ونظرا لان الساحل العربي يتمتع بميزتين لا تتوفران في الساحل الايراني وهما اولا. لأن الساحل العربي افضل من حيث الطبوغرافية اذ تتوفر الفشوت والمداخل الواسعة مما يهيء ملاجيء أمنة للطائرات المائية.

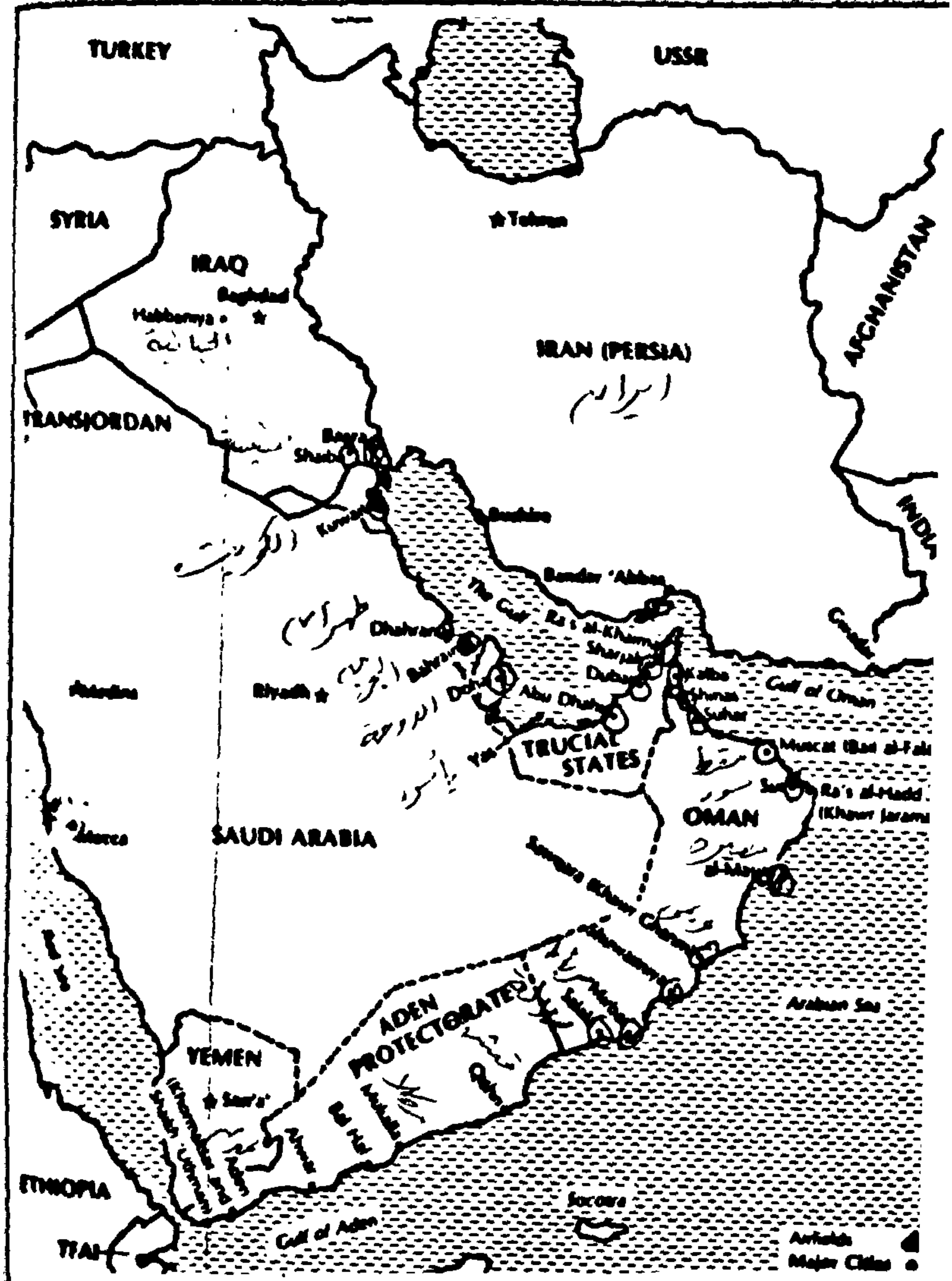
ثانيا كان الساحل العربي يتمتع وقتئذ بظروف سياسية مستقرة اكثر مما يتمتع به الساحل الايراني الذي يسود فيه عدم الاستقرار السياسي(٢) وكان لتطور المواصلات الجوية وما يترتب عليها من قواعد جوية ومنافستها للقواعد البحرية اثر في الاعتبارات العسكرية الدفاعية وقد صرح (اللورد واويل) الحاكم العام في الهند بأن هناك عاملين رئيسيين وراء التغييرات الاستراتيجية لآسيا أولهما: القوة الجوية، وثانيهما النفط(٣).

ونظرا لهذه الاعتبارات العسكرية وظهور النفط فقد اهتمت بريطانيا بانشاء خط جوي عبر الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية. على مسافات ٢٠٠ ميل من اجل التزود بالوقود وانشاء مهابط الطواريء على بعد كل ٣٠ ـ ٥٠ ميلا.

ثم شعرت بريطانيا فور انتهاء الحرب العالمية الاولى بضرورة تنظيم خطوط جوية لاغراض مدنية وعسكرية تربط بين مصر والخليج العربي والهند ومن هذا المنطلق اتخذت كل من السواحل العربية في الخليج ومنها البحرين والساحل المتصالح ومسقط اهمية خاصة في تنظيم الخطوط الجوية البريطانية. وقد عقدت مناقشات مكثفة في كل من دلهي ولندن حول امكانية توسعة الحكم البريطاني في الخليج وذلك بمد الخطوط المقترحة والمحافظة على أمنها ولكن في النهاية اقتصرت بريطانيا على ابرام اتفاقيات عديدة تضمن لها امن المطارات والطائرات(٤). وورد من اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة الدفاع الامبريالية في تقرير لها في ١٩٢٨م بأنه من الضروري من الناحية الاستراتيجية ان تهتم بريطانيا بتطوير الطرق الجوية بمحاذاة الساحل الشرقي والغربي للخليج العربي وأكدت على اهمية الساحل العربي نظرا لعدم استقرار الوضع السياسي في ايران(٥).

واصبحت البحرين مركزا رئيسيا في انشاء الخطوط المقترحة وفي العشرينات من هذا القرن فاوضت بريطانيا سمو الشيخ عيسى بن على آل خليفة بخصوص انشاء مهبط للطائرات على ارض البحرين وكان لدى الشيخ عيسى ادراك طبيعي عن الاحداث المستقبلية فأخذ سرب رقم ٨٤ من طراز (هافيلاند ٩ أ) يعاود


خريطة مطار المنامة
شمال
غرب
شرق
قصر الشيخ
حمد الجديد
القضيبية
البحر
منزل
الشيخ حمد



خريطة توضح المطارات في أعقاب الحرب العالمية الثانية بالخليج العربي

الخليج من مطار الشعيبة مارا بالبحرين والشارقة. أما دبي فكانت مركزا للطائرات المائية التي دام استخدامها حتى الى ما بعد الحرب.

ووافق سمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة على منح كافة التسهيلات الجوية وذلك لما له من مردود مالي يدر على البلاد. وقد اشترت القوات الجوية الملكية مبنى قديما استخدمته كمحجر صحي للقادمين، وكذلك صالة للاستراحة كما استأجرت مهبطا للطائرات في وقت لاحق. وكانت الخطوة الثانية انشاء محطة لاسلكية في مسقط. وقد تحققت هذه الخطوات بيسر وسهولة وبدأت طائرات القوات الجوية الملكية تقوم برحلات منتظمة في عام ١٩٣٠م الى كل من البحرين ومسقط.

وحاول المقيم السياسي (باريت) ان يقيم مخزنا للوقود في رأس الخيمة تحت اشراف شركة النفط ولكن حاكم رأس الخيمة الشيخ سلطان بن سالم لم يوافق على ذلك. فاختار (الشارقة) كمحطة للوقود بصورة مؤقتة. وعاد ثانية ليقدم طلبا الى حاكم رأس الخيمة في ١٥ مايو ١٩٢٩م فوافق على اقامة مخزن للوقود الا انه لم يتعهد بضمان امنه.

وما ان حل (هيوغ بسكو) محل (باريت) مقيما في الخليج حتى اتبع سياسة الضغط والاكراه في فرض خطط الانجليز على الشيوخ العرب هناك حينما رأى انهم يخشون اذا وافقوا على انشاء محطات جوية ومخازن وقود على اراضيهم ان يؤدي ذلك الى توطيد النفوذ البريطاني في الخليج(٦).

وفي عام ١٩٢٧م تم افتتاح خدمة الخطوط الجوية الملكية ما بين القاهرة والبصرة وتوسعت الخدمة في ابريل ١٩٢٩م الى كراجي مارة بالبحرين وحملت اغلفة البريد الجوي الشعار الازرق وقد كتب عليه (By Air Mail) (بالبريد الجوي) المدون داخل دائرة مزدوجة على اغلفة البريد الجوي المرسلة من البحرين ما بين عامي ١٩٢٨ ـ ١٩٣٦م(٧).

وكان لانشاء الخطوط الجوية اثر كبير في تغيير السياسة البريطانية في الخليج اذ ان سياسة بريطانيا سابقا كانت تقتصر على المقاومة أو الدفاع في الحروب البحرية ثم تحولت الى الاعتراف بالحكام المحليين واستقرت أخيرا الى تسيير سياسات خارجية نيابة عن الحكام. وفي نفس الوقت فقد توسع التورط البريطاني في الشئون الداخلية للخليج العربي عقب انشاء المطارات ودور الاستراحة والمخازن ومراكز المواصلات بصورة مباشرة ولكن لم يؤثر هذا التغيير في سياسة بريطانيا سواء في الكويت او البحرين الى حد ملموس لان بريطانيا تمتعت بتسهيلات فيهما بخصوص دور الاستراحة ومهابط الطائرات وكانت

كل من الكويت والبحرين مركزا تجاريا هاما ذا صلات خارجية واسعة النطاق وقد سبق للمعتمدين السياسيين ان اقاما فيهما منذ عقود ودامت بينهما وبين الحكام ارتباطات في مجالات مختلفة. وفي مسقط مارس الانجليز نفوذهم منذ عام ١٨٩٠م ومثل ذلك في سواحل الباطنة من مسقط الى رأس الحد. ولم يكن الانجليز يهتمون كثيرا بسير الاحداث في المناطق الداخلية بل قصروا اهتمامهم على السواحل فقط كما ان المناطق الداخلية لم تعد قادرة على تحدي السلطة المركزية وكانت المطارات تقع في المدن الساحلية فقط.

ولعل السبب الرئيسي في التورط البريطاني المتزايد في الخليج يعود الى اكتشاف النفط والذي أدى الى تأسيس منصب المعتمد السياسي في كل من الدوحة وابوظبي ودبي وجلب عدد كبير من الفنيين للعمل هناك(٨).

وباشر الانجليز في انشاء خط جوي على الساحل الايراني فواجهوا صعوبات كثيرة نتيجة عدم الاستقرار السياسي كما اسلفنا وقد استغرقت اول رحلة من كرويدون في جنوب لندن الى كراجي على الخطوط الجوية الامبريالية في مارس ١٩٢٩م اسبوعا كاملا وتلت تلك الرحلة رحلات قامت بها شركة الطيران الفرنسية الشرقية في عام ١٩٢٩م كما قامت شركة الطيران الهولندية برحلات في عام ١٩٣١م وكانت تحمل البريد والركاب بين اوروبا ومستعمراتها في الشرق الاقصى عبر الخليج العربي. ولكن المبادرة الانجليزية في هذا المجال قد واجهت صعوبات وعقبات كثيرة خاصة عندما اجبرتهم السلطات الايرانية على اخلاء كل من بوشهر وجاسك على الساحل البلوتشي في خليج عمان نتيجة سخطهم على الانجليز في سنوات الحرب العالمية الاولى. ومن هنا بدأ الانجليز البحث عن بديل فكان ذلك هو الجانب الغربي في الخليج العربي وكان الخيار قد وقع على كل من الكويت والبحرين والشارقة وابرم المعتمد السياسي اتفاقيات مع هذه البلدان في عام ١٩٣٢م رغم معارضة شيخ الشارقة في بادىء الامر. وقد ساعدت هذه الاتفاقية البحرين كثيرا من الناحية الاقتصادية(٩).

ونزلت اول طائرة تابعة للخطوط الجوية الامبريالية في البحرين وتدعى (هنيبال) قادمة من لندن في طريقها الى الهند وكان يقودها الكابتن (هورسي) في ٦ اكتوبر ١٩٣٢م وكان نزولها في منطقة سباق الخيل التي كانت عبارة عن ارض رملية وتقع على مقربة من الماحوز وراء قصر القضيبية وفي تقرير صادر في ذلك العام انها هبطت في مهبط القوات الجوية الملكية بالقرب من راديو البحرين حاليا وحين اقلاعها نزلت عجلاتها في ارض طينية وحاولوا جرها بالحبال بواسطة مئات من

بسم الله الرحمن الرحيم

No. 579
2/9

من شخبوط بن سلطان   الى حضرة الاجل الاكرم الافخم المحب المحترم الكبتن اج. دي اج. رانس القائم
بأعمال المعتمد الدولة البريطانية في البحرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام كتابكم المكرم المؤرخ ٢٨ جولاي ١٩٤٦ موافق
٢٩ شعبان ١٣٦٥ الينا وصل وما ذكرت صار معلوم بالخصوص عن حكومة صاحب
الجلالة قد اذنت الحكومة الفرنسيه في شأن طائرات شركة أير فرا
باستمرار عملهن في الخليج الفارسي هذا ودمتم مسرورين والسلام جرا في رمضان ١٣٦٥

صورة رسالة من حاكم أبوظبي الى المعتمد السياسي في البحرين (١٢/٧/١٩٤٦)

٢٥ ٧٠/٨

بسم الله

المحترم
نيته
ابوظبي
معتمد الدولة
رائس القايم باعمال

من صاحب المجد ... الامير الاكرم حميد بن عبد الله الى الافخم سعادة الكبتن اج. ج. ...

بعد التحية وغاية الاحترام نسأل عن صحتكم اسعد الله ... ولله الحمد كما نود

استلمت كتابكم عدد س/٣٥ ٨ المؤرخ ٢٨ جولاي ١٩٤٦ الموافق
٢٩ شعبان ١٣٦٥ وفهمته الى آخره وعنا ... ذكرتم بان حكومة
صاحب الجلالة قد اذنت للحكومة الفرنسية ان تشغل
طايرات شركة "ايرفرانس" في الخليج الفارسي وانه يمكن ان
تمر هذه الطيارات على مقاطعتنا اننا موافقون على
ما وافقت عليه حكومة صاحب الجلالة ونتشرف
بما يبدو لكم من اللازم في اطرافنا وتفضلوا بقبول
فايق احترامي ودمتم ١٢ رمضان ١٣٦٥ ... حميد بن ...

صورة رسالة نائب حاكم كلبا بالشارقة الى المعتمد السياسي (١٩٤٦/٨/٩)

العمال ولم تستطع الاقلاع الا في اليوم التالي وذلك بصعوبة بالغة ومن بعد ذلك التاريخ استخدمت الخطوط الجوية الامبريالية موضع مطار المحرق وكان عبارة عن مدرج صغير ومكاتب مشيدة كأكواخ مسقفة بجريد النخيل وامامها جرس يقرع للاعلان عن بدء مغادرة المسافرين.

ووافقت شركة الخطوط الجوية على دفع الرسوم والايجارات المقررة اثر ابرام اتفاقية خاصة بينها وبين الحكومة على ان تدفع الرسوم اعتبارا من اول يوم تستخدم فيه الشركة المطار وقام عدد كبير من موظفي الخطوط الجوية الامبريالية وكذلك من الضباط العاملين في القوات الجوية الملكية بزيارة البحرين لمناقشة الاتفاقية المقترحة ولتقييم المواقع المختلفة لبناء المطار وقد طرحت عدة مشاريع للمناقشة غير انه لم يتم الوصول الى قرار نهائي بشأن موقع المطار الدائم.

وعلى الرغم من ان حكومة البحرين قد ادركت فوائد الخدمات الجوية الا انها لم تسمح للشركة بالتسهيلات المجانية لاستخدام المطار دون دفع مبلغ معقول لحكومة البحرين اما سنويا واما تدفع رسوم مقابل نزول كل طائرة حسب الترتيب المتبع في الدول الاخرى. ولقد وفرت الحكومة خلال الثمانية الاشهر الاخيرة من عام ١٩٣٢ حرسا من الشرطة في المطار وذلك في كل مرة تهبط فيها الطائرة في مطار البحرين. الا ان الشركة ماطلت في الوصول الى الاتفاقية مما جعل الحكومة تحتج عليها. وفي ١٩٣٣م انشىء مطار بحري في القضيبية واستمر هذا المطار يستقبل الطائرات المائية حتى بعد منتصف الاربعينات بقليل (١٠).

وشهدت الاعوام الاولى من الثلاثينات كثرة المسافرين الى الخليج حتى اصبح من الصعوبة الحصول على مقعد في الطائرة خاصة وان السفر من الكويت الى البحرين عن طريق البر كان فيه مشقة كبيرة اذ كان على المسافر ان يستقل السيارة من الكويت الى الاحساء والقطيف ثم من هناك يركب الداو حيث ينقله الى البحرين. وكتب شاهد عيان انه كان من حسن حظه ان حصل على حجز في الطائرة بواسطة احد اصدقائه لانه وجد امام شباك التذاكر في المطار ومكاتب الاستقبال في الفنادق حشدا كبيرا صباح مساء والجميع قلقون على حجزهم: «وسافرت عصرا وكانت الرحلة كثيرة المطبات والرؤية رديئة فور اقلاع الطائرة والسحب تحتنا تحجب عنا رؤية البحر وفي بداية الثلاثينات كانت طائرات الخطوط الجوية الامبريالية تغادر في الصباح الباكر تجنبا للعواصف الرملية السائدة على هذا الطريق الصحراوي. وكان بجانبي امريكي وزوجته وبينما

آر ١٦٧٦/٢/١٥

تكاليف تمهيد المطار

إقامة علامات حدود المطار	٣٥	روبية
بوية	٥	روبية
التخطيط	٣	روبية
كيس من الكلس	٤	روبية
تمهيد موقع المهبط	٧٥	روبية
المجموع	١٢٢	روبية

(توقيع) بلغريف

١٩٢٧/٩/٢٠

مستشار دولة البحرين

آر ٢٦١/٢/٥ مرجع ٣/١١٠٣٠

من مقر القوات الجوية الملكية
هنيدي
٩ مايو ١٩٣٥

الى سمو الشيخ حمد بن عيسى الخليفة حاكم البحرين

الموضوع : مهبط القوات الجوية الملكية بالمنامة

سـيدي

أود أن اشير الى الفقرة التاسعة للاتفاقية التي ابرمت بين سموكم والقوات الجوية الملكية في ٥ مايو ١٩٣٠.

ونظرا لمرونة الارض لمهبط المنامة وبسبب زيادة اوزان الطائرات، يزيد خطر الحاق ضرر بالطائرات مستقبلا باستخدام ذلك المهبط فللأسف نضطر الى اصدار اخطار ١٢ شهرا لانهاء الاتفاقية اعتبارا من اول يونيو ١٩٣٥.

وبدلا من مهبط المنامة نود أن نستخدم الارض التي اشترتها وزارة الجو، المحرق كمهبط للقوات الجوية الملكية.

المطيع

دبليو جي اس ميتشيل

قائد القوات البريطانية في العراق

آر ٢٦١/٢/١٥ مرجع اس ٣/١١٠٣٠

مقر القوات الجوية الملكية

هنيدي

١٩٣٥/٢/٢٢

الى الوكيل السياسي ـ البحرين

مذكـــرة

البحرين ـ مهابط الطائرات

ان موضوع ترك المهبط الحالي بالمنامة يلقى الآن اهتمامنا وتدفع القوات الجوية الملكية لشيخ البحرين ايجارا لاستخدامه قدره ١٢٠ جنيه سنويا.

يقترح ان نحافظ على المطار الواقع في جزيرة المحرق فحسب.

يستلزم هذا التغيير في السياسة اعطاء اخطار مسبق لـ ١٢ شهرا لشيخ البحرين لانهاء الاتفاق الذي ابرم في ٥ مايو ١٩٣٠. ولكن قبل ذلك أود أن أعرف رأيكم عن تأثيره على البحرين محليا كما أود ان أعرف منكم بدقة شروط استئجار مطار المحرق من شيخ البحرين.

اللواء الجوى

كنت اقرأ كتابا لاتظاهر بعدم اكتراثي لحركات الطائرة واصوات محركاتها ظننت الزوجة الامريكية انني اقرأ كتابا دينيا وقد بدا على محياها الخوف والاضطراب حتى لاحت لنا انوار جزيرة البحرين ثم الاشارة الضوئية المعلنة للهبوط فانفرجت أساريرها وبمقارنة البحرين مع السواحل المجاورة فان البحرين افضل بكثير من المدن الساحلية الاخرى وذلك لوجود الاشجار والنخيل والمياه الزرقاء والخضراء الزمردية.» (١١).

وفي الفترة ما بين الحربين العالميتين ازدادت اهمية الخليج العربي خاصة بالنسبة لبريطانيا اثر ظهور البترول وحينما بدأت ناقلات النفط تحمله الى اوربا وامريكا ولذا اصبحت موانىء الخليج العربي قواعد عسكرية للاسطول البريطاني لحراسة الابار واماكن التكرير والناقلات وحين اعلنت الحرب العالمية الثانية زادت اهمية تلك القواعد في الخليج العربي لوجود منابع النفط الذي هو مصدر مهم في تموين آلة الحرب ثم ان البحرين قاعدة مهمة جدا لحماية طرق المواصلات بين الهند وشمال الخليج العربي بالاضافة الى انها تقع على عقدة المواصلات الجوية بين اوربا والشرق الاقصى ومنها منطلق الطائرات الضخمة والمقاتلة لارتال العدو والتي تقصد مواطن النفط في الخليج علاوة على ان البحرين كنقطة متقدمة للدفاع عن الهند (درة التاج البريطاني)(١٢).

وقد اشار فول المقيم السياسي في الخليج بأن الطريق الجوي عبر الساحل العربي اكثر اهمية من الطريق الايراني بسبب وجود النفط هناك ووجود القاعدة البحرية واذا انقطع هذا الخط فانه من المتعذر على اية طائرة مدنية بريطانية ان تصل الى الهند او سنغافورة او استراليا عن طريق عدن ومسقط كما يصعب على طائرات القوات الجوية الملكية ذلك ايضا(١٣).

وعلى اثر المناقشات التي دارت حول هذا الموضوع فقد اتفق على ان مسئولية الدفاع عن المناطق الساحلية العربية في الخليج العربي تقع على عاتق القوات الجوية الملكية مع ان الخطر كان من القبائل المجاورة وان الهجوم عن طريق البحر او الجو ضئيل جدا فما كان اي داع لعمل دفاعات ثابتة ونوقش موضوع تشكيل قوات دفاعية محلية في كل من البحرين وقطر ومشروع لتوسعة قوات مسقط المسلحة(١٤)

وهذا جدول بالتسهيلات الجوية الموجودة في الخليج العربي قبل نشوب الحرب العالمية الثانية

الموقع	التسهيلات
الكويت	مطار ومهبط للطائرات المائية لاستخدام الخطوط الجوية الامبرالية والقوات الجوية الملكية

البحرين	مطاران ومهبط للطائرات المائية، ومخزن للوقود
جزيرة الياس	مهبط طوارىء ومرسى لطائرات مائية ومخزن للوقود والزيت
ابوظبي	مهبط ومخزن للوقود والزيت
دبي	مهبط لطائرات الخطوط الجوية الامبريالية ومخزن للوقود
الشارقة	مهبط لطائرات الخطوط الجوية الامبريالية وفنار ومحطة لاسلكية
راس الخيمة	مهبط للطائرات المائية ومخزن للوقود
كلبا (جنوب الشارقة)	مهبط طوارىء للخطوط الجوية الامبريالية وفنار ومرسى للطائرات المائية وقاعة للركاب
شناص	مهبط طوارىء ومخزن للوقود
صحار	مهبط طوارىء
مسقط	مقر القوات الجوية الملكية ومحطة لاسلكية ومطار في الفلج
راس الحد	مهبط
خورجرامة	مهبط للطائرات المائية
جوادر	مطار للخطوط الجوية الامبريالية والفرنسية وكي ال ام كانت جوادر من ممتلكات سلطان مسقط حتى ١٩٥٨م
مصيرة	مرسى للطائرات المائية ومخزن للوقود
خورغريم وشويمية ومرباط والصلالة وقشن والريان وجزيرة سريم وكامران	مهبط ومخزن للوقود
عدن	مطارات في كل من خور مقصر والشيخ عثمان[١٥]

وحدث ان قامت سفينة يابانية للتموين بزيارة البحرين في فبراير ١٩٣٨م فاعتبر الانجليز هذه الزيارة ذات بعد سياسي وانها زيارة استطلاعية لمعرفة مواضع آبار النفط ومصنع التكرير[١٦].

وطلب مستشار حكومة البحرين (بلجريف) من المعتمد السياسي في البحرين عمل مسح جوي لأرخبيل البحرين فما كان من المعتمد السياسي الا ان طلب من قائد الجناح الجوي في الحبانية بأن يقوم بمسح جوي دقيق لمنطقة ارخبيل البحرين وذلك ضمن المناورات التدريبية الروتينية وقد اجابه قائد الجناح بأنه يتوقع ان يتم تصوير المنطقة في ظرف اسابيع وطلب من المعتمد خريطة توضح المنطقة المطلوب تصويرها فأرسل له المعتمد خريطة. والذي يبدو ان قيام الحرب العالمية الثانية أخر تصوير المنطقة[١٧].

وقد تعرضت البحرين خلال الحرب العالمية الثانية لغارة جوية ايطالية فقصف ميناء البحرين في ليلة ١٩/ ٢٠ من شهر اكتوبر ١٩٤٠ وكانت الطائرات قد قطعت مسافة ٢٨٠٠ ميل وهاجمت مصنع التكرير في عوالي والقت الطائرة ٨٤ قنبلة صغيرة. والواقع انه لم تكن الغارة من طائرة واحدة كما ذكر الاستاذ (بدول) بل انها ثلاث طائرات ايطالية اقلعت

من جزيرة رودس في البحر المتوسط وألقت قنابلها على البحرين دون ان تحدث اضرارا تذكر ثم توجهت طائرة واحدة الى الظهران والقت قنابل على أنابيب النفط محدثة اضرارا تافهة. كما شهد مطار البحرين في هذه الفترة الكثير من المقاتلات البريطانية. ومن الجدير بالذكر ان الطائرات الانجليزية وقتئذ كانت لا تستطيع مواصلة الطيران لاكثر من ٢٠٠ ميل بينما استطاعت الطائرات الايطالية قطع مسافة ٢٨٠٠ ميل بشكل متواصل.

وفي ابريل من عام ١٩٤١ فرضت البحرين سياسة اطفاء الانوار وحدث ان اطلق المدفعيون الهنود خطأ من المدافع المضادة للطائرات على الطائرات الملكية البريطانية وذلك على اثر حدوث الاوضاع المتوترة في شمال منطقة الخليج العربي خلال فترة الحرب العالمية الثانية ونشر بلجريف بيانا عن التدابير الوقائية ضد الغارات الجوية في جريدة (البحرين).

وفي عام ١٩٤٢م عندما حدث الغزو الالماني للاتحاد السوفيتي ادرك الحلفاء اهمية الطريق الخليجي لتموين الاتحاد السوفيتي خشية الاندفاع الالماني والياباني نحو الخليج العربي او قطع الطريق المؤدي الى الهند ثم تولت القوات الجوية الملكية مسئولية مراقبة القوات الجوية في كل من الخليج العربي والجزيرة العربية(١٨).

وفي اواخر عام ١٩٤٣م تغير الوضع في اوربا لصالح الحلفاء وبالتالي فكر الحلفاء في نقل الجنود والمعدات من ساحة اوربا الى الشرق والى الباسفيك فاستخدموا لهذا الغرض عددا من المطارات ومنها مطار القاهرة واللد والحبانية والبحرين والشارقة واقتضى ذلك اعادة بناء او توسيع المطارات وعمل مدارج اضافية وتسهيلات فنية وبناء دوائر للموظفين والمسافرين. وقد استخدمت وقتئذ طائرات من طراز داكوتا ذات المحركين وحلت محل الطائرات ذات الاربع محركات، وقد بلغ عدد الجنود الذين تم نقلهم شهريا اثنى عشر الف جندي وذلك في الفترة ما بين ٢ مايو الى ١٦ اكتوبر ١٩٤٥م. وفي يناير من عام ١٩٤٤م نقل مقر الحرس الخليجي الى (مصيرة) في عُمان وتم تسريحه في العام التالي وعند نهاية الحرب لم تبق الا بعض الوحدات الفنية الصغيرة للقوات الجوية الملكية كوحدة مراقبة الملاريا والانقاذ الجوي البحري ومراكز سلامة الطائرات فقط(١٩).

وكانت عائدات المطار في البحرين تدفع الى الدولة وليس الى المكتب الخاص بصاحب السمو حسب ما ورد في رسالة مستشار حكومة البحرين الى المعتمد السياسي في البحرين وكانت تلك العائدات تتكون من خمسمائة جنيه استرليني سنويا وهو ايجار ارض المطار ومائة وخمسون جنيها



لن يصدق أحد ان الصورة العليا هي صورة مطار البحرين اما الجرس الموجود في الصورة السفلى فكان الوسيلة التي يعلن بها عن قيام الطائرة حيث يرى الى جواره بعض المسافرين



(293 / ٢٩٣)

طائرة هانيبال وهي من أوائل الطائرات التي استخدمت مطار البحرين



295 / ٢٩٥)

بعض المسافرين في انتظار قيام الطائرة

استرلينيا لكل خدمة اضافية تطلب بعد توقيع اتفاقية الطيران المدني.

واما طائرات القوة الجوية الملكية فلا تدفع اية رسوم وانما تدفع اجورا للاراضي التي استخدمتها حول مطار المحرق وهي كالآتي:

١ ـ قطعة ارض بالقرب من مقبرة المحرق تدفع عنها اربعمائة واربعين روبية سنويا.

٢ ـ قطعة الارض الواقعة غرب حديقة قلالي وتدفع عنها ١٧٤ وربية سنويا.

٣ ـ قطعة الارض الواقعة جنوب حديقة قلالي وتدفع عنها مائة روبية سنويا

٤ ـ قطعة الارض الواقعة بالقرب من مدرسة المحرق للبنين وتدفع عنها ٣٥ روبية سنويا.

ولذلك فان مجموع ما تستوفيه البحرين من اجور الاراضي هو ٧٤٩ روبية.

وقد كتب المعتمد السياسي في البحرين جوابا الى المستشار يسأله عن الدخل الذي تستلمه حكومة البحرين من تأجير مطار المحرق والرسوم على الطائرات فأجاب المستشار بقوله.

يتم احتساب رسوم نزول الطائرات في البحرين حسب الوزن الكلي للطائرة حسب ما يرد في شهادة الفحص للطيران وعلى سبيل المثال فان رسوم النزول على

طائرة (داكوتا): خمسة جنيهات استرلينية و١٢ شلنا و٦ بنسات.

طائرة (فايكنج): ستة جنيهات استرلينية و٥ شلنات.

طائرة (كونستليشن): ثلاثة عشر جنيها استرلينيا وشلنان.

اما رسوم المطار فيتم احتسابها على اساس المساحة اي حسب عرض وطول الطائرة وتتراوح الرسوم بين ٢½ شلن لكل ٣٠٠ متر مربع الى ٣½ جنيه لكل اثنى عشر الف قدم مربع وأمثله ذلك:

داكوتا: جنيهان و٥ شلنات.

فايكنج: جنيهان.

كونستليشن: لا يوجد لها موقف لضيق المطار لان موقف (آر. اي. اف) يلائم الطائرات الصغيرة فقط وهناك رسوم الحرس وتحتسب حسب المساحة التي تحتلها الطائرة لوقوفها لاكثر من ست ساعات وامثلة ذلك

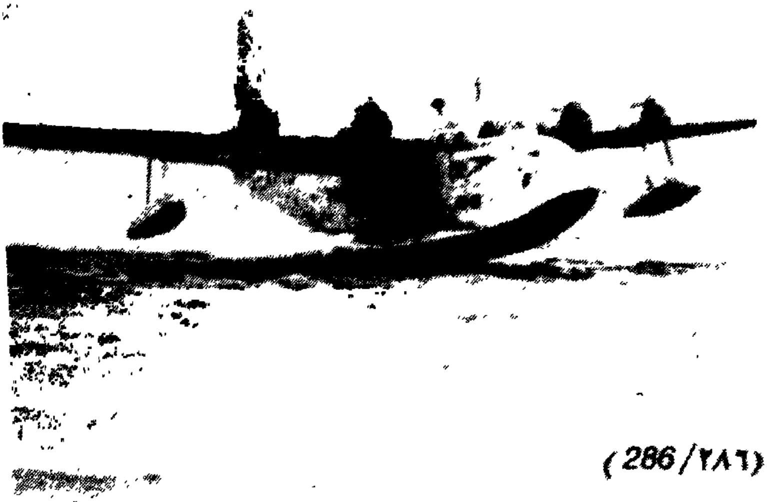
داكوتا جنيه واحد وشلنان و٦ بنسات.

فايكنج. جنيه واحد.

كونستليشن جنيه واحد و١٥ شلنا.

ولا تستوفى رسوم ترانسيت ولا رسوم على العفش او البريد(٢٠).

وقد كتب شيخ ابوظبي الى المعتمد السياسي في البحرين بخصوص موافقته بالسماح للطائرات الفرنسية التي تعمل في الخليج ان تمر من سماء بلاده وكذلك اجاب الشيخ خالد بن



كـانت الطائـرات
تهبـط في البحرين
فوق الماء في المنطقة
البحرية بالجفير

(286/٢٨٦)



8/٢٨٨)

احدى
الطائـرات بعد ان
اتمت هبوطها

احمد نائب حاكم الشارقة بموافقتـه على مرور طائرات الخطوط الفرنسية ببلاده[٢١].

وقامت ثلاث طائرات مدنية لشركة سكاي ويز بالهبوط في البحـرين لنقل المعدات الى شركة بابكو وذلك في الفترة ما بين ١ ـ ١٠ اكتوبر ١٩٤٧م.

وقد استوفيت رسوم نزول على هذه



احدى الطائرات بعد ان هبطت على سطح الماء يسرع اليها بعض المساعدين بأحد الزوارق لتثبيتها

الطائرات[٢٢].

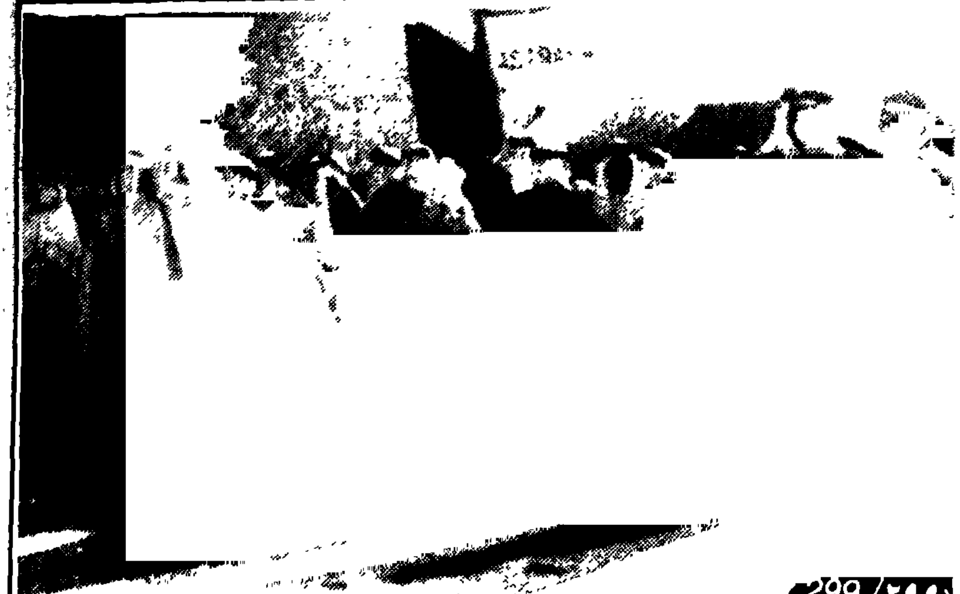
ومع كل ذلك فان الدول الخليجية لا تكسب دخلا يتناسب مع التسهيلات الممنوحة لنزول الطائرات في بلادها اللهم الا الخدمات البريدية وخدمات نقل البضائع[٢٣].

وفي ١١ نوفمبر ١٩٤٧ م تم انشاء خط بين استراليا والمملكة المتحدة مارا بالبحرين دون ان يمر بالشارقة[٢٤].

وفي نوفمبر ١٩٤٩م بدأت شركة طيران الشرق الاوسط برحلتين كل اسبوع من بيروت والكويت والظهران والبحرين ورحلة في ديسمبر للخطوط المصرية بين القاهرة ودمشق والكويت والبحرين.

وفي تقرير شهري كتبه المعتمد السياسي (بيلي) في ٣ مارس ١٩٤٩م اورد فيه ان اكثر من اربعمائة طائرة تستخدم مطار المحرق شهريا ما بين هبوط واقلاع وزاد هذا العدد الى ٥٠٠ طائرة شهريا. بينما تعبر اجواء البحرين ما يزيد على الف طائرة شهريا دون الهبوط فيه.

اما في الكويت فقد جرت مفاوضات بين المعتمد السياسي هناك وشيخ الكويت لابرام اتفاقية جديدة عن الطيران المدني فوافق الشيخ على كافة المواد المطروحة شريطة ان ترفع الحكومة البريطانية مبلغ الرسوم السنوية وطلب المقيم في الخليج من المعتمد السياسي في البحرين الموافقة على هذه الاتفاقية الجديدة.



٢٩٩/ 299

مجموعة من الركاب تتزاحم على ركوب الطائرة لقطة من الثلاثينات



٣٠٠/ 300

ويستطرد الكولونيل بيلي فيقول: واثناء زيارتي للساحل المهادن تمت مناقشة بنود اتفاقية الطيران المدني للشارقة بين الشيخ وبين جاكسون وقد قبل الشيخ بنود الاتفاقية بشرط ان ترفع رواتب الحراس وكذلك رفع ايجار الاستراحة كما طلب الشيخ بنادق وذخيرة وان يكون له حق ارسال البرقيات مجانا وقد راجعنا الحكومة البريطانية حول هذه النقاط. ووافقت على ذلك الا ان غياب شيخ الشارقة في الهند بسبب مرضه ادى الى تأخير ابرام الاتفاقية. اما في مسقط فان السلطان سعيد بن تيمور يتعرض للازعاج في نومه بسبب صوت الطائرات التي تحلق فوق مسقط ليلا اضافة الى ان الطائرات كانت تستخدم المطار دون تصريح مما جعل السلطان يقرر مبلغا وقدره خمسة جنيهات استرلينية لكل تصريح سنوي كما وضع رسوما جمركية على كميات النفط التي تزود بها الطائرات في كل من مصيرة وصلالة. ويقول المعتمد السياسي بأن السلطان يشعر بأن بريطانيا لا تراعي التزاماتها المعقودة حسب اتفاقية الطيران المدني(٢٥).

وفي السابع والثالث عشر من شهر مايو ١٩٤٩م كانت طائرة تابعة لخطوط الاسكا قد هبطت في البحرين وعلى متنها عدد من اليهود القادمين من هونج كونج وتعلن انها متوجهة الى نيقوسيا في قبرص ولكن اكتشف فيما بعد انها سوف تنزل في اللد فأوقفت الطائرة في البحرين ووجه لقائدها انذار بعدم الهبوط في مطار البحرين مرة أخرى وهذا حدا بالمسئولين إلى اصدار اعلان بعدم استخدام المطار من قبل الطائرات الاجنبية ما لم تحصل على اذن مسبق من قبل السلطات في البحرين(٢٦).

العائدات من الطيران من خلال التقارير الادارية منذ ١٩٣٤م:

لقد بلغ الايجار السنوي للمطار ثمانية آلاف روبية بما فيه ايجار مطار المنامة ومطار المحرق ويدفع مقدما في اكتوبر من كل عام منذ ١٩٣٤م.

وقامت القوات الجوية الملكية بمسح جوي لارخبيل البحرين ما عدا المحرق لأن المحرق قد تم تصويرها مسبقا من الجو بناء على طلب حكومة البحرين وشركة بابكو وذلك لمعرفة الاراضي الزراعية قبل القيام بالتنقيب عن النفط وتحملت حكومة البحرين وشركة النفط مصاريف المسح الجوي وكانت الحكومة ترمي من عملية المسح للاراضي الزراعية لتحديد حدود تلك الاراضي وحقوق توزيع مياه الري خاصة بعد ان توفرت لديها الظروف المالية(٢٧).

وفي عام ١٩٣٥م بدأت الخطوط الجوية الامبريالية بتشغيل خطوطها مرتين كل اسبوع عبر طريق البحرين

الى الشـرق ومرتـين كل اسبـوع الى الغرب ولم يكن في وسع اهل البحرين ارسال بريدهم في يوم وارسال الرد في اليوم التالي بسبب عدم ملائمة توقيت الطيـران. وفي هـذا العـام تنـازلت الخطوط الجوية الامبريالية عن صالة الاستراحة في المنامة واقامت خياما في المطار لاستخدامها للمسافـرين ولكن تلك الخيم كانت حارة جدا في الصيف وباردة في الشتاء.

وفي عام ١٩٣٦م بلغ ايجار المطار ٧٣٠٠ روبيـة ثم انخفض الى سبعة آلاف روبية في العام التالي لكنه ارتفع الى ثـلاثـة عشر الف روبيـة في عـام ١٩٣٩م ثم الى ثمانية عشر الف روبية في سنـة ١٩٤٣م وفي نهايـة الحـرب العالمية الثانية سنـة ١٩٤٥م اصبح ايجـار المـطار والاراضي الحكـوميـة اربعـة وعشـرين الف روبيـة لكنـه انخفض الى عشـرين الف روبيـة في العام التالي ثم ارتفع الى ثلاثين الف روبية في عام ١٩٤٨م وفي العام التالي الى خمسة وثلاثين الف روبية الا انه انخفض الى ستة وعشرين الف روبية في عام ١٩٥٠م ثم خمسة وعشـرين الف روبيـة في ١٩٥١م ثم استمر في الارتفاع حتى وصل الى ستـين الف روبية في سنة ١٩٥٥م[٢٨]. وقد ورد في مذكرات بلجريف عن كارثـة الطائرة الفرنسية قوله.

حدث في ١٢ يونيو ١٩٥٠ بينما كنا نتعشى مع اصدقائنا بالمنامة وبعد ان لعبنا الورق حتى ساعة متأخـرة من الليـل وكانت الريـاح شديـدة ونحن جـالسون في داخـل البيت بـدلا من جلوسنا المعتاد في الشرفة. وقد كتبت في مذكرتي بـأن تلك الليلة كانت قـد اشتـدت فيها الريـاح المغبـرة وقبـل مغادرتنا بقليل سمعنا صـوت طائرة تحلق فوقنا وكـان سماع الطائـرات امـرا مألوفـا لدينا في البحـرين. وفي الصباح لما عزمت للتوجـه الى القلعة تلقيت مكالمة هاتفية من مطار البحرين في المحرق يخبرني بأن طائرة فرنسية من طراز (سكاي ماستر) قد نزلت في البحر بالقرب من (سترة) وكان رجل يعوم في البحر فـانتشله طاقم سفينة كانت قد رست هناك وانقذوه ثم نقلوه الى المستشفى في ستـرة وهــو الذي اخبرهم بخبر سقوط الطائرة. فركبت سيارتي وتوجهت الى القلعة وجمعت افراد الشرطة بسـرعة وأفـدتهم بما حدث وارسلتهم مع وسـائل الانقـاذ الضرورية بـاللنشات وبعضهم عـلى الجمـال والسيـارات والخيـول الى الشاطىء ليقومـوا بالدوريـات بينما ذهبت وبرفقتي ضابط للشرطة اسمه (جيم هايد) وضـابط عـربي آخر الى سترة وهي تقع على بعد نحو ١٤ ميلا من المنامة وكانت اللنشات ومـراكب شركة بابكو تفتش عن الركاب في مياه البحر على الرغم من ان الميـاه كانت هائجة والظلام كان سائـدا ثم ركبنا قاربا واخذنا نجوب مياه البحر ولكن

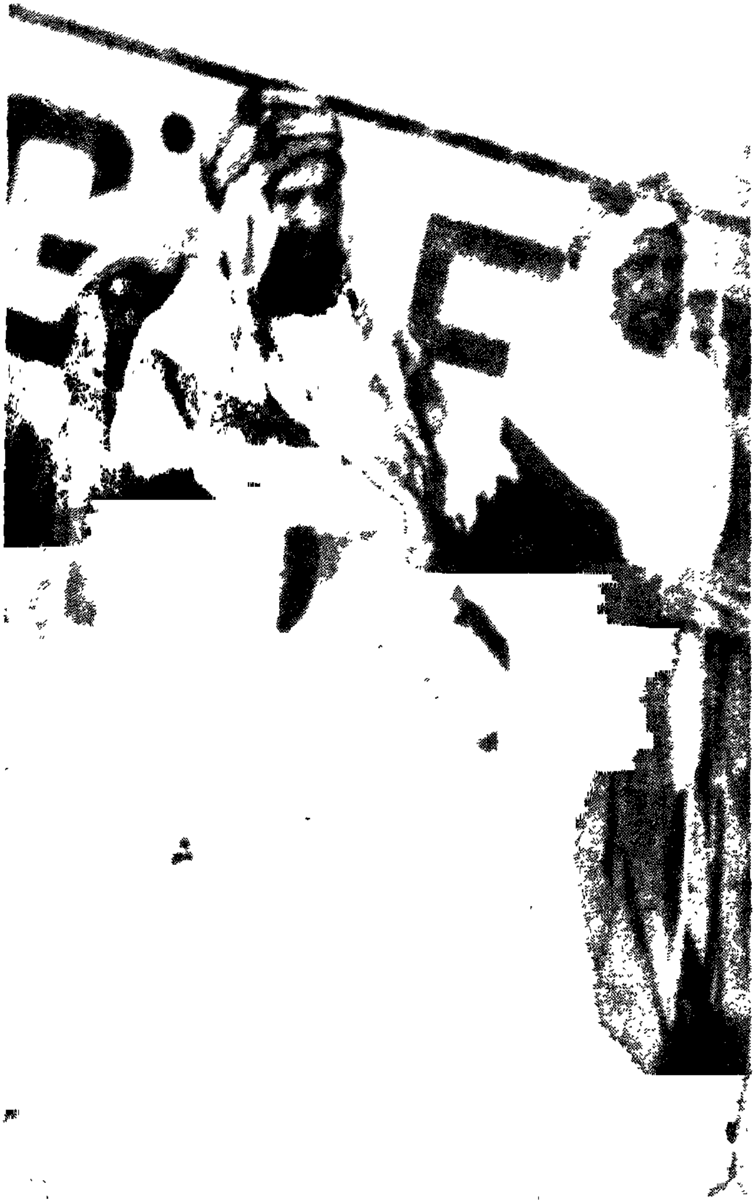
دون ان نعثر على احد وفي وقت لاحق تم انقاذ خمسة اشخاص من ركاب الطائرة كانوا في البحر وهكذا نجا هؤلاء الاشخاص الستة فقط من بين ٥١ راكبا مع طاقم الطائرة. وقد امضيت طول النهار في سترة لأتأكد من ان الشرطة تقوم بدوريات منتظمة ومتيقظة. وقد استعدنا بعض الجثث في وقت لاحق ولم نستطع مساعدتهم لانهم مكثوا طويلا في البحر ولم يعد الاسعاف نافعا. اما الستة الاحياء فقد نقلوا الى مستشفى بابكو في عوالي واتجهت لهم لاستفسر عن كيفية الحادث ولكن كانوا في وضع لا يستطيعون معه توضيح ما حدث.

وقد غلب الرعب على كل فرد في البحرين بسبب الكارثة التي حدثت لركاب الطائرة التي كانت قادمة من الهند الصينية حيث كان الفرنسيون يقاتلون هناك واشاع البعض بأن الحادث كان نتيجة عمل تخريبي. وقد جاء عدد من المسئولين الفرنسيين من باريس في اليوم التالي وهم من شركة (ايرفرانس) لاجراء التحقيق في الحادث وكان ذلك اليوم متعبا اذ طلب مني المساعدة في دفن الجثث في المقبرة النصرانية الصغيرة التي كانت تشرف عليها الارسالية الامريكية.

وفي اليوم التالي وذلك في حوالي الساعة الثالثة ليلا ازعجني رجل وانا اغط في نوم عميق وسمعته يتكلم عن حادثة طائرة فرنسية فافتكرت بأنني احلم واستيقظت فوجدت ضابطا انجليزيا واقفا بقرب فراشي وهو يحدثني بقوله: ان طائرة فرنسية سقطت في البحر فقلت له انا اعرف عنها تماما. فلماذا تخبرني عنها في هذه الساعة المتأخرة. ولكني رأيت



طائرة من الثلاثينات في مطار البحرين كانت الطائرة تسع ما يزيد على الخمسين راكبا



سمو الشيـخ حمـد بن عيسى آل خليفة في زيـارة لاحـدى الطائرات

الضـابط متـوتر الاعصـاب مشوش البال مضطربـا للغايـة فقال لي (هي طائرة فرنسية اخرى سقـطت بنفس المحل في البحر) وهنـا صرخت وانـا اقـول: هذا مستحيـل. كيف يحـدث نفس الحـادث مـرة ثـانيـة ؟ فقـال الضابط: هذا صحيح يا سيدي حدثت حادثة اخرى في نفس الوقت وفي نفس المحل مثلما حدث بالامس. فـأدركت بأنه يقول الحق فخرجت من فـراشي مسـرعـا ونـزلت الى الطابق الارضي لأخبر زوجتي (مارجوري) بما حدث. ثم اسـرعت الى القلعـة واصـدرت تعليمـاتي للشرطة وكـانوا في غـايـة التعب لانهم سهـروا الليلة الماضيـة واجتهدوا طوال النهار في البحث عن الجثث ودفنهـا وأمـرتهم بـالقيـام بـدوريات بينمـا ذهبت برفقـة (جيم هايد) الى سترة وانا اشـك في صحة الخبر. وهناك وجدت عددا كبيرا من الناس في الميناء وكـان البحر هـائجا والظلام سائدا والقـوارب تفتش عن الركاب وقد رأينا رجلا يعوم بعد قليل فتوجهنا اليه وانتشلناه بصعوبة لانه كان مرهقا وتوجهنا بعد ذلك صـوب محل سقوط الطائرة فرأينا شابا يعوم فانتشلناه بسهولة وياللعجب فان أول الكلمات التي قالها الشاب (ساعتي. سـاعتي خربت بسبب تبللهـا في ماء البحر).



وكـان الشـخص الاول في حـالة صحيـة ونفسية سيئـة فقـررنـا ان نوصلهما الى الشاطىء ورأينا جثثـا كثيـرة في طريقنـا. ولمـا وصلنـا الى الرصيف كانت قد وصلت عدة مراكب الى محـل سقـوط الطائـرة. كمـا ان الطائرات كانت تفتش عن المصـابين ووجـدنا عـلى الرصيف الاشخـاص الاخـرين الذين تم انقـاذهم وهم في انتـظار نقلهم الى المستشفى وكـان احدهم وهو اما الطيار أو أحد افراد طاقم الطائرة يقول مرات عديـدة انه قبل لحظة لمس الطائـرة لسطح المـاء كان مقياس الارتفاع يسجل ارتفاعا عاليا.

وفـور وصولنـا الى الميناء جـاءوا ببنت قصيرة القامـة تم انقاذهـا من البحر وعندما دخلت الى الغرفة طلبت سيجارة فقدم لهـا احد الاشخـاص سيجارة كما قدم لها بنطلونا صغيرا قديما وبعد بضع دقائق اخذت تحمل فناجين الشاي لتقدمها الى المصابين وتشجعهم وتواسيهم لقد كـانت هي المضيفة الجوية وقد نقلناها فيما بعد الى المستشفى الحكومي لكنها رفضت اية عناية بها قبل الاخرين على الرغم من انهـا كانت مصـابة بـالصـدمـة والتعب. وبلغ عدد الاشخاص الذين نجوا ثلاثة عشر شخصا من بين ثمانية وثلاثين راكبـا. وقد تلقى المصـابون علاجا جيدا من المستشفى الحكومي بالبحرين. وحضر كثير من الصحفيين الذين نشـروا قصصـا غـريبـة عن الحادث والاسباب الكامنة وراءه. ولم تنشر نتائج التحريات التي جرت عن الحادث قط. وحسب اعتقـاد البعض ان الحادث الاول لسقوط الطائرة كان بسبب رداءة الطقس امـا الحـادث الثـاني لسقوط الطائـرة الفـرنسيـة الثانية فهو بسبب هبوط الطائـرة الى انخفاض خطير لان الطيار كان يريد ان يرى محل وقوع الحادث الاول من قريب.

وفي ربيـع عـام ١٩٥٠م شكـلت (شركة طيـران الخليج) في البحـرين وكانت فكرة مشـروع تأسيس هـذه الشركة قد قدمها ضابط من القوات الجوية الملكية وهو فردريك بوسورث الذي قدم بطائـرته الى البحـرين من العراق وعرض مشـروعه عـلى سمو حـاكم البحرين فـوافق سموه وأيـد المشروع. وقد واجهت الشركة مشاكل كثيـرة في البـدايـة ولكن تحسنـت الاوضـاع بعد تـذليل العقبات التي اعترضت طريقها خاصة عام ١٩٧٤م حينما اشترت كـل من دولة البحرين ودولة الامارات العربية المتحدة ودولة قطر وسلطنة عمان جميع أسهم شركة طيـران الخليـج المحـدودة، ووسعت نطاق رحلاتها واشترت اسطولا جويا ضخما في عام ١٩٧٦م

وكتب معتمد بريطانيا في البحرين



الى سمو حاكم البحرين في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٠م يطلب ضرورة اقامة عشرة اعمدة وعلى كل عمود مصباحان على بعد ٣٠٠ قدم على طول الامتداد تجاه البحر للخط المركزي لممر الطائرات الرئيسي وسيوضع تحت الارض سلك كهربائي بطول نحو الف ياردة وذلك لسلامة هبوط الطائرات في البحرين وقد وافق سموه على ذلك الطلب(٢٩).

وفي ٢١ ديسمبر ١٩٦١ م تفضل صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة بافتتاح مبنى المطار الجديد(٣٠) وذلك على اثر كثرة الطائرات التي تستخدم المطار وزيادة اهمية مطار البحرين كما احتفل بتدشين المدرج الجديد للمطار في ١٩ ابريل ١٩٧١م والذي تكلفت نفقاته قرابة تسعة ملايين دينار بحريني وقد صمم ليواكب حركة الطائرات العملاقة من نوع الجامبو وكان هو اول مطار في المنطقة العربية الذي تهبط فيه طائرات الكونكورد لما فيه من تجهيزات زود بها المطار. وفيه مبنى للمسافرين يتكون من طابقين وقاعات للاستقبال ومكاتب متعددة ومزود بمؤشرات اليكترونية يقرأ فيها الركاب مواعيد وصول الطائرات ومغادرتها وفيه متاجر ومطعم وعدة جسور هوائية لركوب المسافرين ونزولهم ولقد افتتح سمو امير البلاد المفدى هذا المبنى في السادس عشر من ديسمبر ١٩٧١م(٣١).

واخذت عشرات الشركات العالمية للطيران تستخدم مطار البحرين الدولي اذ تهبط فيه يوميا نحو ستين طائرة بينما احصى عدد الطائرات التي استخدمت مطار البحرين الدولي عام ١٩٧٩م فكان واحدا وعشرين الفا وستمائة طائرة عدا الطائرات المارة في المجال الجوي.

وفي ١٩٧٢/١٢/٣١م افتتح صاحب السمو امير البلاد المفدى المبنى الجديد لمطار البحرين بما فيه من صالات وورش فنية لصيانة الطائرات ومراكز التدريب.

وهكذا بادرت البحرين بارتباطها مع الاسفار الجوية منذ البداية وكانت هذه الخطوة متمشية مع التطور في العصر الحديث مما جعل البحرين تواكب مسيرة ذلك التطور. وان الاربعة الاسرة التي كانت في دار الاستراحة في البحرين هي بداية لما نراه اليوم من فنادق ضخمة وبالتالي الى الوصول لثروة طائلة عن طريق بناء وامتلاك العقارات وبعد ان غادر الانجليز سكنهم في آر/اي/اف تركوه في عام ١٩٧١م كسكن لنحو ستمائة مضيف ومضيفة وهيأت لهن ظروف العمل في المكاتب الحديثة كسكرتيرات مناخا ملائما في مجتمع متفتح واصبحت البحرين ولا زالت البلد المفضل للسياح وارباب العمل الذين يفدون اليها من كل مكان.

هوامش

(١) بيترسون. الدفاع عن الجزيرة العربية ص ٢٠ و٢٣ لندن ١٩٨٦م
(٢) بنتلي. جي. دبليو. تطوير الخطوط الجوية في الخليج مجلة الجمعية الملكية لآسيا الوسطى العدد ٢٠/ابريل ١٩٣٣م
(٣)كارو ، اولاف ابار القوة/ حقول النفط في جنوب غرب آسيا من خطاب اللورد (واويل) امام الجمعية الملكية لاسيا الصغرى في يونيو ١٩٤٩م
(٤) زحلان روزماري سعيد منشأ الامارات العربيـة المتحدة ص٩٢ لنـدن ١٩٧٨م
(٥) اية/اي/ ار/ ٨/ ٩٩ سي اي/ دى من تقرير لجنة الخليج الفرعية رقم ١٦٩ د/ في اكتوبر ١٩٢٨م
(٦) زحلان ص ٩٤ ومقتطفات من كتاب (الخليج) لمولى ازارد ص ١١٤ و١١٥ لندن ١٩٧٩م
(٧) الوثيقة ٦/ ١٩٣ عام ١٩٨٥م
(٨) الدفاع ص ٢٧ ـ ٢٨
(٩) الخليج ص ١٧٨ و١٩٢
(١٠) الخليج ١٧٨
(١١) الخليج ص ٩٣ ـ ٩٥
(١٢) سنان محمود بهجت البحرين درة الخليج العربي. ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ طبعة بغداد ١٩٦٣م
(١٣) ال/ بي/ اس/ ١٢/ ٣٧٢٧ من تي. سي فول المقيم السياسي في الخليج الى جيه/سي والتون في دائرة الهند بتاريخ ١٨ يناير ١٩٣٨م
(١٤) سي/ ايه/ بي/ ١٠٤/ ٧١ من ويتمان الى قائد القوات الجوية الملكية في ٤ اغسطس ١٩٣٨م
(١٥) الدفاع ـ بيترسون ـ لندن ١٩٨٦ ـ ص ٤٩
(١٦) ال/ بي/ اس/ ١٢/ ٣٧٢٧ في ١١ ابريل ١٩٣٨م.
(١٧) انظر الوثائق المرقمة ١١٠٧/٢ ب/ ١٣٥٦ في ٢٨/٢/١٩٣٨م وسي/ ١٠٩/ ٢٩ في ٧/٣/١٩٣٨م والبرقية المرقمة ٩٦ في ١٥/٧/١٩٣٩م وجـوابها في ٢٠/٧/١٩٣٩م.

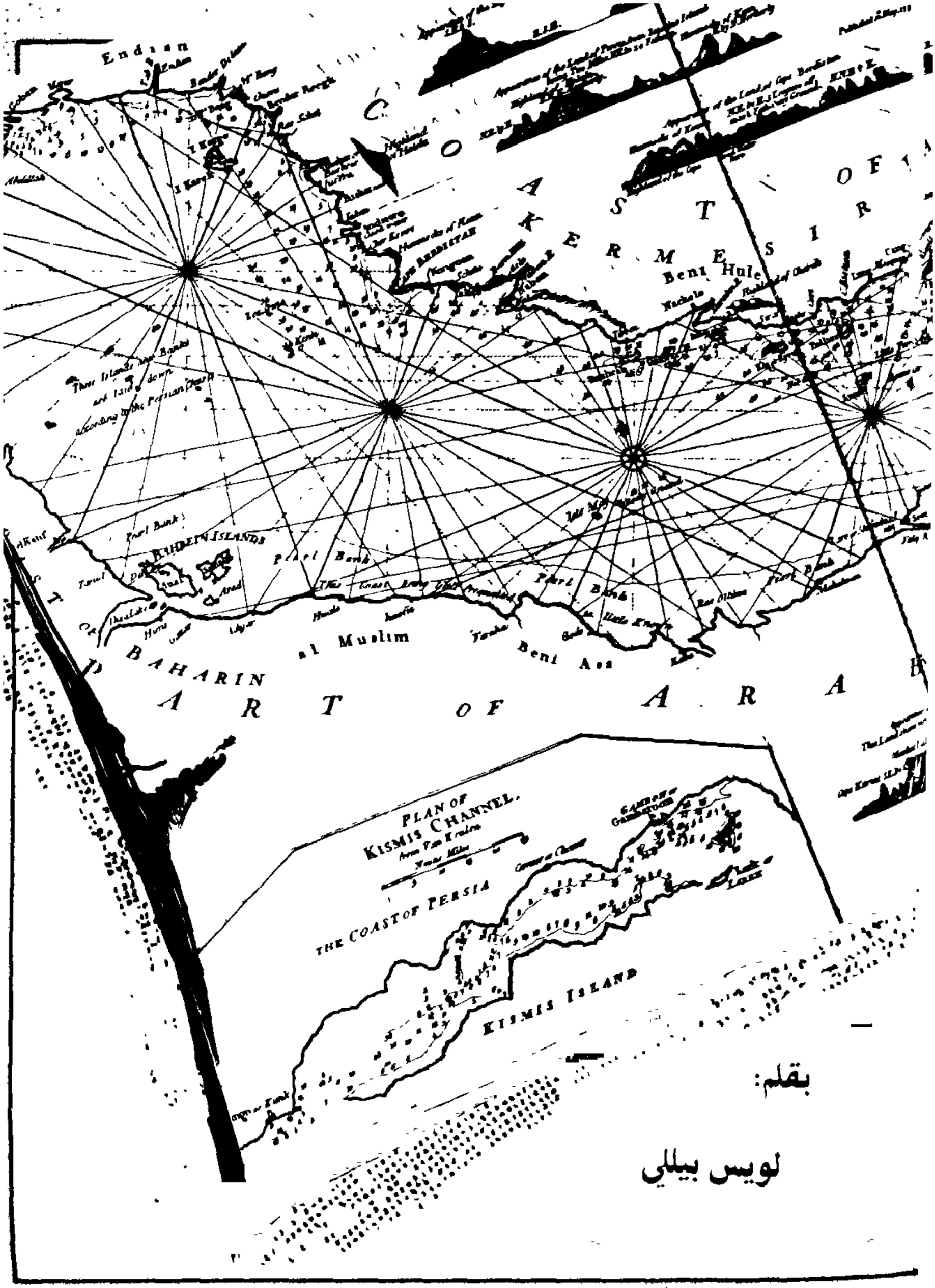
(١٨) سنان ، ص ٣٦٣ والوثيقة ٩٤/٨
(١٩) ايه/ أي/ أر/٢٣/١٠٥١ في ٢ مايو الى ١٦ اكتوبر ١٩٤٥م وانظر الدفاع، ص٥٤ و٥٥ والوثيقة ٩٦/٨
(٢٠) آر/١٥/٢/٥٣٠ وسي ٧٠١ في اول مايو ١٩٤٤.
(٢١) رقم ٥٧٩ في ١٢/٧/١٩٤٦ الموافق ١٥ رمضان ١٣٦٥ هـ و٥٥٨ في ٩/٨/١٩٤٦م
(٢٢) آر/١٥/٢/٥٠٨ سي/ ٩٦٥ في ١٧ سبتمبر ١٩٤٧م
(٢٣) آر/١٥/٢/٥٠٨/ ٤٧/٢٣٦٥ في اول نوفمبر ١٩٤٧م
(٢٤) آر/١٥/٢/٥٠٨/١٩٤٢/ اس في ١١ نوفمبر ١٩٤٧
(٢٥) اف/او/ ٣٧١/٧٤٩٣٦/ سي ٤٩/٣/٩٥ بتاريخ ٣ مارس ١٩٤٩م و٣١٧/٧٤٩٣٧/٩٥/٨/٤٩ في ٥ يوليو ١٩٤٩م
(٢٦) اف/او/٣٧١
(٢٧) التقرير السنوي لعام ٣٤ ـ ١٩٣٥/ ص٤٢٨ وص٥٠٨ و٥١٢ و٥٣٩.
(٢٨) التقارير السنوية للاعوام المذكورة في المجلد الاول ص٥٥٨ و٥٩٣ و٦٠٨ والمجلد الثاني ص٥٢ و٦٦ والمجلد الثالث ص٧ و٥٤ و٦٣ و١١٠ والمجلد الرابع ص٧٥ و٧٦ و٧٨ و٨٣ و٨٥ و١٠٤ و١١١
(٢٩) بلجريف . شارلز العمود الشخصي ص ١٧١ ـ ١٧٤ طبعة بيروت ١٩٦٠م وانظر البحرين على طريق التقدم ص٨٥ و٨٦.
سي/ال/ ٣٥٢ و١٨٠/ في ٣ ديسمبر ١٩٥٠م
(٣٠) التقرير السنوي لعام ١٩٦١ ص١
(٣١) المغرب الكبير. العدد الاول ص٥٢ سنة ١٩٧٣م



من يوميات المقيم البريطاني في الخليج العربي ١٨٦٤م

«يرجع اهتمامنا بهذا اللون من المادة التاريخية الى حقيقة ان اليوميات تمتاز دائما بالدقة فهي بقلم شاهد عيان وهو ما نتلمسه ونحرص على تقديمه كلما أمكن . وهذه الصفحات تقدم صورة دقيقة لمنطقة في الخليج في اواخر القرن الماضي» .

الوثيقة



بقلم:

لويس بيللي

غادرت بوشهر في ديسمبر سنة ١٨٦٣م ونزلت في لنجة ومن ثم قدمت الى باسيدو ، وزرت كهوف الملح وينابيع النفط الموجودة في جزيرة قشم ، وبذلك اجتزت مضايق كلارنس وطوفت بحوقير لأرى تركيب الكبريت والمغارة الحمراء ، ومن ثم سرت الى بندر عباس ، ومكثت فيها انتظر قدوم باخرة البريد المتوجهة الى بوشهر ، وزرت في اثناء انتظاري جزيرة هرمز .

تضم لنجة قلعة بها مدينة حجرية غير مسورة وتمتد بيوتها على جانبي الشاطىء وتتدلى من فوقها اشجار النخيل . اما المرفأ فمكشوف وهو وان كان مستورا من الناحية الشمالية الغربية الا ان الرسو فيه خطر خلال الفترة التي تهب فيها الرياح الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية ، وقد بنى حاجز يكفي للرسو على نطاق ضيق وتبعد لنجة ٢٥ ميلا عن باسيدو في الجهة الشمالية الغربية منها ، وهي المدينة الرئيسية في منطقة تقع ما بين البحر وبين الجبال الجرداء السامقة التي تتصل بمدينة لار ومن ثم تتصل بطريق شيراز وتتصل هذه المقاطعة بمشيخة موغو في الطرف الشمالي الغربي وتمتد صوب الجنوب الشرقي حتى تكاد تصل بندر مولوم والمقاطعة التي ضمها سلطان مسقط الى بندر عباس . وعلى بعد اربعة اميال تقريبا من لنجة توجد اطلال القلعة البرتغالية كونغ ولاتزال هناك اطلال بجانب الماء تدل على وجود مصنع ومتاريس مدفعية هلالية الشكل ، وهناك ايضا بقايا حاجز مائي ولعل فكرة الحاجز الموجود في لنجة قد اخذت عنه . اما منتجات المنطقة فهي التمر وشيء من القمح والشعير يكفي للاستهلاك المحلي . وشيخ لنجة عربي ويقال انه ينحدر من اسرة هاجرت الى الخليج حين كان العرب في اوج قوتهم في بغداد . وليست هناك جمارك تجبى عن الصادر والوارد الى لنجة ، ولعل ذلك ، مضافا اليه الموقع الجغرافي الذي حمى الميناء من التدخل الحكومي هو السبب في ازدهارها ويبلغ سكان المدينة الآن وما يجاورها من الضواحي بين ٨ آلاف الى ١٠ آلاف نسمة ، ويبدو ان معظمهم من الافريقيين . وتتألف الطبقة الموسرة من العرب ، وقد جاء اليها بعض الايرانيين من اعالي البلاد للعمل فيها او لنقل البضائع الى الداخل ، وبها ما يقرب من عشرين هنديا يعملون كوكلاء لشركات في بومبى وكراتشي ويبدو من العبارة السابقة ومن حديثي

مع التجار انفسهم ان الاهمية التجارية القليلة لهذا المكان راجعة الى موقعه المناسب فهو محطة وكالة للبضائع القادمة من الهند والتي تسوق على طول الساحل العربي للخليج وفي الاراضي الايرانية المجاورة للنجة وفي نواحي لار . وتنزل البضائع من السفن ، وتباع فورا اذا كانت الاسعار مجزية وتنقل الى الداخل على مسئولية مشتريها . ويعتبر تجار لنجة الطريق المارة بمضارب اليانت طريقا غير امينة لا تسمح لهم بالمتاجرة مع الداخل . ولو لم تكن هناك ظروف طارئة لما استطاعت لنجة ان تنافس في تجارتها مع الداخل بندر عباس وبوشهر بالرغم من موقعها الجغرافي ورداءة مرفأها ، وتشير احصائياتها الى ان معظم تجارتها مع الموانيء العربية ، يتم شحنها في مراكب صغيرة تبعا للطلب والفرصة . وتدفع الموانيء العربية مقابل هذه البضائع اللآلىء وبعض الاسماك المقددة . وفي لنجة ثمانية قوارب او عشرين تشتغل في الغوص على اللؤلؤ وهناك ما يقرب من ١٥٠ مركبا من مختلف الاحجام يمتلكها أهل لجنة ، وبالرغم من ان بناء المراكب حسن ورخيص في الساحل الغربي للهند ، الا ان بنائي لنجة يفضلون استيراد الاخشاب من الهند ويبنون مراكبهم (وهي احد الانشاءات الرئيسية) على شواطئهم .

وعبرت من باسيدو الى جزيرة قشم لأزور كهوف الملح وينابيع النفط . وبعد ان تترك الطريق تلك الاكمة الصخرية التي بنيت فوقها باسيدور تهبط عدة اقدام في سهل تتناثر فيه اشجار النخيل وتمر باطلال قلعة برتغالية قديمة قائمة على صخرة منفردة وتشرف على مضايق كلارنس . وتصل بعد ان تسير سبعة أميال الى قرية الجورة ثم تدور بين تلال منخفضة مسافة خمسة أميال في سهل الكونة التي تبعد ميلا أو ميلين عن الشاطيء الجنوبي . وعندما تخلف الكونة وراءك تسير صوب المشرق في واد متجها نحو سلسلة من التلال الحمراء الداكنة ـ وهذه تكون سلسلة الملح . والتكوين العام لهذه الجزيرة ، كتكوين المنطقة الممتدة منها وساحل مكران الى كراتشي ، يتألف من رمال صخرية متراكمة ومن الحصى فوق طبقة من الطين الخزفي الجيري * وتختفي هذه الطبقة فجأة وتظهر طبقة الملح على الشاطيء ، ويبدو انها تمتد الى داخل الجزيرة ، وتسير محاذية للشاطيء مسافة خمسة كيلومترات وعلى بعد بضع مئات من الخطوات منه ، ثم تتجه فجأة الى

الارض الداخليــة . ومـظهــر هــذه السلسلة العام هو الحمرة القانيــة ، وتتناثر فيها احجار الاردواز . والتلال شديدة الانحدار ويتراوح علو قمتها ما بين ٣٠٠ و٦٠٠ قـدم . ويبدو ان السلسلة كلها ملحية وتذكرني بهضبة الملح القريبة من نيسابور الواقعة على الطريق الذي يصـل ما بـين طهـران ومشهـد وكـانت المجمــوعتـان من الكهوف الملحية اللتين زرتهما تقعان على طرفي السلسلة المقابلين للبحـر . وكان الكهف القريب من كونه صغيرا نسبيا ، ويبدو انه لم يستغل ولكن احد الكهـوف الواقعـة في الطرف الاخــر كبـير ، فهو يشكـل قـوسـا يتـراوح ارتفاعه بــين ٢٠٠ و٣٠٠ قدم وطوله يساوي ارتفاعه ، اما امتداده العرضي فيتراوح بين ٦٠ و٧٠ قدما وسقف الكهف مخــطط تخــطيــطا جميــلا كالرخام ، بينما تتدلى منه قطع بلورية كثيـرة ممتدة عـلى شكل حبـل لونها ابيض كالثلج .

وهناك كهف اخر اصغر من الكهف السابق ويقع على مقربة منه ، وهذا هو الكهف المستغـل بصـورة رئيسيــة . ويبعـد ميلا عن الشـاطىء ـ وهنـاك طريق حسن تسلكه الجمال والحمير في الوصول اليه وتكوم قطع الحجـارة الملحية التي تقطع من داخل الكهف عند مدخله ، وتنقلها الحمير والجمال الى الشاطىء حيث توضــع في قوارب محلية صغيرة وتنقل الى مسقط ، ثم تصـدر اخيرا الى كلكتـا والشـاطىء الافريقي الشرقي . امـا مدة العمـل فيقال انها تستمر ما يقرب من خمسة اشهر ، وتبدأ في اوائـل الربيع حيث يعمل بين ١٠٠ و١٥٠ عاملا يوميا . ويقال ان سبب توقف العمل في قطع حجارة الملح في بقية السنة ان القوارب التي تنقل الملح لا تستطيع ان ترسو عـلى الشـواطىء مـا لم يكن الطقس هـادئا ، وان كنت اعتقـد ان عامـل الطلب هــو الذي يتحكم في العمـل . ويدفع كل قارب يحمل ملحا قرانين اي ما يقرب من روبية عن كل طن لشيخ قشم ويـدفـع كـل صـاحب جمـل يستخدمه في نقل الملح ٥ قرانـات في السنة لنفس السلطة . ويقال (ويؤكد ذلك مظهر المكـان العام) ان العمـل محفوف بالمخاطر اذ كثيرا مـا تنهار صـخـور الملح مـن السـقـف ومـن الجوانب .

وقد قيل ان الكثيرين من العمال قد قتلوا من جراء ذلك ، وقد لاحظنا بين الركام الكثير صخـرة ملحية صـافية يبلغ سمكها ١٢ قدما وطول جوانبها ١٦ قـدما ، وقـد سقطت اخيـرا من وسط سقف الكهف .

ويبــدو انهم لا يستغلون الالواح الصافية التي مر ذكرها ، بالرغم من اننى رأيت بعض الاصناف منها مما يعتبر من أنقى الاملاح التي تستعمل على الموائد .

ولا يوجد أي ماء عذب بالقرب من هذه الكهوف ويشرب العمال من بئر مـالحة او من خـزانـين صنـاعيـين يجمعان ماء المطر ويبعدان ميلين عن الكهوف . وعندما اقمنا في هذا المكان كانت مياه الشرب تحضر لنا من آبار محفـورة بالقـرب من سلسلة كـونـة الملحية .

وعنـدما نتـرك السلسلة الملحيـة وراءنا ونتابع سيرنا على الشاطىء في الاتجاه الشرقي نجد ان تكوين التربة العام من حجارة رملية ويستأنف مرة اخـرى . وتسير الوديـان في مـوازاة السـاحل ، امـا الطبقـات التي عـلى جوانبها فترتفع ارتفـاعا يكـاد يكون عمـوديا ويتـراوح بـين ١٠٠ و٢٠٠ و٣٠٠ قدم وفوقها طبقات رقيقـة من الحصي والرمـل . ويبدو ان الجـزيرة كـانت مستويـة ، ولكن نـدرة المياه والتعرض الطويل للرياح وللطقس قد حفر في ارضها الوديان والاخاديـد ، ومظهر هذا الجانب من الجزيرة قاحل ومجـدب وهو بهـذا يشبه السـاحـل الايراني عامة .

واذا سرنا في احـد هذه الوديـان ستة أميال وقبل ان نصل قرية ساليك في الداخل بثلاثة اميال نجـد ينابيـع النفط وقد ملأت زجاجتين من سائـل الجدول ويبدو انه على درجة متوسطة من الاشتعال . وعلى كل حال فالينابيع قليلة ، واظن انها ذات اهمية تجارية قليلة .

وعنـدمـا رجعت الى بـاسيـدو ، وركبت قاربا ومررت بمضايق كلارنس حيث سـرت في قناة قشم الضيقـة . ويصبـح عرض المضيق بعـد بضعة اميال مئة يـاردة أو أكثر ثم يتعـرج مسـافة ٢١ ميـلا تقريبـا بين جـزر منخفضـة وشطآن يغـطيها البـابول وتوجد نبتـة المنجروف تحت سـطح مائه . ويـظهر شق الى اليمـين فجأة ويؤدي الى قرية لوفت الصغيرة . وتقع هذه القرية على طرف الشـاطىء عند انحـدار كبير ، وهنـاك عنـد الطرف الاخير من القرية قلعة مربعة يقوم في كل زاوية من زواياها برج دائري به اماكن للمدافـع . ويبدو ان السكـان الحاليين للمدينة في جهل مطبق من امر تـاريخ هـذه التحصينـات ، ويحمـل تـركيبها وبنـاؤها عـلى القول بـأنها اوروبية .

وقـد أقطع سلطان مسقـط قريـة لوفت كما اقطع بقية جزيرة قشم لاحد

الشيوخ مقابل ١٥٠٠ روبية يدفعها له سنويا . وقد يبلغ عدد سكان لوفت ٤٠٠ او ٥٠٠ نسمة ، ويبدو انهم يعتمدون اعتمادا كليا على تجارة الاخشاب ، تلك الاخشاب التي يجمعونها من الجزر المجاورة ويصدرونها من جديد الى كافة ارجاء الخليج ، هذه الارجاء التي تعتمد في محروقاتها من الخشب على شطآن مضايق كلارنس .

يؤخذ ماء الشرب من خزانات معقودة تتجمع فيها مياه الامطار ، كما هي الحال في باسيدو . وجميع هذه الخزانات التي على الشاطىء قد بنيت على طراز واحد ، فهي اما مستطيلة او مستديرة وقد حفرت في الارض عند نهاية المنحدرات وهناك في قلعة لوفت عدة آبار حفرت في الاراضي الرملية الحجرية ، ويستقى منها الماء عندما ينضب ماء الخزانات .

وبعد ان تركت لوفت قطعت المضايق متوجها الى خومير لازور مناجم الكبريت ، تلك المناجم التي حفرت في تل يبعد عن تلك المدينة فرسخا الى الداخل والعمل يجري في اعالي الوجه المقابل للبحر من التل ، ويسير في داخل الطبقات مكونا معارض مختلفة . وتكون المواد الخام عندما تستخرج مؤلفة من قطع صغيرة مكومة في اكوام مخروطية وتحرق هذه القطع ويسيل الكبريت الى اسفل الكومة حيث يتجمد تاركا اكواما من الفضلات الجيرية او الجبسية . وقد منح سلطان مسقط امتياز استخراج الكبريت لاحد الشيوخ مقابل ٤١٠٠ قران . ويقدم الشيخ ٢٤٠٠ قران كهدايا للسلطان الايرانية .. اما الكمية المستخرجة فتتراوح بين ٦٠ الفا و٩٠ الف كيس وزن الكيس ٩ ارطال . ويقال ان الكبريت من نوع ممتاز ، يباع عندما ينقل الى الشاطىء ، فكل ١٠٠٠ كيس من ذوات التسعة الارطال تباع بروبيتين . وقد حدثني الشيخ انه يؤجر استخراج الكبريت في عدة اقسام، وان ربحه يبلغ قرانا واحدا في كل كيس من اكياس دلهي الذي يبلغ وزنه ٢٨ رطلا . وجومير عبارة عن قرية وقلعة ، مشابهة في حجمها للوفت - وفي الحقيقة انه يمكن ان نصف جميع القرى الموجودة على طول الشاطىءانها مجموعة من الصناديق الحجرية المستطيلة والمنخفضة التي تحيط بقلعة قد تهدمت ، وحولها اكواخ مؤقتة مبنية من سعف النخيل . وقد رست على الشاطىء قوارب مختلفة الاحجام . وهناك على

هذا الشاطىء ، كما على جميع شطآن المضايق مجموعة من الاوتاد المثبتة في نقطة منخفضة من الماء وهي تتألف من سعف النخل ، وقد شدت الى بعضها البعض شدا محكما .

ويتألف طعام السكان من السمك والتمر وخبز الشعير . والسمك الشائع هنا هو نوع كبير الحجم من السمك البوري ، ويصاد سمك موسى وان كان غير مرغوب فيه كثيرا .

ويزداد عرض المضايق بعد خومير حتى يبلغ ٤ أميال . وتتجمع على الشاطىء الفارسي تركيبات ملحية يظهر انها استمرار لتلك التركيبات الموجودة في جزيرة قشم ـ وهي فوق خط الماء مباشرة وترتفع ٦٠٠ قدم تقريبا ، ثم تتجه الى الشرق وتسير مع خط المضايق مسافة ٦ او ٧ اميال مكونة سلسلة من الروابي يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠ و٢٠٠ قدم .

وعبرت المضايق ووصلت الى جزيرة هرمز وزرت اطلال المرابع البرتغالية القديمة . ولاتزال القلعة ذات البناء القوى قائمة ولكنها تحتاج لترميم وعليها بضعة مدافع خربة تحمل تاريخ اوائل القرن الثامن عشر . ويحيط البحر بالقلعة من ثلاثة جوانب . اما الجانب الرابع الذي يقابل البر فقد احيط بخندق ملىء بالماء وقد حفر في اضيق مكان بنيت فيه القلعة . ويبدو ان الطريق المائي الشرقي من القلعة كان في عهد البرتغاليين يكفي لأن تمر به قوارب ذات حمولة حسنة وترسو عند الميناء مباشرة قد تهدم هذا الممر الآن *

ويكون الطرف الثاني من الخندق ذروة المدينة التي تمتد على شكل مثلث غير منتظم حتى تصل الى سلسلة من الهضاب تكون قاعدة المثلث وحاجزا طبيعيا . وارتفاع المثلث العمودي الممتد من خندق القلعة الى هذه الهضاب يبلغ ميلا ونصف الميل ، بينما يوجد هناك برجان كل منهما يقع على طرف قاعدة المثلث عند الشاطىء مباشرة ، وهما يحددان المدينة والمسافة بينهما تبلغ ميلين ، ولايزال البرج الغربي يحمل اسم ارجازي ، أما الشرقي فأسمه مشحاتة . ونجد بعد الاخير ضواحي تتجه صوب الجنوب الشرقي وتمتد موازية للشاطىء وتتصل برصيف يبعد ثلاثة اميال او اربعة . ويقال ان هذا الرصيف وهذه الضاحية واسمها طرومبق ـ لايزالان موجودين ولم يكن عندي متسع من الوقت لزيارتهما .

ومن المستحيل ان نعرف ماذا كان عليه اتساع مدينة هرمز في الزمن السالف . وتؤكد الاخبار المتواترة انها

كانت تشمل المجال الذي سبق تحديده ، ولكنني استطيع ان اقول ان الايرانيين كانوا يقطنون في الاصل في الاماكن التي لازالت تحمل الاسماء القديمة السابقة ، وعندما جاء العرب بعدهم اطلقوا اسم بندر على طرومبق ، ثم جاء البرتغاليون ففضلوا المكان الذي لاتزال قلعتهم قائمة فوقه ، لأن المكان يعطيها حماية طبيعية ، وهو اقرب مكان للمرفأ القديم على البر ، وهي بالقرب من بندر عباس الحالية ** وثالثا انها تهيىء اقرب مكان لرسو المراكب الكبيرة وهي على كل حال تشكل ملجأ على جانبي القلعة .

وهناك الى الجهة المقابلة من قلعة هرمز مباشرة في البر ، وعلى بعد اربعة أميال تقريبا الى الشرق من بندر عباس الحالية ، توجد آثار تدل على وجود جون قديم وصغير وقد امتلأ هذا الجون بالطين ، ولاتزال بعض آثار البناء ماثلة فيه للعيان . ويقال ان البضائع التي كانت تنقل من هرمز القديمة واليها كانت تنقل من هذا المكان . وهناك آثارتدل على وجود خلجان اخرى صغيرة على طول الشاطىء وبصفة خاصة الجون الذي يقع الى القرب من بندر عباس ، وقد امتلأ بالطين منذ عهد ليس بالبعيد .

ولعل وجود هذا الجون هو الذي تسبب في وجود بندر عباس في هذا المكان ولو لم يكن الامر كذلك فمن الواضح ان وجود بندر عباس الى الغرب عدة اميال وراء صرور افضل من وجودها في هذا المكان اذ ان هناك قطعة من الارض وجزيرة قشم سيحميانها كثيرا من الرياح السائدة .

ويجب ان نقبل ما وصلنا من وصف الكتاب القدامى لعظمة هرمز بتحفظ فلقد كانت في سالف الزمن مدينة تجارية عظيمة ومن الطراز الاول ، اما الآن فليست سوى مدينة شرقية عادية. وليست هناك أي آثار تدل على الضخامة او على القوة . واهم البنايات الباقية هي خزانات الماء المعقودة .

ولقد كانت هذه الخزانات بطبيعة الحال كثيرة وذات اهمية كبيرة ، في بلد مأهول بالسكان ويعتمد اهله على مياه الامطار،وان عبارة جوستاموند * ـ وهي ان الماء كان يطاف به في الشوارع محمولا على الجمال ليشتريه المسافرون ـ لا تدل على ان المدينة كانت تتمتع بترف اضافي وان ما يعتبر شيئا مباحا للجميع في بقاع العالم الاخرى اذ هو ضروري للحياة ، كانت له قيمة شرائية في هذه الجزيرة

القاحلة . وانه ليصعب على ان اصدق ما يقال من ان الطرق العامة التي كانت تطؤها الجمال كان مفروشة بالسجاد وبالكتان ، فمثل تلك الترتيبات لا توافق عادات تلك الحيوانات ابدا . ولعل من الاصح ان يقال ان حوانيت هرمز القديمة كانت ، كغيرها من المدن الشرقية تظللها قطع من الخيام والسجاد لتصريف الاعمال .

وهناك رواية محلية تزعم ان جزيرة هرمز كانت تابعة للمدينة الفارسية القديمة ميناو ، الواقعة في الداخل على ضفاف نهر عذب الى الشرق من هرمز مباشرة ولاتزال ميناو تحمل اسمها القديم ، وهو مأخوذ من كلمتى (من) ومعناها ارض و(آوب) ومعناها ماء . والحقيقة هي كما قالها لي احد تجار مدينة بندر عباس حين ، حدثني قائلا ان الناس يستقرون لاول وهلة فوق الارض الخصبة وعلى جنبات الماء العذب ، وحيثما وجدت هذين العنصرين الاساسيين بجوار اطلال عليك ان تتأكد من اسبقيتها في التاريخ .

أما الطابع العام لجزيرة هرمز فيشبه الى حد بعيد التكوين الملحي والكبريتي في المنطقة المجاورة لخومير والتي مر وصفها .

وتركت هرمز وابحرت متوجها نحو بندر عباس التي تبعد عن هرمز ١٢ ميلا في الاتجاه الشمالي الغربي . وهي مدينة مسورة يتراوح عدد سكانها بين ٨٠٠٠ و٩٠٠٠ نسمة ولها ضواح تمتد على شاطىء البحر وتحدها سلسلة من الجبال السامقة والجرداء على ما يبدو وعلى بعد ١٥ ميلا من بندر عباس ، الا ان الشقوق الموجودة في وسط هذه السلسلة تنبت برتقالا ممتازا ** ويقال انها مملوءة بالاشجار . وهناك قبور كبيرة مبنية على طراز فخم وهي الى الشرق من المدينة الحاضرة ، وقد اصبحت هذه القبور اطلالا .

وتوجد في الجهة الغربية اطلال تدل على وجود مدينة سامقة واسعة ، ويوجد بين هذه الاطلال انقاض مصنع انجليزي ، ويبدو ان هذا المصنع قد هدم لكيلا يستعمله اي عدو كنقطة ارتكاز في هجومه . وهناك موقع ممتاز ومستور للمرفأ على بعد اربعة اميال صوب الغرب عند مدخل مضايق كلارنس ، ولعله كان مكان بندر صغير . اما بندر عباس الحالية فهي خالية من أي رصيف او تحسين صناعي وعمق المياه عندها قامتان او ثلاث وعلى مسافة ميلين ، ولذا فان على المراكب ان تلجأ الى جزيرتي قشم

وهرمز عندما تهب الرياح الجنوبية او الجنوبية الشرقية التي كثيرا ما تهب والتي تحـول الشاطىء الى شـاطىء تحت رحمة الريح والامواج العاتية .

هوامــش

* انني اتكلم عن الطابع العام للمنطقة ، ويظهر جزء كبير منه في صخرة قمة مونورا بالقرب من كرانشي

* وجدت خلجانا كثيرة على طول شاطىء بندر عباس مطمورة ، اما في الشمال فالامر على العكس من ذلك اذ نجد في شبه جزيرة بوشهر وعلى الساحل العربي ايضا اثارا تدل على ان البحر يجوف الأرض باستمرار ونجد بالقرب من قلعة ريشهر في ذلك الجزء العاري من التربة والموجود على امتداد صخور الشاطىء قطعا خزفية تمتد منطقة وجودها الى مسافة كبيرة ، كما انها توجد على عمق ٥ ، ٦ ، ٧ اقدام ولاتزال هناك بعض الكهوف التي توجد بها فجوات رملية موجودة فوق الصخور وترفع مياه البحر الى مستوى عال

* * انها تبعد ٤ أميال الى الشرق من بندر عباس .

* انظر مقتطفات من جوستاموند ورالف فيلش ص ٣٠ من (مختارات الحكومة) عدد ٢٤ لسنة ١٩٥٦

** يقال ان احسن انواع البرتقال الموجودة في زنجبار تستورد من سلسلة الجبال هذه

1958 comments p. 246 in Bibby 1958.
Woolley, C.L. and T.E. Lawrence
1914-15 The Wilderness of Zin. London: Annual of the Palestine Exploration Fund.
Wright, H.T.
1981 "Appendix. The Southern Margins of Sumer — Archaeological Survey of the Area of Eridu and Ur." in: Heartland of Cities, R. Mc. Adams. Chicago: The University of Chicago Press. pp. 295-345.
Zarins, J.
1976 The Domestication of Equidae in Third Millennium B.C. Mesopotamia. Ph. D. University of Chicago.
1978 "The Camel in Ancient Arabia: A Further Note." Antiquity 52: 44-46.
Zarins, J.
1978 "The Domesticated Equidae of Third Millennium B.C. Mesopotamia." JCS 30: 3-17.
1979 "Rajajil: A Unique Arabian Site from the Fourth Millennium B.C." Atlal 3: 73-78.
1982 "Early Rock Art of Saudi Arabia." Archaeology 35: 20-27.
1982 Review of J. Clutton-Brock, Domesticated Animals from Early Times. in: Biblical Archeologist 45/4: 251-253.
Zarins, J., M. Ibrahim, D. Potts, and C. Edens
1979 "Saudi Arabia Archaeological Reconnaissance 1978: The Preliminary Report on the Third Phase of the Comprehensive Archaeological Survey Program — the Central Province." Atlal 3: 9-38.
Zarins, J., N. Whalen, M. Ibrahim, A. Morad, and M. Khan
1980 "Comprehensive Archaeological Survey Program — Preliminary Report on the Central and Southwestern Provinces Survey." Atlal 4: 9-36.
Zarins, J., A. Murad and K. al-Yish
1981 "Comprehensive Archaeological Survey Program — a. The Second Preliminary Report on the Southwestern Province." Atlal 5: 9-42.
Zarins, J., A. Rihbini, and M. Kamal
1982 "Comprehensive Survey of the Central Nejd — The Riyadh Environs." Atlal 6: in press.
Zohary, M.
1952 "Ecological Studies in the Vegetation of the Near Eastern Deserts." IEJ 2: 201-215.

ADDENDUM:

Leemans, W.F.
1960 Foreign Trade in the Old Babylonian Period. Leiden: E.J. Brill.

Possehl, G.L.
1977 "Pastoral Nomadism in the Indus Civlization: A Hypothesis." in: South Asian Archaeology, 1977. pp. 537-551.
Potts, D.
n.d. The Chronology of the Archaeological Assemblages from the Head of the Arabian Gulf to the Arabian Sea (8000-1750 B.C.). to appear in: Chronologies in Old World Archaeology. R.W. Ehrich ed. Chicago: The University of Chicago Press.

Rees, V.C.
1929 "The Transjordan Desert." Antiquity 3: 389-407.
Rhotert, H.
1938 Transjordanien, Vorgeschichtliche Forschungen. Stuttgart: Verlag Strecher and Schroder.
Ripinsky, M.
1975 "The Camel in Ancient Arabia." Antiquity 49: 295-298.
Ronen, A.
1970 "Flint Implements From South Sinai — Preliminary Report." PEQ 102: 32-41.
Rowton, M.
1974 "Enclosed Nomadism." JESHO 17: 1-29.
Sahlins, M.D.
1968 Tribesmen. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall Publishing Co.
Schyfsma, E.
1978 "1.3 Climate" in: Quaternary Period in Saudi Arabia, pp. 31-44.
Stol, M.
1976 Studies in Old Babylonian History. Leiden: Nederlands Instituut voor her Nabije Oosten.
Thompson, T.L.
1974 The Historicity of the Patriarchal Narratives. Berlin: Walter de Gruyter.
1975 The Settlement of the Sinai and the Negev in the Bronze Age. Wiesbaden: Ludwig Reichert Verlag.
Trumbull, H.C.
1883 Kadesh Barnea. New York: C. Scribner's sons.
Tyráček, J. and R.M. Amin
1981 "Rock Pictures (Petroglyphs) Near Qasr Muhaiwair Iraqi Western Desert." Sumer 37: 145-148.
Wapnish, P. and B. Hesse
1982 "In the Footsteps of Dumuzi: Pastoralism in Greater Mesopotamia." in: The City in the Ancient World. R. Marchese ed. in press.
Wendorf, F. and R. Schild
1980 The Prehistory of the Eastern Sahara. New York: Academic Press.
Wheeler, M.

Arabian Desert." Nature 263: 755-756.
1978 "2.6 Ar Rub 'Al Khali'." in: Quaternary Period in Saudi Arabia. S. al Sayari and J Zötl eds. Vienna: Springer Verlag, pp. 252-263.
Mellaart, J.
1975 The Neolithic of the Near East. London: Thames and Hudson.
Mikesell, M.
1955 "Notes on the Dispersal of the Dromedary." Southwestern Journal of Anthropology 11: 231-245.
Moore, A.M.T.
1979 "*A Pre-Neolithic Farmer's village on the Euphrates.*" Scientific American, pp 62-70.
Neev, D. and H.C. Emery
1967 "The Dead Sea". Bulletin of the Geologic Survey of Israel., Vol 41.
Nützel, W.
1976 "The Climate Changes of Mesopotamia and Bordering Areas, 14,000 to 2000 B.C." Sumer 32: 11-24.
Oates, J., T.E. Davidson, D. Kamilli, and H. McKerrel
1977 "Seafaring merchants of Ur?" Antiquity 51: 221-234.
Oppenheim, A.L
1954 "The Seafaring Merchants of Ur*" JOAS 74: 6-17.
Palmer, E.H.
1871 The Desert of the Exodus. Cambridge: Deighton, Bell and Co. Parr, P.J., J. Zarins, M. Ibrahim, J. Waechter, A. Garrard, C. Clarke, M. Bidmeade and H. Badr
1978 "Preliminary Report on the Second Phase of the Northern Province Survey 1397/1977." Atlal 2: 29-51.

Perkins, D.
1969 "Fauna of Chatal Hüyük — Evidence for Early Cattle Domestication in Anatolia." Science 164: 177-179.
Pettinato, G.
1980 Materiali Epigrafici di Ebla, Vol. 2. Naples: Instituto Universitario Orientale.
1981 The Archives of Ebla. *Garden City: Doubleday and Co.*
Piesinger, C.M.
1983 "The Third Millennium B.C. *Settlement Patterns of Eastern* Arabia." Ph.D. University of Wisconsin.
Poidebard, A.
1934 La Trace de Rome dans le Désert de Syrie. Paris: Paul Geuthner.
Posener, G.
1940 Princes et Pays d'Asie et de Nubie. Brussels: Foundations Égyptologique Reine Elisabeth.
1971 "Chapter XXI — Syria and Palestine c. 2160-1780 B.C. Relations with Egypt." CAH 1/2. Cambridge: The Cambridge University Press, pp. 532-558.

Kramer, S.N.
1944 Sumerian Mythology. New York: Harper Torchbooks.
1963 The Sumerians. Chicago: The University of Chicago Press.
Kupper, J.R.
1957 Les nomades en Mésopotamie au Temps des Rois de Mari. Paris: Les Belles Lettres de Université de Liege.
Lambert, M.
1976 "Tablette de Suse avec cachet du Golfe." RA 70: 71-72.
Landsberger, B.
1954 "Assyrische Königsliste und 'Dunkles Zeitalter' continued." JCS 8: 47-73.
Larsen, C.
1980 "Holocene Land Use Variations on the Bahrain Islands." Ph.D. dissertation, University of Chicago.
Lees, S. and D.G. Bates
1974 "The Origins of Specialized Nomadic Pastoralism: A Systematic Model." American Antiquity 39: 187-193.
Lernau, H.
1978 "Faunal Remains, Strata III-I." in: R Amiran, Early Arad: The Chalcolithic and Early Bronze Age City, Vol. I. Jerusalem: The Israel Exploration Society.
Lieberman, S.J.
1969 "An Ur III Text from Drehem Recording 'Booty from the Land of Mardu'". JCS 22: 53-62.
Littauer, M.A. and J.A. Crouwel
1979 Wheeled Vehicles and Ridden Animals in the Ancient Near East. Leiden: E.J. Brill.
Liverani, M.
1973 "The Amorites" in: Peoples of Old Testament Times. D.J. Wiseman ed. Oxford: The Clarendon Press. pp 100-133.
Lloyd, J.W.
1980 "Aspects of Environmental Isotope Chemistry in Groundwaters in Eastern Jordan." in: Arid-Zone Hydrology: Investigations with Isotope Techniques. Vienna: International Atomic Energy Agency, pp 193-204.
Maitland, R.A.
1927 "The 'Works of the Old Men' in Arabia." Antiquity 1: 197-203.
Marks, A.E. and T.R. Scott
1976 "Abu Salem: Type Site of the Harifian Industry of the Southern Levant." Journal of Field Archaeology 3: 43-60.
Marsy, A.H.
1974 Prehistory in Northeastern Arabia: The Problem of Inter-regional Interaction. Coconut Grove, Florida: Field Research Publications.
McClure, H.A.
1976 "Radiocarbon Chronology of Late Quaternary Lakes in the

Southern Jordan (1979 Field Season)." ADAJ 25: 113-146.
1983 "An Investigation of the Prehistory of Southern Jordan." PEQ 115: 1-24.
Hoch. E.
1979 "Reflections on Prehistoric Life at Umm an-Nar (Trucial Oman) Based on Faunal Remains from the Third Millennium B.C." in: South Asian Archaeology, 1977. Naples: Instituto Universitario Orientale, Series Minor VI. pp. 589-635.
Hojlund, F.
1981 "Preliminary Remarks on the Dating of the Palace at Sa'd wa-Sa'id on Failaka (Kuwait." PSAS 11: 37-42.
Hötzl, H. and J.G. Zötl
1978 "3.2 Climatic Changes during the Quaternary Period." in: Quaternary Period in Saudi Arabia. Vienna: Springer Verlag, PP. 301-306
Holland, F.W.
1870 Sinai and Jerusalem: Scenes from Bible Lands. London: Society for Promoting Christian Knowledge.
Horowitz, A.
1980 The Quaternary of Israel. New York: The Academic Press.
Huffmon, H.B.
1965 Amorite Personal Names in the Mari Texts: A Structural and Lexical Study. Baltimore: The Johns Hopkins Press.
Huckreide, R. and G. Wiesemann
1968 "Der Jungpleistozäne Pluvial-See von El Jafr und Weitere Daten zum Quartär Jordaniens." Geologica Palaeontologica 2: 73-95.
Hunt, L.A.
1976 "Rock Carvings." in. S.W. Helms 1976: 24-29.
Ingraham, M., T. Johnson, B. Rihani, and I. Shatla
1981 "Preliminary Report on a Reconnaissance Survey of the Northwestern Province (with a note on a brief survey of the Northern Province.)". Atlal 5:59-84.

Jacobsen, T.
1953 "The Reign of Ibbi-Suen." JCS 7: 36-47.
Kinsman, D.J.
1968 "AAPG Sponsored Research Project: Early Diagenesis of Carbonate Sediments in a Supratidal Evaporite Setting." American Petrological Institute, Research Project No. 99.
Kjoerum, P.
1980 "Seals of Dilmun-type from Failakah, Kuwait." PSAS 10: 45-53.
Krader, L.
1981 "The Ecology of Nomadic Pastoralism." in: Change and Development in Nomadic and Pastoral Society. J.G. Galaty and P. Salzman eds. Leiden: E.J. Brill, PP. 499-510.

1932 "Seals of Ancient Indian Style found at Ur." Proceedings of the British Academy 18:
Garrard, A.N. C.P.D. Harvey, and V.R. Switsur
1981 "Environment and Settlement during the Upper Pleistocene and Holocene at Jubba in the Great Nefud, Northern Arabia." Atlal 5: 137-148.
Garrod, D.
1960 "The Flint Implements, Chapter VIII." in: H. Field, 1960: 111-123.
Gelb, I.J.
1961 "The Early History of the West Semitic Peoples." JCS 15:27-47.
1968 "An Old Babylonian List of Amorites." JAOS 88: 39-46.
1973 "Prisoners of War in Early Mesopotamia." JNES 32: 70-96.
1980 Computer-Aided Analysis of Amorite. AS 21. Chicago: The University of Chicago Press.
Giveon. R.
1971 Les Bedouins Shosu des Documents Égyptiens . Leiden: E.J. Brill.
Glueck, N.
1955 Rivers in the Desert: A History of the Negev. London: Farrar-Strauss. Government of Kuwait.
n.d. Archaeological Investigations in the Island of Failaka 1958-1964. Kuwait: Kuwait Government Press, Ministry of Guidance and Information.
Greenberg. M.
1955 The Hab/piru. New Haven: The American Oriental Society.
Hallo, W.W.
1965 "A Mercantile Agreement from the Reign of Gungunum of Larsa." Studies in Honour of Benno Landsberger ... pp. 199-203.
Hanihara, K and Y. Sakaguchi
1978 Paleolithic Site of the Doura Cave and Paleogeography of Palmyra Basin in Syria. Part I. Tokyo: University of Tokyo Press.
Haynes, C.V.
1980 "Geochronology of Wadi Tushka: Lost Tributary of the Nile." Science 210: 68-71.
Helms, S.W.
1975 "Jawa Excavations 1973: A Preliminary Report." Levant 7:20-38.
1976 "Jawa Excavations 1974: A Preliminary Report." Levant 8: 1-35.
1981 Jawa: Lost City of the Black Desert. Ithaca, New York: Cornell University Press.
1982 "Paleo-Beduin and Transmigrant Urbanism." in: Studies in the History and Archaeology of Jordan I. ed. A. Hadidi. Amman: Department of Antiquities. pp. 97-113.
Henry D.O., F.A. Hassan, M. Jones, and K. Cooper Henry
1981 "An Investigation of the Prehistory and Paleoenvironments of

Clutton-Brock, J.
1978 "Early Domestication and the Ungulate Fauna of the Levant during the Prepottery Neolithic Period." in: The Environmental History of the Near and Middle East Since the Last Ice Age. W.C. Brice ed. New York: Academic Press. pp. 29-40.
Cohen, R. and W.G. Dever.
1978 "Preliminary Report on the Pilot Season of the 'Central Negev Highlands Project'" BASOR 232: 29-45.
1979 "Preliminary Report of the Second Season of the 'Central Negev Highlands Project'" BASOR 236: 41-60.
1980 "Be'er Resisim, 1980." IEJ 30: 228-231.
1981 "Preliminary Report of the Third and Final Season of the 'Central Negev Highlands Project'" BASOR 243: 57-77.
Cornwall, P.B.
1952 "Two Letters from Dilmun." JCS 6: 137-145.
Courtney-Thompson, F.C.W.
1975 "Rock Engravings near Madinah, Saudi Arabia." PSAS 5: 22-32.
Currelly, C.T.
1906 "Gebel Musa and the Nawamis." in: Researches in Sinai. H.F. Petrie. New York: Dutton. Chapters 15-18.
Dever, W.G.
1971 "The Peoples of Palestine in the Middle Bronze I Period." Harvard Theological Review 64:197-226.
Diester-Haas, L.
1973 "Holocene Climate in the Persian Gulf as Deduced from Grain Size and Pteropod Distribution." Marine Geology 14: 207-233.
Dostal, W.
1959 "The Evolution of Beduin Life." in: L'Antica Societa Beduina. Rome: Studi Semitici. pp 1-34.
Dubertret, L. and M. Dunand.
1954-5 "Les gisements ossiferes de Khirbet El-Umbachi et de Hebariye (Safa)." AAAS 4-5: 59-76.
Edmunds, W.M. and N.R.G. Walton
1980 "A Geochemical and Isotopic Approach to Recharge Evaluation in Semi-arid Zones, Past and Present." in Arid-Zone Hydrology, Investigations with Isotope Techniques. Vienna: International Atomic Energy Agency, pp. 47-68.
Field, H.
1960 North Arabian Desert Archaeological Survey, 1925-50. Cambridge: The Peabody Museum. Vol. 45.
Gabriel, B.
1978 "Klima-und Landschaftswandel der Sahara." in: Sahara 10.000 Jahre zwischen Weide und Wüste. Koln: Greven and Bechtold. pp 22-34.
Gadd, C.J.

Betts, A.
1982 "Prehistoric Sites at Qa'a Mejalla, Eastern Jordan." Levant 14: 1-34.
1983 "Black Desert Survey, Jordan: First Preliminary Report," Levant 15: 1-10.
Bibby, G.
1958 "The 'Ancient Indian Style' Seals from Bahrain." Antiquity 32: 243-244.
Bibby, G.
1969 Looking For Dilmun. New York: Knopf.
Brinkman, J.A.
1968 A Political History of Post-Kassite Babylonia 1158-722 B.C. Rome: Pontificum Institutum Biblicum.
Brunswig, R.H. Jr. and Parpola, A.
n.d. "New Indus Type and Related Seals from The Near East." unpublished ms.
Buccellati, G.
1966 The Amorites of the Ur III Period. Naples: Studi Semitici.
Buchanan, B.
1965 "A Dated 'Persian Gulf' Seal and its Implications." Studies in Honor of Benno Landsberger on his Seventy-Fifth Birthday April 21, 1965. AS 16. Chicago: The University of Chicago Press. pp. 204-209.
1967 "A Dated Seal Impression Connecting Babylonia and Ancient India." Archaeology 20: 104-107.
Bulliet, R.W.
1975 The Camel and the Wheel. Cambridge: Harvard University Press.
Burrows, E.
1928 Tilmun, Bahrain, Paradise. Rome: Sumptibus Pontificii Instituti Biblici.
Butzer, K.W.
1959 "Environment and Human Ecology in Egypt during Predynastic and Early Dynastic Times." Bulletin de la Société de Geographie d'Égypte 32: 43-87.
1971 Environment and Archaeology: An Ecological Approach to Prehistory. Chicago: Aldine Press.
1976 Early Hydraulic Civilization in Egypt: A Study in Cultural Ecology. Chicago: The University of Chicago Press.
Butzer, K.W., G.L. Isaac, J.L. Richardson, and C. Washbourn-Kamau
1972 "Radiocarbon Dating of East African Lake Levels." Science 175: 1069-1075.
Civil, M.
1961 "The Home of the Fish" Iraq 23: 154-175.
Clarke, D.L.
1968 Analytical Archaeology. London: Methuen and Co.

CITED REFERENCES

(NOTE: The abbreviations used here for textual and journal sources can be found in W. von Soden. Akkadisches Handwörterbuch. Wiesbaden: Harrassowitz, 1963-. (AHw). and Chicago Assyrian Dictionary. Gluckstadt: J.J. Augustin Co. 1956-. (CAD).

Adams, R. Mc.
1975 "The Mesopotamian Social Landscape: A View from the Frontier." in: C.B. Moore ed. Reconstructing Complex Societies. pp. 1-22. BASOR supplement No. 20.

Adams, R. Mc., P.J. Parr, M. Ibrahim, and A.S. al-Mughannum
1977 "The Comprehensive Archaeological Survey Program of Saudi Arabia." Atlal 1:21-41.
Alayne Street, F. and Grove, A.T.
1979 Global Maps of Lake Level Fluctuations since 30,000 yrs B.P." Quaternary Research 12: 83-118.
Amiran, R., Beit-Arieh, I., and Glass, J.
1973 "The Interrelationship between Arad and Sites in Southern Sinai in the Early Bronze Age II." IEJ 23: 193-197.
Anati, E.
1955 "Rock Engravings in the Central Negev." Archaeology 8: 31-42.
1962 Palestine Before the Hebrews. New York: Harper and Row.
1968 Rock Art in Central Arabia. 2 volumes. Louvain: Institut Orientaliste Universite de Louvain.
Beit-Arieh, I.
1974 "An Early Bronze Age II Site at Nabi Salah in Southern Sinai." Tel Aviv 1: 144-156.
1981 "A Pattern of settlement in Southern Sinai and Southern Canaan in the Third Millennium B.C." BASOR 243: 31-55.
1983 "Central-Southern Sinai in the Early Bronze Age II and its Relationship with Palestine." Levant 15: 39-48.

Oppenheim and the recent archaeology of the East Arabian littoral, Failaka, and Bahrain. Surely this trade was facilitated by the over-all control which the MAR-TU enjoyed both in an official capacity as rulers of southern Mesopotamia and as unofficial couriers of culture between the hamad region to the west and the cultural centers of Dilmun. This would, we suspect, account for the texts linking the MAR-TU and Dilmun in the cuneiform literature of the early second millennium B.C. Why this arrangement ended, not to be resumed until the very late second millennium B.C. is a matter for speculation and another study elsewhere.

The final piece of textual evidence is a small cuneiform tablet found at the base of city II in the qa'la excavations on Bahrain (Bibby 1969:350-356). We first saw the tablet in 1971 and subsequently Gelb provided a transliteration of the text which consists of three individual names and one patronymic. Based on the palaeography, Gelb considered the text to belong to the early I/L perio d (1980:2). The text also reproduced by Brunswig and Parpola (n.d., p. 10), has no obvious obverse and reverse and no indication as to use or purpose:

AYO 881	obv.?	$_m$I-zi-ta-am-bu
		dumu I-a-bi-na-im
	rev.?	$_m$I-a-bi-na-im
		$_m$DINGIR-mi-il-kum

ILI-milkum may be considered as related to the name Milki-il found on the Susa tablet quoted above the Milki-ilija in the Ur I/L text UET V 491. In any case, all of the names in this small text are clear MAR-TU names. Thus, we have come full circle from the MAR-TU mentioned in the Tell Asmar text who is a-ab-ba-ta, the MAR-TU mentioned in the I/L Ur texts, especially the 'Gulf' sealed texts, the Failaka MAR-TU name and finally MAR-TU names from Bahrain itself. These new texts clearly indicate then that the MAR-TU were associated with Dilmun something that Buccellati had hinted at in 1966.

We may finally note that precisely at the time the I/L period in Mesopotamia was being re-shaped by MAR-TU pastoralists, a re-surgence of trade took place with Dilmun as suggested by the cuneiform evidence reviewed by

MAR-TU occupation of the southern Mesopotamian plain and the intimate association of the MAR-TU with Dilmun during the I/L period. This viewpoint is also butressed by the on-going excavations of tumuli both on Bahrain and at Dhahran. In both cases, the Barbar II occupation of the tumuli seems the largest and most extensive. Similarly on Failaka, the archaeological evidence from seals and ceramics suggests for F. 3 and F. 6 a primary occupation during the I/L period (HØjlund 1981:37-38; Kjoerum 1980:45; Potts n.d.). The MAR-TU seepage theory is further buttressed by Buccellati's observation that the MAR-TU in the north soon became known as the Ahlamu (1966:243, and n. 44). Similarly in the south the Kassite letters of ca. 1370 B.C. speak of the Ahlamu and their impeding the normal operations of the Dilmun authorities (Cornwall 1952).

Finally, a number of textual sources from the Dilmun region confirm our thesis that the MAR-TU were intimately connected with the region. A number of inscribed objects have been found in the F. 3 and F. 6 settlements on Failaka (see Government of Kuwait n.d. pls. 46, 53, 64, 82). One steatite bowl fragment from F. 3 probable I/L date lists a number of names which are now fragmented. One complete name reads $_{m}$Ia-mi-ú. This name appears to be a MAR-TU name with such parallels as Ia-mu-ú-a and Ia-mi-i-la (Gelb 1980:603). Other inscriptional material must await publication. From Bahrain, we have the well-known Durand stone discovered in 1879. The attached cuneiform inscription readé-gal ri-mu-um ir $_{d}$In-za-ak lú a-ga-rum. The name Ri-mu-um may have MAR-TU parallels with examples such as Ri-ma-an, Ri-ma-nu-um, Ri-ma-tum and Ri-mu-$_{d}$IM (all RIWM names, Gelb 1980:633). A-ga-rum has fewer parallels, but possibly MAR-TU Ha-gu-ra, Ha-gi-rum (Ibid, p. 583; Huffmon 1965: 190 HGR). (Oppenheim feels the text may belong to a late OB or Kassite time period, and thus belong to the realm of the Ahlamu, 1954:16, n. 27; For a later vision on Hajar, see Yaqut in Burrows 1928:10).

sites and areas as Jabrin Oasis, Al Hasa oasis, Abqaiq, Dhahran, and Tarut Island (summarized by Potts n.d. and Piesinger 1983). The ceramics and other objects from this region during these periods reveal very close connections with Mesopotamia (e.g. in the use of bitumen for water-proofing). In contrast, as we indicated above our pastoral technocomplex also extended into central Saudi Arabia perhaps south of Buraydah/Anezah. It seems certain then that the eastern littoral of Arabia was not only a focus of attention from Mesopotamia but also by the early MAR-TU pastoralists of the hamad to the north and west. (Similarly, we have shown above that the Sinai pastoralists interacted both with the southern Negev urban areas and the Egyptian Delta). Without recounting the evidence here, we feel that Dilmun as an entity stretched from Failaka as far south as the U.A.E. and included both Bahrain and the East Arabian littoral (Fig. 2). This concept is echoed as late as the classical Arab period when historians such as Yaqut defined Bahrain as the continental eastern littoral of Arabia from Basra to Oman (Burrows 1928:3). One explanation then of the MAR-TU being in Dilmun would be that of infiltration as in the Mesopotamian example. The difference would be that this process in the case of Dilmun was largely a 'silent' one.

Once again, let us return to the ecological argument which we cited in the case of Mesopotamia. During the last 300-200 years of the third millennium B.C. progressive dessication was setting in the Arabian-Syrian hamad, a strong factor in accelerating the MAR-TU towards the well-watered alluvium. To the south, similarly, as progressive desiccation set in, accompanied by ecological and socio-political problems, the settled zone was forced to retreat to a few sites along the coast, and Dilmun became principally identified with the offshore occupation of Failaka and Bahrain. With the resurgence of occupation, principally during the I/L period, (labelled on Bahrain as City II or Barbar II), we see a coinciding of views:

have often been called Dilmun seals. A large number have also come from Bahrain (Bibby 1958) with a smaller number from Eastern Saudi Arabia, the U.A.E., Oman, and the Indus Valley. (An unpublished seal with very close parallels to the Failaka examples, was found in I/L context at Ischali in the Mesopotamian Diyala region (A. 17007 Chicago; Buchanan 1965:206, n. 14). The vast bulk of the Gulf seals are from the Ur III-I/L periods and seem to be localized in the Gulf region, prompting authorities to conclude that the seals represent the Dilmun type indeed. Thus, returning to YBC 5447, Buchanan suggests the Gulf seal on the tablet indicates an origin from Failaka and the adjoining mainland area (1965:208; 1967:107). A similar argument can be used in discussing the Susa tablet (Lambert 1976). (For the latest summary on the Gulf seals, see Potts n.d. p. 23). It seems clear in summary that the MAR-TU were linked to Dilmun in a political sense (rulers in southern Mesopotamian towns), commercial agents in Mesopotamia (alik Dilmun), and inhabitants of Dilmun itself (Susa Tablet, UET V 716).

A neglected part of the over-all pattern however involves the more recent archaeological developments in the Gulf and Saudi Arabia. Within the area of the northeastern portion of the Arabian peninsula itself, the same process of sedentarization and 'seepage' was occurring. The southern MAR-TU not only infiltrated southern Mesopotamia, but also the entity known as Dilmun. It would appear to be safe to say that Dilmun as a historical entity probably also goes back to at least our Phase A (ca. 6000 B.C.) with the onset of the southern Ubaid culture's involvement in the East Arabian littoral (Masry 1974; Oates et al 1977:228, 232). Again, the city and area of Ur are prominently mentioned. From this period onward, a sedentary presence was established along the East Arabian littoral which has never departed. This sedentary focus reached a peak during the ED Mesopotamian period as affirmed by the survey and excavation of such mainland

incorporates the titulary deity of Dilmun, Inzak, a name known from both the Durand stone found on Bahrain (^{d}In-za-ak) and other Mesopotamian sources. (see Leemans 1960:141, n.2 and UET V 286) in the I/L Sumerian story, Enki and Ninhursag, Enki says that ^{d}En-za$_{6}$-ag will be the Lord of Dilmun (Kramer 1944:58). In two letters written from Dilmun and found at Nippur (Ni 615 and Ni 641), the god Inzak is clearly stated to be the principal deity of Dilmun (Cornwall 1952:144-45; the name is written in the Kassite letter, ca. 1370 B.C. as ^{d}In-zag$_{x}$ (SAG) and ^{d}In-za-ag). Since the assumption is that the man came from Dilmun (reinforced by the Gulf seal impression) and his son bears a MAR-TU name, it would seem that MAR-TU were to be found in Dilmun as actual residents during this period. This would certainly closely tie the MAR-TU and Dilmun. In UET V 716 is another reference to an inhabitant of Dilmun, a certain Me-a-ti-a-nu-um (Oppenheim 1954:15). The name seems to be clearly MAR-TU in origin, being another — anum name (Gelb 1980:622 Ma-ti-DINGIR? (or p. 619 Ma-a-nu-um?). The evidence of the Nippur letters (cited above) prompted Cornwall to remak that "Dilmun appears as a land with a population of Semites still not very far removed from the life of the Arabian deserts ... (1952:141). It would appear then that the evidence provided above ties in the MAR-TU with Dilmun both as inhabitants and engaged in trade with Mesopotamia.

In 1932, Gadd published a well-known article in which he examined a group of seals which Mortimer Wheeler in 1958 labelled 'Persian Gulf seals' (Wheeler 1958:246). Of Gadd's original eighteen seals, sixteen were found at Ur (Bibby 1958:243), perhaps again confirming the role of Ur as a port in overseas trade. Within the last two decades we have obtained a better picture of the distribution and origin of these 'Persian Gulf' seals and it would appear that the most popular circular style coincides with the rise of the I/L period in Mesopotamia. The largest number of seals have come from Failaka (Kjoerum 1980) and in the Gulf they

From Susa, we have a text which Lambert dates to the early Isin-Larsa period on palaeographical grounds (1976:71). While the entire text appears to resemble the Ur business contracts, we reproduce only the obverse here:

obv.	10 ma-na urudu (x?)	Ten minas of copper
	iti e-la-ma-tum	(in) the month of Elamatum
	ki A-ab-ba	from Appă? (cf. UET V 5)
	ki Mi-'il'-ki-il	(and) Mi-il-ki-il
	dumu Tè-im-^{d}'En'-za-ag	son of Te-im-^{d}En-za-ak
	é?-ki-ba-(x — x)	the e-ki-ba...
	šu-ba-ti	received.

The majority of names in this text are MAR-TU. Mi-il-ki-il recalls both an identical name in Gelb's compendium (1980:623) and the name in the Bahrain text (see below, ILI-mi-il-kum). Another man, possibly the investing merchant in this text, also has an obvious MAR-TU name of the-anum type: Mi-il-ku-ma-nu-um. Two MAR-TU names from the alik Dilmun texts at Ur are similar: Mi-il-ku-da-nu-um (UET V 549) and Mi-li-ik-i-il-a (UET V 491) (for other similar parallels, see GELB 1980: ix and 624). Two of the three witnesses in this transaction also have MAR-TU names: A-hu-ma (MAD 3, p. 165; Gelb 1980:557) and possibly Mi-nu-up-DINGIR (so far un-attested). Two key facts ally this text to Dilmun. First, the tablet is again sealed by a circular impression of a 'Persian Gulf' seal (Lambert 1976: Fig. 1) which also associates it with the YBC 5447 text described above. Secondly, Mi-il-ki-il is described in the text as the son of one Tè-im-^{d}En-za-ag. This name clearly

following decades the city became a dependency of Larsa and its MAR-TU dynasty. A brief perusal of UET V (texts datable to Gungunum-Sumuel, 1932-1866 B.C.) provides at least sixty MAR-TU names (Gelb 1980:553ff.). Oppenheim's review of UET V suggests that Ur apparently served as a focal point and port for foreign trade, specifically with Dilmun (Oppenheim 1954:8, n. 8). A number of texts describe this activity as traders called alik Dilmun sailed to Dilmun and exchanged goods. A number of texts (e.g. UET V 286, 297, 549 and 796) clearly demonstrate that individuals with MAR-TU names were involved in the trade (e.g. in UET V 297 a certain Zubabum; in UET V 549 a person named Milkudanum; and in UET V 796 Alazum). This then is a clear link between Dilmun and the MAR-TU — a hypothesis already formulated from a number of literary texts and Ur III economic records (see above). Surely this link must have involved not only high Ur officials and private investors but also naval personnel (see the summary by Leemans 1960:23-56).

A very illuminating text, probably from Ur, and dated to the tenth year of Gungunum (1923 B.C.) has been described by Hallo (1965:203). This text is a mercantile agreement involving certain staples perhaps traded to Dilmun. The name of the obligated partner is Ha-tin-DINGIR-i-ba-nu-um son of Ap-ka-lu-um. While Hallo feels that both names have reasonable Akkadian etymologies (Hallo 1965:202 and nn. 30-32) he does note that neither occurs in the OB onomasticon. Rather, it appears that both names are MAR-TU. As suggested by Hallo himself (Ibid, n. 32), the first name could read Ha-tin-ILI-i-ba-nu-um. MAR-TU names from Mari and Tell Asmar provide some parallels (see HTN names in Huffmon 1965:205-206; Gelb 1980:586; for i-ba-nu-um, see Gelb 1980:589). The second name Ap-ka-lu-um has a parallel MAR-TU name Ap-ka-nu-um (Gelb 1980:565). The link of the MAR-TU in this text with Dilmun is confirmed by the 'Persian Gulf' seal impression on the tablet (Buchanan 1965; see below).

wall was being built in central Mesopotamia for the express purpose of keeping out the MaAR-TU (the MAR-TU wall (called) the one which keeps Didanum away, Buccellati 1966: 92). Unfortunately, by the early reign of the succeeding king, Ibbi-Sin, things had changed:

> ***"Reports that hostile MAR-TU had entered the plains having been received, 144,000 gur grain (representing) the grain in its entirely was brought into Isin. Now the MAR-TU in their entirety have entered the interior of the country taking one by one all the great fortresses. Because of the MAR-TU I am not able to provide ... for that grain ... (Jacobsen 1953:40).***

The newcomers were able to over-run the settled zone precisely because of earlier infiltration which had been peaceful. The earlier MAR-TU were incorporated into the Ur III bureaucratic structure and undoubtedly numerous leaders had residences in the settled zones as well. By the time of Naplanum and his successors, these MAR-TU had effectively taken over the socio-political structure of the alluvium in the south (Išbi-Erra, 2014 B.C., speaks in a year 4 date that he destroyed MAR-TU cities (Buccellati 1966:39). According to the year date of Ibbi-Sin 17, some of these MAR-TU apparently came from the Gulf region: "The year the MAR-TU, the powerful south wind, who, from the remote past, have not known cities, submitted to Ibbi-Sin, the king of Ur." (cf. also Gelb's views, 1961:36).

MAR-TU AND DILMUN

The installation in the alluvium of MAR-TU rulers inevitably led to the MAR-TU assuming greater and greater power in the bureaucratic operations of the states as well. At Ur, where in the Ur III period, Buccellati states the number of MAR-TU was surprisingly low (1966:321), in the

pastoralists interacted with the settled communities of Syria, Palestine, and later Mesopotamia. This hypothesis is confirmed when writing appears on the scene (as in the Sumerian case). For example, the newly discovered Ibla texts mention the MAR-TU principally in connection with metal daggers (Pettinato *1980:9* and commentary) and prisoners of war (Pettinato 1981:120, see text TM 75G. 309). (Note also the MAR-TU name Iblanum as meaning man from Ibla, Buccellati 1966:155, 246). We have virtually no historical material from Palestine unfortunately to document this interaction (see the archaeological implications of the MB I however, Dever 1971). However, a detailed study of the ceramics from the South Sinai suggests a close interaction pattern with the southern urban zone of Palestine and the Egyptian Delta (Amiran et al 1973; Beit-Arieh 1981). Similarly, the historical records from Old Kingdom Egypt describe the same phenomenon of the people from the western region of the technocomplex (Negev/Sinai) infiltrating the Egyptian Delta. The following describes the Aamu nomads from the Instructions to Merykare (Tenth Dynasty, ca. 2130-2040 B.C.):

> ***"The wretched Asiatic (Aamu), bad is the country where he lives, inconvenient in respect to water, impracticable because of few! trees, its roads are bad on account of the mountains. He does not settle in one single place, for the (lack of) food makes his legs take flight. Since the time of Horus he has been at war. He does not conquer, nor yet can he be conquered. He does not announce the day of fighting ..." (Posener 1971:534; Thompson 1974:142).***

From the early second millennium B.C. we have a much wider body of evidence dealing with the MAR-TU. This is due to the greatly increased numbers of MAR-TU escaping the hamad and entering the settled zones. As early as Šu-Sin year 4 (2034 B.C.) we see that a large defensive

MAR-TU and that between 2500-2000 B.C. they began to increasingly infiltrate the Mesopotamian cities (at least as perceived by the official scribes) (liverani 1973:104-106). As climatic conditions deteriorated in the region to the west and south, cuneiform records increasingly describe the people, name them, and their products. Under the Ur III empire, their contribution to the Sumerian state can be traced by the examination of receipt and delivery texts principally at Drehem (Buccellati 1966: 284-300) a separate series of texts indicate that the Ur III kings waged military campaigns against these people, confiscating animals and taking prisoners (Lieberman 1969:58ff.; Buccellati 1966:290; Gelb 1973:79). From this body of evidence, we can conclude that the MAR-TU appeared to be principally dependent on ovicaprid and cattle herding and notably developed their own special breeds of sheep including the gukkal — the fat-tailed sheep. Equids are also well-known and include the wild ass of the steppe (E. hemionus), the horse, and various hybrids. Infiltration into Mesopotamian society was peaceful and conformed to the classical anthropological pattern. The poor fled to town looking for work (soldiers, workers, servants, couriers) and the rich (sugagum, abu Amurrim, rabianum MAR-TU) for socio-political reasons. (See the discussion of a certain MAR-TU named Naplanum in the Ur III Drehem texts and his relationship to Naplanum, the first King of Larsa, Buccellati 1966:319).

It would be our conclusion then that these pastoral people of the west were first seen as a geographical entity coming from the hamad region and infiltrating Mesopotamian society — not along a single contact point nor just in a small restricted time period. Thus, in the anthropological sense, they bridged both societies by being in contact with their homeland, in raiding and trade, as well as by infiltration as explained by Rowton's concept (1974) of 'enclosed nomadism'. We feel, based on the archaeological evidence presented above, that this process began at least as early as 6000 B.C. — our phase A — when the early

Arabia. In the Bir Hima/Najran area (Anati 1968; Zarins et al 1981), at Jubba in the great Nefud (Parr et al 1978), the Jowf-Sakaka basin (Parr et al 1978), and Hanakiya near Madina (Courtney-Thompson 1975; Zarins 1982) a new style has been devised. It is dramatically different from the earlier simple outline style. The human figures in many cases are drawn nearly lifesize, and details in dress, body features, and composition have been refined. The style involves not merely outline pecking but also interior modelling. The main animal depicted is the bull with accentuated long horns and other animals present include the ibex, oryx, ostrich, camel, and fat-tailed sheep. To the north of Saudi Arabia, parallels for this rock art phase are to be found in Wadi Rajil near Jawa in eastern Jordan (Hunt 1976:24-29) and in the Negev where Anati describes three different styles for this phase (1962:213). More recently, similar material has been found on sandstone boulders in western Iraq in a tributary of the Wadi Hauran (east of Rutba) Tyracek and Amin 1981). The Hunters' Palette (probably from Hierakonpolis) illustrates the clearest parallels to this artistic style and its themes and style fit comfortably within the rock art repertoire of the fourth millennium B.C.

LINQUISTIC CONSIDERATIONS AND THE MAR-TU

For our purposes here, we would like to concentrate on the Phase B aspect of the technocomplex as expressed in the eastern sub-region. In fact, we want to focus on the culture when the precipitous decline of this way of life had already begun. From a mere trickle of historical information ca. 2500 B.C. the accounts reach a peak ca. 2000-1900 B.C. when the impetus towards the sedentary zone was clearly strong (Buccellati 1966:253ff.). As we have suggested earlier, we know that the sedentary people of the Mesopotamian valley called these nomadic pastoral people the

The later phase, ca. 4000-2000 B.C., is dominated by fine bifacially retouched arrowheads, tabular flint fan scrapers, and canaanean blades (Ronen 1970; Beit-Arieh 1983:44 Parr et al 1978:38).

Ceramic materials are not common at many sites, rare at others, and in sites in the southern region of the technocomplex, no ceramic materials have been found. Certainly the sites of the western region can be dated more securely by virtue of ceramic types found in the Palestine farming communities (Cohen and Dever 1980, 1981; Beit-Arieh 1983:44). This ceramic material first appears in the Chalcolithic and continues through the Early Bronze Age to the Middle Bronze Age I period when the sites are abandoned. Ties with southern Palestinian towns and the Egyptian Empire are also well attested. From southern Jordan and northern Saudi Arabia, Chalcolithic and EB I ceramic vessels, while rare, have been attested. Metal items appear to be restricted to Phase B of the complex and have been recovered both from survey and excavation.

The rock art can provide a contemporary view of some of the most essential elements of this prehistoric culture — an invaluable human dimension to a culture dominated by stone structures and lithics. The earlier phase perhaps coincides with the earlier lithic tradition. Based on rules of patination and superimposition, the early simple outline style correlates well with the PPNB tradition. Principal sites include Kilwa in what is now northern Saudi Arabia (Rhotert 1938) and the Har Harif massif in the Negev (Anati 1955:32-33). Within central and northern Saudi Arabia this style is quite widespread and noted particularly at Jubba, Hanakiya, and other sites in the Jowf-Sakaka basin. This style seems to have extended southward along the higher elevations of western Saudi Arabia to Taif and even south of Abha (Zarins et al 1980, 1981; Zarins 1982).

The later phase of the rock art (ca. 4000-2000 B.C.) has been labelled the 'Hunting and Pastoral Phase' by Anati (1962). The principal sites are again to be found in Saudi

which can be classed as follows: 1) structures, 2) lithics, 3 ceramics, and 4) rock art. The most ubiquitous of the structural remains are what we refer to as 'stone circles'. Many sites within this large region can consist either of simple, single 'homesteads' or multiple chains covering several kilometers. Different construction techniques throughout the region suggest multiple sub-phases of occupation over time (confirmed to some extent by the ceramics and lithics). Many sites have appended 'corrals', separate animal pens, large central areas, or possible defensive walling enclosing the multiple joined circles (see Betts 1983). Future analysis of excavated sites such as Bir Resisim may lead to defining kinship groups within these sites (Cohen and Dever 1981). Tumuli, another prominent group of remains, are sometimes found interspersed among the stone circles or built along prominent ridgelines. In the latter case, they often have appended 'tails' i.e. small piles of stones in a line behind the main tomb. These also may relate to kinship relationships. Kites, one of the more spectacular features of the technocomplex, are low, long stone walls which converge into a small circular head. Many are grouped together in chains and often form interlocking structures covering 10-15 kms. (Helms 1981:38ff.). First noted from the air in the 1920's, (Maitland 1927), they may be game traps for gazelle, equids, and ostrich. They have been noted from the Sinai to the Jebel Sinjar. Stone pillars usually found in clusters unassociated with tombs or living sites, have also been found spread across the region. One of the more spectacular sites has been found in northern Arabia (Zarins 1979). These pillar sites appear to have clear cult associations and possible astral alignments.

Lithics from these sites can, on occasion, be very profuse. Two principal periods can be discerned although considerable overlapping probably existed. The earlier phase (ca. 6000-4000 B.C.) is dominated by PPNB types principally burins, blades, and some projectile points (Garrod 1960; Betts 1982:28ff.; Adams et al 1977:34ff.).

Littauer and Crouwel 1979:24-25; Clutton-Brock 1978:100). The wild ass, E. asinus, possibly a native of both North Africa and Southwest Asia, appears as a domestic in a late Egyptian pre-Dynastic context. Possibly, the domestic form spread quickly thorughout Southwest Asia via our pastoral technocomplex as it is found at Tel Gat in EB I context and at Arad in EB II context (Lernau 1978:85-86). The representations of Old Kingdom date in the Sinai are well known. Horses and hybrid forms are known only from historical sources (see below).

CAMEL

The camel, like the equids, is a source of considerable controversy due to the question of Beduin origins (Dostal 1959; Mikesell 1955; Ripinsky 1975; Bulliet 1975). The animal has been found in our cultural area since at least the mid-Pleistocene (Zarins 1978a) and its remains are known from the Neolithic well into the Late Bronze Age, but there has been a reluctance to ascribe domestication to any of these remains (B.Hesse, per. com). Its earliest possible attested domestic form appears to be found in the United Arab Emirates datable to the early third millennium B.C. (Hoch 1979:613; J. Tixier, per. com.; H.-P. Uerpmann, per.com.; Zarins 1982). From this southeastern area of the peninsula, the domestic form spread northward and the pastoralists, facing increasing aridity, began to utilize the animal ca. 2000 B.C. (Zarins et al 1980:23-25). Unfortunately, from the crucial second millennium B.C., texts mentioning such groups as the Ahlamu (Cornwall 1952), Shosu (Giveon 1971), and Hapiru (Greenberg 1955) give no indication of camel use.

MATERIAL REMAINS

The technocomplex described above in terms of the ecology and the fauna, has yielded archaeological data

OVICAPRIDS

Domestic sheep are well attested from the mixed farming zones from at least 8500 B.C. (summary by Wapnish and Hesse, in press) and by the PPNB, domestic sheep were a mainstay of the mixed zone farming cultures (Clutton-Brock 1978). Both domestic sheep and goat remains are attested from our cultural area from at least the Chalcolithic period (Henry et al 1983; Gaillard apud Dubertret and Dunand 1954-5; D. Hakker apud Beit-Arieh 1974:153, n.5; Cohen and Dever 1978:37; 1979:254).

BOVIDS

Domestic cattle are traditionally regarded as deriving from wild Anatolian stock (Mellaart 1975:98; Perkins 1969) but recent investigations would appear to indicate that domestic cattle may have been present in northeastern Africa as early as 7500 B.C. (Wendorf and Schild 1981). This would be an attractive possibility in explaining the quick spread of cattle pastoralism across northeastern Africa to all of Saharan Africa as well as northern Arabia. Both long-horned and short-horned varieties are known from actual sites (Lernau 1978:85; Gaillard apud Dubertret and Dunand 1954-5). Saudi Arabian rock art also prominently features long-horned cattle (Zarins 1982).

EQUIDS

Equid domestication is perhaps the most difficult to detect and is probably the most controversial. The native equid of Southwest Asia, E.hemionus, turns up within our technocomplex region as a game animal in Late Pleistocene and early Holocene contexts (Zarins 1976). It appears to have never been truly domesticated (Zarins 1978b:16-17) although it may have been used in cross-breeding experiments and most likely tamed (Zarins 1976:116ff., 189ff.;

Phase" based on work in the Nile Valley, and he defined a complex moist interval beginning Ca. 7000 B.C. interrupted by drier spells and terminating in stages between 2900 and 2350 B.C. (Butzer 1959:76; 1976:32). The most recent syntheses generally confirm such earlier work (Alayne Street and Grove 1979:99; Haynes 1980:70).

More recent investigations within our specific region support such data in its broader applications (Neev and Emery 1967; Hukreide and Wiesemann 1968; Henry et al 1981; Lloyd 1980; Marks and Scott 1976:44-48; Moore 1979; Horowitz 1980:249-50; Hanihara and Sakaguchi 1978). Recent work in Saudi Arabia has also reinforced this documentation on active Holocene humid phases (McClure 1976; 1978:262; Kinsman 1968; Masry 1974; Zarins et al 1979:10: Hötzl et al 1978:205, 232: Garrard et al 1981: Zarins et al 1982). For the larger Arabian peninsula then, (including Bahrain), a summary profile (Fig. 3) as generated by Larsen (1980:216-230 and Table 5) and Hötzl and Zötl (1978:303 and Table 50) suggests a complex fluctuation of climatic conditions alternating between moister and drier peaks during the early Holocene terminating ca.2200 B.C.

FAUNA

This pastoral complex depended on domestic animals for its existence and there has been a tremendous amount of work carried on in the past to define in the Fertile Crescent which species were first domesticated and in which regions they predominated. Up to the present, little has been collected from the technocomplex in actual paleo-zoological data, but linguistic and artistic material has helped in more or less defining the species involved. Hunting continued to play an important role (especially during phase A) to judge from the rock art (Zarins 1982) and objects such as the Hunters' Slate Palette.

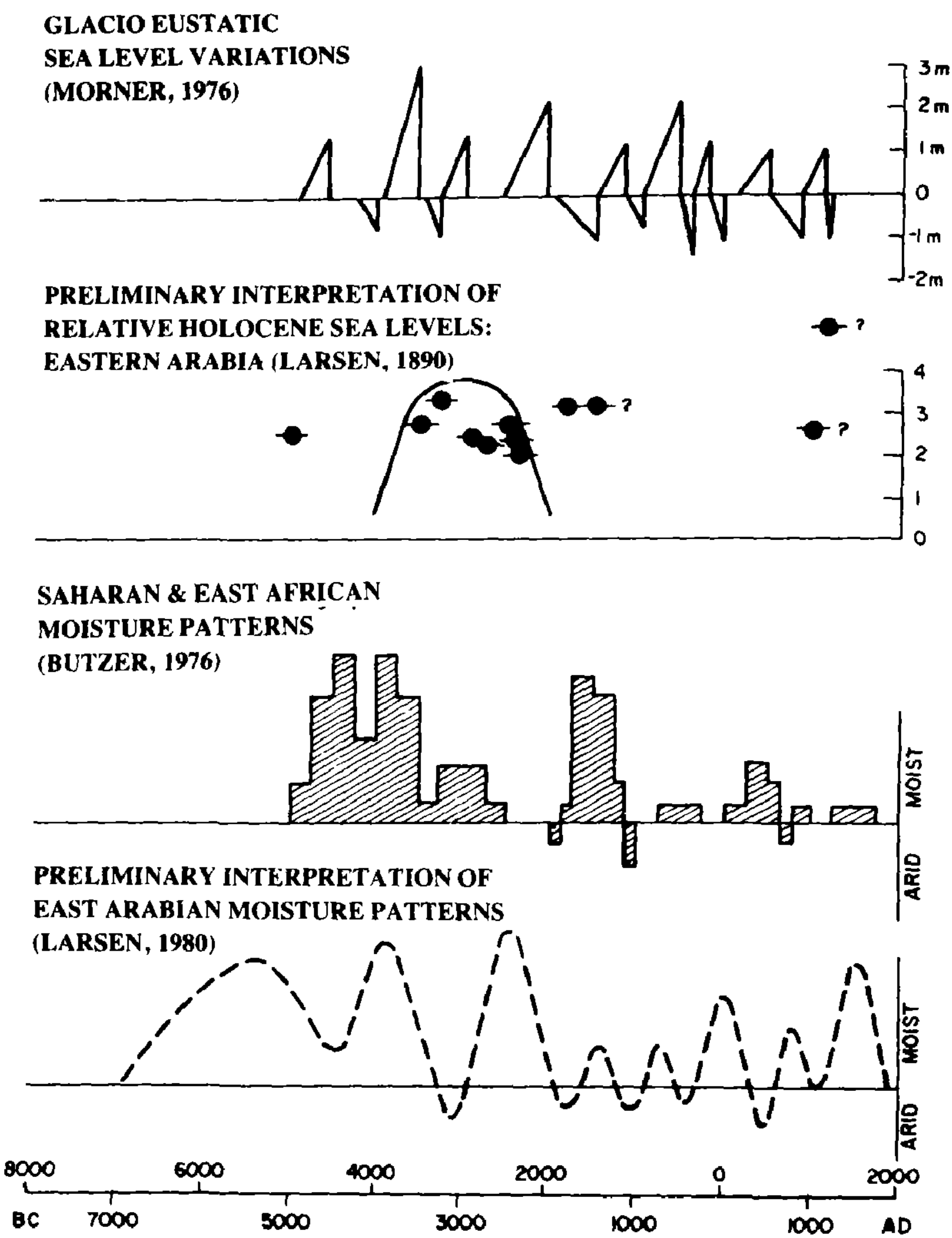


Figure 3. Summary of Near Eastern, Early Holocene, Moisture Patterns (after Larsen 1980)

within the region defined above, a brief understanding of the ecological factors that shape the area today must be contrasted to a proposed reconstructed environment.

The largest part of the area under consideration lies within the Saharo-Sindian phytogeographical zone (Zohary 1952:202). The bulk of the region is a vast tableland sloping west to east and is extremely arid (80% receiving less than 200mm of rainfall). Intermittent wadi flow occasionally gives way to sheet and flash flooding and local depressions such as the Dead Sea, Wadi Sirhan, Ain Azraq, and the Jowf-Sakaka basin occasionally retain large volumes of water. The climate today tends toward the extreme Mediterranean type with winters mild to cold and short and rainy. The summers are long, hot and dry. Thus, the present-day landscape is dominated by features typical of the arid climate such as exposed rock, abrupt scarps, mesas, pinnicle rocks with intervening flat-floored wadis filled with detritus, open plains, gravel flats, dune formations, and pans (Thompson 1975:1-23; Schyfsma 1978; Zarins et al 1979:11).

The study of this region in terms of discerning a different landscape based on altered climatic conditions has lagged considerably as would be expected. Nevertheless, within the last fifteen years, evidence has been accumulating from different sub-areas of the region to support our assumptions. Quoting one authority: "These findings generally agree with the results of other authors who have studied the Iran-Iraq region, and have concluded that the post-Pleistocene climate becomes more humid and can be subdivided into drier and more humid periods..." (Diester-Haas 1973:222; cf. Nützel 1976:fig. 5).

In East and North Africa, the evidence also suggests a modest but significant increase in precipitation in the Holocene (Butzer 1971: 581-585; Butzer et al 1972; Edmunds and Walton 1980; Gabriel 1978:28-29). Butzer was perhaps the first to coin the phrase "Neolithic Wet

In relation to the specific archaeological record of the technocomplex and its relation to the MAR-TU, perhaps the following observations can be made. Historically, the early MAR-TU from at least the ED III period have been associated with the western borderlands and specifically in the Jebel Bishri area in east-central Syria. It was in this locality that the Akkadian kings and later the trade expeditions encountered these pastoral people (summary by Buccellati 1966:235-242). Survey work in the 1960's confirmed Poidebard's earlier evidence of stone circle complexes and kites in the Jebel Bishri area (Buccellati, per. com.). It would be a mistake, however, to restrict their presence to this region or insist that this was their natural homeland as some have done. Rather it is our contention that the archaeological data suggests that the MAR-TU were, in fact, to be found in a wide arc fronting Mesopotamia (and Dilmun!) from central Syria to northeast Saudi Arabia (Fig. 2).

THE ECOLOGY

Under current conditions, camel pastoralists organized in tribal groupings dot the countryside in varying degrees of intensity. The archaeological record described above, in contrast, has confirmed that the culture under review here abandoned the area and that most sites were either not re-occupied at all or only in much later historical periods. This creates a problem in trying to define the transition between the earlier nomads (Helms calls them "indigenous proto-Beduin" (1976:26) or "paleo-Beduin" (1982)) who left behind the archaeological record described above and the appearance of the Beduin camel-herders (Ahlamu?, Hapiru?, Shosu?) accustomed to fighting as rider warriors (Dostal 1959). The latter have left behind a different type of archaeological record (for further details and a suggested model, see Zarins et al 1980:20-23; Zarins et al 1981:28-31; Zarins et al 1982). To examine the changes that occurred

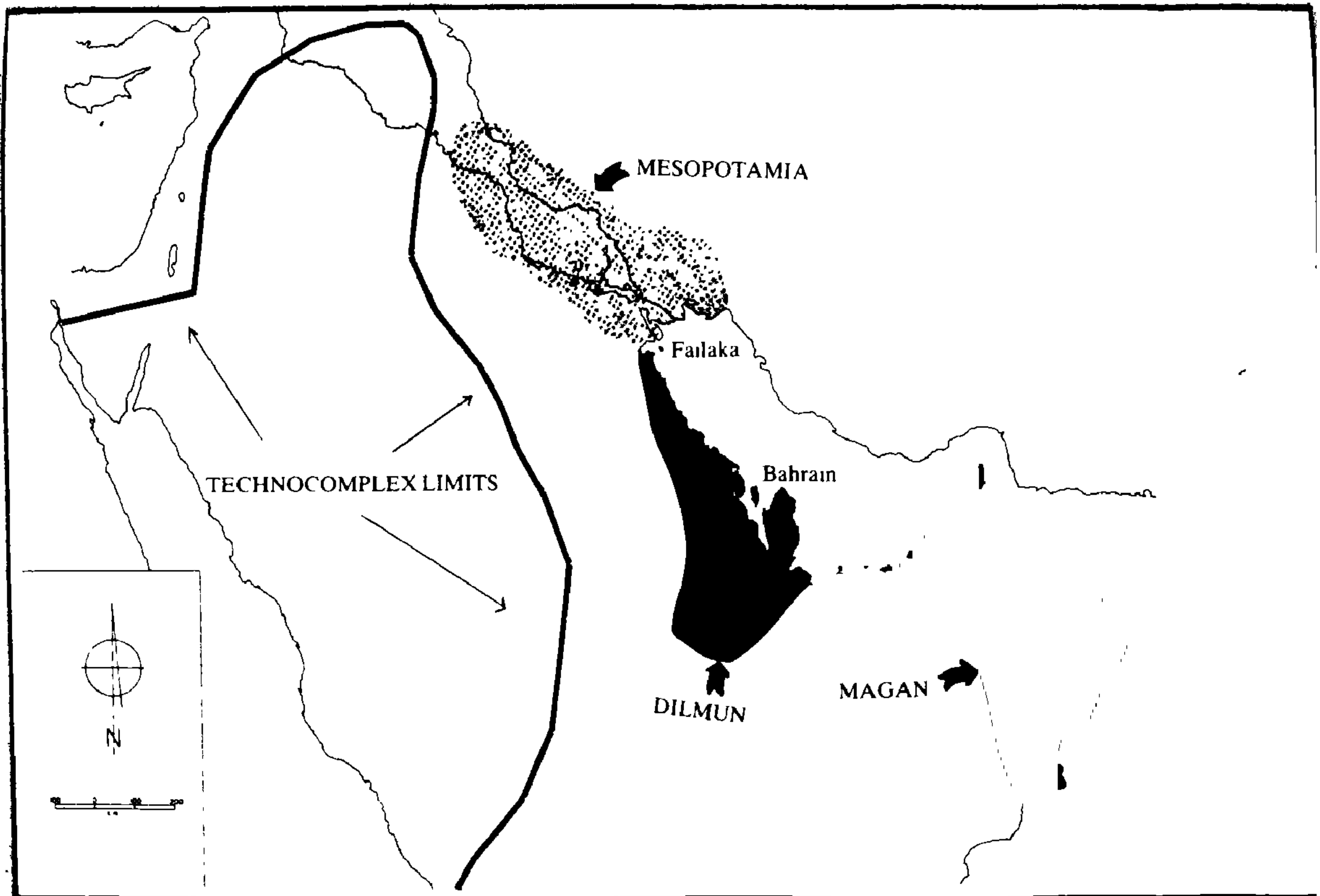


Fig. 2. The Pastoral Technocomplex in Relationship to Mesopotamia, Dilmun, and Magan

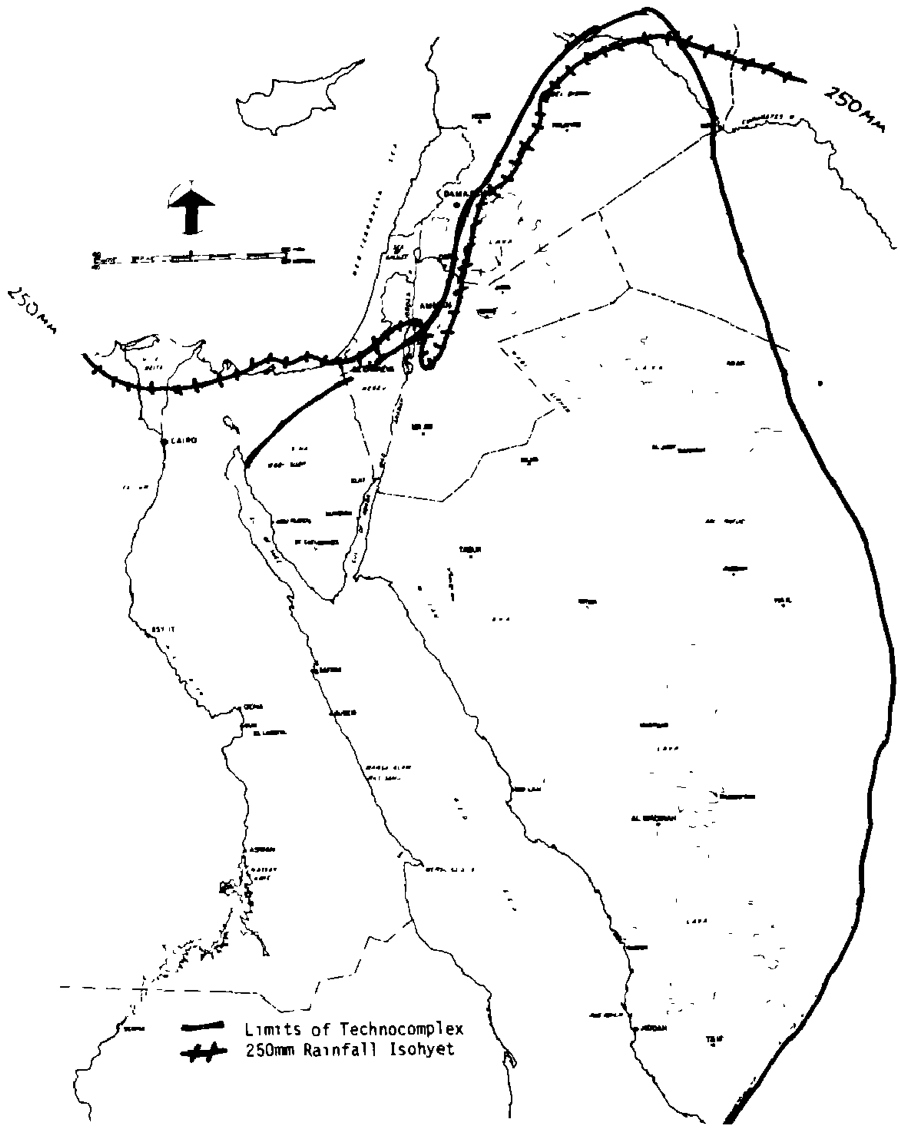


Fig. 1. Suggested Cultural Boundaries of the Pastoral Technocomplex.

centering on the plutonic outcrops, and North Sinai around the Jebel massifs.

The smaller western area can perhaps be contrasted to the much larger eastern one which is of more relevance here. In this area work lagged behind and it was not until the 1920's that observers began to note the same nomadic technocomplex in both eastern Jordan and western Iraq (Maitland 1927; Rees 1929; Field 1960) — an area dominated by the Harrat al Rajil lava field (Helms 1975: fig. 1). The densest number of sites studied to date appears to center on the road from Azraq to Rutba with additional sites extending into southern Syria (Field 1960:60-67). The full extent of this technocomplex is suggested by Poidebard's aerial survey (1934:pl. CXL) which shows quite clearly that this cultural technocomplex extended even across the Euphrates to the Jebel Sinjar area. Most recently, work has concentrated in both the eastern arm of Jordan (Betts 1982) and South Jordan (Henry et al 1981, 1983). Within the last decade, the Saudi Arabian survey program has significantly increased our scope and understanding of this technocomplex. The recovery of the cultural remains in northern and central Saudi Arabia has enabled us to obtain a truer picture of the range and variability of the culture. In northermost Saudi Arabia (an extension of the Harrat al Rajil lava field) material is plentiful (Adams and Parr 1977:pl. 4). Other centers of this technocomplex include the Wadi Sirhan and the Jowf-Sakaka basin (Parr, Zarins et al 1978; Zarins 1979). In the northwest (Midian) other dense groupings occur, notably in the Tabuk basin and along the Red Sea coastline (Ingraham, Johnson et al 1981:68ff.). The southern border of the technocomplex is illdefined perhaps due to shifting cultural zones. Nevertheless, aspects of this technocomplex have been identified in the central and western Nejd (Zarins et al 1979; Zarins et al 1982) and the western and southern Hejaz (Zarins et al 1980; Zarins et al 1981).

(Sahlins 1968:33; Lees and Bates 1974; Adams 1974; Possehl 1977; Krader 1981:499). Consequently, reconstruction of the MAR-TU and other pastoral societies in the Near East has been generated by an appeal to the historic record (see e.g. Buccellati 1966; Brinkman 1968; Kupper 1957; Posener 1940).

While we propose to briefly define the archaeological dynamics of a pastoral group called the MAR-TU, they invariably formed part of a larger entity which can be dubbed here conveniently a "pastoral nomadic technocomplex" (Clarke 1968:338-343). (Similarly, today we can recognize the Rwala and Murra as smaller sub-units of a larger cultural/linguistic group known as camel Beduin). This larger entity lies in a region south of the 250mm isohyet (Fig. 1) as suggested by Buccellati (1966:239) and can be considered to be divided into two sub-categories: 1) the western area including the Sinai and the Negev south of Beersheba, and 2) the eastern area encompassing all of Jordan east of the Jordan Valley environs, southern and eastern Syria, western Iraq, and north-central Saudi Arabia. The evidence generated to date best fits a time-block covering four millennia — 6000-2000 B.C.

Observation of material remains within this region has been anything but systematic and thorough. It began as the result of explorers first crossing the Negev in the second half of the 19th century (Palmer 1871; Trumbull 1883). Serious archaeological work in the western area can be said to have begun only with the 1950's work of Glueck (BASOR 1955-65 passim; Glueck 1955:122) and augmented by more recent work in the 1960's and 1970's. A recently concluded three-year survey and excavation at Bir Resisim in the central Negev has added immensely to our data base (Cohen and Dever 1978, 1979, 1980). Palmer was the first to describe the extensive cultural material from the Sinai (1871:139-142, 257-258, and passim) followed by Holland (1870) and later Currelly (1906). More recently, work in the 1970's has been concentrated both in the South Sinai,

Eshnunna officials. One MAR-TU from the lineage of Bašanum is said to be a-ab-ba-ta or "from the sea(lands)" or the land across the sea (Gelb 1968:43).

THE MAR-TU AND THE ARCHAEOLOGICAL RECORD

The third and second millennium B.C. literary record has suggested that the people living in the open steppe west of the Euphrates river were nomadic and barbaric:

> "A tent dweller (buffeted?) by wind and rain ... the one who digs up truffles at the foot of the hill ... who does not know how to bend his knee (i.e. respect authority), who eats uncooked meat ... who in his lifetime does not have a house, who in the day of his death will not be buried ... who knows not barley ... (Buccellati 1966:92-93; Liverani 1973; Kramer 1963:164).

From approximately 2500 to 1950 B.C. they were labelled as MAR-TU (westerners) by the sedentary populations of the Tigris-Euphrates Valley. As such, these people would then seem to share certain characteristics with other pastoral nomads such as strong kinship bonds, impermanent dwellings, distinctive technology, movement to procure pasturage (usually along seasonal lines) and water for herds, trade networks and interaction with agriculturalists or sedentary populations, and an ideology in which domesticated animals are viewed as the main subsistence strategy.

But the MAR-TU and other pastoral people have long been viewed erroneously by researchers who have suggested that they lived in a harsh and desertic environment, and thus were saddled with an impoverished part-culture which would have left behind little or no record of their passing (witness the remarks by Woolley and Lawrence 1914-15:20,27, concerning the Sinai.). Anthropological study of pastoralists in the past has yielded claims that pastoralism appeared relatively late on the scene. It was almost always viewed in the light of the development of the historical state

years ago, much has been learned about the historical and archaeological situation in the Gulf (now see Potts, n.d. in press). Even more recently, the broad sweep of survey across the Arabian peninsula has enabled researchers to more accurately fit within a larger framework the results of the Gulf discoveries. As a result of these developments, largely within the decade of the 1970's, we can perhaps put forward a hypothesis which could help to explain the apparent association of MAR-TU and the land of Dilmun.

THE PROBLEM

From the Ur III (2112-2004 B.C.) and Isin-Larsa (2025-1763 B.C.) periods, we have a number of textual sources which suggest that an ethnic group of people called *MAR-TU were associated with the land of Dilmun* — the first of three entities found to be trade partners with Mesopotamia from at least 2500 B.C. (the others being Magan and Meluhha). From Drehem, a city near Nippur, we note the occurrence in two texts (dated to AS 2 — 2044 B.C.) (CST 254 and TRU 305) of a colophon which reads "MAR-TU (and) Diviners coming from Dilmun" (or MAR-TU Diviners coming from Dilmun) (Buccellati 1966:249). In a text from Isin, dated to Šu-ilišu, (1984-1975 B.C.) (BIN IX 405) manufactured leather objects are made for "Dilmun and the MAR-TU" (Buccellati 1966:250). In addition, other evidence suggests that the MAR-TU were associated with (sea) fishing (Civil 1961; Buccellati 1966:90). Thus, Buccellati and later Gelb concluded that the MAR-TU existed in the south in the area of the Gulf as far as Bahrain (Gelb 1968:43; 1980:2). Finally, this linkage is suggested by a text from Eshnunna, a Mesopotamian city on the Diyala river. In this text most likely dated to Išaramašu (ca. 1970 B.C.) MAR-TU are arranged by segmented lineage affiliation (babtum). The total states that 26 MAR-TU are e-lu-tum-me a term perhaps best translated as meaning "trustworthy" or "reliable" vis-à-vís the local

MAR-TU

and the Land of Dilmun

By:
Juris Zarins
Southwest Missouri State University

> ***"Another future line of research (in southern Mesopotamia) is the survey of the Southern Desert beyond the great dunes. It is there that direct evidence of nomadic people must be sought." (Wright 1981:336, 338).***

Buccellati remarked a number of years ago that a people known as the MAR-TU seemed to be connected with the island of Dilmun in the Gulf. He concluded that it seemed difficult to see how one could combine whatever we know about the MAR-TU with the possibility of their coming from an island (Buccellati 1966:249). In this respect, he was echoing the sentiments of Landsberger who earlier had suggested that there was a connection between the Arabian peninsula and the MAR-TU (Landsberger 1954:56, n. 103). Since these statements of a number of

desiring it shall give advance notice of the same. One who goes back on the pledged word is away from GOD.

Article 8. Whereas HASAN BIN RAHMA intends to delegate his representative to proceed to BOMBAY fully authorised to sign on more comprehensive agreements with the British Government in the near future, this present preliminary agreement shall be subject to the approval of the Governor of BOMBAY to whom it will be forwarded the earliest for its study.

Signed in BUSHIRE this day of OCTOBER 1814 Corresponding to 21 SHAWWAL 1229 H under my SEAL and Signature.

REFERENCES

+ AL TOHFATUL NABHANIYYA by SHAIKH MOHAMMED BIN KHALIFA AL NABHANI. Dar Akhbar il Uloom, BEIRUT.

+ AL MUFASSAL FI TAREEKH IL IMARAT AL ARABIYYA AL MUTTAHIDA, Part 1, Professor FALEH HANZAL.

+ NAQL AL AKHBAR FI WAFIYYAT AL MASHAYIKH WA HAWADIS HADHI IL DIYAR by HAMEED BIN SULTAN BIN HAMEED AL SASI. Reviewed by FALEH HANZAL, First Edition, 1406 H/1986 AD.

+ LORIMER's GAZETTEER, Part 3 Historical, Printed in QATAR.

Article 2. RAS AL KHAIMA and other ports under the control of the QAWASIM shall be open to British subjects who shall have the right to visit them and carry on commercial activity in all Gulf ports. The same principle shall apply to the British Indian ports which shall be open to QAWASIM on the same terms as are applicable to other Arabs.

Article 3. In case of a ship-wreck or accident near the coasts or islands which are under the Qasimi control or influence all necessary assistance shall be extended to the ship and its crew including measures to stop loss or theft of stores.

Article 4. In order to remove any doubt about the identification of Qasimi ships from other Arab ships they will carry a red flag in the centre of which shall be inscribed in Arabic THERE IS *NO GO BUT GOD AND MOHAMMED IS HIS* PROPHET. This flag will be recognized as the flag of the QAWASIMS of RAS AL KHAIMA and of the subjects of HASAN BIN RAHMA in future.

Article 5. Should the QAWASIM of RAS AL KHAIMA capture any ship or boat of any description belonging to a hostile tribe, they will return all property carried in the ship forthwith on demand if it is established that the property belongs to subjects enjoying British protection.

Article 6. HASAN BIN GHAITH, the Representative of HASAN BIN RAHMA with whom this agreement is concluded undertakes solemnly that immediately on his return to RAS AL KHAIMA he will return the ship H.C. MARES (name of the agent of the Omani ship captured by the QAWASIM which carried a load of horses meant for the 17 British Division and some sulphur for the British Government) and its proceeds and profits to the owner AHMED SHAH and which, it was said, were transferred from the Island of QAIS in a Qasimi boat. These will be sent to KHOJA GHOLAB, an agent of the honourable company in MUSCAT.

Article 7. In addition to the preceding clauses it is also agreed that in the event of a need arising to cancel this agreement, the party

APPENDIX

The text of the Agreement signed between Capt. BRUCE and HASAN BIN ARHAMA AL QASIMI is quoted here for two reasons. Firstly, the nature of agreement is said to be similar according to sources but the text of the agreement with BAHRAIN itself has not so far been traced. Secondly, we believe that the BAHRAIN Agreement must have been similar to this agreement because both were entered into under similar circumstances and by the same British representative. It may be useful for the scholar to know the text of this agreement.

(Writer)

22 OCTOBER 1814

AGREEMENT BETWEEN CAPTAIN BRUCE AND HASAN BIN RAHMA AL QASIMI.

Agreement between Capt. WILLIAM BRUCE, Resident, BUSHIRE, representing the British Government and HASAN BIN MOHAMMED BIN GHAITH AL QASIMI, representing AMIR HASAN RAHMA, the Head of QAWASIM in RAS AL KHAIMA, entered into on the day in BUSHIRE.

It was decided hereafter to step up friendly relations between the British Government and the QAWASIM of RAS AL KHAIMA. All that has happened in the past should be considered forgotten in accordance with the following conditions:

Article 1. The QAWASIM will accord due respect to the British flag, stop meddling with or obstructing any kind of shipping, equipment or boats etc, which may be at sea bearing a British flag or license. On the other hand they will render them all assistance to facilitate their voyage.

AD/1236 H. and was buried in RIFFA. He was succeeded in rule by his brother Shaikh ABDULLAH BIN AHMED AL KHALIFA thus starting a new chapter in the history of BAHRAIN.

down and a long conversation was held among us."

During this visit an ad hoc agreement was signed whose terms included the following:

> "The Shaikh of BAHRAIN undertakes *not to permit any ships* or boats bearing a Qasimi flag to seek shelter in any Bahraini port. Capt. LOCH actually received ten Qasimi ships which were then anchored in BAHRAIN.

On 23 February 1820, Shaikh SALMAN BIN AHMED and his brother Shaikh ABDULLAH BIN AHMED signed the general PEACE TREATY which had been signed previously in SHARJAH by their representative ABDUL JALIL BIN AL SYED YASEEN AL TABATABAI on 5 Feb 1820 AD.

During the summer of 1821 AD the Islands of BAHRAIN were swept by the epidemic of cholera and it is said that the number of fatalities reached a figure of 4,000.

In 1822 Mr. BRUCE stabbed BAHRAIN in the back when he signed an agreement with the Government of SHIRAZ but it was disowned by the British Government as well as the Shah. It was instrumental in the suspension of BRUCE from his post. Lt. McLeod was appointed as BRUCE's successor and he received a warm welcome in BAHRAIN which he visited on 27 Jan. 1823. The object of his visit was to reassure BAHRAIN that the agreement which had been signed by BRUCE was an individual act involving BRUCE himself and had nothing to do with the British Government which had not ratified it. McLEOD paid a visit to SHAIKH SALMAN BIN AHMED AL KHALIFA at RIFFA. Shaikh SALMAN BIN AHMED delegated his power to rule over BAHRAIN to his brother SHAIKH ABDULLA BIN AHMED and his son SHAIKH KHALIFA BIN SALMAN and retired to a quiet corner due to his old age. He passed away in 1825

many of the houses are made of date branches, yet with a neatness and cleanliness not to be seen elsewhere. The people also appeared to be of a very superior class. Outside the town are fields in the highest state of cultivation, they are intersected by rows of date trees. Further inland are large date groves in excellent order but what struck me was that at this time of the year many of the fields contained the most beautiful crops of clover (jett) which the cattle were fed on. The cattle produced the most superior meat, milk and butter such as we had not tasted since we left England ."

LOCH and his companions then proceeded to RIFFA to pay respects to SHAIKH SALMAN BIN AHMED AL KHALIFA. He describes this visit as follows:

"In the centre of the Island is rising ground on which is built the Shaikh's castle and a considerable town. The walls of the castle are between 15 and 20 feet in height and 10 to 12 feet in thickness at the base. The walls are in the form of a square with a round tower at each corner. The walls and towers have parapets and loops for muskets. Round the Fort there was no cultivation and the ground sloped from it on all sides, except at the top where there was a considerable flat space."

"At the gate of the fortress we met the Shaikh, attended by about 200 guards all dressed in long white robes, each man had a musket and a sword and cartouche box made of soft leather. The Shaikh was seated on one of the stone benches at the side of the gate. After coffee the Shaikh rose and beckoned us to follow him, giving orders that nobody else except his brother ABDULLAH should come. Off he went leading BRUCE and me round one angle of the Fort nothward until we reached the mouth of a cave cut out of what seemed to be solid rock into which we were conducted. We came to a spacious room cut out of the rock. Here the Shaikh sat

Signed at Ras-ool-Kheimeh at the time of issue by

(Sd.) W. GRANT KEIR, Major-General.

Signed and accepted by Suleiman bin Ahmed, of the house of Khalifah, at Bahrain, on the 9th of Jamadi-ool-Awal in the year of the Hegira one thousand two hudnred and thirty-five, corresponding to the 23rd February 1820.

(L.S.)

Signed and accepted by Abdulla bin Ahmed of the house of Khalifa, at Bahrain, on the 9th of Jamadi-ool-Awal in the year of the Hegira one thousand two hundred and thirty-five, corresponding to the twenty-third of February 1820.

(L.S.)

After destroying the power of the QAWASIM the British War-ship EDEN reached BAHRAIN continuing its search for QAWASIM ships in the GULF. It was flexing its muscle and making a show of force. Capt. FRANCIS LOCH, the commander of the ship, alighted from the ship accompanied by Mr. BRUCE, the British Resident in the GULF and a few other naval officers who were on a visit to BAHRAIN. Capt. LOCH made the following entry in his diary concerning this visit:

"The aspect and the situation of the town (MANAMA) is far superior to any I had seen in the GULF, although

from the coasts of Africa or elsewhere, and the transporting them in vessels, is plunder and piracy and the friendly Arabs shall do nothing of this nature.

ARTICLE 10.

The vessels of the friendly Arabs, bearing their flags above described, shall enter into all the British ports and into the ports of the allies of the British as far as they shall be able to effect it; and they shall buy and sell therein, and enemy shall attack them the British Government shall take notice of it.

ARTICLE 11.

These conditions aforesaid shall be common to all tribes and persons, who shall hereafter adhere thereto in the same manner as to those who adhere to them at the time present. End of the Articles.

Signed at Shargah by the Vakeel on the part of the Shaikhs Suleiman bin Ahmed and Abdulla bin Ahmed, his quality of Vakeel to the Shaikhs aforesaid, on Saturday, the twentieth of the month of Rubee-oos-Sanee in the year of the Hegira one thousand two hundred and thirty-five, corresponding to the 5th of February 1820.

(Sd.) SYUD ABDOOL JALIL BIN SYUD YAS.

Vakeel of Shaikh Suleiman bin Ahmed and Shaikh Abdulla bin Ahmed of the family of khalifah, Shaikhs of Bahrain.

to the British Residency in the Persian Gulf with the necessary accompaniments, and he shall remain there for the transaction of their business with the Residency; and the British Government, if it chooses, shall send an envoy also to them in like manner; and the envoy shall add his signature to the signature of the Chief in the paper (Register) of their vessels, which contains the length of the vessel, its breadth, and tonnage; the signature of the envoy to be renewed every year. Also all such envoys shall be at the expense of their own party.

ARTICLE 7.

If any tribe or others shall not desist from plunder and piracy, the friendly Arabs shall act against them according to their ability and circumstances, and an arrangement for this purpose shall take place between the friendly Arabs and the British at the time when such plunder and piracy shall occur.

ARTICLE 8.

The putting men to death after they have given up their arms is an act of piracy and not of acknowledged war; and if any tribe shall put to death any persons, either Muhammadans or others, after they have given up their arms, such tribe shall be held to have broken the peace; and the friendly Arabs shall act against them in conjunction with the British, and, God willing, the war against them shall not cease until the surrender of those who performed the act and of those who ordered it.

ARTICLE 9.

The carrying off the slaves, men, women, or children

ARTICLE 3.

The friendly (literally the pacificated) Arabs shall carry by land and sea a red flag, with or without letters in it, at their option, and this shall be in a border of white, the breadth of the white in the border being equal to the breadth of the red as represented in the margin (the whole forming the flag known in the British Navy by the title of white pierced red), this shall be the flag of the friendly Arabs, and they shall use it and no other.

ARTICLE 4.

The pacificated tribes shall all of them continue in their former relations, with the exception that they shall be at peace with the British Government, and shall not fight with each other, and the flag shall be a symbol of this only and of nothing further.

ARTICLE 5.

The vessels of the friendly Arabs shall all of them have in their possession a paper (Register) signed with the signature of their Chief, in which shall be the name of the vessel, its length, its breadth, and how many Karahs it holds. And they shall also have in their possession another writing (Port Clearance) signed with the signature of their Chief, in which shall be the name of the owner, the name of the Nakhoda, the number of men, the number of arms from whence sailed, at what time, and to what port bound. And if a British or other vessel meet them, they shall produce the Register and the clearance.

ARTICLE 6.

The friendly Arabs, if they choose, shall send an envoy

to be known as the General Treaty between the Shaikhs of the GULF and the British Government which was signed in 1820 AD. The Treaty reads as follows;

THE GENERAL TREATY WITH THE ARAB TRIBES OF THE PERSIAN GULF, 1820.

IN THE NAME OF GOD, THE MERCIFUL, THE COMPASSIONATE!

Praise be to God, who hath ordained peace to be a blessing to his creatures. There is established a lasting peace between the British Government and the Arab tribes, who are parties to this contract, on the following conditions:

ARTICLE 1.

There shall be a cessation of plunder and piracy by land and sea on the part of the Arabs, who are parties to this contract, for ever.

ARTICLE 2.

If any individual of the people of the Arab contracting shall attack any that pass by land or sea of any nation whatsoever, in the way of plunder and piracy and not of acknowledged war, he shall be accounted an enemy of all mankind and shall be held to have forfeited both life and goods. An acknowledged war is that which is proclaimed, avowed, and ordered by government against government; and the killing of men and taking of goods without proclamation, avowal, and the order of a government, is plunder and piracy.

spired to favour the realisation of British aims. On 4 September 1818 AD, IBRAHIM PASHA, the son of MOHAMMED ALI succeeded in destroying DAR'IYYA and liquidating the First Saudi State. On 10 July 1819 the Presidency Council met in BOMBAY and decided to prepare a military invasion of RAS AL KHAIMA. Major General Sir WILLIAM GRANT KEIR was appointed the commander of the force in which the Sultan's forces also joined. They attacked the QAWASIM in RAS AL KHAIMA who displayed fearless courage in the defence of their land. However, the long-range guns and modern arms of the British overwhelmed such weapons as the QAWASIM possessed. In spite of it the fighting lasted from 3 to 9 Dec 1819 before General KEIR was able to enter RAS AL KHAIMA where SHAIKH HASAN BIN ARHAMA AL QASIMI surrendered. Thereafter, the British Fleet went on a destruction spree in the Gulf destroying the town of RAS and all the ships which had anchored in various ports. They reached BAHRAIN and combed its ports and then combed the ports of the eastern coast of the GULF, such as, LINGA, ASILOO, CONGOON and CHARK and destroyed all Qasimi ships wherever found. This destructive expedition against ports and ships left the GULF at the mercy of the BRITISH whose power inspired awe. General KEIR issued orders to Captain BARONET THOMSON on 19 December 1819 to act as the new LIAISON OFFICER between the British Forces and SYED SAI'D, the Sultan of OMAN. He also asked him to prepare a draft for a general peace agreement to be signed by all the GULF Shaikhs. Captain THOMSON knew ARABIC well and accompanied the expedition to act as an interpreter for General KEIR. The agreement came

problems of peace and war. They emerged victorious in their defence of BAHRAIN. If war was inevitable sometimes, peace could more often achieve aims better than war. That was the policy believed in by SHAIKH SALMAN BIN AHMED, a matter which has been dealt with in the beginning of the study. When SHAIKH SALMAN BIN AHMED learnt of the new attempt at invasion he sent a delegation under the chairmanship of SAYED ABDUL JALEEL BIN AL SYED YASIN AL TABATABAI which included SHAIKH HAMAD BIN ABDULLAH BIN AHMED AL KHALIFA and others. The delegation reached the Island of QAIS at an appropriate time. There is no doubt that the AL KHALIFA were well aware of the issue involved and its dimensions and the circumstances attending an angry Sultan. Sitting on the island of QAIS The Sultan must have realised the game that the British were playing by their policy of pitching the local powers one against the other as it appeared. LORIMER, in his book, has alleged that the Iranians wanted to ditch him, arrest him and send him to a jail in SHIRAZ. It is against this background that the delegation arrived in QAIS to negotiate peace. They offered compensation in money for the death of the Sultan's brother as also for the release of the Bahraini detainees in the JALALI Fort. The Sultan accepted conciliation and even agreed to forego threefourths of the amount decided upon earlier.

The various moves of that time and the policy pursued by Captain BRUCE indicated the dimensions of British policy in the GULF which aimed at the consolidation of the British power in the GULF region. This was facilitated by their promoting local conflicts so that the local powers weakened themselves through mutual fighting thus paving the way for British consolidation. The circumstances con-

banners and beat their drums. The vanguard of the attacking force clashed with the Bahraini force while the Bahraini cavalry attacked the Sultan's foces from the rear from a position corresponding to the SITRA bridge in MA'AMIR of today. The Sultan realised that his forces were in danger of being caught in a pincer and destroyed totally. Under the weight of the cavalry attacks his forces withdrew hastily to the marshy area of WADIAN to save themselves. Some of them shouted to others to get down to the marshes so that they were not trampled upon by the horses. No sooner the forces of Sultan were defeated that their remnants fled towards the ships pell-mell leaving behind a large number of dead among whom was HAMAD BIN SULTAN, the brother of Sultan SAI'D. Bahraini losses were modest and their dead included QASIM BIN DARBAS of AL BIN ALI, SHAIKH MOHAMMED BIN IBRAHIM AL KHALIFA and one of the sons of SHAIKH ABDULLAH BIN AHMED. The Sultan hastened to pull out his remaining men. The news of the defeat reached ARHAMA BIN JABIR who was still busy fighting the winds to be able to reach MANAMA whereupon he fled hastily to BUSHIRE with his vessels.

When the Sultan reached MUSCAT he thought of killing the Bahrainis who were under detention there alongwith those who had been captured aboard the ships that had been sacked earlier but his sister MOZA persuaded him against it saying that they were after all prisoners and the only way to take revenge was to mount another expedition in order to avenge the death of his brother. The Sultan, thereupon, started gathering his forces and sailed with them to the Island of QAIS in preparation for mounting another attack on BAHRAIN.

This is where the genius of the rulers of BAHRAIN shone while they tackled the

part was led by SHAIKH ABDULLAH BIN AHMED AL KHALIFA with MANAMA as its location. It advanced to JIDD where it deployed in the middle of date-palm. The other part under SHAIKH SALMAN BIN AHMED AL KHALIFA gathered in RIFFA. Despite his advanced age he insisted on taking part in the battle. A camel was fitted for him to ride at the head of the cloumn. The cavalry remained under the command of SHAIKH KHALIFA BIN SALMAN AL KHALIFA. The Bahraini Force held itself for a suitable opportunity to ambush the attacking force. It wanted to be sure of the plan of attack and that the Sultan's forces had not attacked any other part of the country. It lay in wait for three days. The Sultan was at his wit's end and did not know what was going on. He sent for ARHAMA BIN JABIR and said to him: "Where have your UTOOB disappeared? ARHAMA! ... They are dead." ARHAMA felt ashamed and replied. "They are preparing your dinner dear sir!

Next morning, i.e., on the fourth day, ARHAMA BIN JABIR and his soldiers withdrew from SITRA and set sail so as to envelop MOHARRAQ from the north and be able to attack and plunder MANAMA while the Bahraini forces engaged themselves in fighting the Sultan's forces. Though he was an adept at fighting at sea his calculation seems to have gone awry. He sailed north to reach his destination whereas the wind was blowing from the north which forced him to sail against the wind thus involving a lot of infructuous effort and time particularly because his ships were sail ships. The result was that he was inordinately delayed in reaching his destination. At the same time, i.e., on the fourth day of the landing of troops in SITRA, the Sultan commenced his advance at low tide towards AKR and was surprised by the appearance of Bahraini forces in the date palm. They raised their

AD). See the Appendix at the end of this paper.)

SHAIKH ABDULLAH BIN AHMED in reply stated that if he could guarantee the neutrality of BRITAIN he could protect BAHRAIN because he was on good terms with the Saudi State. We have not been able to lay our hands on the text of this agreement which shows that it was nothing more than a ruse played by Captain BRUCE in his style to cover his real game of pulling all possible strings. No sooner BRUCE left BAHRAIN that the invasion against it was launched, led directly by the Sultan of MUSCAT who reached BAHRAIN waters presently. However, BAHRAIN was all set to confront the invaders with its total mobilisation for defence. They filled up the entrance of KHAWR AL QALIY'AH with stone and sunk old ships in it after filling them up with stones. Similarly they filled up the northern approaches to BAHRAIN near AL SAYA. These defensive measures bore witness to the foresight of SHAIKH ABDULLAH and his brother SHAIKH SALMAN and their familiarity with naval warfare. They knew the line of thinking of the invading force and the counter-measures needed to effectively defend the Island.

They expected the attacking force to head towards KHOR AL QULAY'AH to take up an intermediate position between MOHARRAQ and MANAMA thus making it simpler for the attacker to impose defeat in detail. This anticipation proved correct. The invading force proceeded to KHOR AL QULAYAH but found it blocked. The Sultan of MUSCAT had no alternative but to land in SITRA and occupy it. The attacking force stayed-put in SITRA afraid of moving away from its ships and thus extending its front which would give a chance to BAHRAIN to have an upper hand. On the other hand, the BAHRAIN Force split its infantry into two parts in anticipation of an attack on more than one point. One

along with other Arab groups from the ports of CONGOON and ASILOO as also the forces of ARHAMA BIN JABIR AL JALAHIMA. While the force was closing in on BAHRAIN, the remaining co-conspirator, Mr. BRUCE was playing a even more diabolical role.

Mr. BRUCE reached BAHRAIN with the main object of gauging the strength of AL KHALIFA and the extent of their readiness for war to meet the challenge of the force now on its way to BAHRAIN. However, he camouflaged his main purpose by resorting to a series of manouvres. No sooner he landed that he called on SHAIKH ABDULLAH BIN AHMED and SHAIKH SALMAN BIN AHMED for the ostensible purpose of wanting to find out the differences between them and MUSCAT. The two Shaikhs narrated to him the way the Sultan of MUSCAT had started meddling in their affairs by detaining and plundering fifteen of their ships and how he had threatened war against BAHRAIN saying that even British war ships would join the attack and that they would close all Indian ports against ships which were inimical to the IMAM of MUSCAT. Mr. BRUCE stated that the British policy was one of neutrality and the British would never assist the Sultan of MUSCAT in his attack on BAHRAIN. In order further to hide his intentions and prove his bona-fides he concluded an informal agreement with Shaikh ABDULLAH and Shaikh SALMAN to that effect fully aware that he had not been authorised by his government to enter into any formal agreements. Its only object was to conceal his real aim and we believe, it was similar to the agreement which was concluded with SHAIKH HASAN BIN ARHAMA AL QASIMI, the Amir of RAS AL KHAIMA in the year 1814 AD. (The Agreement was entered into by Captain BRUCE and HASAN BIN ARHAMA AL QASIMI on 22 October 1814

taken into custody along with his ship AL SULTANI as well as other Bahrainis. The arrested persons were held in the JALALI Fort. Thereafter the Sultan of MUSCAT contacted the Governor of SHIRAZ and laid bare before him a plan for the invasion of BAHRAIN and asked for an assistance of a thousand riders and 400 horses for him. The Governor of SHIRAZ agreed to provide them on condition that in the event of the failure of the expedition against BAHRAIN the Sultan of MUSCAT would bear the cost of invasion in addition to an annual fine which will be payable by BAHRAIN to the Governor of SHIRAZ. If, however, the invasion succeeded and BAHRAIN was captured, the SULTAN of MUSCAT would pay 10,000 Tomans annually to the Governor of the Iranian province of FARS.

The Sultan of MUSCAT agreed to the deal and commenced his preparations for attack. He wrote to the people of BAHRAIN warning them of war. His letter included the Holy Verse:

"Go back to them, and be sure
We shall come to them
With such hosts as they
Will never be able to meet:
We shall expel them
From there in disgrace
And they will feel
Humbled (indeed)." (Srua Al Naml-Verse 37)

The Bahrainis rejected the threat and quoted in their reply the Verse:

"If God helps you
None can overcome you:
If He forsakes you,
Who is there, after that,
That can help you?
In God, then,
Let Believers put their trust."
(Sura Al-i-'Imran - Verse 160)

After due preparations the task force sailed on 19 Jul 1816 (1230 H.) from MUSCAT for BAHRAIN, led by SYED SAI'D BIN SULTAN with all the conspirators constituting the expedition joining it. After its departure from MUSCAT, 3 ships from BUSHIRE joined it on orders from the Iranian Governor

roots and drowning it in a sea of conflicts raging around it before it had a chance to consolidate its rule. The parties who made common cause in this plot were as follows:

ARHAMA BIN JABIR who never rested a day in mobilising all the surrounding forces against BAHRAIN and seeking help from all and sundry.

Once he failed to receive any help from the Saudi Government, he approached the Sultan of MUSCAT which act was instrumental in his ejection from DAMMAM. From FARS where he had sought refuge for himself and his family, he contacted the Political Resident Mr. BRUCE with the same aim.

Mr. BRUCE was the Political Resident in the Gulf with residence at BUSHIRE. He represented the British policy in the Gulf at that time which aimed at preventing the emergence of any strong and independent power on the coast as far as possible and feeding local conflicts so that their energies were dissipated in internecine rivalries. In this conspiracy several parties participated:-

SYED SAI'D/SULTAN, the Sultan of MUSCAT was the first ARAB ruler in the Gulf to enter into a former alliance with the British.

The Governor General of the territory of FARS.

The various links in the chain of conspiracy began to take shape starting with the contact established by ARHAMA BIN JABIR with Mr. BRUCE when he narrated to him the story of how he was exiled from Dammam because of AL SAUD and AL KHALIFA. Simultaneously, ARHAMA contacted the Sultan of MUSCAT with the blessings and encouragement of Mr. BRUCE. The result was, as we said earlier, that the Sultan of MUSCAT set the ball into motion by detaining and robbing 15 Bahraini ships and their passengers. Those thus arrested by the Sultan of MUSCAT included SHAIKH ABDUL RAHMAN who was

established contact with the Sultan of MUSCAT urging him to attack BAHRAIN and assuring him of his readiness to participate in it. This provoked the SAUDI Government headed by IMAM ABDULLAH BIN SAUD who had succeeded his father, the late IMAM SAUD, against him. He ordered that the fort of ARHAMA in DAMMAM be attacked. The order was forthwith implemented and ARHAMA BIN JABIR was ejected from DAMMAM who, thereupon, fled to FARS in the year 1230 H/1816 AD*. and landed in BU SHAHR. From there he continued to contact the Sultan of MUSCAT whose relations with BAHRAIN had lately deteriorated to a great extent and kept up his effort to goad him to attack BAHRAIN with an offer of his help. The Sultan of MUSCAT promptly started meddling with BAHRAIN by attacking some fifteen Bahraini ships which were in the vicinity of MUSCAT. He plundered their merchandise and held them.

At this stage one needs to ponder a while. The outlines of a conspiracy against BAHRAIN began to surface exposing the participants in this conspiracy which aimed at snuffing out the nascent state before it could strike

---

* *LORIMER has mentioned in Part 3 of the Gazetteer on page 1202 that the Wahabi Amir was highly incensed by the conduct of ARHAMA BIN JABIR in turning against him and persecuted him with all the power at his command In July 1816, he ordered the razing of the fort which ARHAMA BIN JABIR had built in DAMMAM on the coast of AL. HASA After considerable effot this had enabled him to save his family and belongings and move them to KHOR HASSAN The Wahabi Amir had ordered that they should all be moved to DAR'IYYA but finally ARHAMA reached BUSHIRE in October 1816 as a refugee and as an exile accompanied by 500 families. He had with him but a few small boats, two big boats, a medium boat and several small vessels The Western and Northern coasts still preserve the remnants of forts which are attributed to ARHAMA BIN JABIR.*

while ARHAMA BIN JABIR AL JALAHAMA moved from KHOR HASSAN to DAMMAM. He built a fort there for himself but could never forget his defeat at AKHKIKIRA* and insistently urged the SAUDI Government to help him invade BAHRAIN and raise a revolt against AL KHALIFA but without any response from the latter.

He then, exploited the differences that had cropped up between SYED SAID BIN SULTAN AL BUSAI'DI, the Sultan of MUSCAT and the rulers of BAHRAIN and

* *This encounter has been described in the book "NAQL AL AKHBAR FIWAFIYYAT IL MASHAYIKH WA HAWADITH HADHI IL DIYAR by HAMEED BIN SULTAN BIN HAMEED AL SHAS reviewed by Prof. FALEH HANZAL, First Edition 1406H/1986AD, Page 37*

The writer states

"The naval encounter of TANURA (meaning AKHKIKIRA) between ARHAMA BIN JABIR BIN AZABI AL JALAHAMI and his supporters from among the Saudi subjects on the one hand and the AL KHALIFA rulers and their supporters from the AL SABAH of KUWAIT on the other. The fighting was so intense that the drain-pipes of boats discharged blood The death-toll was estimated at 1500 among whom were counted DAIJ AL SABAH and RASHID BIN ABDULLAH AL KHALIFA. Fire engulfed seven ships blowing up the gun-powder stacks in them flinging out bits of ships as well as men aboard them"

The account of the battle states that when SHAIKH ABDULLAH BIN AHMED received the news of the death of his son RASHID in the course of fighting, he said . 'throw his body in the ditch. I can produce many more RASHIDS' This shows the ferocity of battle.

(Writer)

presentation we referred to the personal characteristics of SHAIKH SALMAN BIN AHMED and his manner of grappling with problems. We discussed the way he dealt with the problems of the nascent state and rounded off the first part with the Battle of AKHKIKIRA, the naval engagement which culminated in the defeat of IBN OFEISAN and ARHAMA BIN JABER. The two managed to get away to QATAR in a boat. We, then, dealt with the manner in which SHAIKH SALMAN BIN AHMED established the township of RIFFA and opted for settling down in it. We mentioned how his brother SHAIKH ABDULLAH BIN AHMED, built the ABI MAHER Fort and raised the township of MOHARRAQ and lived in it. In these pages we now present the second part dealing with the life of SHAIKH SALMAN BIN AHMED AL KHALIFA and the historical events which marked his era constituting a part of the history of BAHRAIN and the history of the founding of the modern state under whose shade we live today.

After the recovery of SHAIKH SALMAN BIN AHMED's rule over BAHRAIN the country witnessed a period of cautious peace lasting four years, viz., from 1225H to 1229H (1811AD — 1815AD).

BAHRAIN'S relations during this period with MUSCAT were intimate while the Government of IMAM SAUD was busy fighting a war with TOUSON PASHA, the son of MOHAMMED ALI. He was in no position to open another front particularly after the defeat which ARHAMA BIN JABER AL JALAHIMA suffered at AKHKIKIRA which proved that an attack on BAHRAIN was not that simple. Moreover IMAM SAUD BIN ABDUL AZIZ died and the SAUDI forces withdrew from QATAR

PAGES FROM THE HISTORY OF BAHRAIN (2)

SHAIKH SALMAN BIN AHMED AL KHALIFA

by

SHAIKH ABDULLAH
BIN KHALID AL KHALIFA

The first part of this paper was published in Issue No. 8 of AL WATEEKA under the same title dealing with the bringing up of SHAIKH SALMAN BIN AHMED AL KHALIFA and his assumption of rule over Zubara and Bahrain in the year 1209H. corresponding to 1794-95AD following the death of his father. In the course of that

thousand years when they will make an evaluation of the civilisations of this sad age. What would be the verdict of history? The answer to it will not be known unless a thousand years hence.

ABDULLAH BIN KHALID AL KHALIFA.

clashed with the sword and spear with spear. There were excesses in some places but these were due to individual idiosyncrasies and limited to a few places here and there. However, during the centuries when the Western civilisations were predominant the world witnessed a new philosophy of vanquishing. Whoever possessed knowledge preserved it for his own benefit. The West once again reached a stage where it preserved its secret of secrets for its own consumption and only such of it was disclosed which was no longer useful to it or when it became obsolete and was replaced by more advanced techniques. One who possesses power and strength usurps everything on the principle of "might is right." To the mighty alone is the right to life and happiness. The secrets of knowledge and technology are only for their masters with nothing but bits and pieces for the rest. War threatens the globe as a whole. Its weapons are poisons and bacteria to destroy cities, villages, farms, orchards, springs and rivers. Security, if there be any, will be only for the Big Powers. As for the rest of the people of the world there is but fear and terror of destruction. Should it happen, there will be no survivor. It will spare neither the green nor the dry. Anxiety and perplexion have entered the depths of human consciousness bringing about a feeling of insecurity even about the immediate future. Millions of tons of food will be consigned to the sea while millions will starve to death. These are the two sides of the picture totally contradictory to each other. They reflect what the East gave to humanity when its civilisation was in the ascendant and what the West gave to it during its period of ascendancy. A gift of bounties on the one hand and a legacy of usurpation on the other; contribution on the one hand and deprivation on the other.

I wonder what the historians would have to say after a

burst forth and the East remained steeped in backwardness they gave to it its residual benefit consisting of their worst products again as an indirect means of further robbing it of whatever remained of its religious, moral and behavioural values.

This is the lesson of history for those who would but read history. They had only one big aim i.e., to "take". In order to realise this aim they naturally followed a pattern of conduct and procedures which depict a gloomy picture. In order to achieve their main aim it was but inevitable that the East should remain torn apart with its states at one another's throat and the sons of the soil and their leaders in a perpetual mutual conflict. To ensure this it was necessary that regional wars should rage with the seeds of division, hatred and animosities planted among their ranks. They should speak with different voices and should never be permitted to unify under any circumstance. It was necessary to prevent the East from recovering its poise and selfconfidence and to keep it tied to the apron strings of the West for all its needs from foodgrains to aircraft and rockets. There is a single pattern discernible on the wide Eastern horizon from the limits of the Far East to the limits of the Arab West and down to the depths of Black Africa.

During the centuries when the Eastern civilisations held their sway, the world witnessed peace, security and prosperity. The fruits of every civilisation were available to all thus giving a push to the whole of humanity to take a step forward. Its bounties were a common heritage unfettered by borders and other hurdles in their path. Scholars came from all corners to centres of knowledge and illumination, drank deep at them and transferred their learning to all parts of the globe. There were wars; because war is instinctive to man, but these wars were fought with a spirit of chivalry. Sword

to Andalus from all parts of the dismal west from a backward Europe when the West robbed the treasures of the Eastern sciences. When the Islamic wave reached a phase of relaxation, the West, armed with the knowledge of eastern sciences, launched its offensive in the same manner. When the Arab civilisation peered over Europe the whole world advanced under the banner of Islam. When the West commenced its onslaught on the East in the course of the Crusades it did so under the banner of the Cross. It misled the common man in Europe into believing that it was advancing to spread Christianity. Everyone knows today that the Crusades were launched only for the purpose of robbing the East of its treasures. The commanders and the soldiers were told that whoever wanted to gain riches should participate in the eastern expedition.

The Crusades swept Asia Minor & then Syria carrying death, destruction and plunder and transferring the riches of the East to a hungry west. The sweep then split into several consecutive waves launched one after another. New attacks commenced when the Portuguese assigned to their fleets the task of opening trade routes with the East. The people of the region saw in all this no evidence of sciences or arts. All that they encountered was killing, torture, loot and plunder. Then came the Dutch who were not interested in anything but trade, i.e., selling their goods in the eastern markets and transporting the wealth of the East to their country. Then the avaricious powers competed with one another followed by military imperialism & zones of influence. The British and the French stood out prominently. Their method was the same. If oil was discovered, the Americans would come and take it at throwaway prices.

It is a long story but could be described in one word, "Take". When the scientific and technological revolution

generously. The West was not content with what it received by way of values and launched itself in the East to deprive it of its potentials. The West's contribution to the history of mankind and the history of science was none other than nuclear terror which threatens the universe today.

This in brief describes the conflict which has raged all along and which is still raging. In this connection we do not wish to delve deep into history to see what was contributed by Sumer and Babel, for instance, in astronomy and law; or by India of old by way of spiritualism and philosophy, nor by the Pharaoh nic Egypt in the field of originality in sciences and arts, or what the Arabs possessed along with Islam by way of culture, progress and civilisation in various branches of life in a manner which integrated with Islam all the civilisational concomitants of sciences, arts, literature, the systems of state, economics and sociology. We shall not penetrate history to review all that or even a part of it as the story of civilisation itself is concerned with them and they are recorded in history books. We shall, on the other hand, start with a comparatively more recent period in living memory. The Islamic wave from the East reached the north of Andalus at a time when the West was still plunged in medieval obscurantism. Andalus was transformed into a brilliant focal point of Islamic civilisation from which the West learnt and absorbed a great deal concerning various aspects of life from the simplest rudiments of behaviour patterns to the most complicated theories of knowledge. The universities of Andalus and their scholars revived what would have been lost to history from the heritage of Greece otherwise, through the bridges of intimate cooperation which they built with the scholars of the East. They added to it their own contributions and discoveries. All this was generously served to the seekers of knowledge who repaired

IN THE NAME OF GOD THE BENEFICENT, THE MERCIFUL

A WORD ABOUT THIS ISSUE

One who ponders over the pattern of conflict between the east and the west in general or between the west and the Arab region and the Gulf in particular, will doubtless discover an incontrovertible fact which will not be lost on some today though it may be obscure to some others. This fact which we submit to history may be briefly summed up in a few words: "The East gives and the West takes". At a time when the East in general and the Arab East in particular was mobilising its possibilities and potentials, its endeavours and efforts to present to the West its civilisation, progress, values, ideals and raw materials, the West in its turn was bending its energies to employ its armies and fleets to rob the East of its wealth, its bounties and even its values. The East showered its gifts of civilisation on the humanity at large

THE ENGLISH SECTION

CONTENTS

THE ARABIC SECTION

Magazine Committee

AL WATHEEKAH

A Half-Yearly Journal Published by

The Historical Documents Centre

The State of Bahrain

Devoted to The Heritage, Thought and History of

Bahrain And The Gulf

Editor-in-Chief

Shaikh Abdullah Bin Khalid Al-Khalifa

Issue NO. 11 — 6th Year

Dhul Qidah 1407 A.H. — July 1987 A.D.

Bahrain P.B. 28882

Telephone — Historical Documents Centre — **664854**

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

IN THE NAME OF GOD,

THE BENEFICENT,

THE MERCIFUL